

سلطنة عمان
المنتدى الأدبي
وزارة التراث القومي والثقافة

فعاليات ومناشط

• حصاد أنشطة المنتدى لعام ١٩٩٠م

إشراف :
سالم بن محمد الغيلاني
رئيس المنتدى

إعداد :
محمد علي الصليبي
مساعد مشرف المنتدى

إصدار
يونيو ١٩٩١م



سلطنة عمان
المنتدى الأدبي
وزارة التراث القومي والثقافة



فعاليات ومناشط

● حصاد أنشطة المنتدى لعام ١٩٩٠م

● قراءات ودراسات وبحوث في الفكر والأدب والتراث العماني

اشراف :

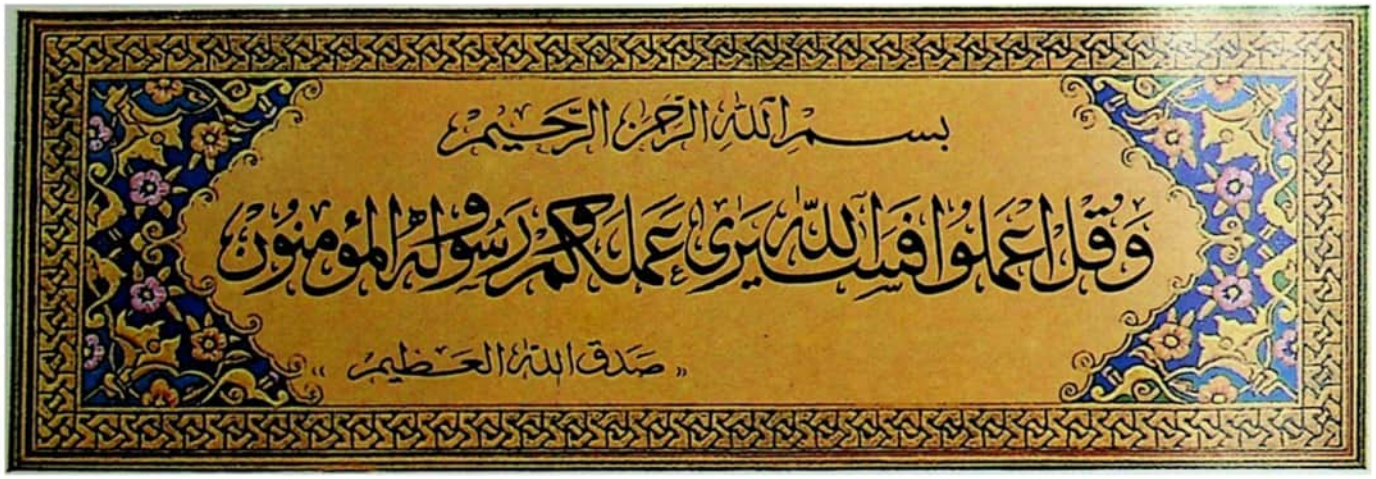
سالم بن محمد الغيلاني
رئيس المنتدى

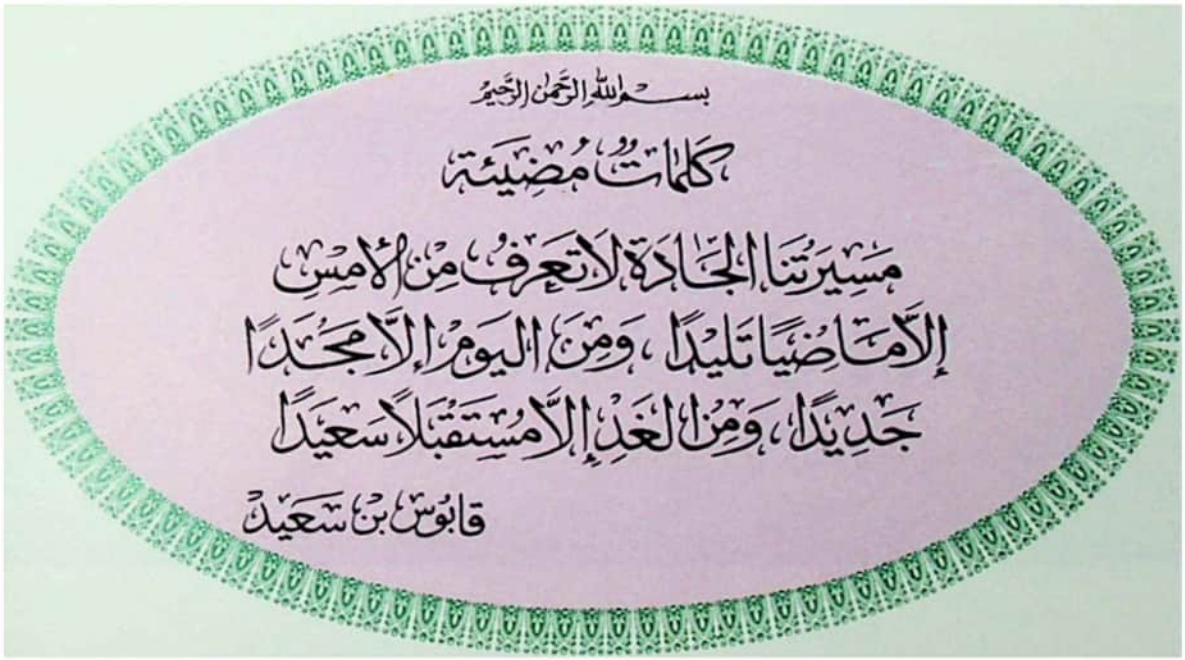
إعداد :

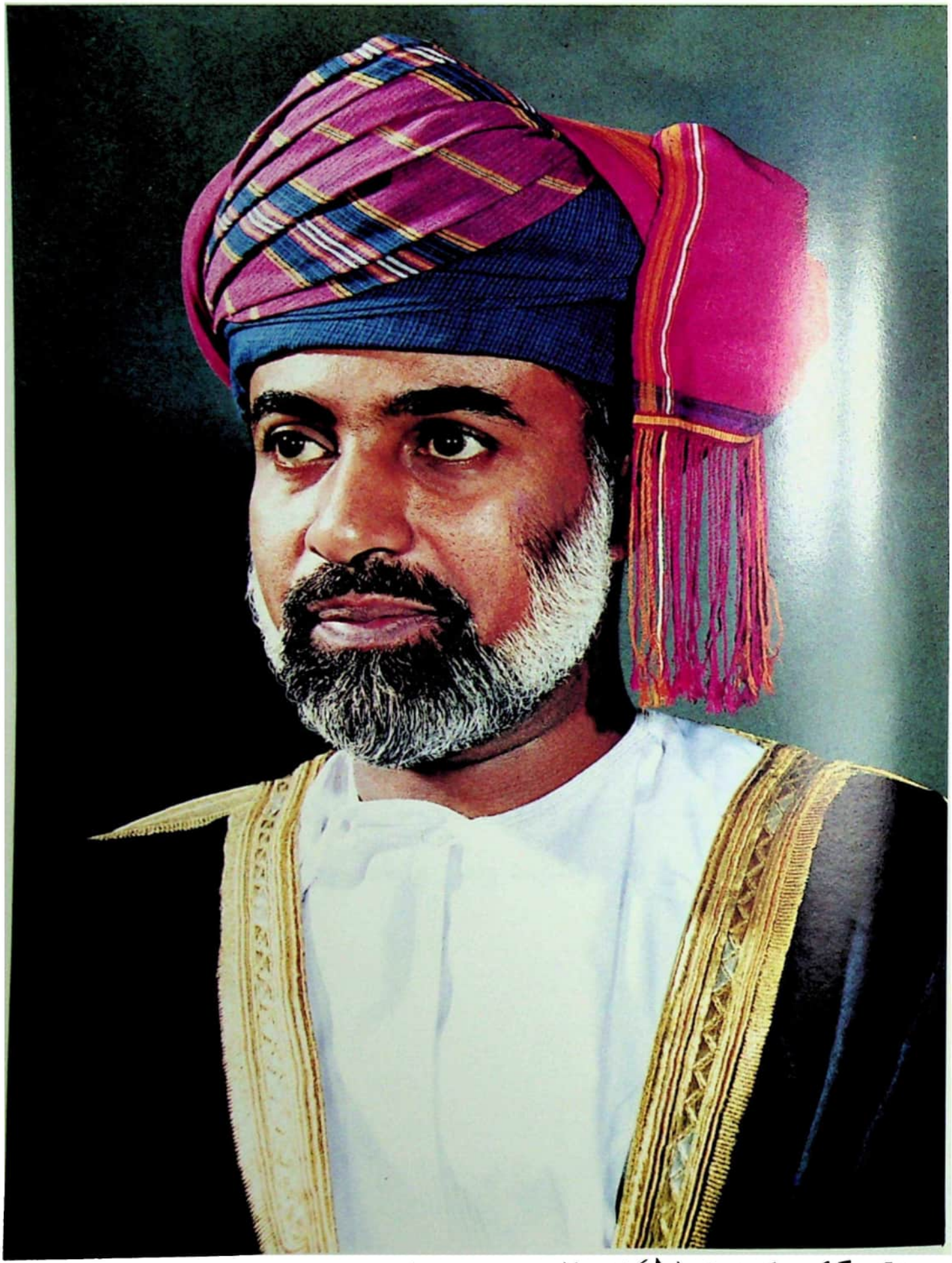
محمد علي الصليبي
مساعد مشرف المنتدى

إصدار

يونيو ١٩٩١م


بسم الله الرحمن الرحيم
وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون
صدق الله العظيم


بسم الله الرحمن الرحيم
كلمات مضيئة
مسيرتنا الجادة لا تعرف من الأمس
إلا ماضيا تليدا، ومن اليوم إلا مجدا
جديدا، ومن الغد إلا مستقبلا سعيدا
قابوس بن سعيد



حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم

إهـــــداء

الى المقام السامي لحضرة صاحب الجـلالة السـلطان قابوس بن سعيد المعظم ـ حفظه الله ـ

إن ما تحقق على أرض عمان من انجازات يعتبر ملحمة رائعة سوف يسجلها التاريخ بأحرف من نور في سجل المجد، وأن اسمكم يا مولاي جلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم سيبقى عالقا في عبقرية الخلود، ذكرى عطرة تطل من كوّة الدهر تذكرنا بهذا العهد الزاهر وتلك المنجزات العملاقة التي أضحت مضرب المثل للقاصي والداني.

وأن أسرة المنتدى الأدبي إذ ترفع هذا الإهداء يا مولاي الى مقامكم السامي لتدعو الله من أعماق القلوب أن تظل ياسيدي ذخرا لعمان ومعينا لا ينضب لأمتنا العربية والاسلامية، وأن يحفظك رب البرية برعايته، ويكلأك بعنايته، وأن يتحقق على يديك يا سيدي كل ما تصبو اليه عمان من عزة وسؤدد وأمن ورخاء وطمأنينة.

أسـرة المنتـدى



بمناسبة مرور عامين على افتتاح المنتدى الأدبي في ٨ نوفمبر ١٩٨٨
تحت رعاية صاحب السمو السيد فيصل بن علي بن فيصل آل سعيد وزير التراث القومي والثقافة

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة صاحب السمو السيد فيصل بن علي
وزير التراث القومي والثقافة[1]

أصحاب السمو والمعالي . . . . . سعادة الأخ الشيخ مبارك بن سيف آلي ثاني . . . . . أصحاب السعادة . . . . . أيها الحفل الكريم . . . . . .

فانه إذا حق للأمم أن تفاخر برجالاتها وقادتها وحكامها العظام ، فقد كانت عمان على موعد مع القدر قبل عشرين ربيعا زاهية على نهضتها المباركة لحضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم ، حيث أشرقت شمس حضارة عمانية غطت جوانب البنية المعاصرة بالسلطنة ، وشقت مجالات جديدة في سائر العلوم ، وطرحت جوانب مصيرية تهم الانسان العماني من حيث بناؤه واعداده وتأهيله ليتبوأ ـ كعهدنا به ـ المكان المرموق الذي يليق به في مدارج البناء الحضاري المتقدم ، كما نظرت بهدوء واتزان للأدب نظرة جادة بعد أن تغيرت مفاهيم ، وتطورت أمور ، واستحدثت قضايا مما جعل منها منطلق نهضة حضارية شاملة متكاملة .

. . . . . ضيوف المنتدى . . . . . .

وانه انطلاقا من ادراك مولانا حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم بأن عمان في ظله الميمون تعيش أوج مجدها ، وان الحاجة تستدعي التوازن بين التطور العمراني والفكري ، صدرت أوامر جلالته السامية منذ فجر النهضة المباركة قبل عشرين عاما تدعو الى النهوض بالتربية والتعليم باعتبارهما

(١) القى سموه هذه الكلمة المفيدة بمناسبة احتفال المنتدى الأدبي بمرور عامين على افتتاحه تحت رعاية سموه .

اسَّ الحضارة ، ومفتاح كل تقدم بناء ، فانشئت المدارس والمعاهد والمؤسسات العلمية والثقافية ، والاندية الرياضية ، وقبل أيام تفضل جلالته ـ حفظه الله ـ فرعى حفل تخريج الدفعة الأولى من جامعة السلطان قابوس ، وكانت المكرمة السامية لجلالته بانشاء المنتدى الأدبي ـ والذي نحتفل اليوم بمرور عامين على افتتاحه ـ ليكون وساما للأدباء والشعراء في هذا البلد الغالي ، ونبراسا يضيء سبـل الابداع ، ومنتجعا يلجأ اليه رواد الفكر والمعرفة والأدب ، واننا نتطلع بعـين الثقـة والاطمئنـان الى أن يحسن أدباؤنا وشعراؤنا استغلال هذه المكرمة لصالحهم ، وان يتفيأوا ظلال هذه الدوحة الأدبية .

. . . . . أيهـا الحفـل الكـريم . . . . . .

واننا نذكر بكل ثناء تلك المبادرة التي اتجه اليها المنتدى في خطته لتكريم الأدبـاء والعلماء العـمانيين ، حيث بدأ هذه السلسلة بتكـريم فضيلة العلامة الشيخ سالم بن حمود السيابي يومي ١٧ و١٨ أغسطس من العام الماضي ، وفي تكريمه للشيخ عبدالله بن علي الخليلي لكونه في مقدمة من أسهموا في خدمة الأدب بالسلطنـة في شهـر فبراير من العام الحالي (١٩٩٠) ، ونحن إذ نذكر للمنتـدى كل هذا فاننا نتطلع إلى أن يكون هذا الصرح الأدبي أحد مشاعل الثقافة بالسلطنة ، ومؤشرا جديدا من مؤشرات الاهتمام بفكر الشباب وادبهم ، والنهوض بأصحاب المواهب باتاحة اكتساب الخبرة والمعرفة باحتكاكهم بالأدباء المتمرسين .

. . . . . أيهـا الحفـل الكـريم . . . . . .

أختتم كلمتي هذه بتوجيه الدعوة حارة إلى كل الأدباء والشعراء والأقلام الثقافية اذكرهم فيها بأن هناك واجبا أدبيا يتحتم علينا نحو المزيد من الدراسات الجادة والبحوث المستفيضة لاثراء مكتبتنا العمانية وان على أجيالنا الأدبية الحالية

أن تشمر عن سواعدها لجمع شتات أدبنا وتراثنا مما تناثر هنا وهناك ، ليعود تراثنا وأدبنا إلى سالف عهده نقيا براقا ، لتفيد منه أجيالنا المعاصرة والمستقبلة .

أشكركم جميعا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .





سعادة رئيس المنتدى الأدبي يوزع الجوائز على الفائزين
بمسابقة المنتدى الأدبي في الشعر الفصيح والشعبي والبحث والقصة

كلمة المنتدى الأدبي

بقلم : رئيس المنتدى الأدبي

بسم الله ، وأصلي واسلم على سيدنا محمد عليه أفضل الصلوات والتسليم وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ،

فإنه منذ افتتاح المنتدى الأدبي ونحن نسعى جادين على أن تتكامل وظائفه ومهماته في دعم الأدباء ، ونشر بحوثهم مما جعل الحاجة ملحة إلى اصدارات متخصصة في الأدب تسهل على أدبائنا مهمتهم الانسانية تلك ، كما تهيء لهم مناخا طيبا للالتقاء مع زملائهم عمانيين وأشقاء على صفحات هذه الاصدارات مما رسخ ايماننا يقينا بضرورة صدور سلاسل أدبية عن المنتدى الأدبي تغطي عجزا أو ندرة في المجلات الأدبية آخذين بعين الاعتبار بأن أي مستوى رفيع لأي اصدار أدبي انما ينبع مما يتضمنه هذا الاصدار من أبحاث أصيلة متميزة ، تعكس صورة مشرقة عن المستوى الثقافي الذي وصلت اليه سلطنتنا الحبيبة ، وكل ذلك يتمثل عبر قدرة الأدباء على الانتاج والتقويم والتطوير لتكون في أبحاثهم أصالة متميزة في كافة التخصصات لاسيما ونحن نعيش في عصر أضحى من الصعب علينا حجز الآثار الانسانية خلف أسوار الاقليمية لأن حجزها فوق طاقة الانسان بل هو عاجز حقا عن احتوائها وتقييدها لأنها تتسرب مع الرياح ، وتنطلق مع الهواء ، وتطرق كل القلوب بلا استثناء فمن شاء أن يأخذ من زادها أخذ ، ومن شاء أن يقتبس من هديها اقتبس ، ومن شاء أن يتمثلها في ضميره واحساسه كانت له هداية ونورا .

وبدوافع ذاتية لم نستطع لها كبحا ، رأينا الحلم الذي ظل يراود فكرنا ردحا من الزمن يتحقق حيث تمخض عن اصدار العدد الأول من (المنتدى الأدبي فعاليات ومناشط) ليجمع بين دفتيه أنشطة وفعاليات المنتدى الأدبي لعام (٨٩) ولعل القارىء المتمعن لبحوث ذاك الاصدار يدرك معنا تمام الادراك بأن تلك البحوث انما جاءت لتعبر عن آراء أصحابها ، والطبيعة البشرية ـ كما نعلم ـ تقتضي تشابك هذه الآراء واتفاقها أو التعليق

عليهـا ومعارضتها وقد قيل : (الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية) وهنا يبرز دور القارىء الواعي على مستوى طرح القضايا والنقاش الهادف ، والنقد الايجابي البناء ، فإنه لا يكفينا أن نتوقف ونلعن الظلمة ، بل علينا التحرك الايجابي بحيث نضيء شمعة تساعد على تبديد الظلام .

واليوم ونحن على أبواب الاصدار الثاني من هذه السلسلة نطلقها دعوة خاصة مخلصة لكل الأدباء والباحثين ، ولكل الأمناء المخلصين ، الا يبخلوا على هذا الوليد بنتاجاتهم القيمة المفيدة مما يدفع به ان يشب ويترعرع في مناخ نقي ، وعلى أرضية صلبة ، وهكذا تطفو المصلحة الوطنية على السطح في ايجاد اصدار أدبي ولا أقول (مجلة أدبية) يسعى يقينا قدر جهده وطاقته الى تحقيق المنهج العلمي ، والى التحرر من كل ما ينحرف بالنظرة العلمية المنهجية عن جادتها ، خالص للمعرفة وللحقيقة في طموح للانفتاح على التراث ومحاورته ودرس الحاضر وتسمية أصوله في سعي حثيث إلى أن يجد هذا الاصدار مكانته التي نعتز بها وان يكـون السـاحـة الرياضية التي يتسع صدرها لكافة الآراء في الأدب والنقد والثقافة والفكر ، فهى لمن ان لم تكن للأدباء وهي بمن ان لم تنهض بهم ويشتد عودها بأبنائها ، راجين أن تكون القراءة الواعية العميقة طاقة نغذ بها السير دوما إلى الأمام ، موقنين بأن لكل بداية هنات وان العجز كل العجز ان نتوقف عن العمل تقاعسا عن متابعة حمل الرسالة الملقاة على عاتقنا كأدباء ومثقفين ومفكرين وعاملين .

واعترافا منا بالجميل لصانع نهضة عمان الكبرى ، وباني حاضرها السعيد ، ومجدد أمجادها ومحقق طموحاتها يقتضي الأمر أن نرفع إلى المقام السامي لحضرة صاحب الجلالة السلطان قابـوس بن سعيد المعـظم اسمى آيات الـولاء والشكر والمحبة لما اسدته أياديه الكريمة البيضاء من فضل على اسرة الأدباء والمفكرين في عمان حيث تفضل جلالته حفظه الله واصدر أوامره السامية بانشاء المنتدى الأدبي ليكون دوحة وارفة الظلال ، يستريح في فيئها قادة الفكر وعشاق الكلمة ، كما نتوجه بالشكر لسمو السيد فيصل بن علي آل سعيد وزير الـتراث القومي والثقافة الذي آزر فكرة هذا الاصدار ، وشجع المنتدى وأخذ بيده خطوة خطوة نحو شاطىء النجاح وذلك حرصا من سموه على تشجيع الدراسات والبحوث العلمية وتيسير النشر ليعم الوعي الثقافي أرجاء السلطنة ولقد كان لقرار سموه باصدار العدد الأول من (المنتدى الأدبي ـ فعاليات ومناشط) فضل كبير في ظهوره بالشكل اللائق ، ولا

نقول (الكامل لأن الكمال لله وحده وان ابن آدم خطاء وان كل محاولاته تقع في باب الاجتهاد) .

كما نشكر من موقعنا هذا جميع الزملاء من الأدباء والباحثين والمؤرخين الذين شاركوا ببحوثهم وبآرائهم آملين منهم المزيد من الدعم والعطاء ، والله نسأل التوفيق والهداية .





إحدى جلسات السمر الأدبية التي يقيمها المنتدى ضمن فعالياته وأنشطته

نقرأ في هذا العدد

- مظاهر معاصرة الجيلين في شعر الخليلي
- قراءة أولية في مقامات الخليلي
- المقامة والقصة في أدب الخليلي
- مع شعراء الشباب بجامعة السلطان قابوس
- أهمية الدور العماني في مجريات أحداث العالم القديم
- أضواء على شعر أبي مسلم
- الجانب السياسي في عصر اللواح الخروصي
- اطلالة على الرحلة في الشعر العماني
- معوقات الحركة المسرحية في الخليج وامكانات النهوض



إحدى فعاليات وأنشطة المنتدى لعام ١٩٩٠م

الباب الأول

دراسات وبحوث في أدب الشيخ عبدالله بن علي الخليلي



جانب من الحفل التكريمي الذي أقامه المنتدى الأدبي تحت رعاية معالي يحيى بن محفوظ المنذري
وزير التربية والتعليم والشباب احتفاء بسعادة الشيخ عبدالله بن علي الخليلي

مظاهر معاصرة الجيليين في شعر الشيخ عبد الله بن علي الخليلي

بقلم الدكتور/ احمد درويش

النتاج الشعري للشيخ عبدالله بن علي الخليلي يشكل لحظة من اللحظات الفاصلة في تاريخ الأدب العربي في عمان ، واللحظات الفاصلة بين العصور الأدبية من أدق اللحظات في تاريخ الأدب المحلية والعالمية ، ذلك لأنها لحظات لا تظهر كل جوانبها أثناء فترة تفاعلها وتكونها والتفاء موجات المد والجزر ودوامات الصراع بين القيم المتقابلة داخلها ، فضلا عن أن حدود هذه اللحظات لا تستبين بوضوح إلا بعد انتهاء فترة من الزمن ، تتداخل فيها ظواهر العصر الذي يمضي مع ظواهر العصر الذي يأتي تداخل أمواج البحرين حين يلتقيان ، ومن ثم فإنه من الصعوبة بمكان أن يشار إلى اليوم الأخير من عام معين أو عصر معين على انه نهاية عصر أدبي ، وإلى اليوم التالي له على أنه بداية العصر الجديد ، وكما يقول أحد النقاد الفرنسيين ، « ليس العصر الجديد زهرة تستيقظ في الصباح فتجدها قد نبتت في حديقتك ، فتؤرخ لميلادها منذ ذلك اليوم » وإذا ساغ لنا أن نحدد بدقة بداية عصر سياسي ونهاية عصر آخر من خلال أفول دولة وقيام أخرى ، فإنه لا يسوغ لنا أن نحدد قيام عصور أدبية توازي بنفس الدقة العصور السياسية ، وإذا كان عام ١٣٢ هـ مثلا يؤرخ به كنهاية للدولة الأموية وبداية للدولة العباسية ، فإنه لا يستقيم في التاريخ الأدبي أن نقول أن الانتاج الذي ظهر عام ١٣١ هـ يختلف عما ظهر في عام ١٣٣ هـ لمجرد أن كلا من هذين العامين ينتمي إلى عصر سياسي مختلف ، ومن هنا كانت ملاحظة الباحثين على عدم دقة التقسيم الذي ارتضيناه لعصورنا الأدبية ، وجعلناه موازيا لتقسيم العصور السياسية .[1]

---

(١) أنظر : ريجيس بلاشير : « تقسيم جديد لعصور الأدب العربي » ترجمة ، د. أحمد درويش ، مجلة « دراسات عربية واسلامية » ، القاهرة ـ العدد الثاني سنة ١٩٨٥ .

من هنا كان مؤرخو الأدب القدماء على حق عندما التفتوا إلى ظاهرة « الخضرمة » وان كانوا قد حصروها في أضيق حدودها عندما أشاروا إلى اطلاق اسم « المخضرمين » على الشعراء الذين عاشوا في عصرين متتالين كالجاهلي والاسلامي أو الأموي والعباسي ، دون التطرق إلى دراسة ما خلفه كل عصر على نتاجهم أو محاولة تبين النقطة الفاصلة التي التقت فيها الخصائص المتقابلة ، وتولدت عنها خصائص جديدة وإذا وسعنا مفهوم « الخضرمة » قليلا ، فإنه ليس من الضروري أن نقصره على الالتقاء في العصور السياسية ، وإنما نتسع به ليمتد إلى التقاء التيارات الثقافية مثل الانتقال من عصر مجلس العلم والمخطوطة إلى عصر المدرسة والجامعة والكتاب المطبوع والصحيفة السائرة والتغييرات الاجتماعية ، وتتابع مظاهر التطور في أشكالها المختلفة على مجتمع من المجتمعات ، وما يعكسه ذلك كله بالضرورة من تغيير في المذاق الفني ، ووسائل الأداء والاتصال ، سرعة أو بطئا ، مشافهة أو كناية ، مباشرة أو من خلال « تقنيات » علمية متطورة ، ودور الأدب خلال ذلك كله ، حين يجد الأديب نفسه بعد أن امتلك ناصية الوسائل الفنية التي يتعامل بها مع مجتمع معين فيحقق له المتعة الفنية التي ينشدها ، ويتزود الأديب بدوره من خلال رد الفعل الايجابي بزاد ضروري يساعده على مواصلة الابداع ، حين يجد هذا الأديب نفسه أمام مجتمع هبت عليه تيارات مختلفة ، فأثرت فيه أو في بعض طبقاته تأثيرا ينشد متعة فنية تختلف قليلا أو كثيرا عما ألفت العصور السابقة تقديمه ، فتكون قضية التواؤم والتلاؤم هي محور ما يسمى عادة بقضية الجمع بين « الأصالة والمعاصرة » .

على انه ينبغي الاشارة إلى أنه لا يكفي أن يقع الأديب في منطقة « الخضرمة » حتى تنسب إليه قضية الاسهام في المواءمة بين « الأصالة والمعاصرة » ، فقد يكون الوقوع في هذه المنطقة عاملا سلبيا يجعل الأديب حائرا ببضاعته بين مناخ مجتمع كان قد أعد نفسه له ثم أفل ، ومناخ مجتمع آخر لم يؤهل نفسه له ثم فاجأه بالظهور ، وكثير من أدباء « ما بين الفترتين » ، ذهبوا في طي النسيان حين كان التاريخ يقلب صفحة عصر ليفتح صفحة عصر آخر .

ولاشك أن النتاج الشعري للشيخ عبد الله بن علي الخليلي يحمل عناصر كثيرة من عناصر الايجاب في فترة « الخضرمة » أو الانتقال في الأدب العربي الحديث في عمان ، ويحمل إلى جانب هذه العناصر ، عناصر أخرى قابلة للمناقشة ولاعتبارها عناصر تاريخية ، وذلك

شيء طبيعي في نتاج شعري استمر أكثر من نصف قرن وان كان لم يعرف طريقه إلى المطبعة إلا منذ أقل من عشرين عاما ، حين طبع ديوانه الأول من نافذة الحياة سنة ١٩٧٣ بالقاهرة ، وهذا الفارق الأساسي بين عمر الانتاج وعمر النشر يمثل سمة أولى من سمات الانتقال بين عصرين عاشهما الشاعر ، ينتمي الأول إلى عصر « السماع » وينتمي الثاني إلى « عصر القراءة » .

ولد الشيخ عبد الله بن علي الخليلي سنة ١٩٢٢ م (١٣٤٢ هـ) أو قبل ذلك بثلاثة أعوام سنة ١٣٣٩ هـ على خلاف في الرواية ،[٢] في مدينة سمائل التي عرفت في عمان بأنها من المعاقل الأولى للعلوم العربية والدينية ، وانتقل بينها وبين نزوى مقر عمه الامام محمد بن عبد الله الخليلي ، وتلقى في المدينتين مبادىء علوم القرآن والدين واللغة وما يتصل بها على يد شيوخ عصره من أمثال زاهر بن سعود الرحبي ، وحمد بن عبيد السالمي ، وسالم بن حمود السيابي ، وخلفان بن جميل ، وحمدان بن خميس اليوسفي ، وقاده هؤلاء الشيوخ إلى المناهل الأولى لمجمل الثقافة الاسلامية العربية لكي يواصل طريقه في التزود والتثقف فأقبل على كتب الأمهات في علوم الدين واللغة والأدب والتاريخ ، واستأنس ببعض من نتاج الشعراء المعاصرين مثل شوقي ، وأنس في نفسه في وقت مبكر ميلا إلى قول الشعر تمثل في ظهور نزعة جمالية لونت نظرته إلى الطبيعة من حوله ، وهو يسجل بدايات مولد هذا الشعور لديه في نص مهم يرد في مقدمة ديوان « وحي العبقرية » حيث يقول :[٣]

---

(٢) يذكر الشيخ سعود بن علي الخليلي في مقدمة ديوان « وحي العبقرية » للشيخ عبدالله بن علي الخليلي أن المؤلف ولد سنة ١٩٢٢م ، وينابعه على هذا معظم الدارسين ، مثل : نورية الرومي : « ظواهر فنية في غزل عبدالله الخليلي » مجلة البيان الكويتية ، مارس ١٩٨٤ ، وأحمد شباط في كتاب : أدباء من الخليج العربي ص ١٦٨ ، وأحمد الجدع ، في « شعراء معاصرون من الخليج والجزيرة العربية » ص ٣١٠ ، ولكن المؤلف العماني عبدالله الطائي ينفرد بذكر سنة ١٣٣٩م كتاريخ لميلاده ، في كتابه : « الأدب المعاصر في الخليج العربي » ص ١٨١ ، أما الشيخ سالم بن حمود السيابي ، فهو يذكر في كلمة التفريظ التي صدر بها ديوان « وحي العبقرية » عبارة ملبسة ، فهو يقول تحت عنوان : عمره الآن « هو الآن في غرة العقد الخامس من عمره » أي أنه بين الأربعين والخمسين ، وإذا علمنا أن الديوان قد طبع سنة ١٩٧٨ ، فإن معنى هذا أن الشيخ ولد في الثلاثينات من القرن الميلادي وهو ما يخالف كل الباحثين الذين اتفقوا على مولده في العشرينات ، لكن هذا اللبس يمكن أن يعين على تفسيره تاريخ كتابة كلمة التفريظ ، وهو كما جاء في الديوان ، ١٤ سؤال سنة ١٣٨٢ هـ ، وإذا صح هذا التاريخ فإن معناه أن هذه الكلمة كتبت قبل طبع الديوان بثمانية عشر عاما ، اذ أنه طبع سنة ١٣٩٨ هـ كما جاء على الغلاف ، ومن المعقول أن يكون الشيخ عبدالله وقتها في العقد الخامس ، وان كان هذا يثبت ـ لو صح ـ بأنه مضى بين نية طبع الديوان وتنفيذ طبعه ١٨ عاما .

(٣) ديوان الخليلي . . وحي العبقرية ، ص ٢١ ، وزارة التراث القومي والثقافة ـ سلطنة عمان ، سنة ١٩٧٨م .

« خرجت وبـرفقتي عشرون راكبـا من خيرة الـرجـال ، وكانت المواصلات آنذاك بوسائل عادية اذ لم يكن وجود السيارات حينذاك بعمان فتجد الماشي في الطريق وصاحب الفرس والبعير والحمار ، منها المعد للنقل ، ومنها المذلل للركوب ، أما مطايانا فكانت من خيرة الابل إذ أنها خصصت للوازم الدولة . . خرجنا بها نشق الوادي الخصيب من سمائل وقد تفجر ينابيع الري ، وعقدت الترع منه للبلاد ، وكان وسطه مفعما بالماء العذب الذي فضل عن حاجات البلد ، وكانت أخفاف الابل كأنما تقدح الحجر تارة وتطيش بالماء أخرى جامعة بذلك بين ضدين لا يعيشان مجتمعين الماء والنار . . ومنذ ذلك اليوم بدا لي أن أقول الشعـر وأنـا أنظر إلى الماء المنساب وإلى القسم الآخر المتحجر في صحون الأودية ، وقد انعكست به زرقة السماء وخضرة الشجر » .

ان هذا النص ذو أهمية خاصة لأنه يصور المناخ الذي ولدت فيه شاعرية الخليلي وهو المناخ الذي رسم لها الاطار في معظم رحلتها الفنية ، وحتى عندما نمت خطوات التطوير ، تمت في الغالب انطلاقا من هذا المناخ ، لقد ولد الشعر عنده على ايقاع الابل والخيول ، وفي مشهد يعد امتدادا حيا وطبيعيا للمشاهد التي كانت تألفها البيئة العربية منذ عصور طويلة ، وهـو لاشـك مشهـد عايش مثله امـرؤ القيس والمتنبي وأبو فراس ، ولم يعايشه البارودي أو شوقي وغيرهما من شعراء حواضر المواصلات الحديثة معايشة طبيعية على نفس الدرجة من الصدق والاندماج ، وانطلاقا من هذا فقد ظل مفهوم الشعر ، ودور الشاعر ، ومجال حركته ، وصلته بالتراث السابق عليه ، وصلته كذلك بالمتلقين من حوله ، ظل هذا كله عنـد الخليلي متـأثـرا بذلك المناخ ومرتبطا به ، وحتى في مجال تصوير الحركة الحسية البحتة ، فقد ظل شعر الخليلي أكثر صدقا واندماجا مع المشاهد التي تتم الحركة خلالها بالوسائل الحديثة ، منه مع تلك المشاهد التي تتم الحركة فيها بالوسائل القديمة ، ولننظر إلى هاتين اللوحتين التي تتم فيهما الحركة من خلال الحصان والطائرة ، لنرى كيف كانت درجة الالتحام مع كل عنصر منهما يقول في اللوحة الأولى عن مغامرة بطولية ليلية :(٤)

تبطنته والليل يسود وجهه ... وللغيم في أرجائه جيش توبان
يخيل لي أني على الماء تارة ... وطورا بأجيال وطورا بكثبان

(٤) وحي العبقرية ص ١١٦ .

أقول لمهري وهو يقدم مرة ... ويحجم أخرى كالعثور بميدان
تقدم فما لي في وغي متأخر ... والا فلي من جانبي عزم مطعان
أتحجم اشفاقا عليك من الردى ... وتطمع أن تحيا بسكنى وسكان
أيجزع من كانت له نفس مؤمن ... بأن ملاك الأمر في يدي ذي الشان
فقال لك الله اختبر قدر همتي ... فعزمي في الجلي كعزمك سيان
فَجُزْ بي أنى شئت شرقا ومغربا ... تجد صاحبا أوفى ذماما لأخدان

هذا النفس الشعري القوي الذي يندمج فيه الليل والخيل والبيداء وبطولة الفارس وسمو الكلمة يذكرنا بروائع الشعر العربي في عصوره الصافية الزاهية ، ولا تبدو عليه أي مسحة من تكلف ، لكننا نجد نفسا آخر مختلفا عندما يختلف المناخ ويصف الشاعر رحلة بالطائرة حين يقول : (٥)

بعام ثلاث غب تسعين أعقبت ... ثلاث مئين ألفهن فريد
لسبع ليال بعد عشر لعقدة ... خلت صدقتنا بالعزوم جدود
أتينا مطار السيب والظهر مشرف ... علينا وعزم الطائرات عنيد
نذلل منها للمرام فنية ... تمزق ثوب الأفق وهو جديد
فما وقعت في مدرج منذ حلقت ... سوى مدر ثم حيث نريد
لنستظهر الظهران عن خير قصدنا ... ونبدأ بالخير المدى ونعيد

ان الفرق في النفس الشعري واضح بين المقطوعتين ، وربما تتعدد الأسباب التي أدت إلى ذلك ، ولكن سببا رئيسيا منها دون شك يعود إلى علاقة التأمل ووجود الذات الشاعرية محورا لها بالقياس إلى سرعة حركة الكائنات من حولها ، ولاشك أن مفهوما معينا للحركة ارتبط بميلاد الطاقة الشاعرية الأولى عند الشاعر ، وتبنته قراءات طويلة متأنية في التراث الشعري ، جعل النفس الشعري الجيد يزداد تألقا في مناخ اللوحة الأولى .

وإذا كان هذا التقابل بين اللوحتين السابقتين يمثل لونا من « الثنائية » في الوسائل الفنية عند الشيخ الخليلي ، فإن هذه الثنائية امتدت لتشمل كثيرا من عناصر الأداء الفني

---

(٥) السابق ص ١٧٦ .

عنده ، وتبدو معها هذه العناصر موزعة بين وفائها للمناخ الذي ولدت فيه واشتقت منه واستجابتها لجانب من حاجة التطور الذي ألم بالعصر في مرحلة لاحقة بعد ميلاد الشاعرية وتكوينها .

ولعل أول ما يلفت النظر من عناصر هذه الثنائية ، هو الثنائية على مستوى المعجم اللغوي الذي يلجأ إليه الشاعر ، فهو يجد أمامه من ناحية نماذج الشعراء الفحول الذين حفظ لهم وتأثر بهم ، وتكونت ثروته اللغوية على يديهم ، وهذه الثروة هي التي تستجيب له بمفرداتها في لحظة العطاء الشعري ، لكنه يجد من ناحية ثانية ذلك الجمهور الذي يقرأ شعره أو يسمعه ويتمتع به ، وتحول غرابة الكلمات أحيانا بينه وبين الوصول إلى لب المتعة الفنية ، وينبغي أن يشار هنا إلى أن هذه المشكلة ليست جديدة وليست خاصة بالشيخ الخليلي وحده ، وإنما هي مشكلة وقف أمامها كثير من الشعراء حتى في العصور المتقدمة ، وتنوعت أمامها المذاقات بين ايثار لفخامة الغريب بما يدل عليه من خصوصية في التلقي والاستيعاب وغزارة ثقافة وعمق اتصال ، وبين ايثار للكلام السهل السلس بما كان يرتبط من رقة الذوق ومد حبال التواصل ، ولقد كانت مشكلة المعجم في الشعر القديم تتبدى أحيانا من خلال تنويع المفردات سهولة وغرابة على الأجناس الأدبية وايثار كل جنس بما هو أليق به ، على هذا النحو كانت تأتي الطرديات والأراجيز غالبا وهي ترتدي معجما خاصا بها يحاكي لغة الأعراب الذين تشيع بينهم هذه الفنون ، على حين تأتي قصائد الغزل والعتاب والمديح وما شاكلها في لغة « خضرية » لكن كلا من اللغتين كان يمكن أن تحوم حوله شبهة ما يمكن أن تقلل من قيمة الشاعرية ، فالأولى يتهددها « الاغراب والانغلاق » والثانية يتهددها « الضعف » ومن هنا كان بعض الشعراء الحضريين يدفعون عن أنفسهم التهمة باللجوء أحيانا إلى صياغة قصائد من الطرديات والأراجيز ، كما كان يفعل بشار وأبو نواس ، كما كان يتم الدفاع أحيانا عن هذه اللغة بأنها وان كانت سهلة قريبة ، فإنها تستطيع الوصول إلى مرام بعيدة ، ومن خلال هذا فرقوا بين « الغرابة » و « الجزالة » التي تعرفها العامة إذا سمعتها دون أن تستعملها في محاوراتها [٦] وقد عبر البحتري عن ذلك تعبيرا موفقا حين قال في وصف كلمات ابن الزيات : [٧]

---

(٦) أنظر الصناعتين لأبي هلال العسكري ص ٤٩ ـ القاهرة ، سنة ١٣٢٠ هـ .

(٧) ديوان البحتري ، ص ٢٠٦ ، طبعة القاهرة سنة ١٩١١ م .

حزن مستعمل الكلام اختيارا وتجنبن ظلمة التعقيد
وركبن اللفظ القريب فأدركن به غاية المرام البعيد

وكان هذا هو المذهب الوسط الذي جاءت عليه كثير من عيون القصائد العربية ، لكن أمر المعجم الشعري بدأ يأخذ بعدا جديدا مع الاقتراب الشديد للشعر من الجمهور بعد ظهور المطبعة ، وحرص الشاعر بنفسه على أن يقدم نتاجه للناس ، وأن يحاول اقامة الجسور بينهم وبين الطريق المؤدية للب الذي يتوخاه ، وكانت قضية المعجم شاغل الشعراء أنفسهم وأوضح دليلي على ذلك اللجوء إلى الهوامش التفسيرية في أسفل صفحات الدواوين وهي هوامش يضعها الشاعر المعاصر بنفسه غالبا وتشير إلى محاولته لسد الفجوة بين المعجم الشعري وبين اللغة المفهومة من جمهور المثقفين ، ومن هنا فإنه يمكن اعتماد مبدأ شيوع الهوامش الشعرية في انتاج شاعرنا ، قلة أو كثرة باعتبارها دليلا موازيا على مبدأ تطور المعجم الشعري عنده من هذا المنظور .

وقبل أن نطبق هذا المبدأ على دواوين الشيخ الخليلي نشير إلى أن دارسيه كانوا دائما يشيدون بسلامة لغته وصحتها وجزالتها ، وأحيانا يتوقفون أمام شيوع الغريب فيها ، يقول الدكتور عبد اللطيف عبد الحليم : « الشيخ عبد الله الخليلي نموذج جيد لتمثيل هذا الجيل (جيل المتأثرين بالتراث) على الأقل في مراحله الأولى ، وفيه حسنات هذا النفر التي تتمثل في طرقه كل أغراض الشعر وفي الحفاظ الوعر على اللغة والموسيقى الخليلية ، فلا تكاد تخطئها النظرة العجلى إلى شعره . . . وتروعك منه تلك القدرة الفائقة على النظم ، والتي فاقت كثيرين من أبناء جيلنا لأنه صرف كل همه إلى التجربة والتجديد ، على حساب اللغة الجزلة المصقولة في كثير من الأحيان » . ويقول الأستاذ أحمد الجدع : [٨] « ان هذه الثقافة الاسلامية وذلك الرصيد العلمي ، جعلا شاعرنا شديد التمسك بالأسلوب العربي الرصين وبالمنهج الشعري الخليلي » ويضيف في موضع آخر : [٩] « واستخدم الشاعر في قصائده لغة هي أقرب للغة السابقين منها إلى لغة الحاضرين ، ولعل الأجواء التي عاشها الشاعر في أثناء

---

(٨) شعراء معاصرون من الخليج والجزيرة العربية ـ عبدالله بن علي الخليلي شاعر من عمان ، ص ٣١٤ .
(٩) المرجع السابق ، ص ٣٢٦ .

نظم هذه القصـائد ، هي التي دفعته لاستخدام هذه اللغة ، ونحن لا نعيب استخدام الألفاظ القديمة بل نحن من أنصار احياء هذه الألفاظ ، ولكننا لسنا مع حشدها بحيث تنقلب القصيدة الى نموذج للشعر القديم » .

سلامة المعجم الشعري عند الشيخ الخليلي اذن مع جنوحه إلى المعجم القديم وهي موضع اتفاق من دارسيه ، لكننا نود أن نشير إلى التطور الذي حدث في لغة هذا المعجم ، استجابة لدواعي « الخضرمة » التي تم فيها الانتاج ، وإذا أخذنا الهوامش التي أشرنا اليها معيارا لقياس هذا التطور ، وقارنا من خلالها بين أشهر دواوينه ، ديوان « وحي العبقرية » والـذي صدر سنـة ١٩٧٨ ، وآخـر دواوينـه « على ركـاب الجمهور » والذي صدر سنة ١٩٨٨ ، فإننا سنجد النتيجة التالية :

الـديـــــوان	سنة الطبع	عدد الصفحات	عدد الهوامش المفســـرة
وحي العبقـــرية	١٩٧٨	٥٣٠	٨٠٩
على ركاب الجمهور	١٩٨٨	١٤٠	هامشـــان

وهذه النتيجة لا تحتاج من الناحية الاحصائية إلى تعليق ، وان كانت تحتاج إلى بعض الملاحظات التوضيحية :

١ ـ الفرق بين طباعة الديوانين هو عشر سنوات ، لكن ذلك لا يمثل في الواقع الفـرق بين « تأليفهـما » ، ذلـك أن قصـائـد الديوان الأول ، إذا كانت قد جمعت سنة ١٩٧٨ ، فإن تاريخ كتابة بعضها ، يمتد قبل ذلك الى نحو أربعين عاما وإذا كانت قصائد الديوان ، قد خلت من اثبات تاريخ كتابتها ، فيما عدا القليل (وتلك ثغرة لو تم تلافيها لساعدت على اعطاء مزيد من الدقة في رصد التطور التاريخي في كثير من جوانبه) فإن بعض الأحداث التاريخية تشير إلى قدم كتابة القصائد ، فهناك قصائد في مدح الامام محمد بن عبد الله الخليلي ورثائه ، وقد توفي في عام ١٣٧٣ هـ أي قبل خمسة وعشرين عاما من طبع الديوان في سنة ١٣٩٨ هـ ، ومن ثم فلا ينبغي أن يحسب هذا الفارق على انه فارق حدث في عشر سنوات ، وانما على انه مجمل الاستجابة لطريقتين ، تنتمي احداهما إلى الأصالة وتنتمي الأخرى إلى المعاصرة .

٢ ـ كان موضوع الديوان الثاني وهو الشعر القصصي الحر ، وعنوانه الذي يشف عن توجهه « على ركاب الجمهور » عاملا مساعدا على اكتسابه صبغة لغوية معينة ، [١٠] لكن ذلك لا يمنع هذا الديوان من حق تمثيل الفترة التي ظهر فيها ، خاصة ان قصائد الشيخ الخليلي التي ظهرت متفرقة في الصحف خلال السنوات الأخيرة ، والتي لم تجمع بعد في ديوان ، تنحو منحى لغويا ، يتجه تطوريا من المحور الأول الذي يمثله « وحي العبقرية » إلى المحور الثاني الذي يمثله « على ركاب الجمهور » وهذه القصائد بحاجة إلى دراسة متأنية بعد تجميعها ، ولكننا يمكن أن نشير هنا عابرين إلى واحدة من القصائد ، وهي قصيدة « المسيح والخائن » والتي أجرينا حولها تحليلا مفصلا من قبل [١١]

٣ ـ ينبغي أن يشار إلى أن توزيع الهوامش في ديوان « وحي العبقرية » حدث فيه لون من عدم الاطراد ، وهذا ما جعلنا لا نستنتج وجود نسبة مئوية للكلمات الغريبة من حساب العلاقة بين عدد الصفحات وكلماتها وعدد الهوامش ، ذلك أن اثبات الهوامش في الجدول جاء على النحو التالي :

	من ـ إلى	عدد الصفحات	عدد الهوامش	عدد الكلمات تقريبا	النسبة المئوية للكلمات الغريبة
القسم الأول	٣١ ـ ١٦١	١٣٠	٧٤٣	١٩٨٩٠	٣,٧٣٪
القسم الثاني	١٦٢ ـ ٤٠٢	٢٤٠	لا يوجد	٣٦٧٢٠	صفر
القسم الثالث	٤٠٣ ـ ٤١٢	٩	٤٦	١٣٧٧	٣,٣٤٪
القسم الرابع	٤١٢ ـ ٤٧٧	٦٥	لا يوجد	٩٩٤٥	صفر
القسم الخامس	٤٧٨ ـ ٤٨٣	٥	٢٠	٧٦٥	٢,٦١٪

وهذا الاضطراب لا تفسير له في الديوان ، فلا هو مرتبط بموضوعات بعنيها ، ولا الصفحات التي تركت دون تهميش تحمل مستوى لغويا يختلف عن الصفحات التي

---

(١٠) أنظر الدراسة التحليلية في مقدمة « على ركاب الجمهور » بقلم الدكتور/ أحمد درويش ، مسقط ، سنة ١٩٨٨ .

(١١) اللغة العربية ـ دراسات ونصوص ـ كلية الآداب ـ جامعة السلطان قابوس ، ١٩٨٧م .

ذيلت بهوامش فهنا وهناك يجد القارىء ما يستدعي التفسير حينا ، وما ليس بحاجة إلى تفسير في كثير من الأحايين ، ومن هنا فإن حساب النسبة الجزئية ، تكون أدق وهي نسبة تدور حول ٣,٥٪ في الصفحات التي وردت فيها هوامش ، في حين أنه لو تمت نسبة الحصر الكلية قياسا إلى عدد كلمات الديوان (وهو نحو ٧٠٩٩٢ كلمة) وعدد الهوامش الكلية (٨٠٩ هوامش) ، لكانت نسبة الغريب في الديوان ١٣,١٪ وهي نسبة غير دقيقة عندما يؤخذ في الحسبان هذا الاضطراب الذي أشرنا اليه .

٤ - لا يتوقف التفاوت في استعمال الغريب على الانتقال من فترة إلى فترة وانما يوجد التفاوت في الديوان الواحد ، حيث يختلف المعجم الشعري اختلافا بينا من قصيدة لأخرى حسب ما يراه الشاعر من دواعي الموقف وأنماط المتلقين فحين يتصل الموقف مثلا بتقليد قصيدة تراثية كما حدث في قصيدته « المقصورة » التي يعارض فيها مقصورة ابن دريد المشهورة ، يلجأ الشيخ الخليلي إلى صياغة قصيدة طويلة من مائتين واثنين وخمسين بيتا ، وتكثر فيها الهوامش اللغوية حتى تصل إلى مائة وثلاثة عشر هامشا ، محققة نسبة في الغريب تصل الى نحو ٥٪ (٤,٩٢٪) ، ويمكن أن يلحظ هذا الاتجاه من أبيات القصيدة الأولى :

يا ساري البرق يهلهل السما ... يخط أسطارا كلألاء السنا
تسوقه لواقح نديـة ... ومرزم بين حنين ورغا
حتى إذا ضرى به هادره ... وخاف منه أرسل الدمع بكما
فاضحك الأرض فمادت وربت ... وأنبتت من كل زوج ما نما
يا برق داج أربعي مناجيا ... عن همسات الشوق في دمع الحيا
يا برق ناغ مهجتي مبتسما ... عن نغمة اللطف وهمسة الرضا

وذلك النوع من البناء اللغوي الذي يرد في المقصورة ، [١٢] يتفق مع الأهداف التي كانت تقال من أجلها أمثال هذه القصائد ، وهي تعود في جزء هام منها إلى اثبات « المقدرة

---

(١٢) المرجع السابق ص ١٢٣ . ونود أن نشير هنا إلى أن نماذج بناء القصائد المقصورة قد ظل يراود الشاعر فيما بعد ، حتى أصدر موسوعة شعرية كاملة ، صدرت في ديوان مستقل بعنوان « وحي النهى » سنة ١٩٨٠ ، وجاءت كلها في شكل قصيدة وعظية مقصورة التزمت في قافيتها الألف المقصورة أو الممدودة المخففة وما شاكلها من الأفعال وبلغت أبياتها أكثر من ستمائة بيت ، واكتسبت قيمتها الأساسية مما تحتوي عليه من مواعظ ونصائح رتبت على حروف المعجم كلها .

اللغوية » لأنها تنسج على نمط قديم ، قد تمت معارضته مرات ومرات ، ومن ثم فالشاعر يضع في الحسبان ، احتمال المقارنة مع سلسلة من الشعراء سبقت في النسج على منوال هذه القصيدة ، وأولهم شاعر القصيدة الأولى نفسه ، وهو هنا ابن دريد ، من هذه الناحية يكاد يلتقي هذا النوع من القصيدة بقصائد « البديعيات » التي شاعت فترة في مجال المديح النبوي خاصة والتي كان أصحابها يحاولون فيها اثبات مقدرتهم على الاتيان بألوان بديعية أكثر ممن سبقوهم ، وان جاء ذلك على حساب محتوى القصيدة ، الذي يحتل في العادة مرتبة متأخرة في مثل هذه القصائد ، والذي يجيء وقد شابه بعضه بعضا ، وهي سمة قد لا تبتعد أيضا عن قصائد المقصورات .

غير أن هذا المستوى اللغوي ، لا يطرد في الديوان كما أشرنا ، وانما يخلص الشيخ الخليلي في حالات كثيرة إلى لغته الخاصة فيبدي لنا لغة « جزلة » على الطريقة التي يحدد شروطها القدماء ، ويتمتع بها المعاصرون ، وهنا يبدو الأسلوب « الرقيق » وكأنه هدف هام للقصيدة ، بل وكأنه قيمة جمالية مستقلة ويبلغ من اعتزاز الشاعر بها أن يقرنها بالحياة مع المحب ، كما سنرى في هذا المقطع الرقيق من قصيدته الغزلية : « همسات الوداع » : (١٣)

وحبيب كأنه نضرة النعماء في نفحة النسيم الرطيب
عشت عمري بقربه اجتلي النعمة والعيش في الرداء القشيب
وتمليته جلالا وحسنى وجمالا ونفحة من طيب
وتمتعت بالحياة به خضراء أحلى من رقة الأسلوب
ولمست النعيم بردا لديه بين ازرار أنسه والجيوب
يا حبيبا في خلقه اللين والرقة والغنج في مهاة لعوب
والوفا والوئام والصدق والاخلاص والطف في ذكاء اللبيب
هاك روحي فاستبقها أو اضعها سلمت روحك التي تحتفى بي
لست أنساك في جمال محياك وفي ذلك القوام الرطيب
لست أنساك في خلائقك الغر وفي خلقك البديع العجيب

---

(١٣) المرجع السابق ص ٣٧٤ .

اننا هنا في نفس شعري يختلف مذاقه عما ألفناه في المقصورة ، والقارىء غالبا لا ينظر إلى أسفل الصفحات وهو يقرأ أمثال هذه المقطوعة ، ان القصيدة هنا تحمل الملتقى معها وتشغله عما عدا الجرس والايقاع ، بينما كان على القارىء أن يحمل هو القصيدة في مثل النمط الأول ، ولكي يحملها فلابد أن يكون قارئا ذا قدرة خاصة ، وذا بصر بالدروب الدقيقة ، وربما ولد ذلك متعة لدى ذلك القارىء المتميز الذي يحس بأهليته لحمل ذلك العبء الوقور .

ولاشك أن ذلك الفارق في التصور بين ما يقدمه كل لون ، يجعل النمط الثاني أقرب إلى أذواق عامة المعاصرين ، دون أن يمنع ذلك من نسبة هذا اللون إلى عائلة عريقة في الأداء الشعري تصعد من ناجي وعلي محمود طه ، واسماعيل صبري في العصر الحديث ، وتمتد إلى البحتري وابن الرومي والعباس بن الأحنف وجماعة الظرفاء وأصحاب الغزل الرقيق في العصرين العباسي والأموي .

إلى جانب هذين المستويين في الأداء اللغوي في القصيدة ، نجد مستوى ثالثا يتجلى على نحو خاص في القصائد ذات الطابع القصصي « من الشعر الحديث » في ديوان « على ركاب الجمهور » ، وهو الديوان الذي لاحظنا خلوه تقريبا من الهوامش التفسيرية في هذا الديوان سوف نجد مستوى لغويا ، يختلف عن مستوى « الغريب » الذي عرفنا نمطه في المقصورة ، ومستوى « الجزل » الذي رأينا نموذجا منه في « همسات الوداع » ، ويمكن أن يوصف هذا المستوى الثالث بأنه « مستوى عملي » لا يدعو القارىء إلى التأمل في لغة القصيدة في ذاتها كما كان الشأن بصفة عامة في المستويين السابقين ، وانما يدعوه إلى التأمل في المحتوى الذي يساق اليه من خلال هذه اللغة « العملية » وينصرف تركيز الشاعر في هذه الحالة إلى « الحكاية » التي يريد أن يقدمها وما يستنتجه من نتائج وعظات وعبر ، فمثلا في قصة « كيف أعمل » يدور في أحد المشاهد حوار بين « مفوض » و « ظالم » ، وهما الشخصيتان الرئيسيتان في الحكاية ، حول المكيدة في الحرب ، فيأتي على لسان « مفوض » هذا المقطع . . :[١٤]

---

(١٤) على ركاب الجمهور . . من الشعر الحديث ، تأليف عبدالله بن علي الخليلي ص ٤٨ ، مسقط سنة ١٩٨٨ ، مطبعة النهضة .

يا ظالمـــا
ما ثم تنفع قوة ابدا ولابطش عنيف
لكنه التفكير والرأي الحصـيف
في حيلة . . جبارة بخيوطها لايستهان
فـهـلـــم للـصـحـــــراء
نجمـع حولنا الحطـب الكثـير
ونسـوقه حتى نكومه أمـام الباب
مـن جـحـــر الشـــجاع
ونجيء بالنيران ثمة نشعل الحطب الوقود
فإذا أقام ببيته ذاك الشـجاع
خـــــوى
فأسكره الدخان فمات في ذل ،هان
وإذا تهـــور
أحرقتـه النار ، فهو بغير شك ميت
تحت الهـــوان

ان اللغة هنا مع خلوها من المفردات الغريبة أو الجزلة ، تكاد تخلو أيضا من وسائل التكثيف الشعـرية الأخـرى من رمز وايحاء ، بل وتكاد تخلو من التصوير نفسه ، وذلك استجابة للهدف العملي الذي تتوخاه القصيدة أو القصة الشعرية ، غير أنه لابد أن نلاحظ أن القصة الشعرية ، لا يجيء مستواها اللغوي كله عند الشيخ الخليلي على هذا النحو ، حتى في داخـل الـديوان الـواحـد ، والفـترة الواحدة . فنحن نجد في ديوان على ركاب الجمهور ، مقاطع من قصائد ، يتخلى فيها الأسلوب عن هذا « المستوى العملي » ليقترب من المستوى الجزل ، وهو في الوقت ذاته يتخلى عن منهج السرد الخالص ـ كما رأينا في المقطع السـابق ـ إلى منهـج التصـوير ، كما يمكنـه أن يظهـر في هذا النص من قصة « صرامة الفاروق » [١٥] الذي يصف فيه عمرو بن العاص أرض مصر :

---

(١٥) المرجع السابق ص ٦٩ .

أرض الكنانة اسحبي بالدين أذيال الهنا
وباركي الفسطاط
حول نيلك الذي بكل الخير في الأرض جرى
بأسباب الغنى
بالعز بالمنعة بالسؤدد بالفخر بيمن بهدى
بنعمـــة الله
تحتضن الأرضَ جلاليه وفي غلالتيه آيات السما
يقـــذف من جمـــامه الـــــرزق
لجينا صافيا على نضار أرضه كما يشـــا
كأنما يطمث من كعابها
أيضـــــعها
وقد تبرجت، ونضجت بيضاتها، فلقحت وولدت
كل نعيم وغنى
على سرير مجده ، على سرير عزه
وكل مادب على هذا السرير ناغم
والله جل منعم كما يشا

لقد كان ظهور وغلبة « المستوى العملي » في لغة الديوان الأخير ، مثار نقاش وجدل بين قراء شعر الشيخ الخليلي ، وخاصة أن قصائد هذا الديوان ، جاءت في شكل قصائد من الشعر الحر ، ففقدت في رأي من لم يتحمسوا لهذه التجربة عند الشيخ الخليلي ، ميزات قديمة دون أن تستعيض عنها بميزات حديثة ، [١٦] وقد يكون صحيحا أن تمكن الخليلي من أدوات الشعر الملتزم ، وأنسه بمناخه ، يجعل حركته هناك رغم القيود أكثر طواعية ، ويؤكد ما قلناه في موضع سابق من هذا البحث ، من أنه ألف ايقاعا معينا في الحركة فهو معـه أكثر تجاوبا ، لكن تمكنه من الارتقاء بمقاطع من المستوى العملي للاقتراب بها من المستوى الجزل من ناحية ، ثم هذه القيمة النفسية لاقدامه هو على خطوة تجديدية من ناحية

---

(١٦) أنظر ، في الشعر العماني المعاصر د. عبداللطيف عبدالحليم ، ص ٥٣ .

أخرى يجعل لهذا الديوان الأخير وزنا خاصا في قياس حركة الأصالة والمعاصرة عنده . [١٧]

تمثل « الموضوعات الشعرية » مؤشرا هاما من مؤشرات الانتقال من مفهوم إلى آخر ، أو من تصور جيل إلى تصور جيل تال له ، لوظيفة الشاعر ، ومسئولياته لتحقيق الاشباع الفني تجاه ذاته أو تجاه مجتمعه ، على اختلاف في مفهوم المجتمع من عصر إلى عصر ، أو ميله لترسيخ أقدامه في الفن من خلال « محاكاة » النماذج الفنية العليا التي سبقته في الفن الذي ينتسب اليه .

ولقد كان تحديد الموضوعات الشعرية جزءا هاما من المعايير التي يستند اليها مفهوم « عمود الشعر » عند النقاد العرب ، ومن خلاله يتم التفريق بين الذين يلتزمون بموضوعات القصيدة التقليدية ، وينجحون فيما يسمى « التحام أجزاء النظم والتئامها » فيصلون من الوقوف على الأطلال الى بكاء الديار فوصف الرحلة ومشائها والتخلص الى المدح وهؤلاء يدرجون في دائرة القدماء إذا استوفوا شروط الالتزام الأخرى ، وبين أولئك الذين يخرجون عن هذا فيعدون من « المحدثين » . وتتردد في كتب البلاغيين والنقاد العرب عبارات كثيرة في هذا الشأن من أمثال عبارة ابن رشيق :

« بني الشعر على أربعة أركان وهي المدح والهجاء والنسيب والرثاء ، وقالوا قواعد الشعر أربع ، الرغبة والرهبة ، والطرب والغضب ، فمع الرغبة يكون المدح والشكر ومع الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف ، ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب ، ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب والتوجع » . [١٨]

لقد ظلت تمثل هذه الأركان والقواعد في مجملها التصور الشائع لما يطرقه الشاعر من موضوعات ولقد تفرع عنها موضوعات أخرى ولكنها تظل في اطارها ، مثل الافتخار بالذات أو بالقبيلة أو بماضي الأمة في شكل الشعر التاريخي ، وكذلك المديح النبوي الذي شغل حيزا هاما في التراث الشعري العربي ، وعرفت العصور اللاحقة اضافة أبواب أخرى إلى الشعر مثل الاخوانيات والمراسلات بين الشعراء ، إلى جانب ما شاع كذلك في بعض الفترات من ألوان مثل « نظم العلوم » شعرا سواء كانت علوم اللغة أو علوم الدين ، وقد

---

(١٧) أنظر ، الدراسة التي كتبناها في صدر ، ديوان على ركاب الجمهور ، بعنوان ، الخليلي وتجربة الشعر الحديث .
(١٨) العمدة في الشعر للحسن بن رشيق القيرواني ، تحقيق محي الدين عبدالحميد ، جـ ١ ، ص ٧٧ .

امتد هذا الاتجاه ليشمل علوم الفلك والبحار ، وليستجيب بذلك لضرورة حيوية في حفظ المعرفة الشفهية وسهولة انتقالها من خلال النظم في عصر كان الاعتماد فيه على السماع أكثر من القراءة ، ومع جلال الهدف الذي أدته هذه المنظومات فإنها تقتصر على الاستفادة من الشعر بوزنه فقط ، وتبقى لها بقية خصائص النثر ، مما دعا القدماء والمحدثين معا الى نسبتها الى النظم لا الى الشعر .

وينبغي أن نشير كذلك إلى أنه لحق بهذا التصور في مفهوم موضوعات الشعر بعد أن تراكمت النصوص الجيدة منه عبر أجيال متعددة ، فن معارضة هذه النصوص والنسخ على منوالها في شكل المعارضات ولتخميس والتربيع وما شاكل ذلك .

هذا التصور القديم في مجمله احتفظ بالتصور المعاصر للشعر بلب عناصره ، وبدأ يضيف اليه عناصر أخرى جديدة ، من واقع دور الشاعر في المجتمع ، ومن واقع تطور مفهوم الجماعة والمجتمع ، فكان ظهور ألوان جديدة من الشعر مثل ظهور الشعر الاجتماعي الذي تأثر بميلاد المذهب الرومانسي واهتمامه بالطبقات الدنيا في المجتمع ، وشعر الكفاح السياسي ، الذي تأثر بالظروف التي مرت بها الأمة العربية في القرن التاسع عشر والعشرين الميلاديين ، وكذلك تبلور مفهوم آخر للشعر الوطني ، تبعا لتغير مفهوم الوطن ومفهوم القوميات الحديثة ونمو الاتصال بين أجزاء الوطن المتباعدة ، وكذلك مفهوم الشعر الانساني الذي يتجاوز اطار الشاعر الفرد وما يحيط به ويوسع دائرة تبادل الأحاسيس ، ويمكن أن يضاف إلى ذلك مسحة العصرية التي يضيفها البعض على الانتاج الحديث في الشعر ، فيهبط به من أبراجه العاجية الى مشاكل الناس اليومية ، ليصبح كما كان يقال عن جاك بريفير مثلا أنه شاعر المترو والمقهى والرصيف ، وربما تمثل ذلك الاتجاه عند البعض في الحديث عن بعض المخترعات العصرية ، كالطائرة والصاروخ والهبوط على القمر . . . الخ . أو في شكل تطور فني يحدث للقصيدة سواء بألباسها الثوب العصري للموسيقى الشعرية أو بتداخلها مع الأجناس الأدبية الأخرى كالقصة والمسرحية ، وهي تداخلات لم تكن مألوفة في التصور القديم فيما عدا بعض المواقف القصصية في القصائد الغنائية .

أين يمكن أن نجد الانتاج الشعري للشيخ عبد الله الخليلي على خريطة هذا التصور لموضوعات الشعر في المفهومين القديم والجديد ؟

ان الذي يتصفح ديوان وحي العبقرية ، وهو أهم الدواوين كما أشرنا من قبل يجد موضوعات مختلفة تغطي التصور القديم أو معظم حقوله ، وتشارف التصور الحديث وتلم ببعض من حقوله ، وقد حرص الشاعر على أن يقسم الديوان إلى مجالات :

مثل ، مجال السلوك أو التصوف ، والمدح النبوي ، والحكمة ، والوطنيات ، والملحمة والتأمليات ، والاخوانيات ، والغزليات ، والموشح ، والمرائي ، والشعر القصصي والتخميسي ، وهذا التقسيم نفسه يدل على مدى الحرص ، على استيفاء الديوان حظه من المجالات الشعرية التي ألم بها القدماء ، ويعكس هذا التقسيم من ناحية أخرى ثقافة الشيخ عبد الله الخليلي الواسعة في المجالات الدينية والتاريخية والأدبية وانعكاس هذه الثقافة ـ بطريقة قابلة للنقاش ـ على صفحات الديوان ، فالثقافة الدينية تنعكس على المجالين الأولين ، وتظهر روحا دينية صافية عند الشيخ الخليلي تأثر أداؤها الشعري بتراث شعر التصوف وشعر المديح النبوي عند كبار شعراء هذا المجال بدءا من قصيدة البردة وما حظيت به من معارضات ونسج على المنوال والنهج ، ووصولا إلى ابن الفارض وشوقي من بعده ولابد من ملاحظة أن شوقي يترك بصمات واضحة في الديوان وانه موضع اعجاب من الشاعر منذ صفحات الديوان الأولى ، بل حتى في اللحظات التي عاصرت مولد الموهبة عنده ، حيث يقول هو في صدر الديوان : كان أكثر ما يثنيني (عن قول الشعر) بيت حفظته عن شوقي وهو قوله :

والشعر مالم يكن ذكرى وعاطفة أو حكمة فهو تقطيع وأوزان

فقلت لا أقول ، حتى أكون قادرا وما ذلك على الله بعزيز [١٩]

وتنعكس كذلك في هذا الجزء من الديوان أنفاس العشاق من المنصوفين من أمثال رابعة العدوية وابن عربي والحلاج الذي يعلن الشاعر في موقف آخر أنه قرأ عنه مسرحية شعرية من الشعر الحديث هي مأساة الحلاج لصلاح عبدالصبور [٢٠] وعندما يصفو نفس الشاعر هنا من المحسنات والتكلف والسرد المباشر ، فإنه يمكن أن تصدر عنه غزليات صوفية رفيعة في مثل قوله في قصيدة المصلى :

---

(١٩) ديوان الخليلي « وحي العبقرية » ، ص ٢١ .

(٢٠) أنظر . . . « على ركاب الجمهور » ، ص ٢٢ .

يا حبيبي أراك وسط ضميري تتجلى نورا به أتحلى
يا حبيبي جللت قدرا فأعزز بمشوق اليك في الحب ذلا
ساقه الشوق للمقام فلما قارب الوصل ، هاله ما تجلى
وتراءى لعينه شبح القصـ ـد فدانى ولم يكد يتملى
ان في حضرة الحبيب مقاما ت عليها تفاوت الناس فضلا
وعزيز من ذل في حضرة القد س لوجه الحبيب حين أطلا
وتراءت له الخيام فلما مال نحو الخيام نودي مهلا
وسقاه الهوى كؤوسا من الحمـ رالمصفى فلم يكد يتسلى [٢١]

ان هذا النفس الشعري الذي يجمع بين التصوف والغزل ويجنح إلى الأسلوب الجزل يمثل نمطا من الشعر الديني العذب عند الشيخ الخليلي ، وهو سلمه الذي يصعد عليه فيما بعد إلى شعر الغزل الخالص الذي يتخذ نفس رموز المحبوب والخمر والتواصل ويصعد بها الى عوالم تبدو في بعض الأحيان حسية خالصة ولكنها عند التأمل ، تعود إلى هذا المنبع من الغزل الصوفي .

يمارس الخليلي لونا آخر من الشعر الديني أقرب إلى طقوس التعبد ، ويتمثل ذلك في نظم الأسماء الحسنى وفي سرد تاريخ الرسول ، وهو تقليد يمتد إلى قائمة الموضوعات التقليدية التي من كمال الشاعر الالمام بها ، وتوجد نماذج لها كثيرة في تراث الشعر الديني عامة والشعر الديني في عمان خاصة ، ولعل من أبرز نتائجها في الجيل الذي سبق الخليلي ، شعر أبي مسلم البهلاني المتوفى سنة ١٩٢٠ م والذي خصص ديوانا [٢٢] كاملا لنظم الأسماء الحسنى بدأه بقصيدة طويلة سماها « الوادي المقدس » تقع في نحو ١٦٠٠ بيت ثم تلا ذلك بقصيدة أخرى طويلة في نفس الغرض سماها « القاموس الأسنى في أسماء الله الحسنى » تبلغ أكثر من مائتين وخمسين بيتا وتتلوها قصائد أخرى تدور حول هذا الغرض الذي يستنفذ الديوان كله ، وشعر الخليلي في هذا المجال ، يأتي استيفاء لهذا التقليد واستكمالا لهذا التراث المعبد أمامه ، وهو شعر يحمل قيمة معنوية عالية باعتباره دعاء وتضرعا ، ولكنه يكتفي من الناحية الفنية بسرد الصفات وما يقابلها من أدعية :

---

(٢١) وحي العبقرية ، ص ٥٠ .

(٢٢) أنظر ديوان أبي مسلم البهلاني للشاعر ناصر بن سالم بن عديم الرواحي ، تحقيق علي النجدي ناصف ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٩٨٤م .

ارفع مقامي يا علي وأعلـه في ذات وجهك مشرقا بسنائه
واجعل لقدري يا كبير مكانة في الكون تكبر فيك عن عظمائه
واحفظ مكاني يا حفيظ من الأذى وطوارق الحدثان في غوغائه

وربما كان لهذه الأدعية جوانب من المتعة يمكن أن نكتسبها في مناخ الانشاد والترنم أو الأداء الجماعي ، ولكنها لا تحمل نفس الخصائص عندما تتحول الى نص مكتوب على الورق يقرأ قراءة انفرادية أو صامتة .

أما الحديث عن السيرة النبوية فإنه يتم أحيانا في شكل سرد تاريخي في مثل قصيدة « علم النبيين » الطويلة التي تصل الى مائة وثمانية وستين بيتا وتحمل عناوين داخلية لأسماء الغزوات ومراحل حياة الرسول ، والقصيدة على هذا النحو تستجيب للنزعة التاريخية والقصصية التي عرفت في شعر الخليلي من ناحية ، ولنزعة نظم العلوم التي ألفها التراث العماني من ناحية أخرى ، غير انه حين يخرج على هذا السرد ويتجه إلى المناجاة يخلص له النفس الشعري ، ويمكن ان نقرأ له أمثال هذه الأبيات الجميلة : (٢٣)

يا رسول الهدى سلاما كأنفا سك إذا أنت للحياة ازدهاء
من فؤاد كأنه الطائر المو ثق في الفخ عز منه النجاء
كلما داعب النسيم جناحـ ـيه هوت باضطرابه الأهواء
أو كخيط من السمول على عـ ـلياء غصن تهوى به النكباء
غرة في علاه ما غرر الريشـ ـة في الأفق انه الارتقاء
فهوت مرة وطارت مرارا واختفت فهي خفة وخفاء
أو غرور الفراش في لهب النا ر إذا النار يتقيها الصلاء
نزق الحب هاجس طالما طا شت لديه العقول والعقلاء

ان قافية الهمزة في بحر الخفيف والتي عرفت منها قصائد كثيرة ، مثل :

كيف يرقى رقيك الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء

---

(٢٣) وحي العبقرية ، ص ٦٢ ، ٦٣ .

هذه الهمزية تكتسب مرة أخرى مع الشيخ الخليلي نفسا جديدا من خلال منهج في الأداء لا يعتمد على السرد بقدر ما يعتمد على التصوير الموحي ، واللقطات المتتابعة التي تخدم هدفا واحدا كما حدث مع اضطراب القلب المحب من خلال الطائر الذي علق بالشراك (وهي صورة مألوفة في التراث الشعري) والخيط بأعلى غصن مهتز ، والفراشة تقترب من النار ، وتلك كلها صور تشف عند الاقتراب منها عن قدرة شعرية حقيقية ، تجعل اسهام الشيخ الخليلي في مجال الشعر الديني يتجاوز ترسم الأثر الى الاسهام الحقيقي والاضافة .

ان بعض الأغراض الأخرى التي جاءت في شعر الخليلي ، يميل جانب منها إلى هذه الموضوعات التي أصبحت « تاريخية » مثل الاجابة الشعرية على الأسئلة ، ونظم المسائل والألغاز ، والمراسلات الاخوانية التي تدور في هذا الاطار ، وهي مراسلات يمتلىء بها تاريخ الشعر العماني خاصة [٢٤] ويساهم فيها الفقهاء وأهل العلم إلى جانب الشعراء ، وهناك جانب آخر من الأغراض التي طرقها الشيخ الخليلي يندرج في ترويض القول واثبات العلاقة الدائمة المتجددة بالتراث ، واثبات المقدرة الشعرية وهي ظاهرة أشرنا من قبل اليها عند الحديث عن « المقصورة » ، ويمكن أن يندرج في هذه الظاهرة كثير من شعر المعارضات ، والتخميس ، والموشحات ، وجانب كبير من شعر الحكمة ، ولاشك أن التطور المعاصر لمفهوم الشعر وأغراضه أحدث تحويرات كثيرة في هذه الموضوعات مع المحافظة على قيمتها التاريخية على الاقل في تزويد الشاعر بثقافة ضرورية عن تاريخ الفن الذي ينتمي اليه وعن الوسائل التي كان يتبعها سابقوه لايصال المتعة والفائدة الى معاصريهم حسب ذوق العصر ، وامكانية الافادة من هذه الوسائل في التأثير في ذوق عصر جديد .

على أن هناك غرضين يمكن التوقف أمامهما قليلا لما يمثلان من أهمية في شعر الشيخ عبد الله الخليلي ، أولهما شعر الغزل وقد حظى هذا الجانب بدراسة علمية مفصلة قدمتها الدكتورة نورية الرومي [٢٥] واستعرضت فيها جانبا هاما من شعر الخليلي ممثلا في قصائده

---

(٢٤) أنظر نماذج كثيرة في كتاب : شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء وشعراء عمان ، محمد بن راشد بن عزيز الخصيبي ـ وزارة التراث القومي والثقافة ـ سلطنة عمان ، ١٩٨٤م .

(٢٥) ظواهر فنية في غزل عبدالله الخليلي ، دراسة بقلم : د. نورية الرومي قسم اللغة العربية ـ جامعة الكويت ـ مجلة البيان الكويتية ، العدد ٢١٦ ، مارس ١٩٨٤م .

الغـزلية ووقفت أمـام ظواهرها الفنية وطرائق التعبير فيها وملامح المحبوب المتحدث عنه ورأت أن « المرأة التي يتغزل فيها ، لا يوحي غزله بأنها امرأة محدده . بل يعطينا صورة لامرأة عامـة فهـو مثـلا لا يصرح باسمها أو يحدده . . كما انه حين يصور جمالها : يحشد الفاظ الصفات الجمالية العامة حشدا ، بحيث لا يعطينا من ورائها الا الاحساس بالجمال العام فقط ، ويستعـين لوصفهـا بصفـات المرأة الموسومة في الشعر العربي القديم معتمدا على محصوله اللغوي وثقافته بالتراث الشعري » [٢٦] ولأن هذه الدراسة غطت كثيرا من الجوانب المتعلقة بالغزل عند الخليلي ، فنحن نحيل القارىء اليها ، ونكتفي هنا فقط بالاشارة إلى أن شعر الغزل كان يتم اللجوء اليه استكمالا لاثبات قدرة الشاعر على محاكاة النموذج القديم في فنونه المختلفة ، ولا ننسى أن « المحاكاة » نفسها كانت مبدأ هاما لجأت اليه الآداب المختلفة وخاصة في مراحل احيائها فالأدب الروماني لجأ في فترة نهضته الى محاكاة الأدب الاغريقي ، والآداب الأوربية في عصر الكلاسيكية كانت تلجأ الى محاكاة الأدبين الروماني والاغريقي باعتبارهما النموذج الأمثل ، وعلى أسس من هذه المحاكاة قامت النهضة الأدبية الحديثة في أوربا ، [٢٧] وكذلك كان الشأن في بداية نهضة الشعر العربي في العصر الحديث في القرن الماضي حيث مر بمراحل من المحاكاة أو التقليد يتحدث عنها العقاد عند الحديث عن محمود سامي البارودي حين يقول : « في الابتكار من دور الركود والجمود في الشعر الى دور النهضة والاجادة أربع مراحل » :

أولهـا : دور التقليد الضعيف ، أو التقليد للتقليد .

وثانيها : دور التقليد المحكم أو التقليد الذي للمقلد فيه شيء من الفضل ، وشيء من القدرة .

وثالثها : الابتكار الناشىء من شعور بالحرية القومية .

ورابعها : الابتكار الناشىء من استقلال الشخصية أومن شعور بالحرية الفردية . [٢٨]

---

(٢٦) المرجع السابق ص ٢٩ .

(٢٧) أنظر : الأدب المقارن د. محمد غنيمي هلال ـ ص ١٧٤ وما بعدها ، دار نهضة مصر ، ١٩٧٧م .

(٢٨) عباس محمود العقاد ، شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي ، ص ٨٩ ـ كتاب الهلال ، ١٩٧٢م .

والواقع أن غزليات الشيخ الخليلي ، يمكن أن تقع في المستوى الثاني من المستويات التي أشار اليها العقاد ، وإذا كان كثير من الشعر الجيد في هذه الفترة ، يمكن أن يقع في هذا المستوى ، فإن غزليات الشيخ الخليلي تحتاج إلى إشارة خاصة من زاوية أخرى ، فهو إلى جانب كونه شاعرا ، فهو فقيه وقاضي وينتمي إلى أسرة ذات عراقة دينية ، ولكن ذلك لم يمنعه من أن يبدع غزليات قد تكون غير متوقعة لدى القارىء المعاصر الذي لم يطلع على الثقافة القديمة ويعرف كيف كان اسهام الفقهاء أنفسهم في صياغة « الكلام الجميل » فنيا دون تحرج من بعض دلالاته المباشرة والتي قد يقف عندها من ليس عنده بصر كاف بمذاهب القول ، ورموز الغزل والشراب كانت شائعة في شعر التصوف الاسلامي ، واسهامات فقيه جليل مثل ابن حزم الظاهري في كتابات « الحب » من خلال كتابه « طوق الحمامة في الالف والايلاف » ذات شهرة خاصة في هذا المجال .

في هذا الاطار نخرج غزليات للشيخ الخليلي ، بعضها يشف عن الثقافة الدينية بوضوح في مثل قوله في قصيدة « الحبيب المتقلب » :

يا حبيبا كلما قلت دنا ... دنت الساعة وانشق القمر
وإذا باعدت أو قلت ابتعد ... عن سبيلي ، قيل : سحر مستمر
ولكم أنذرني ما يتقى ... فتعاميت ، ولم تغن النذر
هكذا الحب ، فهل من زاجر ... يصدع القلب ، وهل من مزدجر
بالجدى لفؤادي انه ... بات مغلوبا عليه فانتصر
يالقلبي لايروّعك الهوى ... انه يجري بأمر قد قدر

وواضح تأثير فواصل سورة القمر في القرآن الكريم على قوافي الأبيات التي يتحرك المعنى تبعا لها ، وتستقطب اهتمام القارىء كله ، لكننا في مواقف أخرى يمكن أن نجد عند الشيخ صورا تقترب من صور الحب العذري ، الذي عرفه الشعر العربي في العصرين الأموي والعباسي ، وأخذت ثلة مشهورة من شعرائه مثل قيس بن الملوح وكثير عزه تقدم نماذج يحتذيها الشعراء في العصور التالية حتى وان لم يمرا بتجربة الحب العذري ومن هذا التصور نجد عند الشيخ الخليلي نماذج مثل قوله :

شقيق الهوى ان كنت ة تتفى الهوى ... فانى أخشى أن نصاب على عمد
هلم بنا نمشي رويدا لعلنا ... نصادف أثناء السرى منية القصد

نداجي الهوى حتى يلين قياده فتشكو اليه ما نعانيه من جهد
شقيق غرامي اننا توأما هوى رضعنا لبان الحب شهدا على شهد
نروح ونغدو حيث لبنى وقيسها جبارى بلا وعي نشاوي بلا رشد

وعلى هذا النحو يمضي النص ، وتمضي نصوص أخرى عند الشيخ الخليلي ، يمكن أن تنسب بسهولة إلى تقليد نماذج شعر الغزل العذري ، لكن الشيخ يدرك أن الغزل العذري لا يمثل كل تراث الغزلينمن الشعراء ، وأن هناك نمطا آخر لا يقل تألقا وشهرة ، وهو الغزل الحسي وغزل المغامرات الذي تتألق فيه نماذج امرىء القيس في القديم ، وعمر بن أبي ربيعة ، ويشع حوله شعر تقاليد الفتوة والبادية ، ومن ثم فهو بهم بدوره في هذا المجال في نصوص يبدو فيها الغزل الحسي واضحا في مثل قوله من قصيدة بعنوان : « من قصص الماضي » ـ وقد حرص الشاعر على أن يضعها في باب الشعر القصصي لا في باب الغزليات : (٢٩)

تقول وقد زرتها مرة وللأنس من بيننا مسرح
يكاد السرور يطير السرير من تحتها والهوى يسطع
ويلثمنا الحب عن وردة يضوع بها السر إذ تنضح
ويرشفنا عن رحيق اللمى على مبسم بالرضا يطفح
حبيب تناوم فوق السرير يحدق في الأفق لا يبرح
هناك وقد شعشعت خمرة العناق وطير الهنا يصدح
رضاب هو الأري لكنه يمج السعادة اذ يطفح
حبيبان لفهما الوصل في غلالته والشذا ينفح

ان أمثال هذه النماذج عندما تعود إلى مصادرها الأصلية في التراث ، تجد تفسيرا أوضح ، لتجمعها وتناقضها أحيانا في ديوان عصري كديوان الشيخ الخليلي وإذا كانت بعض القصائد الغزلية عند الشيخ الخليلي تأخذ عناوين عصرية مثل « سمراء النيل » و« بين العيد والمدرسة » فإن المعالجة لا تجعلها تفترق كثيرا عن النماذج التي أشرنا اليها .

---

(٢٩) وحي العبقرية .

أما مجال الوطنيات عند شاعرنا فهو يكتسب بعدين ، يمثل واحد منهما المفهوم القديم في شعر الانتساب إلى أرض وقبيلة ، وهو ما كان يتمثل غالبا في شعر الفخر ، وهو يبدأ عنده من درجات الفخر الشخصي الذي كان مألوفا عند القدماء في مثل قوله :

لقد صنت نفسي عن مظنة سيء ... وجشمتها ما لو تجلى لحيرا
فقمت ولي من نير العقل صاحب ... وعدت وعيني ما تعاين قبصرا
أروم بنفسي همة لا يرومها ... عداي ولو كانوا على الموت أصبرا

ويبدو هذا الفخر معتدلا إذا قيس بنماذج أخرى في التراث العماني نفسه لعل أبرزها في هذا السياق ، فخريات سليمان بن مظفر النبهاني التي تتناثر في مواطن كثيرة من ديوانه ، [٣٠] بل ان فخريات بعض المعاصرين من الشعراء العمانيين الذين يكتبون على النمط القديم تتسم بكثير من روح المبالغة إذا قيست بما يكتبه الشيخ الخليلي .

على ان هذه الفخريات عنده تتجاوز كثيرا الحديث عن الذات إلى الحديث عن الأهل والوطن ، فيجيء على لسانه قصائد مثل « عمان في أحسن السلوم » أو « عمان في سجل الدهر » والأخير أعطاها هو عنوان ملحمة تاريخية ، وسافها في نحو ثلاثمائة بيت على قافية واحدة ومن بحر واحد وقسمها الى عناوين داخلية للعصور المتتالية التي مرت على عمان منذ عهد الجاهلية حتى الآن وسمى الملوك والامراء وحدد المواقع والمواقف وأشفع الرد بتعليق شعري في المواقف المختلفة ، وواضح انه تأثر بأحمد شوقي في قصائده التاريخية التي كان لها رنينها في النصف الأول من هذا القرن ، لكن الواقع أن قصائد شوقي ، وقصائد الشيخ الخليلي أقرب الى الشعر التاريخي أو الى نظم التاريخ منها الى الملحمة بمعناها الذي تعهده الأداب المختلفة منذ عصور بعيدة [٣١]

---

(٣٠) أنظر : ديوان النبهاني ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٩٨م .

(٣١) يعرف النقاد الملحمة بأنها قصة شعرية موضوعها وقائع الأبطال الوطنيين العجيبة التي تبوئهم منزلة الخلود بين أبناء وطنهم ، ويلعب الخيال فيها دورا كبيرا ، إذ تحكى عل شكل معجزات ما قام به هؤلاء الأبطال ، وما به سموا عن الناس ، وعنصر القضية واضح في الملحمة ، فالحوادث تتوالى متمشية مع التطورات النفسية التي يستلزمها تسلسل الأحداث ، ولكل ملحمة أصل تاريخي صدرت عنه بعد أن حرفت تحريفا يتفق وجو الخيال في الملحمة ، وهي محيكة لشعب يخلط بين الحقيقة والتاريخ مما يسيغ أن تحدث فوارق العادات وأن يتراءى الانس والجن أو الالهة .
انظر : د. محمد غنيمي ، النقد الأدبي الحديث ص ٩٠ ـ دار النهضة ، مصضر سنة ١٩٧٧ .

على ان هناك بعدا آخر في وطنيات الشيخ الخليلي يتمثل في توسيع مجال الحديث عن الوطن ، ليشمل الوطن العربي كله ، وهو اتجاه تأصل عند كثير من الشعراء العمانيين المعاصرين للشيخ الخليلي ، من أمثال السيد هلال بن بدر البوسعيدي ، [٣٢] وكذلك الأستاذ عبد الله الطائي الذي كانت له تجربة اتصال واسعة ، مع كثير من البلاد العربية ، وأثر هذا على أدبه الشعري والقصصي ، [٣٣] وفي هذا الاطار تجيء قصائد الشيخ عبد الله الخليلي لتمتد مواطن الاستلهام والتعاطف فيها إلى أجزاء مختلفة من الوطن العربي ، سواء تمثل هذا التعاطف في المؤازرة في اللحظات الدقيقة أو في الاشادة بالماضي الحضاري التليد ، أو الحاضر الذي تقر له العين ، وهو عندما يكون في مصر يحسّ انه لم يغترب عن وطنه رغم أن الدار نأت به ، ويقول مخاطبا مصر :

رفقا بنائي الدار يا مصر ... ان لم يكن لك عنده اصر
وطن العروبة أنت لي وطني ... أنى اتجهت وأنت لي مصر
ان أنا عن وطني اليك فلا ... ألم لفرقته ولا ضر [٣٤]

وعندما يزور الشام يروعه جمال لبنان وبهجته ، وسحر طبيعته التي تستنهض قوى الفن والعاطفة ، فيسترجع بها ومعها لحظات الطرب في مخزونه الثقافي :

وانشر بساط الريح فوق الريح خطا مستقيما
وانزل على لبنان من فوق الجليد هوى كريما
وانشده من أوتار معبد غنوة حتى يهيما
واستخف ما بين الغصون وداو بالزهو الكلوما
وارفع عقيرة شاعر تخذ الخيال له قديما
راعته من لبنان بهجته وقد فاضت شميما [٣٥]

---

(٣٢) أنظر ، ديوان السيد هلال بن بدر البوسعيدي ، تحقيق محمد علي الصليبي ، حيث خصص باب في الديوان سمي باب « استنهاض الهمم وشحذ العزائم وحب الوطن » وفيه قصائد عن مصر والعراق وفلسطين ، وزارة التراث القومي والثقافة ، ١٩٨٩م .

(٣٣) أنظر ، بحثا لنا بعنوان : « عبدالله الطائي وآفاق الشعر العماني المعاصر » ، مجلة ، دراسات عربية واسلامية ، القاهرة ، ١٩٨٩م .

(٣٤) وحي العبقرية ، ص ١٩٥ .

(٣٥) المرجع السابق ص ٢٠٠ .

وكذلك كان شأنه مع الجزائر التي غنى لها أغنية من وحي كفاحها ، [٣٦] وكذلك تونس التي كتب عنها قصيدة بعنوان من وحي تونس . [٣٧]

والخليلي بهذه المثابة يؤكد اختياره لموضوعات قصائده الوطنية ، ومعالجته لها محور القضية التي يدور حولها حديث التطور عنده ، من انه يمتد بجذوره إلى أعماق التراث ، وينسج على منوال موضوعاته التقليدية ، فخرا بالذات أو بالجماعة المحبطة ، ثم يحاول تعميق هذا الاتجاه من خلال وطنيات القصيدة التاريخية ، ثم يحاول أن يوسع الدائرة تجاوبا مع مفهوم القصيدة الحديثة للوطنيات ، فيمتد بها الى اطار العالم الواسع من حوله .

ان هذه السمة الثنائية التي لاحظناها في مناخ ميلاد القصيدة وفي مستويات لغتها المتفاوتة وفي موضوعاتها المختلفة . تساندها ظواهر مماثلة في شكل القصيدة الموسيقى ، وفي شكل الوحدة الذي ينتظم اطارها الخارجي أو لا ينتظم ، وفي لون الصور التي يتم اللجوء اليها بين صور جزئية متفرقة على الطريقة التي شاعت قديما ، أو الصورة الكلية النامية على الطريقة التي تستريح لها القصيدة الحديثة ، ثم في شكل وسائل التزيين والتوشية ، والتي يتم فيها أحيانا اللجوء الى وسائل قديمة مثل التأريخ بالشعر والمحسنات البديعية بألوانها المختلفة ، واللجوء إلى التكرار في مطالع الأبيات المتتالية ، وهي ظاهرة يفرط فيها الشيخ الخليلي في بعض الأحايين .

فمن المألوف أن نجد في مراحل شعره المتقدمة هذا النوع من تعمد الجناس في مثل قوله :

وشاقه الحب إلى حبه وساقه لكن إلى النحب
وهذه ما قد تجلى له فعزة الصاحب بالجنب

أو إلى التورية التي تشيع في شعر الفقهاء والنحاة في مثل قوله :

يا سيدي عبدك في ذلة يدعوك بين الخفض والنصب

---

(٣٦) المرجع السابق ص ٢٧٢ .

(٣٧) المرجع السابق ص ٢٨٤ .

أو أن يتسج بيتا يلاحظ فيه القيمة العددية للحروف وهو ما يعرف بالتأريخ بالشعر في مثل قوله مؤرخا لعدد جيش المسلمين في غزوة بدر :

في جيش بدر وهو عد حروفه نـزل القضـاء لكل غاو يصـرع

فكلمـة جيش من النـاحية العددية تتكون من حرف الجيم وقيمته ٣ وحرف الياء وقيمته ١٠ وحرف الشين وقيمته ٣٠٠ ، فيكون المجموع ٣١٧ وهو عدد المسلمين في بدر .

أو أن نجد التكرار في مطالع الأبيات المتتالية لجملة معينة ، مثل تكراره لكلمة « ان كان حب الهـاشمي » احـدى عشر مرة متتالية ، وهو نهج يتلاءم مع القصيدة المسموعة والمغنـاة أكثر من تلاؤمه مع القصيدة المقروءة ، وكذلك تكراره لكلمة « هي الملة » عشر مرات متتالية في قصيدة « الى رجال الاستقامة » وهي قصيدة تشيع فيها هذه الظاهرة ، [٣٨] حيث نجد أيضا جملا مثل « أولى الحق » و« خليلي » و« أفى الدين » وغيرها تتصدر أبياتا كثيرة متتالية .

ولا يعدم القارىء أيضا هذه الروح القديمة « توجيه الخطاب » سواء تمثلت في ذلك التوجيه الوعظي الذي يخاطب السامع فيجذب انتباهه في بدء القصيدة ويستخلص النتائج في نهايتها ، أو في لون من ذلك التقليد الغزلي في مثل قوله :

أمغريتي باللوم فيما أرومه لك الويل ما أنآك عني. وأنآني
سلي همتي والسيف والدرع والقنا فما كان أدراها بحالي وأدراني
سلي الدين والدنيا ، سلي الحلم والتقى سلي الثرف الأسمى وسلي العادي الشاني

فالمقطع كله بصيغته ومحتواه ينتمي إلى الروح القديمة التي تشيع في النصوص التراثية والتي يمزج فيها الفخر بالقيم المادية والروحية بالخطاب الموجه إلى اللائمة ، والذي يشي بروائح الرقة على هامش الفروسية ، غير أن هذا المنهج ـ كما أشرنا من قبل ـ يأخذ أحيانا

---

(٣٨) أنظر ، وحي العبقرية ، ص ١٠٩ وما بعدها .

شكل الوعظ المباشر ، وخاصة في القصائد الوعظية والفقهية ، وفي لحظات البدء والختام في مثل قوله : [٣٩]

والناس اما سيد أو سوقه ... فانظر لنفسك ما الذي تتخير
عمل يزينك أو يشينك في الورى ... وكلاهما مما تبيت تدبر
واليك يرجع ما فعلت حقيقة ... فاختر لنفسك ما تراه يجدر

هذه الظواهر التي تنتمي في مجملها إلى الروح القديمة في بناء القصيدة ، يتم تطورها في جانب كبير من الانتاج في الفترات اللاحقة ، فيأتي البناء اللغوي أكثر تركيزا على « الفحوى » منه على الشكل ، مع عدم اهمال لذلك الشكل ، ومن هذا المنطلق ، تختفي ظواهر المحسنات المتعمدة ، والشعر التاريخي ، والخطاب المباشر ، أو على الأقل تختفي ألوانه الصارخة في الفترات الأخيرة من الانتاج .

ولعل أوضح مظاهر الثنائية في هذه القضايا ، هو موقف الشيخ الخليلي من قضية شعر التفعيلة على المستوى النظري والتطبيقي ، وقد فصلنا هذا الموقف في دراسة أخرى في مقدمة ديوان على ركاب الجمهور الذي كتبه من الشعر الحديث ، شعر التفعيلة ، وجاء كله في صورة شعر قصصي . [٤٠]

أما مجال وحدة القصيدة ، فمع أن النمط السائد في ديوان وحي العبقرية هو اللجوء إلى تنوع الموضوعات في القصيدة [٤١] الواحدة وتصدير القصيدة بالمقدمة الغزلية ، فإن جنوح الشيخ الخليلي المبكر إلى الشعر القصصي والشعر التاريخي واكبه جنوح إلى وحدة القصيدة من خلال اطارها الخارجي ، وقد انتهى في ديوانه الأخير ، إلى صياغة قصص شعرية يتكون كل منها من مجموعة من اللوحات المتماسكة ، لكنه كان يجنح في القصص أحيانا إلى ايراد قصص جانبية على طريقة القصص العربي القديم في كليلة ودمنة ، وألف ليلة وليلة .

---

(٣٩) المرجع السابق ، ص ٩٣ .

(٤٠) على ركاب الجمهور (مرجع سابق) المقدمة .

(٤١) أنظر على سبيل المثال : قصيدة « إلى رجال الاستقامة » ص ١٠٦ من « وحي العبقرية » حيث تمتد القصيدة على مدى ١٤٢ بيتا ، منعطفة من المديح إلى الفخر إلى النصح إلى التأمل في حال الأمة ، إلى الاشارة إلى بعض صفحات الماضي واستخلاص العظة منها .

وبرغم أن الشيخ الخليلي بذل خطوات طيبة في الاقتراب من القارىء المعاصر ، فإنه كان يوحي أحيانا من خلال الأداء الرمزي أن هناك حواجز ماتزال قائمة بينه وبين متلقيه ، وفي هذا الاطار يمكن أن نتلقى هذه النفثة الهادئة التي صاغها تحت عنوان ذات الخمارين والتي تعبر عن جانب من أزمة التواصل . (٤٢)

أتلهبني الحسناء وهي مغيظة ... وأرضى حياة الوغد فقعا بقرقر
وتأخذ من عرضي وجاهي لسانها ... كأن لم أكن بين الورى فوق منبر
وننشط في وجهي بكل بساطة ... كأني من بعض الفتات المخمر
وتضحك بي هزؤا ومالي مذمة ... ولكن دهرا ان رأى الفضل ينكر
وتحتقر المعروف مني تنكرا ... وتنتقص العرض الكريم وتزدرى
وتعرض اعراض الغزال تجنيا ... وتفتك بي فتك القضاء المقدر
وتشتارني اريا واشتارها أذى ... وتتركني كالخاسر المتحير

ان هذه النفثة العاطفية التي تلبس ثوب الغزل ، تبدو وكأنها نفثة فنية تشكو أزمة التواصل بين الشاعر وقارئه ، ولعل الاحساس بميلاد هذه الأزمة ، هو الذي جعل جانبا كبيرا من نتاج الشيخ الخليلي في الفترة الأخيرة ، يسعى نحو المعاصرة ، سيرا على ركاب الجمهور ، أو تحقيقا للتطور الفني المنشود ، وهذا كله جعل من شعره نموذجا طيبا لدراسة ظاهرة معاصرة الجيلين في الشعر الخليلي الحديث .

---

(٤٢) وحي العبقرية ، ص ١٩٣ .



حسب من الحفل الذي اقامه المنتدى الأدبي تحت رعاية معالي يحيى بن محفوظ المنذري
وزير التربية والتعليم والشباب تكريما لسعادة الشيخ عبدالله بن علي الخليلي

قراءة أولية في مقامات عبدالله بن علي الخليلي

بقلم : نـوريـة الـرومـي
كلية الآداب ـ جامعة الكويت [1]

المقامة كلمة مشتقة من مادة (ق و م) وهذه المادة تدل ـ فيما تدل عليه القيام والوقوف والاقامة والمجلس .

« جاء في لسـان العرب : المقامة بالفتح المجلس والجماعة من الناس ، وفي شرح القاموس : المجلس ، ومقامات الناس : مجالسهم ، ومن المجاز المقامة : القوم يجتمعون في المجلس » ، ومنه قول لبيد :

ومقام غلب الرقاب كأنهم جن لدى باب الحصير قيام

والجمع مقامات ، وأنشد ابن بري لزهير :

وفيهم مقامات حسان وجوههم وأندية ينتابها القول والفعل

ووردت كلمة مقامات عند الجاحظ بمعنى محاضرات عندما تحدث عن عبدالنور كاتب ابـراهيم بن عبـدالله أبي الحسن وقد استخفى بالبصرة في عبد قيس خوفا من أمير المؤمنـين أبي جعفر . وصف عبد النور مجلس القوم فقال « وكانوا يفيضون في الحديث ، ويذكرون من الشعراء الشاهد والمثل ، ومن الخبر الأيام والمقامات » . [2]

(١) شارك البحث في الحفـل التكريمي الذي أقامه المنتدى الأدبي تحت رعاية معالي يحيى بن محفوظ المنذري وزير التربية والتعليم والشباب يومي ١٩ و ٢٠ فبراير ١٩٩٠م ، احتفاء بسعادة الشيخ عبدالله بن علي الخليلي وتقليده درع المنتدى الأدبي الذهبية .

(٢) د. مصطفى الشكعة : بديع الزمان الهمذاني ـ ص ٢١٣/٢١٤ .

فهي ـ كما ترى ـ معان تقتضي المكانية ، فليس من المستغرب أن تطلق المقامة على المكان ، فيراد بها المجلس ، ثم ـ لنفس العلاقة المكانية ـ تطلق على ما يدور في المجلس من الكلام بعامة . ثم يأتي التخصيص الاصطلاحي ، وتقتصر دلالة الكلمة على ذلك الكلام الذي يتخذ ذلك الشكل البياني المعروف بالمقامة .[1]

وقد ظهر فن المقامات في القرن الرابع الهجري كنوع من أنواع « القصص القصيرة التي يودعها الكاتب ما يشاء من فكرة أدبية ، أو فلسفية ، أو خطرة وجدانية أو لمحات المداعبة والمجون » .[2]

وهذا الفن قد شغل أدباء العربية وكتابها مدة طويلة ، وكثر حوله التساؤل ؛ من أنشأه وابتدعه ؟ أهو فن عربي خالص ، أم أنه صدى للأدب الفارسي ؟

ان أول من تعرض لهذه المسألة « الحصري » حينما ترجم لبديع الزمان في كتابه « زهر الآداب » قائلا « ولما رأى أبا بكر بن الحسين بن دريد الأزدي أغرب أربعين حديثا ، وذكر انه استنبطها من ينابيع صدره ، واستنتجها من معادن فكره وأبداها للأبصار والبصائر ، وأهداها للأفكار والضمائر ، في معارض عجمية ، وألفاظ حوشية ، فجاء أكثر ما أظهر تنبو عن قبول الطباع ، ولا ترفع له حجبها الأسماع ، وتوسع فيها ، اذ حرف ألفاظها ومعانيها في وجوه مختلفة ، وضروب منصرفة ، عارضها بأربعمائة مقامة في الكدية ، تذوب ظرفا ، وتقطر حسنا ، لا مناسبة بين المقامتين لفظا ولا معنى وعطف مساجلتها ، ووقف مناقلتها ، بين رجلين سمى أحدهما عيسى بن هشام ، والآخر أبا الفتح الاسكندري ، وجعلهما يتهاديان الدر ويتنافثان السحر » .

ويميل الى هذا الرأي المرحوم الدكتور زكي مبارك قائلا : ان بديع الزمان عارض بمقاماته أربعين حديثا أنشأها ابن دريد ، والمعارضات كانت تتقارب دائما في الكمية .[3]

---

(١) طاهر ابو فاشا : مقامات بيرم التونسي ـ ص ١١ .

(٢) د. زكي مبارك : النثر الفني في القرن الرابع ـ ص ٢٤٢ .

(٣) د. مصطفى الشكعة : بديع الزمان الهمذاني ـ ص ٢١٧ .

والحقيقة ان ما كتبه ابن دريد لم يكن الا احاديث تعليمية صرفة ؟ مليئة بالغريب من الألفاظ ، وهي حينا قصيدة شعر ، وحينا آخر قول منثور ولا نجد فيها العناصر الضرورية للقصة الا نادرا .

وأول من تأثر بخطواته في القرن الرابع أبو نصر عبد العزيز بن نباتة السعدي المتوفى سنة ٤٠٥ ولم تحفظ عنه الا مقامة واحدة كما أشار برو كلمان ثم جاء ابن ناقيا عبدالله بن محمد بن الحسين المتوفى سنة ٤٨٥ فأنشأ عدة مقامات تختلف في أسلوبها عن مقامات بديع الزمان بعض الاختلاف .

ثم جاء الحريري فصير فن المقامات شريعة أدبية ، وقد انتشرت مقاماته في جميع الأقطار العربية ، وصارت مضرب المثل في الفصاحة والبيان ، ويعد الحريري أشهر من نظم المقامات واليه يرجع الفضل في ذيوع هذا الفن الجميل .

وتتشابه مقامات (الحريري) مع مقامات (بديع الزمان) في أكثر الاتجاهات مثل : الكدية ، والفكاهة ، والسخرية ، ودراسة البيئة الاجتماعية لأهل زمانه .

« وكأن القدر ادخر الحريري ، لينهض بهذا الفن الى القمة التي كانت تنتظره » .[1] وبذلك يكون قد أتعب من جاء بعده ، فقد حاول أبوالطاهر محمد بن يوسف السرقسطي المتوفى سنة ٥٣٨ هـ تقليده في اصرار ، « فاطلع على مقاماته ، وأنشأ خمسين مقامة معارضة لها أتعب فيها خاطره ، وكد ذهنه وأسهر ناظره ، وصعب على نفسه المسالك فيها ، فالتزم في نثرها ونظمها ما لا يلزم من تعدد القوافي واشترط أن تكون من حرفين فأكثر ، واتخذ راويته فيها (المنذرين حمام) ، وجعل بطلبها (السائب بن تمام) وسقطت هذه المقامات من يد الزمن فلم تصل الينا » .[2]

كما ألف الزمخشري ـ مقامات تدور حول الوعظ والارشاد ، وليس فيها راو أو بطل .

وفي القرن السادس الهجري نجد الحسن بن صافي المصري الملقب بملك النحاة

---

(١) زكي مبارك : النثر الفني في القرن الرابع ـ ص ٢٤٧ .

(٢) د. شوقي ضيف : المقامة ص ٧٦ ـ ٧٨ .

يصنف مقامات على نسق المقامات الحريرية ، ويصنع صنيعه أبوالعباس يحيى بن سعيد بن ماري النصراني الطبيب ، واشتهرت مقاماته باسم المقامات المسيحية .[1]

وفي نهاية القرن السادس نجد ابن الجوزي يؤلف خمسين مقامة في موضوعات أدبية مختلفة ويسعى بها نحو الوعظ كما فعل الزمخشري في مقاماته ، وكان يعاصره ابوالعلاء أحمد بن بكر بن أحمد الرازي الذي ألف ثلاثين مقامة طبعت في استامبول مع مقامات ابن ناقيا في مجلد واحد .

وتمضي القرون فتكثر المقامات ، ويكثر المقلدون ، ويتسع الموضوع ، فقد يكون الحديث والفقه والنحو .

« وماتزال اللغة العربية تستقبل هذه الالوان المختلفة من المقامات حتى يخرج العصر الحديث ، فيحاول غير واحد تقليد الحريري ، كالشيخ حسن العطار في مصر والالوسي في العراق ، وفارس الشدياق ، وناصيف اليازجي في الشام » .[2]

كما حاول كثير من الكتاب تقليده نذكر منهم الشاعر حافظ ابراهيم في (ليالي سطيح) ومحمد المويلحي في (حديث عيسى بن هشام) الذي تعد مقاماته أول عمل قصصي طويل في الأدب العربي ، يجمع بين شكل المقامة وشكل الرواية .

وقد تأثر فيها المويلحي بالثقافة العربية القديمة فصاغ كتابه على طريقة المقامة . وتأثر بالثقافة الأوربية الحديثة في رسم الشخصيات ، وتصوير المواقف تصويرا عميقا وبهذا يلتقي في كتابه أثر الثقافتين ، العربية والاوربية .

ثم فترت الهمم أو كادت أن تتوقف بسبب الاتجاه الى كتابة القصة ، ولكن أديبا شعبيا هو الشاعر الزجال « بيرم التونسي » استطاع أن يتدارك المقامة وهي في الرمق الأخير ، وعالجها علاج الطبيب الذي يعرف مكمن العلة . فابتعد عن قيود هذه الزخارف الثقيلة ، واقترب من القصة القصيرة ـ على نحو ما ـ وبهذا رد الى المقامة حيويتها ووسع دائرة الاهتمام بها ، وقربها الى رجل الشارع ، فأقبل عليها القراء العاديون فضلا عن الخاصة .[3]

---

(١) طاهر ابو فاشا : مقامات بيرم التونسي ـ ص ١٨ .

(٢) د. زكي مبارك النثر الفني في القرن الرابع ـ ص ٢٤٧/٢٤٨ .

(٣) الديوان : ٨ ـ ٢٢ ـ د. نورية الرومي : البيان : ٩ ـ ١٤ .

وبالرغم من ذلك فقد ظلت هذه المحاولة في نطاقها الفردي الضيق ، لأن الأدباء مازالوا متأثرين بشكل المقامة منذ نشأتها على يد (بديع الزمان) « فالصورة واحدة من حيث السجع والازدواج ، وطريقة القصص واحدة ، والافتتان في الموضوعات هو كذلك من مبتكرات بديع الزمان ، حتى الطريقة التعليمية التي عرفت في مقامات السيوطي وابن الجوزي والقلقشندي هي أيضا مما ابتكر بديع الزمان ، والفرق يرجع الى صور الثقافات في مختلف العصور ، فبديع الزمان صور مشكلات عصره ، والحريري مثّل معضلات زمانه والسيوطي فصّل أوهام الناس وعلومهم في أيامه » .

مقامات الخليلي

ولد عبدالله بن علي بن عبدالله بن خلفان الخليلي في سنة ١٩٢٢م في قرية سمائل (سماء الله) من أسرة عريقة ، « فجده لأمه الشيخ العلامة المجتهد الراضي أحمد بن سعيد بن خلفان الخليلي قدوة أهل الفضل ، وعمدة أهل الدين ورجال التقوى ، وكان اذ ذاك امام عمان العلامة الرضي محمد بن عبدالله بن سعيد بن خلفان الخليلي قائما على منبرها ، وهو عم هذا الشاعر البليغ ، اعترف العلماء الاعلام بسبق علاميته ، وتقدمه على أقرانه ، فنشأ ابن أخيه هذا وليد الامامة ورضيع لبانها ، متقلبا في أحضانها ، مستنيرا بهداها . . وكان أبوه الشيخ علي بن عبدالله بن خلفان الخليلي أحد الشخصيات البارزة ، مطاعا في قومه ، وكان كهمزة الوصل بين الامامة وبين حكومة مسقط معولا عليه في جميع المهمات لرجاحة عقله ، وبعد غوره ومكانته المكينة ، ومقامه الرفيع الباذخ » .[1]

ثقافتـــه :

كان التعليم الابتدائي (الكتاتيب) أو ما يسمى مجازا بالمطوع سائدا في عمان لفترة قريبة ، لم يتوفر منها قبل بزوغ فجر النهضة العمانية عام ١٩٧٠ الا القليل الذي يعتمد على أصابع اليد .

---

(١) الديوان : ٨ ـ ٢٢ ـ د. نورية الرومي : البيان ـ ص ٩ : ١٤ .

ولهذا يروي الشيخ سعود بن علي الخليلي بأن الشاعر « تلقى علومه على يد أخصائيين ممتازين مبتدئا بالقرآن الكريم لدى مقرئه الحاذق زاهر بن مسعود الرحبي ثم انتقل الى استاذ اللغة العربية الفاضل النحوي الكبير حمدان بن خميس بن سالم اليوسفي . ثم قرأ على الشيخ العلامة حمد بن عبيد بن مسلم السليمي الذي خول لقب داهية العلماء ، والشيخ سالم بن حمود بن شامس السيابي اللذين يشغلان رتبة القضاء » .

مكانته الأدبية :

اعتبر الشاعر عبدالله بن علي الخليلي أمير شعراء عمان ، وشيخ أدبائها قال عنه سالم بن حمود : الشاعر البارع ، حامل لواء شعر الامراء ، القائم على منبر دولة الشعراء ووصف شعره بأنه شعر وضع على أعمدة البلاغة ، وألبس حلي الجمال باتقان الصياغة ، وقال فيه أيضا : « انه أخذ في مرافق شعره مأخذا لم يسبق اليه ، ونهج به منهجا لم يتقدم عليه » .

مؤلفاته :

(من نافذة الحياة) ديوان شعر طبع في القاهرة ١٩٧٣م .
(وحي العبقرية) ديوان شعر طبع في القاهرة ١٩٧٨م .
(المقامات) نثر وشعر مخطوطة .

تحتوي المخطوطة على ست مقامات ، جاءت في ثلاث وتسعين صفحة من القطع المتوسط ، يتراوح عدد أسطر الصفحات بين عشرين الى خمسة وعشرين سطرا ، وكل سطر يحتوي علي اثنتي عشرة كلمة تقريبا .

وقد كتبت المخطوطة بخط النسخ ، وكان الخط واضحا مقروءا برغم أن هناك بعض الكلمات أو العبارات احتاجت الى جهد في تصويبها ، وضبطها .

وبالمخطوطة بعض الصفحات بها هامش جانبي واضح مقروء [1] وبعضها غير واضح [2]

كما يوجد هامش في أسفل بعض الصفحات منه ما هو مقروء وواضح [3] ومنها ما هو غير واضح [4]

القصائد التي وردت في المخطوطة كلها من شعر الكاتب [5]

الآيات القرآنية التي وردت في المخطوطة لم يشر المؤلف الى رقم الآية أو اسم السورة [6]

وردت بالمخطوطة كلمات وغبارات تحتاج الى تصويب أو استكمال [7]

الرواية في مقامات الخليلي

وحين نستعرض هذه المقامات فإننا نلاحظ أن الراوية فيها واحد أما البطل فقد تغير في المقامة الخامسة (السمائلية) .

المقامة الأولى :

ففي مقامته الأولى : النزوية : نسبة الى مدينة نزوى المدينة العمانية المشهورة ـ نجد أن الراوية هو : أبو الصلت الشاري بن قحطان ، والبطل هو : الشيخ فراهيد بن هود (أبو الخليل) .

---

(١) راجع المخطوطة : ٧ ـ ٣٦ ـ ٣٨ .
(٢) راجع المخطوطة : ١٤ ـ ٣٩ .
(٣) راجع المخطوطة : ٨ ـ ١١ ـ ١٢ ـ ٢٩ ـ ٣٠ ـ ٤٧ ـ ٥٣ ـ ٥٤ ـ ٥٥ ـ ٥٧ ـ ٥٨ ـ ٥٩ ـ ٦٠ .
(٤) راجع المخطوطة : ٤٥ ـ ٤٦ ـ ٤٨ ـ ٥٠ ـ ٥١ ـ ٥٢ ـ ٥٦ .
(٥) راجع المخطوطة : ٤ ـ ٦ ـ ١٠ ـ ١١ ـ ١٦ ـ ١٩ ـ ٢٠ ـ ٤٢ ـ ٤٣ ـ ٤٦ : ٥١ ـ ٥٥ ـ ٥٧ ـ ٥٨ ـ ٦٦ ـ ٦٨ ـ ٧٦ ـ ٨٥ ـ ٨٧ ـ ٩٢ .
(٦) راجع المخطوطة : ٩ ـ ١٢ ـ ١٣ ـ ١٩ ـ ٣٢ ـ ٣٤ ـ ٣٦ ـ ٣٧ ـ ٣٨ ـ ٤٢ ـ ٤٤ ـ ٤٥ ـ ٤٦ ـ ٩٣ .
(٧) راجع المخطوطة : ٢ ـ ٧ ـ ٨ ـ ٩ ـ ١١ .

وتحكي خروج الراوية على دابة فارهة من حوراء رضوى حتى وصل مدينة نزوى ، فقصد المسجد ، ليشهد فيه حلقات الذكر ، فإذا الناس مجتمعون حول شيخ وقور ، ذلق اللسان ، يعظ الناس : يذكرهم بجاهليتهم وبفضل الله عليهم ببعثة رسوله ، وما آل اليه حال العرب بعد تفرقهم وابتعادهم عن القرآن والسنة ، ويلومهم على اعجابهم بالغرب وحضارته وعلى ارتكاب الذنوب الكبيرة . ومما قال : « يا أرباب العقول ، ويا أهل المعقول والمنقول ، انكم في زمان فاضت به صفراؤه ، وطغت عليه بيضاؤه ، وكثرت فيه غوغائيته وضوضاؤه ، صاحب الصدق به ممقوت ، وآخذ الحق فيه مكبوت » .[1]

وقال أيضا : « فما بالنا اليوم ـ يا اخواني ـ وقد أصبحنا من بعدهم خلفا أضاعوا الصلوات ، واتبعوا الشهوات ، كلما همست في آذاننا دعوة النبوة قلنا أساطير وترهات ، ونحن كالاسير على القيد ، لا ننتقل الا من شديد الى أشد ، يركضنا الدهر برجله ، ويجلب علينا العدو بخيله »[2] وحلى مقامته بقصيدة من تأليفه ، عدد أبياتها واحد وثلاثون : قال فيها » :

نحن من وحد الاله ، ولكن عبد اللهو وازدهاه الرخاء
نتحلى بالشرع اسما قديما والمسمى قانونهم كيف شاءوا
خدعونا من حيث نحسب أنا قد خدعناهم فعز الكفاء
أخذونا من ذروة العزة القعساء أخذا هدت له القعساء
يا ترى هل لنا اليها سبيل بعد ما دكدكت فلا علياء
أم ترى أنهم بنوها كما كانت لنا حين عزمنا البناء[3]

ولما انتهى الشيخ من موعظته انسل من بين الناس ، فتبعه الراوية ليعرف خبره ، فسمعه يدعو ربه أن يوفقه الى تبليغ كلامه على خير وجه ولما كشف الراوية أمر البطل ، ابتعد عنه ، وهو يدعو له ، ويرشده الى ما فيه خيره في الدنيا والآخرة .

---

(١) المخطوطة : ١ ـ ٣ ـ ٥ .
(٢) المخطوطة : ٨ ـ ٩ .
(٣) المخطوطة : ٩ ـ ١٣ .

المقامة الثانية :

وفي مقامته الثانية : التساؤلية ، لم يتغير راويته أو بطله فيها ونجد أن وسيلة انتقال الراوية : « سيارة فخمة المظهر ، أنيقة المنظر ، متينة المخبر ، إن ركبتها مرت ، وان وطئتها فرت ، فكنت أجوب بها الطرقات ، لقضاء بعض الحاجات » ،[1] أوقفها أمام محل لصديق من أصدقائه وذهب مترجلا لقضاء حاجة من حاجاته ، فالتقى بامرأة رائعة الجمال أخذت بلبه ، ولما زال عنه انبهاره بجمالها ، قالت : « دعك من الفلسفة ، وهلم بنا الى رحاب المعرفة ، فومن شق القلم ، وجعل للعرب سيادة الأمم ، اني لصديان الى الحقيقة الناصعة ، ولا صدى المنهوم الى الجملة الناقصة » .[2]

فأفهمنا أن سيادة الأمم ، لم تكن الا للرسول الأعظم ، محمد صلى الله عليه وسلم ، ولاتباعه الاطهار من بعده ، الذين لم يبخسوا بعهده .[3]

ووازن لها بين جاهلية العرب واسلامهم ، ثم سألها : كيف تنتسب الى النساء العربيات الأصيلات ، وهي تبين عن جمالها مخالفة أمر الله ؟ ونصحها بأن تدني عليها جلبابها ، والا تبدي زينتها إلا الى بعلها . فقالت : « ان الله ينظر الى اللب لا الى القشر ، والى الطي لا الى النشر » .[4]

وفي أثناء ذلك ، رأيا الناس يتحلقون حول الشيخ فراهيد بن هود ، فأسرعا اليه ، وعرفها اليه ، فاستقبلها الشيخ استقبالا حارا ، واحتفى بها فشرعت تسأله أسئلة فختار بعضا منها .

جاء السؤال الأول : شعرا عن قصيدة ظاهرها دعوة الشباب إلى الاستمتاع بزهرة العمر ، وبالفتيات اللواتي يبدين زينتهن لهم ، تقول بعض أبياتها :

خل الشباب يهيم في ريعانه . ويتيح فضل زمانه لزمانه

---

(١) المخطوطة : ١٦ ـ ٢٤ .
(٢) المخطوطة : ٢٩ .
(٣) المخطوطة : ٣٠ .
(٤) المخطوطة : ٣٢ ـ ٣٣ .

يضع النقاط على الحروف يراعه ما بين مزهره وبين دنانه
لا التيه يوقظه ولا طعن الشبا في غفوة اللذات بين حسانه[1]

فأجابها : « ان منطقها سليم ، ولفظها رخيم ، ومغزاها عظيم ، ومعناها قويم ، أما وجهتها فشرقية » .[2]

وجاء السؤال الثاني : نثرا عن شاعر يسبي العقول ، غزله أرق من النسيم ومناجاته الذ من برد النعيم ، في سورة الخمر وغمرة الحب تأثيره ، وفي نضرة الحسن وروعة الجمال تعبيره ، أتعذره على شيء من الوحشية في نزعته ونوع من الرجعية في تفكيره وشرعيته ، وعلى لمسة من البداوة في خلقه وعلى شبه الغموض في مآخذه وطرقه .[3]

فأجابها : ان المعمول في ذلك كله على الايمان ، وعلى الدوافع وراء القول والعمل ، ثم ابرز لها الفرق بين عمر ـ رضي الله عنه ـ في جاهليته واسلامه ، فقد كان قاسي القلب ، جافي الخلق ، أباحت له نفسه وأد ابنته ثم تحمل زوجته تشجه بمقتاح بعد أن أسلم واعترف بخطئه في قضية تحديد المهور امام جمهور المسلمين .

والسؤال الثالث : عن المقصود بالبيت الآتي :

حجبوها وكيف تحجب شمس شع في الخافقين منها ضياء ؟![4]

أهو دعوة الى السفور ، ومخالفة المحجور أم هو مبالغة شاعر ؟

فأجابها : ان الشعراء أوغلوا في الخيال ، وتفننوا في وصف الجمال ، وجعلوا الانوثة ركيزة غزلهم ، ومهبط وحي الشاعرية من قبلهم ، فغزوا بها الشمس والبدر ، وأحلوا بها حرام السحر . . وطاف معها بشواهد كثيرة على أبيات من الغزل ، لو أخذت على محمل لفظها الظاهر لكانت معصية وفجورا ، ولكن المعول على النية ، فليس الشعراء ملومين على كل ما يقولون لانهم يجرون وراء الخيال في كثير من أقوالهم .

---

(١) المخطوطة : ٣٤ .
(٢) المخطوطة : ٣٥ ـ ٣٦ .
(٣) المخطوطة : ٣٨ .
(٤) المخطوطة : ٣٩ ـ ٤٠ ـ ٤١ .

وفي أحاديث الصحابة ـ رضوان الله عليهم ، وأحاديث نساء النبي وفي آيات الذكر الحكيم ، كنايات عن العلاقات الجنسية ، وردت في الفاظ لا تحمل على معناها الظاهر ثم قدم أدلة على أن فقهاء المسلمين كابن عباس ـ رضي الله عنه ـ كانوا يستمعون الى الشعر الغزلي ، ويحفظونه ولا يتحرجون في ذلك .

وختم الكلام بقوله : « ان تفنن الشاعر في الكلام ، لا يعطي حقيقة المرام وانما هو الخيال والمجاز ، والبلاغة والاعجاز ، وعلى كل حال ، فإن حسن الظن بالمسلم المفضال ، لخير دليل على الكمال ، وان كان بينك وبين أخيك مثل نسج العنكبوت فلا تهتكه ، جاء في حكم ذي الملكوت ، فربما ندمت حيث لا ينفع الندم ، وتعجلت فانزلقت بك القدم ، وأمر النوايا الى الله ، وهو ولي من يتولاه » [1]

وسألته في السؤال الخامس : عن رأيه وربطت سؤالها بسلوك نساء الصحابة في السلم والحرب ، وفي الأسواق والمساجد ، وقالت ان الحجاب فرض على نساء النبي وحدهن .

فأجابها : « ان زمان النبي غير زماننا ، ووصف لها ذلك الزمان وما فيه من مكارم الأنفة والتصون ، والتخلق بالاخلاق العربية والاسلامية ، ثم وصف لها زماننا وما فيه من رذائل ، وجاء بحديث امرأة أوربية زارت البلاد الاسلامية فحزنت عليها ، لأن المرأة المسلمة تخلت عن لباسها الاسلامي ، وقلدت المرأة الغربية . ويختم الاجابة بأسلوب الناصح المباشر مخاطبا الفتاة مطالبا اياها بالعودة الى الحجاب ، والى نبذ السفور ، معللا ذلك بأن المرأة المحجبة مثيرة لخيال الرجل ، دافعة بالرجال الى اقتحام المخاطر من أجلها ومن أجل رضاها ، أما وقد كشف حقيقتها ، ورأى جمالها ، فإنها تفقد قدرتها على الالهام ، وعلى زرع حمية الدفاع والغيرة . وينصح الشاب أن يحفظ نفسه من التسكع في الضلال ، والتسرع للانحلال ، ويقول له : وأنت أيها الشاب ، يا مبلغ الاعجاب ، ارجع الى تعاليم دينك ، وبالغ في اختيار قرينك ، واياك والتشبه بالفتاة ، والتوغل في المتاه . . ثم يبين له عاقبة الانحلال ، فيهن على الناس قدرك ، ويخمل بينهم ذكرك ، ويمقتك القريب ويجفوك الأديب ، ويستهين بك الأريب » . [2]

---

(١) المخطوطة : ٤١ .

(٢) المخطوطة : ٤٣ .

والسؤال السادس : عن رأيه في الاحكام الشرعية ، والحدود الدينية ، كالاعدام لقاتل من لا حق له عليه ، ولا سبب من الاسباب يدفعه اليه ، وكرجم الزاني والزانية ان كانا محصنيين ، وجلدهما ان كانا غير محصنين ، مع العلم انهما بذلك متراضيان ، وكجلد القاذف والشارب ، وان لم يسىء الثاني والاول غير كاذب ، وقطع يد السارق والمحتاج . الى أشياء أخرى بها شيء من الازعاج ، اليس في هذا وحشية ، ونوع من الرجعية ؟

استشاط الشيخ فراهيد غضبا من السؤال ، ثم تماسك وهدأ ، وأخذ يجيبها اجابة مفصلة عن كل نقطة مما سألت عنه ذاكرا الحجج الشرعية والمنطقية لكل نوع من أنواع الحدود ، ثم ختم حديثه قائلا : « وهكذا نجد الأوامر الشرعية ، تأتي بالجزاء من جنس عمل البرية ، فيكون كاسرا لشوكتهم ، وقاطعا لثورتهم ، وثانيا لصولتهم ، لأنها أحكام من خلقهم ، وعـرف مقاصدهم وطرقهم ، الأعلم بمصالحهم منهم ، والأبعد في عمق تفكيرهم عنهم ، خالق كل شيء ومصوره ، وعالم منه بما يوحي اليه تهوره » .[1]

والسؤال السـابع : عن رأيه في مطابقة الشرع العقل ، وهلم بالجواب على ضوء العقل ، خاليا من الاسناد والنقل ، الا ما كان من كتاب الله أو سنة نبيه الأواه ؟ [2]

فأجابها : « فإذا نحن عرفنا الحقيقة ، عرفنا ان الشرع من رب الخليقة ، وهو أعلم بنفعها وضرها ، وجهرها وسرها ، وانه خالق العقل وهو من مكنوناته فكيف بنا أن نتحداه بمخلوقاته ، ولكن العقل هو الذي يستطيع أن يتبين القرآن ، وسنة سيد الانس والجان ، وهما الاصلان الأولان ، والركنان المعتمدان ، عنهما يصدر الاجماع ، والمجمعون وعليهما يعتمد الاجتهاد والمجتهدون ، فهل يستطيع العقل تحقيق كل ما جاء في الكتاب ، فقد جاء فيه البعث والحشر والصراط والميزان والحساب ، وعذاب القبر والجنة والنار ، الى غير ما جاء فيه من غيبيات الأخبار » .[2]

ثم بين أن العقل يكون عاديا اذا عاش صاحبه في المجتمعات الصاخبة « أما إذا روضـه في خلواتـه ، وحال بينه وبين شهواته ، وأقل من أكلاته فإذن يصبح العقل قويا

---

(١) المخطوطة : ٥٨ ـ ٥٩ .

(٢) المخطوطة : ٥٩ .

مبتدعا ، ويظل متقدا ومخترعا ، لانه يبعد عن الضوضاء والجلبة ، ويؤخذ جانبا عن الاهواء المضطربة ، فيشف عن الغاية سره ، ويزكو بالصالحات جهره »[1]

ثم يضرب أمثلة بالانبياء مثل ابراهيم ، وكيف هداه تفكيره ونظره في النجوم الى وحدة الخالق ، وببعض العباقرة المبدعين كالشاعر زهير بن أبي سلمى حين قال :

فلا تكتمن ـ الله ما في نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

أو كورقة بن نوفل الذي هداه تفكيره الى ضرورة وجود يوم الحساب ، لان الدنيا قد لا يتسع العمر فيها ، لينال المرء جزاء عمله ان خيرا فخيراً وان شرا فشراً . ثم يكرر وصفه للعقول السليمة قائلا : « وهكذا تكون العقول السليمة في أفكارها السليمة ، افكار الخشونة في البادية ، لا يصعب عليها درك الأشياء النائية ، وفي جوهرها الانقطاع في الخلوات ، والاكتفاء بالبلغة عن لذيذ الأكلات ، هذه هي العقول التي تستطيع أن تستنصر سر الشرع ، وأن تستدل على أصله بأفانين الفرع » .[2]

والسؤال الثامن : عن رأيه في « النقل وما مدى تعلقه بالعقل ، وهو يحتمل الكذب والصدق ، فكيف يبنى عليه دين ، ويقام عليه نصاب حق » ؟[3]

فأجابها : « من نقطة العقل ينتقل العاقل ، والى مركز العقل يصل الواصل فإذا اطمأن العقل الى النقل وصحته ، كان جديرا بقبول حجته ، واثقا باستقامة محجته ، واستطاع أن يبني عليه أسس ركيزته ، وان يكبح به جماح غريزته ، فبالنقل قامت الأديان والدول ، وبالنقل ذللت الغايات والسبل ، أما اذا التمسنا فيه مشاهدة الواقع ، كنا عما نلتمسه على أبعد المواقع ، فهل الأم صادقة فيما تقوله عن الوالد ؟ ومن أين لك انك ابنة ذلك الوالد .

---

(١) المخطوطة : ٥٩ ـ ٦٥ .
(٢) المخطوطة : ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٠ .
(٣) المخطوطة : ٧١ .

اذا فغلام اللانتساب وهل أنت من تلك الام في ارتياب .

كل هذه روايات تدور على محور الاحتمالات ، فهل ياترى للصدق من وجود ؟ وهل هو من بعض الوجود ؟ وهل له من عين ؟ الا في توهم العين » .[1]

والسؤال التاسع : عن رأيه في الصلاة والصيام .

والزكاة ؟ ما غضبه سؤالها ولكنه تماسك وأجابها اجابة دارت حول أربعة محاور :

المحور الأول ؛ الصلاة :

وقد سلك في اقناعها بأهميتها وفائدتها ـ طريق العقل :

١ ـ فوازن بين حالة الناس الوثنيين الذين عبدوا الملوك ، وسجدوا لهم ومنعوا من رؤيتهم الا على ندرة ، فإذا رأوهم شعروا بالسعادة ، وكانوا يعبدون حجارة لا تضر ولا تنفع ، ويتركون عبادة من يضر وينفع ، وحالة من يسجد لله خمس مرات يراه فيها ، « يدعونه فيها فيجيب ، ويسألونه الفضل فيستجيب ، يجيب بالتلبية من أياه ينادي ، ويتلطف في دعائهم أياه فيقول يا عبادي ».[2]

٢ ـ وبين لها أن الصلاة منفاة للكسل ، ومدعاة للعمل ، يقوم لها الانسان في وقت قلما يوجد فيه اليقظان ، فيجد نفسه من صفاء السريرة ويجد نفسه بتلك النفحة القدسية قريرة . . تلوح له اللمحة فيطير بها الشوق اليها ، وتتجلى له الومضة فتراه مائلا بين يديها ، وتطربه تراجيع التسبيح فيهمهم في أشواقه ، وتغزو اسماعه نغمات الآيات فيتأوه لها من أعماقه ، ويهيج به الشوق الى الله فيسعى اليه في أعماقه ، فهو في جو لا يعوض عنه بغيره ، وعلى روض من الأنس كلما اجتاح الآفاق أريج نوره .

٣ ـ وان الصلاة صلة روحية ، وسمة قدسية ، بين صاحبها ورب البرية بينا تجد صاحبها محبوبا حتى عند تارك الصلاة ، تجده كذلك مهيبا محلل القدر بين المرعيين والرعاة .[3]

---

(١) المخطوطة : ٧٨ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ٨٧ .

(٢) المخطوطة : ٩٠ ـ ٩١ ـ ٩٢ .

(٣) المخطوطة : ٤٥ ـ ١١ ـ ١٢ ـ ٣٨ .

٤ ـ واشتراط ان تكون الصلاة خالصة لله وحده ، ويستدل على ذلك بآية قرآنية كريمة .

والمحور الثاني ؛ الصيام :

وقد أبان عن جوهره بقوله :

« أما جوهر الصيام فهو التخلي عن الأجسام ، والشراب ، والطعام ، الى عالم الروح حيث الحب والوئام ، حيث الانسانية المتنورة ، حيث النفوس الخيرة حيث يشعر الصائم بجوع البائسين ، وعطش المنقطعين ، وضرورة المضطرين وبكاء البائسين » .(١)

ثم يصف الصائمين :

« زينتهم العفاف ، وميزتهم عدم السؤال والالحاف ، لا يدخلون اللقمة في بطونهم حتى يعرفوا حلها ، ولا يبلعونها حتى يلهب الجوع محلها . . نهارهم تعبد ، وليلهم تهجد ، وخلوتهم ذكر ، وحضرتهم فكر ، عرفوا الله حق معرفته ، فكانوا أهل محبته ، وندماء حضرته ، وسقاة خمرته .

ان كانت السلم فهم أصحابها ، وان كانت الحرب فهم أقطابها ، لا يؤثرون الحياة على الفناء ، ولا الراحة على العناء ، يتسابقون الى الموت تسابق العطاش الى الشرب ، مقدمين أنفسهم ضحايا الى الله في حضرة القرب ، قريرة بذلك أعينهم ، لأنه ولاشك تدينهم » .(٢)

المحور الثالث ، الزكاة :

وقد وصفها بقوله :

« أما الزكاة فجوهرها معروف ، وهي من أبلغ صفات المعروف ، تصلح بها أحوال المجتمعات ، ويصح بها الحب بين الطبقات ، لأن مخرجها يعتبرها دينا يدين به لله ، فلذلك تجده يؤتيها وهو مسرور بما آتاه ، يلتمس لها المستحق الصالح ، أو الحاكم لكبريات

(١) المخطوطة : ٨ ـ ٦٧ ـ ٨٧ ـ ٨٨ .
(٢) المخطوطة : ٨٠ ـ ٨٨ .

المصالح ، فكأنه وضعها في يد الله جل جلاله راجيا منه الرضا حيث يكون مآله ، وتجد مستحقها يأخذها من يد أخيه ، كما يتناول اللقمة من أبيه ، لانه يعرف ايمان المؤتي وصدقه ، وأن مؤتيها يعتبرها للمؤتاها حقه » .

ثم يفرق بين الزكاة والضريبة ، بعد ذكر الطرق في الحكم الشرعي بينهما .

« أما الضريبة فهي المعيبة ، لأنها لا تقف على حد ، ولا تتوقف على جزر أو مد انما تترتب على هوى النفوس الشيطانية ، والنزوات اللا انسانية ، والنزعات اللا ايمانية ، وهي التي تسبب الثورات ، وتكف الفئات ، وسيء النزعات لأن الله منها براء ، والعقل فيها عياء » .(١)

المحور الرابع ؛ الحج :

وقد كشف عن فائدته فقال :

« أما الحج فيكفي ما يجده الحاج من النشاط والابتهاج ، عندما يصل الى تلك المشاعر ، ويتبين له فضل هاتيك المآثر ، على الرغم من التعب الذي يعانيه ، والمشقة التي تلاقيه ، وامراض ووفيات ، كل هذا لا يزيده الى الحج الا اشتياقا ، والى مشاعره وشعائره الا انطلاقا » .(٢)

ثم يصف الحجاج قائلا :

« لقد آخى بينهم الحق ، وساوى بينهم بالقسط ، تجمعهم الأخوة فى الله يوالون من والاه ، ويعادون من عاداه ، قليل لغوهم ، كثير صفوهم ، تقلقهم مخافة الله ، ان قصروا ، ويبهجهم حسن الرجاء ان وفروا ، الى ربهم مقبلون ولفضله مستقبلون ، ولكرمه آملون ، وبالدعاء اليه مبتهلون ، من كل صوب يأتون ، ومن كل حدب ينسلون ، دعاهم

---

(١) المخطوطة : ٤٧ ـ ٤٩ .

(٢) المخطوطة : ٥٠ ـ ٥٢ .

فلبوا دعاءه ، وناداهم فأجابوا نداءه ، منيبين اليه ، خاشعين بين يديه ، لا يدفعهم قهر قاهر ، ولا يجلبهم أمل ظاهر ، ولكنه الحب العميق ، لرب البيت العتيق » .

ودار السؤال العاشر : حول تعدد الزوجات « وهل يتساوين عنده في الدرجات وان لم يكن كذلك فأين العدل ؟ وان لم يوجد العدل ، فأين الاسلام والفضل » ؟

وعلى وفق المعقول ، جل شأنه يقول : ﴿ **وان خفتم الا تعدلوا فواحدة** ﴾ وحسبك بالقرآن فما أصدق موارده ، ما ترك شاردة الا اقتنصها ، ولا طريقة الا لخصها .

فأجابها : بعد أن امتدح عودتها الى كتاب الله ، لتستمد منه نظرتها الى الأمور فقال :

(أ) القرآن الكريم يعرف أن العدل بين الزوجات مستحيل ، ويفهم ذلك من قوله تعالى : ﴿ **ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء** ﴾ ولن تفيد نفي المستقبل نفيا قاطعا ، فافهم الكلام ان العدل لم يكن بحال واقعا ، وعليه فما نهى عن تعدد الزوجات ، مع علمه بتباين ما بين الضرات ، ولكنه نهى عن الميل كل الميل في محكم التنزيل .

(ب) لعل قول نبينا عليه الصلاة والسلام « تزاوجوا تناسلوا فاني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة » فيه دليل قاطع على تعدد الزوجات وتؤكد الآية المؤكدة ذلك وان لم يتساوين في الدرجات .

(ج) « أما ان تعدد الزوجات بقصد المضاررة ، وآثاره المغايرة كأن يضع بعضهن كالمعلقة ، لا هي زوجة مطمئنة ولا مطلقة ، فهذا ما نهى الله عنه ، وحذر عباده منه » .

(د) « ومن ناحية عقلية ، وحال طبيعية ، فإن الرجل في شبابه لا يكتفي بواحدة خصوصا مع الحالة الشهرية أو كانت والدة ، فهل الأجدى به أن يجد له حليلة ،

على حكم كتاب الله ، أم يجد له خليلة على غير حكم الله ؟ وأي الحالين على أهله أيسر ؟ وأيها عليها بل وعليه يا ترى أعسر » ؟

(هـ) « وهل تلك الخليلة الضائعة بين ذا وذاك ، يلعب بها الهوى ويحطم عزها الانتهاك ، فهي بضاعة مزجاة تباع وتشترى ، أو حلوبة تعطي اللقمة لتمتري ، حتى اذا التهم الجائع لقمته ، وبلغ الضال منها بغيته ، وخلعت عنها ثوب الشباب القشيب ، ولابد لها أن تخلعه ووضعت عل رأسها مغفر الشيب الرهيب ، ولا مناص لها من أن تضعه هنالك تعض بنان الندم ، وتعرف ذلة القدم ، فأين الشريك في الحياة وأين الولد الذي تتمناه ؟ ما من لاعبتها ضمته ، وداعبتها نهمته فليتها تراه ليسخر منها ، وتكلمه ليضرب عنها ، فكأني بلسان حالها بل وبلسان مثالها تقول : ليتني تزوجت فأنجبت ، وشاركت النساء كما أحببت ، ولم أعش طريدة ممقوتة ، وامسي متوحشة مكبوتة ، تطردني نفسي عني ، وتبرأ حتى روحي مني ، فلو تزوجت حتى لو لم تكن عند زوجها محظية ، لوجدت نفسها عند حاجاتها الى الرعاية مرعية ، ولو شقيق » .

(و) أحسب أن عدد النساء في الوجود ، أكثر من عدد الرجال في المعهود ، فلذا ساغ لهذا أن يأخذ واحدة ، ولهذا أن يتزوج اثنتين ، وآخر ثلاثا أو أخرى زائدة ، خوفا من ضياعهن ، أو سوء أوضاعهن ، ولتلتحم الانساب ، وتتصل الأسباب ، وفي الزواج حكمة الترابط والتقارب ، وصلة التداخل والتراحم والتعاقب .

دار السؤال الحادي عشر : حول الزواج المبكر ؟ وانى يا ترى فيه رأي المفكر .

فكان الجواب :

(أ) « ان النساء يختلفن في أحوالهن ، فكم من الفروق بين أفرادهن ، وكم من التباين في ميولهن ، فكم من فتاة في سن مبكرة تتمنى لقاء الزوج ولا تستنكر » .

وحكي قصة فتاة صغيرة تزوجت من رجل اسماعيلي في نزوى فأدماها ادماء شديدا أضطر أهلها لعلاجها ، وأرادوا أخذها من زوجها فرفضت وأصرت على التمسك به .

ثم حكى قصة فتاة أخرى زوجها أهلها وهي في الحادية عشرة من عمرها فكانت قريرة العين بزواجها على الرغم من أنها لم تكن بالغة حد النساء ولا عارفة بسر الصباح والمساء .

(ب) فإن كان بعض النساء وكذلك (يرغبن في الزواج المبكر) والأكثرية بين ذلك ، والنزر على غير المسالك ، فذلك نادر ، والنادر لا حكم له ، فمن لنا أن نعد له ؟ ولكن كما يقال في المثل ، وبعض الأمثال قاعدة تمتثل ، خير الأمور الوسط ، وأكثر الناس على هذا النمط .

(ج) كان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ، والزواج المبكر فاش لديهم وذلك مخافة البوار ، ووصمة العار ، وهم على قمة الفضل ، كما انهم أهل القسط والعدل .

(د) والنبي عليه صلاة رب العالمين ، أكد ذلك بزواجه من أم المؤمنين ، ولو كان ثمة ما يعاب ، وما لا يستطاب ، ما كان لمحمد أن يفعله ، لأنه أحزم الناس ، فيما يعمله وعمله ، ولا عبرة فيمن يقول : « ان ذلك الرسول ، فلا تحتج به في مثلها ، فلعمري أن لم نحتج به ، وهو للحنيفية أهلها فبمن نحتج ، وعلى من نعتمد ، أعلى الكتابين أهل الفند ، الذين يحاولون ردنا عن ديننا ان استطاعوا » .

(هـ) بين بعد ذلك أهداف الغربيين من محاربة ديننا الحنيف ، وانسل من بين الحشد من الناس وهو يبكي بكاء الثكالى ، ويدعو للجميع بدعوات كريمة ، بكلمات ذات قيمة .

ثم يختم المقامة وهو يتمتم بأبيات عددها خمسة وثلاثون بيتا ـ يتناول فيها عددا من الموضوعات فهو في أبياته :

١ ـ يدعو الى سؤال الوعي عن كل ما حققه الانسان من تقدم في دنيا العلوم الغزيرة حتى استطاع السيطرة على الكون ، حتى على هينمات الغريزة هل يستطيع أن يسبق شمس الضحى في اجتلاء الحقيقة ؟

٢ ـ يوازن بين حال الانسان العربي في ايامه الأولى حين كان يناجي النجوم ويسامرها ، وفي أيامه الحاضرة المزودة بالعقل المتسائل الذي يبعث على القلق والارق دون جدوى .

٣ ـ الانسان الحاضر يسعى ويحاول ولكن الحياة تعب فيتمنى أن يستمتع بجمال الحياة ، وأن ينبلج صبح السرى ، وأن ينتشر طيب الشذا ، وينزل المطر الغزير الدائم الذي يخصب حتى شم الذرا .

٤ ـ يلوم شخصا حاول أن يختله ويخدعه ، ويدفعه الى قول مقاماته ، تلك المقامات التي أفاضت على الدنيا فيوضا غزيرة ، فهي جديرة أن يطرز سحرها مطارف أجل وأغلى أن تقاس بقيمة ، وهي اذا نيطت على منكب العلا ملابس زهابها المجد .

٥ ـ يبدو أن هذا الشخص لم يكن وحده بل كان معه شخص آخر همذاني أراد أن يأخذ مقاماته منه كرها وخديعة فقال :

فياليتني قد صمت في حلبتيكما ... وصليت قبل السبق ارتاد شيمتي
لابلغ شأوا لا أطيق بلاغه ... اذا أنا جردت الابا عن طريقتي
فلا المجد يرضاني اذا خنت عهده ... بمد يدي للمن رغم حفيظتي
ولا الحلم يرخي لي مطاه لغاية ... اذا لم أصنه عن أياد خسيسة
فهبني لم أشأ السوابق في المدى ... ولكنني حليت بالعز صبغتي
فجاءت مقاماتي جواهر نظمت ... قلائد تزهو فوق نحر عقيلة

انه الفخر بمقاماته التي جاءت كالجواهر التي نظمت قلائد تزهو بها العقيلة التي علقت في نحرها ، وانه الاعتداد بالنفس ، فهو مترفع عن مدح من لا يستحق المدح ، انه يتمنى أن يكون قد صام عن الكلام ، أو ذاق المنية قبل أن يضع مقاماته بين يديها ، فإن المجد لا يرضى له أن يمد يده للمن ولا الحلم يطاوعه اذا لم يصنه عن الايدي الخسيسة .

٦ ـ يختم قصيدته بالتحية لشخصين وصفهما بالسابقين الأشقرين تشبيها لهما بالجوادين الأصليين ، والدعاء لهما لما قدماه للعروبة من خير .

المقامة اللغوية

وفي المقامة اللغوية ، يلتقي الراوية والبطل مرة أخرى في الطريق بين سمائل وجرنان ، وسمائل مدينة معروفة في عمان ، وجرنان ـ غار كبير بازكي « من مدن داخلية عما » . بعد العصر وقبل حلول الظلام وذلك ان أبا الصلت قد خرج من سمائل الى جرنان ، في كوكبة من الفرسان في جو ممطر ، وكانت المسافة بعيدة ، والسلاح واهيا ، والمنطقة خالية من الناس فشعروا بالخوف الى ان اشرفوا على واد واسع ، فما حطوا به الرحال حتى امطرتهم السماء مطرا غزيرا ، فحثوا ركابهم حثا قويا ، حتى وصلوا الى مكان مرتفع من جبل عال ، فنصبوا عنده مخيمهم ، وأشعلوا نارا يصطلون بها واذا بهم بشيخ نائم على الارض من غير وسادة ، فنادوه من بعيد ، فنظر اليهم ، وارشدهم الى الطريقة الصحيحة في المحادثة مستشهدا على ذلك بالآية الكريمة ﴿ **ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون** ﴾ فاقتربوا منه ، ليتعرفوا نسبه ، ويستمتعوا بعقله وأدبه ، ولما سألوه عن نسبه أجاب بعبارات تدل على اعتزاز بالنسب وبالنفس ، ثم أردف تلك العبارات بأبيات يفتخر فيها بنفسه وبآبائه وأجداده الذين ينتسبون الى اليمن ثم الى يعرب هؤلاء الآباء الذين عرفوا بالقسط ، وبنوا مجدهم فوق كبد الشمس وهداهم الاسلام الى أعز الصفات فيقول :

نسبي الحلية التي زانت الارض ... فراحت تغار منها السماء
حسدته شمس الضحى وتمنت ... لو ترى ، وهي منه الدرة العصماء
فيه هود ، ومن كهود وفيه ... الجد قحطان حبذا الانتماء
وبه يعرب ويشجب والشار ... رى وصلت أجله عظماء
يعربيون سادة يمنيون من ... ملوك أعارب عرباء

فقالوا له : انك لداهية الضاد ، وانك لا تراجع فيما تقول اجلالا لك واعظاما على الرغم من انك شيخ عجوز ، أكل الدهر عليك وشرب . فاستشاط غضبا ، ونظر اليهم

شذرا ، فقام على رمحه مرتكزا ، وارتجل سبعة وثلاثين بيتا من الشعر يتألف كل منها من شطرين ، واستخدم كلمة العجوز في كل شطر أربعة وسبعين معنى من معاني كلمة (العجوز) ومنها :

الجوع ـ الحمى ـ الخمر ـ الداهية ـ الدنيا ـ السماء ـ السفه . . وكأني بالمؤلف اراد أن يبرز مهارته اللغوية ويستعرض قوته في حفظ معاني المفردات .

ولعله اعتمد في ذلك على القاموس المحيط الذي أتى بهذه المعاني جميعها مرتبة على وفق ترتيب الحروف الهجائية .

والابيات التي نظمها الشاعر لا رابطة فكرية بينها سوى انها مجموعة من الحكم المتناثرة ، كل حكمة تدور حول معنى من معاني العجوز .

ولما انتهى من قصيدته اعجبوا به اعجابا ، وطلبوا اليه أن يثبت براعته بنظم أبيات حول كلمة (العين) فأنشد من دون أن يتريث أربعة وعشرين بيتا استخدم فيها كلمة (العين) ثمانيا واربعين مرة كل مرة بمعنى مختلف من مثل قوله :

العين بمعنى الرائد ، بلد معروف ، النظر ، أهل البلد ، قافية العين . . وبعد ذلك طلبوا اليه أن يستخدم كلمة (الخال) في قطعة جديدة ، فقال تسعة عشر بيتا استخدم فيها كلمة (الخال) ثمانيا وثلاثين مرة ، في كل مرة بمعنى مختلف كقوله : الخال ـ الملازم للشيء ـ الخال صاحب الفرس ـ والثوب الناعم ـ واخو الأم والبعير الضخم واللواء يعقد للامير والبرق واللجام وبرد يمني معروف .

ولما انتهى من انشاده وعظ سامعيه بموعظة جميلة ، دعاهم فيها الى التعلق بأهداب الدين ، والتمسك بتعاليمه السمحة ، ثم قام فتوضأ وصلوا خلفه المغرب والعشاء ، وظل ليله عابدا متهجدا ، وفي الفجر دعاهم الى صلاة الصبح فصلوا خلفه ، ولما أردوا أن ينفحوه بعض المال غضب غضبا شديدا وقال : انه شيخ عجوز لا يريد الا مرضاة الله ، ثم تركهم مسرعا وانصرف عنهم .

الجعلانيـة

وتنسب المقـامـة الجعـلانية الى : جعلان في الجنوب الشرقي من عمان وقد قصد أبو الصلت مسجدها فلما دخله وجده غاصا بالمصلين وقد دعوا الى امامتهم رجلا وقورا تبدو عليه سيماء التقــوى والصـلاح ، فأمهم وأحسن الامـامـة ، ولمـا فرغ من الصـلاة أراد الانصراف ، فألح عليه الناس أن يعظهم فحدثهم بقصة جرت معه وقال : كنت سائرا في شارع شبرا ، واذا برجل من ورائي يناديني ويأخذني الى دار الحاكم لأمر لا أعرفه ، فلما مثلت بين يديه سألني عن حالي ، وعن بلدي .

ووصف نفسه بصفات المؤمن العابد الخائف من عذاب القبر ، وحساب يوم القيامة ثم وصف بلده عمان مادحا مفتخرا . بعد ذلك استشاره الحاكم في فتنة تتعرض لها بلده فأشار عليه أن : ابدأ بنفسك فاسألها : فإن كان الخطأ فيك فقوم خطأك أولا تستقم لك البلد ، والا فخذ المشاغبين المشاركين الراغبين في الفتنة بالشدة .

ومما وصف به الحاكم قوله :

« والحاكم يا سيدي خليفة الله في أرضه ، وأمينه على مسنون أمره وفرضه ان قال فبلسـان الله يقـول ، وان بطش فبيده يبطش ويصول ، وان حكم فبعدله ، وان وهب فبفضله ، وان سطا فبقوته ، وان أنعم فبنعمته وان رحم فبرحمته ، فهو أقرب الى الله ان احسن ، وابعـدهم منه اذا لم يحسن ، فإن تأكدت من نفسك استقامتها ، ومن طويتك سلامتها ، فاعلم ان الله معك ، يحفظ مجتمعك ، ويرعاك ومن تبعك ، وينصرك وينصر بك أولياءه ويسـددك ليرمي بك اعداءه ، لانك عزيز عليه ، وغير مهان لديه ، وسهل الحجاب كابن الخطاب » .

« أما إذا تمردت الرعية ، وخالفت النظم المرعية ، فمن الحزم أن تعرف الدافع لتتبين ما وراء المدافع ، فإن كان الدافع طلب حق من حقوقهم ، ولكنهم لم يحسنوا التصرف في طريقهم ، فأوصلهم الى حقوقهم أولا ، ثمت علمهم كيف يحسنون الأدب مستقبلا » .

« أما ان كان الدافع التمرد الأعمى ، والهدف اصابة المرمى ، فاحكم على العنق الصارم ، واقطع الاوداج واللهازم ، حتى يستقيم الاعوجاج ، ويستكن اللجاج ، وتهدأ الجائشة ، وتسكن الطائشة ، وتعود المياه الى مجاريها ويعرف راكدها من جاريها ، فهنا لك

ضع اللين موضع الحزم ، وامزج الرأفة بالعزم وشد الوثاق ، على أهل النفاق ، واحذر السفهاء ، فإنهم أهل البلاء ، وهم بؤرة الفساد ، ومثار الشقاق والعناد ، وأغدق الفضل على المخلصين ، واياك والمتصنعين ، الذين ان اكرمتهم عزوك وان منعتهم لمزوك ، واصطف أهل بلدك ، واكرمهم برفدك » .

لقد وضع الكاتب في هذه المقامة خطة محكمة لمعالجة الشغب الذي قد ينشب في بلد من البلاد ، وتتلخص الخطة في الأمور الآتية :

أولا : إذا كان الحاكم مخطئا فليرجع عن خطئه ، وليصلح نفسه ، تهدأ الأمور وتصلح الرعية .

ثانيا : إذا كان المقصود احداث الفتنة فتتبع الخطوات الآتية :

(أ) تعرف الأسباب وتبين الدوافع .

(ب) ان كان الدافع طلب حق من حقوقهم ، فالواجب اعطاؤه الحق المطلوب أولا .

(ج) ان كان الدافع الفتنة والتمرد ، فالواجب أخذ أصحاب الفتنة بالشدة والقسوة حتى يستقيم الاعوجاج ، ويهدأ اللجاج .

(د) بعد ذلك يوضع اللين موضع الحزم ، وتمزج الرأفة بالحزم .

(هـ) يتخذ الموقف الحازم من المنافقين ، والسفهاء ، والمتصنعين .

(و) الاستعانة بأهل البلد ، والاغداق عليهم في العطاء .

(ز) الحذر من ضعاف الضمائر ، البعيدين عن طاعة الله ، الغارقين في اللهو .

(ح) الاعتماد على الصالحين ، المتعلقين بأهداب الدين ، لأن همهم الأكبر ارضاء الله وطاعته ، والاخلاص في خدمة الحاكم مادام مخلصا لله .

ثم انتقل الى قصة أخرى : قصة أبنة كسرى التي رباها والدها على طعام المخ والزبد ، والفاكهة والشهد ، وعلى لباس الحرير ، وعلى الاعزاز والحفاوة وسعة الصدر ، ولكنها غدرت به ، وقادت الى مخدعه عدوه ليقتله ويأخذ الملك من بعده ، ولما استقر الملك في العدو ، قال في نفسه « ان من غدرت بأب كذلك الفحل ، لحرية ان تغدر

بالجاروالبعل » وأمر وزيره أن يحملها في سفينة ويرميها في البحر خوفا من غدرها ، ولم يسمع نصح وزيره بالانتظار عليها حتى تضع حملها الذي قد يكون ولدا يصبح وليا للعهد ، فخبأ الوزير الأم في مكان أمين ، وربى ولدها تربية أبناء الملوك ، ولما مرض الملك وأحس دنو أجله ، ندم على قتل الجارية وولدها ولكنه فرح فرحا شديدا عندما أعلمه الوزير أن ابنه حي يرزق ، وأن أمه ربته فأحسنت تربيته .

فسر الحاكم من حديث الشيخ ، وأراد أن يكرمه بالهدايا فرفض واقترح أن تقسم هديته بين الفقراء المجتمعين حول دار الحاكم ، وقال انه لا يأخذ ثمنا لموعظته .

والذي يبدو أن ابا الخيل قد قص هذه القصة (قصة ابنة كسرى) ليدل على نوع الرجال الذين ينبغي للحاكم أن يستعين بهم ، وان يبين ما لهؤلاء الرجال من فضل على الحكم واستقراره واستمراره ، بعكس ما يكون الحال حين يلتف حول الحاكم المتملقون والمتسلقون ، والطفيليون الذين لا يبتغون الا مصالحهم الخاصة .

السـمائلية

وفي المقامة السمائلية يلتقي الراوية : أبو الصلت الشاري بن قحطان ولأول مرة ، ببطل جديد هو ابن الأخ الأدنى للبطل الشيخ : فراهيد بن هود (أبو الخليل) .

التقاه الراوية حينما كان يمشي في واد جميل يشبه شعب بوان ، « ذي رند وريحان ، وأفانين وأغصان ، وأطيار وغزلان ، فمن ألوف ، ومن نافر ، ومن واقع ومن طائر ، ومن وارد ومن صادر ، شجره كثيف ، وروحه لطيف ونسيمه عليل ، وعذبه يشفي العليل ، له جداول كعين عذارى ، وحور كقامات العذارى » .

فأعجبه غرته ، وسرته طرته ، وبشرت بالخير طلعته ، فتقدم اليه مسلما ، وسأله عن اسم الوادي وعن نسبه وحسبه ، فأجابه الغلام بهذه الأبيات :

أنـا من يرجـى لفضـل عميـم وخطـب عظيـم وهـول جسـيم
أنـا من اذا قال بز المقال ومن قال في كل أمـر عظيـم

ثم أخذ يفتخر بأبيه ، وعمه فراهيد بن هود ، وأمه الكريمة الجميلة العفيفة الأبية ،

فأعجب الراوية بفصاحته ، واستملح صباحته ، وأخذ يسأله عن : خير الرجال وشرهم ، وخير النساء وشرهن ، فأجابه عن اسئلته بالتفصيل قال الغلام : « أما خير الرجال ، فالسيد الجواد ، القليل الأنداد ، الماجد الأجداد ، الراسي الأوتاد ، الرفيع العماد ، العظيم الرماد » .

وأما شر الرجال « فالبرم اللئيم ، المستجدي الخصيم ، المبطان النهيم ، العمي البكيم ، النموم الكذوب » .

وخير النساء : « الحواء اللعساء ، الهركولة اللفاء ، الممكورة الجيداء ، الخرود الغيداء ، اللعوب السمراء » .

وأما شر النساء : « فالفتانة الكذوب ، الظاهرة العيوب ، الطوافة الهبوب ، العابسة القطوب ، السبابة الوثوب » .

وخير الخيل : « الجواد الأنيق ، الحصان العتيق ، الكميت العريق ، الشديد الوثيق ، الذي يفوت اذا هرب ، ويلحق اذا طلب » .

وشر الخيل : « الجموح الطموح ، البكول الأنوح ، الصئول الضعيف ، الملول العنيف » .

وخير السيوف : « الصقيل الحسام ، الباتر المجذام ، الماضي السطام ، المرهف الصمصام » .

وشرها : « القطار الكهام ، الكثير الكلام ، الذي ان ضرب لم يقطع ، واذا ضرب لم ينجع » .

وخير الرماح : « المارن المثقف ، المقوم المخطف ، الذي ان هززته لم ينعطف واذا طعنت به لم ينقصف » .

وشرها الاعصل عند الطعان ، المثلم السنان .

ولم يكتف الغلام بالاجابة عن الاسئلة التي وجهت اليه ، بل أضاف اليها من عنده وصفه لخير عيش يرتضيه لنفسه ويتمناه ، وختم هذا الوصف بقوله :

« وأحربه أن يكون في طاعة من لا تدركه العيون ، الذي يقول للشيء كن فيكون » .

وهنا أشاد أبو الصلت بفصاحة هذا الغلام وبلاغته ، فقال له وقد بهرته موهبته ، وبـزته معرفته ، « لقد أجدت فنون النثر ، وبرعت في اختراع المعنى البكر ، فهل تنظم الشعر أم ترويه » ؟

« قال : بل لعمي أرويه » .

فدعاه أن يسمعه من شعر عمه ، فانبرى عن دون تريث ، وأخذ ينشد قصيدة طويلة عن قصة حب بين صبي وصبية ، تملكهما الحب ، فاستولى على قلبيهما ، واطاع الفقيه على هذا الحب ، فلم يستطع أن يقف في وجهه لأنه مر بتجربة كهذه من قبل ، ولما اطلع عليه الوالد ، والد الفتاة باركه ووضعه في المجرى الذي يرضي الله والدين ، فزوج الشابين على سنة الله ورسوله ، ومما قاله في هذا هذه الأبيات :

ورده نحوها باللطف مبتسما يقول حسبك ما بالعظم ايمانا
فخبأته لكيما تستريح الى تكرار ما فيه آنا يقتفي آنا
لكن رآه أبوها وهي تقرؤه والدمع يحفر في الخدين غدرانا
وكان يلحظها من حيث لم تره حتى إذا خبأته وانتحت شأنا
أتاه سرافما ان كان يقرؤه حتى تبين ما عنه الغطا بانا
فقال ويح الهوى ان تجنياه على حكم الحنيفة أولى منه خلانا
فصاغ بيتين أبدى رأيه بهما كانا لذاك الهوى العذري ايوانا
« لا فرق الله جمعا كان بينكما وظل واشيكما حيران تعبنا »
أما الفقيه فلا والله ما نظرت عيناي أفسق منه قط انسانا
وقال قم با فتى خذها مباركة في ذمة الله واط السعد أحضانا
وهاك آصرة التزويج قائمة على الشريعة ان الشرع ربانا
فكان من نقطة الآمال منطلق المآل عشّا بناه الدين بنيانا
عشا على شجرات الأنس تحفظه عناية الله اركانا وحيطانا

وانتهت المقامة بانصراف الفتى مودعا بدعوات الراوية ، وسلامه الى والد الغلام وأمه .

ويعـود البـطل : فراهيد بن هود في المقـامة السمدية مرة أخرى ، فيلتقي الراوية أبا الصلت الشاري بن قحطان في سمد للشان ، في وقت « كان نسر الليل كأنما يتحفز للطيران ، والافق كأنما يستقبل مروة الجان ، والسماء كأنما ترمي الأرض بالشهب ، وكأنما الأرض قد كشرت عن ناب الغضب ، فاضطربت بالامواج بحارها ، وكادت تنفرج عن الشر أقطارها » .

وقد ملأ الخوف قلب الراوية ، فأخذ يذكر الله ، ويطلب رحمته ، ويعاتب نفسه على الفرص التي مرت به ولم ينتهزها .

في مثـل هذا الـوقت المخيف المفـزع التقيا ، فتعارفا بعد أن كادا يقتتلان وجلسا يتناجيان ، وقد صفت السماء ، وانقطع المطر ، وأخذ فراهيد بن هود يتحدث عن طبيعة البشر ، ومـما قالـه : « ولكن في الناس من يضرى في الظلام ويختلس فرصة الوثوب من المودة ، ويتخذ من مناورة الحديث عدة ، اذا حاف تواضع واعتذر ، واذا أمن لبس جلد النمر ، والعاقل من اذا أمن حذر ، وإذا خاف لم يستتر » .

وصف رجـل خبـير بطبائع النفوس ، المؤمن بالقضاء والقدر « وان المخلوق رهين القضاء ، وهدف البلاء ، وأسير العناء ، لا يجلب لنفسه خيرا ، ولا يدفع عنها ضيرا ، الا بقدر مقدور ، وأمر مأمور » .

وهو أيضا يجيد التخميس ، والحوار الأنيس : اقرأ قوله :

قالت أتحيا حاملا كلهم ... وما أدراك ذاغنى مثلهم
قلت فويحى ان أرم فعلهم ... « قالت فهل عندك شيء لهم »
قلت نعم جهدا الفتى المعدم .

ويجيد نظم المدائح النبوية :

ذاك خير الورى محمد من لو ... لاه ما أصبح السلام سلاما
جمع الناس في صعيد من النو ... ر وقال امتطوا السلام سناما
فإذا ما تعذر السلم عنكم ... فاجعلوا الحرب عدة لن تضاما
واثبتوا في اللقا صفا رصينا ... رصة العلم فاستوى اقداما

وهو بارع في الوصف ، ولعل الطبيعة الجميلة قد أوحت اليه بهذا الوصف الدقيق المعبر ، اقرأ قوله يصف سمائل :

هذه سمائل لانتظار قدومكم تزهو وتصبح كل يوم تزهر
كالروض باكره الحيا فأقامه تعرد نرجسه عيون تنتظر
والآس من تحت النسيم كأنه قد يقدمه الهوى ويؤخر
والياسمين على البنفسج طافح والورد يفتحه الغمام وينشر

وبالرغم من ذيوع شهرته ، وبراعته وهمته ، وفصاحته في شعره ونثره ، الا انه متواضع جم التواضع ، يسأل الله « الذي لا اله إلا هو ، أن يختم لي ولك بالسعادة ، وان يزكيها بالشهادة ، في معركة تفصل بين الحق والضلال ، ينتصر فيها حزب الله على حزب الضلال ، مقبلين فيها غير مدبرين ، راغبين اليها غير مجبرين » .

انطباعات عامة حول مقامات الخليلي

جاءت مقامات (الخليلي) الست في ثلاث وتسعين صفحة من القطع المتوسط مكتوبة بخط مقروء بشكل عام .

التزم المؤلف في بناء المقامات براوية لجميع المقامات الست . وببطل في خمس منها وظهر ابن أخيه في المقامة الخامسة (السمائلية) ، ليعرفنا بشعر عمه في كثير من فنونه ، ولينوب عنه في سرد قصة حبه وهو صغير وزواجه من فتاته وهي صغيرة .

كما أن بيئة هذه المقامات واحدة هي عمان في الخليج والجزيرة العربية وأسماءها تدور في أشعر المعالم العمانية من مثل المقامة النزوية ، المقامة الجعلانية ، المقامة السمائلية ، المقامة السمدية .

أما المقامات الاخرى من مثل : التساؤلية ، والمقامة اللغوية فمأخوذة من مضمون المقامتين ، اذ دارت المقامة التساؤلية حول عدد من التساؤلات طرحتها سيدة على البطل ، ودارت المقامة اللغوية حول ألفاظ لغوية (العجوز ـ الخال ـ العين) لها أكثر من معنى ، ويختلف معنى كل منها باختلاف الاستعمال .

التزم المؤلف السجع في المقامات جميعها ، والغالب في سجعه كونه بين عبارتين

اثنتين ، وقد يمتد الى ثلاثة عبارات أو أربع . . من مثل : « ألا تدنون فتسلمون ، أم اللطأة بكم كادت تخون ، أم أنتم قوم مرهبون » .

وقوله : « فانساب انسياب المعين ، وقال أنا عقال المئين ، وعاقلتي معقل العز والدين ، لا تنبت الا كراما صالحين ، وكماة مدججين » .

وقد يكون السجع مركبا كما في قوله : « وخلعت عنها ثوب الشباب القشيب ولابد لها أن تخلعه ، ووضعت على رأسها مغفر الشيب الرهيب ، ولابد لها أن تضعه » .

برز الجانب القصصي في مقاماته واضحا ، فقد اشتملت المقامات الست على الحدث والشخصيات والمضمون ، أما الحبكة الفنية فقد جاءت بسيطة في المقامات الاربعة : النزوية والجعلانية ، والسمائلية ، السمدية . فالراوي ينتقل من مكان الى آخر يلتقي البطل في وضع من الاوضاع ـ يستمع اليه ـ يعجب به ـ ثم يفترقان .

وجاءت ـ أي الحبكة الفنية ـ بسيطة مفككة في المقامتين (التساؤلية واللغوية) لاهتمام المؤلف بعرض فكره ورأيه في احدى عشرة مسألة من المسائل المتصلة بالدين وبالسلوك الاجتماعي الاسلامي في المقامة (التساؤلية) .

ولم تختلف عنهما الا في المطلع ، حيث تجنب الشاعر المقدمة الغزلية التي ابتدأ بها كل من الشاعرين قصيدته ، وافتتحها بالوصف . فوصف الحل والحرم والكون كله وقد غمره النور عند بعثته صلى الله عليه وسلم .

وبمراجعتنا لما سبق نجد أن المؤلف قد اعتنى عناية فائقة باستخدام الألفاظ والصنعة البلاغية ، ليحفظ للمقامة جلالها كما نراه قد استخدم الى جانب ذلك خاصية أخرى في الأدب المقامي وهي : ممازجة الشعر بالنثر وقد ظهر ذلك واضحا في المقامة السادسة (السمدية) أما بقية المقامات فكان يوردها نثرا ثم يختتمها بالشعر .

استقى المؤلف بيئة مقاماته من عمان كما أسلفنا من قبل وقد وصفها أجمل وصف وأبلغه ، وهو في وصفه للمكان والزمان طويل النفس ، غزير العبارة ، يستقصي ما يصفه ، لا يترك شاردة ولا واردة الا أتى بها ، اقرأ قوله يصف العاصفة :

« وكـأن نسر الليل يتحفز للطيران ، والافق كأنما يستقبل مردة الجان والسماء كأنما ترمي الأرض بالشهب ، وكأنما الأرض قد كشرت عن ناب الغضب فاضطربت بالامواج بحـارهـا ، وكادت تنفرج عن الشر أقطارها فتسمع للفضاء غمغمة ، وللرياح همهمة ، وللبرق خطف مذهل ، وللرعد صوت يجلجل ، والافق مطير ، والطقس قمطرير ، وللقفر زئير ، وللمانوية هرير ، والنفوس مشفقة ، والقلوب مفلقة ، والرؤوس مطرقة ، والجمادات مصعقة ، والاوابد من حولها موبقة فايجاس وايجاف ، واوجال وارجاف ، والشهب تتهاوى والزوابع تتعاوى ، فأي قلب لا ينخلع ، وأي صوت لا ينقطع ، وأي عزم لا ينقشع ، وأي صراخ لا يرتفع ، وأي صرح لا ينصدع ، وكان لساني نديا بذكر الله ، وجافا من مخافة الله » .

وهذه القطعة مثال واضح أيضا على سعة خياله ، وبراعة تصويره واستخدامه الصور البلاغية من استعارات وتشبيهات ، كما تمتاز القطعة بأنها رسمت لوحة كلية معبرة حية ، هذا الى جانب مراعاته حسن التقسيم والتعبير باللفظ الواحد عن أكثر من معنى فقد ذكر للفظ (العجوز) ٧٤ معنى هي كما يلي :

١) العجـوز : الابـرة ، ٢) العجوز : الأرض ، ٣) العجوز : الأرنب ، تنجحر تدخل في جحرها ، ٤) العجوز : الأسد ، ٥) العجوز : البئر ، ٦) العجوز : الألف من نقـد وغـيره ، ٧) العجـوز : البحـر ، ٨) العجـوز : البـطل ، ٩) العجـوز : البقرة ، ١٠) العجـوز : الـترس ، ١١) العجـوز : التـاجـر ، ١٢) العجـوز : التـوبـة ، ١٣) العجوز : الثور ، ١٤) العجوز : الكلب ، ١٥) العجوز : الجعبة (كنانة تحفظ فيها السهـام والنبـال) ، ١٦) العجـوز : الجفنة ، ١٧) العجوز : الجوع ، ١٨) العجوز : الجـائـع ، ١٩) العجوز : الحرب ، ٢٠) العجوز : الحربة ، ٢١) العجوز : الحمى ، ٢٢) العجـوز : الخـلافـة ، ٢٣) العجـوز : الخمـرة ، ٢٤) العجـوز : الخيمـة ، ٢٥) العجوز : دار الشمس ، ٢٦) العجوز : الداهية ، ٢٧) العجوز : المرأة شابة كانت أم شيخة ، ٢٨) العجوز : درع المرأة ، ٢٩) العجوز : الدنيا ، ٣٠) العجوز : الراية ، ٣١) العجـوز : الـرخم . مفـردهـا رخمـة وهي طائـر أبقـع يشبـه النسر في الخلقـة ، ٣٢) العجـوز : الـرعشـة ، ٣٣) العجـوز : الـرَّمَكَـة بفتحتـين : الأنثى من الـبراذين والـبرذون : البغـل . وجمعهـا رمـاك وأرمـاك ورمكات مثل ثمار وأثمار ، ٣٤) العجوز :

السفينة ، ٣٥) العجوز : السماء ، ٣٦) العجوز : السموم ، ٣٧) العجوز : السمن ، ٣٨) العجوز : السفه ، ٣٩) العجوز : شجرة معروف . والمعنى أنك ترعى فيه سوائمك فتسمن (السوائم : الماشية والابل) ، ٤٠) العجوز : القرية ، ٤١) العجوز : الذئب ، ٤٢) العجوز : الذئبة ، ٤٣) العجوز : رملة معروفة ، ٤٤) العجوز : الشمس ، ٤٥) العجوز : الشيخ ، ٤٦) العجوز : الشيخة ، ٤٧) العجوز : ضرب من الطيب ، ٤٨) العجوز : الضبع ، ٤٩) العجوز : الطريق ، ٥٠) العجوز : العاجز ، ٥١) العجوز : العافية ، ٥٢) العجوز : الفرس ، ٥٣) العجوز : الصحيفة ، ٥٤) العجوز : الصومعة ، ٥٥) العجوز : العقرب ، ٥٦) العجوز : عانة الوحش والمراد به الدبر من حمر الوحش ، ٥٧) العجوز : الفضة ، ٥٨) العجوز : القبلة ، ٥٩) العجوز : القدر ، ٦٠) العجوز : القوس ، ٦١) العجوز : الكتيبة ، ٦٢) العجوز : الكعبة ، ٦٣) العجوز : القيامة ، ٦٤) العجوز : جهنم ، ٦٥) العجوز : المسافر ، ٦٦) العجوز : مسمار في قبضة السيف ، ٦٧) العجوز : الملك ، ٦٨) العجوز : نصل السيف ، ٦٩) العجوز : النار ، ٧٠) العجوز : الناقة ، ٧١) العجوز : النخلة ، ٧٢) العجوز : الولاية ، ٧٣) العجوز : اليد اليمنى ، ٧٤) العجوز : المسك .

وذكر لكلمة (العين) المعاني الآتية :

١) العين : معروفة (الباصرة) ، ٢) العين : الاصابة بالعين ، ٣) العين : الاصابة في العين ، ٤) العين : حاسة البصر ، ٥) العين : الجاسوس ، ٦) العين : أهل الدار ، ٧) العين : أهل البلد ، ٨) العين : مدينة معروفة في دولة الامارات وقد يأتي على هذا الاسم عدة بلدات بعمان ، ٩) العين : الانسان ، ١٠) العين : واد لهذيل ، ١١) العين : جريان الماء ، ١٢) العين : الجماعة من الناس ، ١٣) العين : الحاضر من كل شيء ، ١٤) العين : العتيد من المال ، ١٥) العين : حرف الهجاء المعروف ، ١٦) العين : كبير القوم ، ١٧) العين : الدينار ، ١٨) العين : الذهب ، ١٩) العين : الشمس ، ٢٠) العين : جهة القبلة ، ٢١) العين : العيب ، ٢٢) العين : المال ، ٢٣) العين : مطر أيام لا يقلع ، ٢٤) العين : ينبوع الماء ، ٢٥) العين : مصب ماء القناة ، ٢٦) العين : الميل في الميزان ، ٢٧) العين : الربا ، ٢٨) العين : منظر الرجل ،

٢٩) العين : الناحية ، ٣٠) العين : الكبير أي نأخذ كبير القوم منهم بالكبير منا ، ٣١) العين : نفس الشيء الجزاء من جنس العمل ولا جور ولا ضلالة ، ٣٢) العين : الطليعة ، ٣٣) العين : حدة النظر ، ٣٤) العين : الرائد ، ٣٥) العين : طائر ويكنى به عن ذوات المخلب المفترسة ، ٣٦) العين : الجلدة التي يقذفها البندق من القوس وهي كناية عن الحرب لأنها من لوازمها ، ٣٧) العين : دوائر رقيقة على الجلد وفي ذلك دليل على دقة الاصابة ، ٣٨) العين : نقرة الركبة ، ٣٩) العين : مفجر الماء من الركبة (وهي البئر) ، ٤٠) العين : بلد معروف ، ٤١) العين : صفة للقافية وجاء بالصفة وحذف الموصوف ، ٤٢) العين : واحد الاخوة من أب وأم وجمعها أعيان وهذه الأخوة تسمى المعاينة ، ٤٣) العين : قافية العين ، ٤٤) العين : النظر ، ٤٥) العين : أهل البلد ، ٤٦) العين : الغيب ، ٤٧) عبد عين : مطيع أي كالعبد مادمت تراه ، ٤٨) عمد عين : اي بجد ويقين ، ٤٩) عرض عين : عن قرب . أي قريب ، ٥٠) رأس عين أو رأس العين : بلدة بين حران ونصيبين والنسبة اليه رسعني

ومما يدل على براعته ، وطول باعه في استخدام الألفاظ ما أورده لكلمة (الخال) من معانٍ .

١) الخال : قافية الخال ، ٢) الخال : شامة في الوجه ممدوحة ، ٣) الخال : الملازم للشيء ، ٤) الخال : صاحب الفرس ، ٥) الخال : الثوب الناعم ، ٦) الخال : الفحل الأسود من الابل ، ٧) الخال : بـ يمني ، ٨) الخال : البريء من التهمة ، ٩) الخال : ثوب يستر به الميت ، ١٠) الخال : أخو الأم ، ١١) الخال : اللواء يعقد للأمير ، ١٢) الخال : الرجل السمح ، ١٣) الخال : السحاب ، ١٤) الخال : البرق ، ١٥) الخال : البعير الضخم ، ١٦) الخال : الأكمة ، ١٧) الخال : اللجام ، ١٨) الخال : ما توسمت من خير ، ١٩) الخال : برد معروف ، ٢٠) خال مال ازاءه : أي قائم عليه ، ٢١) الخال : الكبر ، ٢٢) الخالَ : مصدر خال والمعنى كن لهم كما يخالون فيك من خير ، ٢٣) الخال : المتكبر ، ٢٤) الخال : الموضع الخالي ، ٢٥) الخال : الظن والتوهم ، ٢٦) الخال : الخلافة ، ٢٧) الخال : الحسن المخيلة بما يتخيل له ، ٢٨) الخال : صاحب

الشيء ، ٢٩) الخال : الفارغ من علاقة الحب ، ٣٠) الخال : الضلع في الدابة ، ٣١) الخال : الرجل الضعيف القلب والجسم ، ٣٢) الخال : المطر ، ٣٣) الخال : الحسن القيام على المال ، ٣٤) الخال : الجبل الضخم ، ٣٥) الخال : نبت معروف له نور .

مقارنة بين مقامات الخليلي وبديع الزمان والحريري

عندما نعقد موازنة بسيطة بين مقامات : بديع الزمان الهمذاني والحريري ومقامات الخليلي نلاحظ مجموعة من الملاحظات الآتية :

أولا : بلغت مقامات بديع الزمان الهمذاني احدى وخمسين مقامة وبلغت مقامات الحريري خمسين أما مقامات الخليلي فست فقط .

ثانيا : تناولت المقامات الهمذانية موضوعات متعددة حرص مؤلفها على أن تكون صورة كاملة لواقع المجتمع العباسي الذي عاش فيه ، فقد عرى في ذلك المجتمع أساليب الخور والضعف ، وأبان ما اعتراه من زيف ونفاق في سبيل كسب لقمة العيش ، ليصب بعد ذلك ثورته على هذا النظام .

وقد سار الحريري في مقاماته على غرار مقامات بديع الزمان من ناحية كشف العيوب الاجتماعية ، ومعالجة المسائل الفكرية واللغوية ، وقد شاركهما في ذلك (الخليلي) فمقامات الخليلي أيضا تعالج العيوب الاجتماعية ، وتعالج المسائل الفكرية واللغوية مع مراعاة أن لكل عصر قضاياه وعيوبه .

ثالثا : التزم بديع الزمان والحريري والخليلي بشخصيتي الراوية والبطل . فالراوية عند بديع الزمان هو (عيسى بن هشام) أما البطل فهو (أبوالفتح الاسكندري) أما الراوية عند الحريري فهو (الحرث بن همام) والبطل هو (الشيخ السروجي) وراوية بطل مقامات الخليلي هو : أبو الصلت الشاري بن قحطان والبطل هو الشيخ فراهيد بن هود (أبو الخليل) .

وهو بطل يختلف عن أبطال المقامات عند بديع الزمان والحريري فهو ، وقور ، متزن ، شديد التدين ، حريص على اقامة الصلاة في أوقاتها ، يعظ من يحيطون به ، ويذكرهم بالواجب الملقى على عاتقهم في الدنيا ، وبما ينتظرهم في الآخرة ، عف اللسان ، طاهر اليد ، غني النفس ، لا يأخذ لموعظته ثمنا ، لا يلتمس الكدية والاستجداء بفصاحته وبلاغته كما كان يفعل البطل عند بديع الزمان والحريري ، ولا يتهتك كما يتهتكان ، ولا يحتال أو يعتدي كما كانا يفعلان ، ولا يلجأ الى الهزل أو المزاح أو نصب المقالب .

والراوية عند الخليلي مطيته تختلف عن مطية (عيسى بن هشام) و (الحرث بن همام) فهو يركب سيارة فخمة المظهر ، أنيقة المنظر ، متينة المخبر ، ان ركبها قرت ، وان وطئها فرت .

رابعا : الهدف التعليمي يظهر بوضوح في كثير من المقامات الهمذانية لاسيما تلك المقامات التي يتناول فيها بديع الزمان مسائل الأدب والنقد كالمقامة القريضية والمقامة الجاحظية .

وكذلك فعل الحريري فقد خص النحو بمقامة واحدة هي المقامة الرابعة والعشرون (القطيعية) أما الفقه فقد أفرد له مقامتين هما المقامة الخامسة عشرة المسماة (بالفرضية) تحدث فيها عن علم الميراث ، ثم المقامة الثانية والثلاثون التي سماها (الطيبية) وقد ضمنها مائة مسألة فقهية وأجوبتها مفسرا في أثنائها الكلمات الغريبة .

وتابعهما في ذلك الخليلي فأفرد مقامته (اللغوية) لتعلم المعاني الكثيرة المختلفة للفظ الواحد مثل (معاني : العجوز والعين والخال) .

وأفرد للمسائل الفقهية والعقدية والفكرية مقالته (التساؤلية) .

خامسا : يتفق العلماء الثلاثة (أصحاب المقامات) في الوعظ ، « فقد عرض بديع الزمان (ابا الفتح الاسكندري) واعظا في مقامتين ، وعرض الحريري (أبا زيد السروجي) واعظا في عشر مقامات » ، أما الخليلي فقد عرض بطله واعظا في مقاماته الخمس .

والسبب كما هو واضح : أن الناس كلما وقعت بهم واقعة ، أو ألمت بهم نازلة يولون وجوههم نحو الدين يرجون من ربهم أن يخرجهم من الظلمات الى النور ، من ظلمات أنفسهم ، وظلمات ولاتهم ، وفساد ملكهم وحكمهم وأن يعينهم في حربهم ضد أعداء الاسلام .

وكثيرا ما تؤثر هذه العظات في الناس وخاصة في مثل هذه الظروف التي أشرنا اليها .

سادسا : وضع الحريري مقامته على أسلوب البديع في مقامته من حيث الحوار المحدود بين الراوي والبطل ، وقد وافقهما الخليلي في بعض مقاماته ، وخالفهما في بعض المقامات فالراوي في المقامة النزوية كان مستمعا ، وكذلك في المقامة التساؤلية ، ولم يشاركه الحوار الا في المقامة اللغوية .

كما التزم السجع في أسلوبه ، واستخدم الصور البيانية والمحسنات البديعية متجنبا الألغاز والتورية وغريب الألفاظ فمثل هذه الأساليب لم تعد تلائم طبيعة العصر وايقاع الحياة .

في المخطوطة جهد لا ينكر من حيث جمال العبارة وصحة الصياغة ووضوح الخط وحسن التأليف الا انه عند التدقيق قد لاحظنا ما يأتي :

(أ) الأخطاء النحوية التي وردت بالمخطوطة قليلة جدا وقد تم تصويبها ففي الصفحة ٢٤ (ويجفوك) والصواب (يجفك) وفي صفحة ٢٥ (متراضيين) والصواب (متراضيان) وفي الصفحة ٢٦ (يكاد) والصواب (يكد) ـ جواب الشرط الجازم .

(ب) ومن الاخطاء الاملائية ما جاء في صفحة ٣٦ (أنجرأ) والصواب (أنجرؤ) وفي صفحة ٤٣ (أغلا) والصواب (أغلى) .

(ج) مفردات صعبة ذكرها المؤلف ولم يبين معناها وقد تم تدارك ذلك :

ففي الصفحة (١٠) وردت الكلمات الآتية : تهذ الأبيات : تسرد بسرعة ، تقلد : تقطع ، الزمام : المقود ، المزهر : آلة موسيقية ، الدنان : جمع دن ، سطا : بطش ـ سطوة السنان حد السنان ، السطا : لعله أراد السطوة القوة والبطش ، ولم ترد في المعاجم لفظة

سطا اسما ، حقاق : جمع حق وهو رأس الورك ، أو وعاء الطيب والأرض المستديرة ، ويشبه به الثدي المستديرة .

الصفحة (١١) الرهام : جمع رهمة ، المطر الخفيف الدائم . الجذيل المحنك : الذي يلجأ اليه ويستغنى برأيه ، الأساود : جمع أسود وهو نوع من الحيات العظيمة سوداء اللون ، الجنان : القلب ، الشآبيب : جمع شؤبوب ، الدفعة من المطر .

الصفحة (١٢) النائرة ؛ الفتنة ، ثائرته : ثورته ، صفحة (١٣) المحجوز : الممنوع .

الصفحة (١٤) الشكوة : وعاء من الجلد للماء أو اللبن .

صفحة (١٩) الخرد : جمع خريدة : بكر لم تمس ، العين جمع عيناء واسعة العين ، أرواد : تمهل من أرود في مشيه : تمهل .

الصفحة (٢٠) الفرسية : لعلها الفروسية ، الحباء : حبا ما حوله : منعه ، حباه عن كذا : منعه عنه فالحباء هنا : قد تكون الامتناع عن الاساءة للجار أو العطاء والكرم .

الصفحة (٢١) هيت به : صاح به ودعاه ، الهيت : الغامض القعر من الأرض ، الصفحة (٢٧) الوتيرة : الانتقام أو الظلم فيه ، وطس : وطس يطس الرجل : ضربه ضربا شديدا والشيء : كسره ودقه .

الصفحة (٢٨) الايجاس : الخوف .

الصفحة (٣٣) عين الأولى : الحاضر من كل شيء ، عين الثانية : أداة الابصار ، أرعدت فرائصي أغضبتني ، الفرائص جمع فريصة وهي لحمة بين الجنب والكتف ، أو بين الثدي والكتف ترعد عند الفزع .

الصفحة (٤١) الرجام : واحدها رجمة : ما يبنى على البئر فتجعل عليه . الخشبة للدلو ، أو حجر ما يشبهه يربط بخيط ويلقى في الماء ليعلم عمقه وحديث مرجم : لا يوقف على حقيقته .

الصفحة (٤٣) صبّى : تلا السابق من الخيل ، صام عن الكلام ، سكت عنه .

الصفحة (٤٤) يمنة وشامة : صوب اليمن والشام .

الصفحة (٤٥) سمائل : مدينة بعمان منها مازن الصحابي الذي وفد الى الرسول الكريم ﷺ ، الكوكبة : الجماعة ، الشكة : بضم المعجمة : الشقة أي : البعد ، الشكة بكسر المثلثة : السلاح ؛ الربض : بفتح الباء : الامعاء ، زرد اللقمة : ابتعلها الردغة محركة : الماء والطين ، اللثغة : مالازق أصول الأسنان من الشفة . البلهور : بفتح الباء : المكان الواسع ، الكنهور : السحاب الكثيف ، قطع منه أمثال الجبال أو الابيض العظيم منه الواحد كنهورة ، السماء : المطر ، زلق كفرح زل ، زأف : كمنع : أعجل ، زأزأ : أسرع الظلِم : ذكر النعام ، الوطث : الوطء الشديد ، التنائف : جمع تنوفة : الصحراء البعيدة ؛ المجارف : من لايكسب خيرا ، السلطاط : حرف الجبل أو جانبه (ولم نعثر عليه في المعاجم) ، القائد : الجبل ، الجارف : الوادي عند سيلانه ، مقاد المهر : ما كان عن يمينك ، الربض : المأوى مرابض الابل ، الفتل : المكان الملتف شجره ، العصر : العشي ، الجرائد : جمع جريدة وهي سعف النخل ، العصائد : الظلام الملتف ، الآجر بناء : النوم بلا وسادة ، الفيهر : الفرس ، المربأ : مكان المراقبة لعلوه وارتفاعه ، نهد اليه : نهض ، نهزه . القدر ؛ المكانة ، نبلو : نختبر ، البزة : الهيئة ، القرفصاء : الجلوس على أليتيه يجمع فخذيه على بطنه ويحتبي بيديه ، أصت له : ناديته ، الخاطف : الشهاب ، الصليد : شديد البريق ، المهيب : من أهاب به اذا ناداه ، اللطأة : الأرض ، مرهبون : من أرهبه إذا أخافه ، مزجر الكلب : حيث يربض الكلب ان زجره ، المضبب : من لحاش الضب ليخرجه من جحره ، النوى : لب التمر جمع نواة ، الطوى : الجوع ، الصول : من صال عليه اذا شاده ، جأل نحوه : ذهب نحوه ، الحجر : العقل ، تحلقنا حوله : بجانبه ، الجول : القول ، النيطل : الرجل الشديد ، والنطلاء : الداهية ، المجلجل : السيد القوي ، جلجلة : شدة الصوت ، زجلاء : سريعة والمراد أنك سيد قوي ذو صوت رفيع يسرع الى اللغة ليبلغ أقصاها ببلاغته ، العقل : ما تلزمه ، عقال المئين : الكريم الذي يفتدى بالمئين من الابل لعظمته ومكانته ، عاقلة الانسان : عصبته وأقاربه ، المعقل : الحصن ، الضاد : اللغة العربية وسميت ذلك لأنه لا يوجد حرف الضاد الا في اللسان العربي ، هيد : من لايقال له هيد ولا هاد : الذي لا يراجع فيما اجلالا واعظاما قال ابن هرمة : ثم استقامت له الأعناق طائعة ، فما يقال له : هيد ولا هاد وفي رواية « حتى استقامت له الآفاق طائعة » ، العجوز : معروف للذكر والانثى ، الصنجف : اليابس هزالا ، الزمن : الذي أتى عليه الدهر ، الشنحف :

الطويل ، النظر الشزر : أن يرى المرء بمؤخر عينه ، ارتكز : ثبت ، ارتجل الكلام : قاله دون أن يستعد له ، الرجز : قريب من الشعر ، البكر : واحدة الأبكار وهي الناقة الفتية من الإبل ، أكل الدهر روقي : أي أسن ، أي كبر وشاخ ، الكنثب مثل : جعفر : الصلب الشديد ، وقد ضبطها الشارح كما يلي : الكنثب مثل قنفذ بكاف فنون فثاء مثلثه كلها مضمومة فباء ، الصلب ، الشديد ، والمصمئل : من اصمأل بصاد فميم فألف مهموز اذا اشتد ، الطوق : القوة ، حيعل للصلاة : قال حيّ على الصلاة عند الأذان ، انفلت : انتهى من صلاته ، الدامس : المظلم ، القارس الشديد ، الرابية : المكان المرتفع ، أسبغ الوضوء : بالغ فيه ، حيعل للفلاح : كناية عن الأذان ، الواجبة : الصلاة المفروضة وهي صلاة الغداة ، الواجفة : المضطربة ، السمع : سبع يكون بين الذئب والضبع شديد العدو لا يلحق ، المشيح : الجاد ، السيب : الدفعة من المطر ، النزر : القليل ، الجزل : الكثير ، البرد : الماء القليل ، الوكل : الذي يكل أمره الى غيره ، حيدودة : مصدر حاد عن الشيء أي مال ، أجهش : رفع صوته بالبكاء ، النبرة : صيحة الفزع ، وادي بني خالد : واد غزير الماء في الشرق الجنوبي من عمان ، جعلان : منبسط فسيح أفيح خصيب ، في الاتجاه الشرقي الجنوبي من عمان أيضا ، طمث المرأة : افتضها ، وطمث المكان اكتشفه ، والمراد أنه سلك طرقا لم يسلكها أحد قبله ، التنوفة : المفازة وبعبارة أوضح الصحراء البعيدة وجمعها تنائف .

الوعر : ضد السهل ، حرة : أرض ذات حجارة سود نخرة ، الريود : جمع ريد وهو الحرف الثاني من الجبل ، الوافي والكامل : احدى ولايات السلطنة ، النضرة : النعمة والغنى ، والبشر : معروف ، والوئام : المحبة ، العنان : الفرس ، سمى بملازمه ، أخلد : اطمأن وسكن ، غص : امتلأ وضاق ، الوارد : من ورد الماء اذا أتاه ، الأديمة : الجلد ، وعثاء السفر : مشقته ، المنقر : منقار الطير وهو كناية عن حدة اللسان ، السمت : الهيئة ، الحاشية : الجانب ، ويقال للظريف ، رقيق الحاشية ، الغاشية : النار والقيامة وهو كناية عن الشدة ، العوراء : الكلمة المسقبحة ، الهجر : الكلام المستهجن ، ذللت : سخرت ، حداها : سقاها ، تقص : التهم وأكل ، البلغة : القليل من الطعام ، البذخ : الترف ، التاط به : التصق ، الومغة : الشعرة الطويلة ، علقه وعلق به : أحبه ، الأروع : من يعجبك بحسنه ، العشى : سوء البصر ليلا ويطلق مجازا ،

محنك : الذي يزن الأشياء ويعرف جيدها من رديئها ، شام الشيء : تطلع نحوه ببصره وهام أحب ، أزت القدر تئز أزا وأزيزا : اشتد غليانها ، الوكاء : ما يشتد به رأس القربة ، يترسل في قراءته يتئد ، ثمر : خف وتهيأ ، شبرا : اسم يضاف الى أسماء عديدة من قرى مصر ، مهيب : داع ، لم اصخ : لك استمع ، الصلف : الغلظة والشدة ، الخلال : جمع خلة : الخصلة ، شف الثوب يشف : رق فيحكى ما تحته ، اقترف : فعل ، خلفه : مخالفته ، الليالي البيض : في الشهور العربية هي ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، الشنف : القرط في أعلى الأذن ، الشفا : حرف كل شيء ، قبع القنفذ قبوعا : أدخل رأسه في جلده ، والرجل تخلف عن أصحابه ، رضخ : خضع واستكان ، رزح : سقط اعياء ، عافصت : صارعت ، سجال : مرة لهؤلاء وتارة لأولئك ، التيار : موج البحر الذي ينضح والتائه المتكبر ، انفصمت : انقطعت ، الأوتار : جمع وتر شرعة القوس ومعلقها ، أثخن في العدو : بالغ الجراحة فيهم ، جيشى لجب : ذو جلبة وصياح واضطراب ، الرعيل : القطعة من الخيل رعال وأراعيل ، المغالاة : مجاوزة الحد ، الرواء : ما يرتوى من الماء واللبن ، الضنك : الضيق ، السمت : الطريق وهيئة أهل الخير ، الطيش : الحمق والتكبر ، الضبح : الصوت كما الثعلب حين تصوت أنفاسه في صدر العدو ، أبلو : أختبر ، شمس الفرس شموسا : منع ظهره ، العنان : الفرس ، العنان : المعارضة ، اللأي : الشدة ، هفوته : زلته ، اللهازم : جمع لهزمه وللانسان لهزمتان وهما عظمتان ناتئتان تحت الأذنين ، تهدأ : تسكن ، الجائش والجأش : اذا اضطرب عند الفزع ، الطائشة : من الطيش وهو النزق والخفة ، لمزوك : عابوك ، رفدك : عطاؤك .

الصفحة (٦٠) بيض الأنوق : العقاب وهو مثل يضرب للمستحيل أو لما لا سبيل اليه لأن الأنوق تحرز بيضها فلا يكاد يظفر به لأن اوكارها في القلل الصعبة ، الجدّة الأخرى : كثرة المال ، الصفحة (٦٢) الدأماء : البحر ، الهيصر : الأسد ، الصفحة (٦٥) الحور ، شجر طويل ذو سوق طويلة عارية ينبت قرب الماء ، الكماة : جمع كميّ وهو الفارس المدجج بالسلاح ، العذار : جانب اللحية من الشعر ، الشجي : الحزين ، من شجاه الهم ونحوه ، وفي المثل « ويل للشجي من الخلي » ، صرير القلم : صوته على القرطاس ، الحب : الحبيب ، الأحوى : شديد سواد الشفة مع الحمرة ، طرف : عين باصرة ، الهيف : جمع اهيف هيفاء وهي الجارية دقيقة الخصر ضامرة البطن ،

الصفحة (٦٥) فغوات : جمع فغوة : الزهرة الرائحة الطيبة ، الطرير : الفتى ذو المنظر والـرواء والهيئة الحسنة ، الذي طر وطلع شاربه ، الصفحة (٦٦) الغرة : من كل شيء أولـه ، ومن الرجل وجهه ؛ الطرة : ما تطره من الشعر الموفي على جبهتها وتصففه وهي القصة ، وهي تسريحة الشعر ، الذحل : الثأر وجمعها أذحال وذحول ، أوعبوا : خرجوا كلهم الى الغزو وأخذوا أعداءهم جميعا .

الصفحـة (٦٧) العيص : الاصل : الشجر الكثير الملتف ، وفي المثل (عيصك منـك وان كان أشبـا) أي أصلك منك وان كان ذا شوك ، جمعه : أعياص وعياص ، المعتفـين : طالبي المعـروف ، الخيم : البيعـة والسجية ، تداجي : تدارى ؛ البهيم : الأسود ، ويقصد به الليل .

الصفحة (٦٨) الدقعاء : التراب ، يقال دقع الرجل : لصق بالتراب ذلا .

بنـوعـلات : من أمهات مختلفات ، البهماء : الفلاة التي لا يهتدى فيها ، السنة الشديدة العسيرة التي لا فرج فيها .

الصفحـة (٦٩) القمقـام : السيد الجامع للسيادة الواسع الخير ، الجعد البنان : متقبض الأصابع ، كناية عن البخيل اللئيم .

الصفحة (٧٠) ذات الشفة التي يختلط سوادها بحمرة ، اللعساء : ذات الشفة التي يسود باطنها وهو مستحسن عند العرب ، وجمعها لعس ، الهركولة : الحسنة الخلق والجسم والمشية ؛ العظيمة الوركين ، الممكورة : ذات الساق الغليظة المستديرة الحسناء ، الخرود : المرأة الحيية ـ البكر التي لم تمس ، الغيداء : المتثنية لينا ـ الناعمة ، البلهاء : المرأة الناعمة الرخية كأنها غافلة عن الطوارق ، الرداح : سمينة الأوراك ضخمة الردف ، جماء العظام : كثـيرة اللحم الـرزان : الوقور من النساء ، ذات الثبات والوقار والعفاف ، الوصيف : المريض ، ضرب : عسل أبيض غليظ ، الجمازه : التي تكثر من الاستهزاء بالناس .

الصفحة (٧١) الكفيت : الضامر الخفيف السريع ، التكول : مختلط الانساب ، الأنـواع : الثقيل من مرض وغـيره ، قمص الفـرس : رفع يديه وطرحهما معا ، شمس الحصان : تحرك بسرعة مذعورا ، الخروط : الجامح ، القطوف ، التي ضاق مشيها كناية عن بطئها ؛ بتك : قطع ، سيف قطار : لا يقطع ، الكهام : الكليل ، لا غناء عنده ،

الكلام : الجروح مفردها كلم ؛ لم ينخنع : لم يصل الى النخاع ، الردان : المنتن ، اعتكر الباس : اشتدت الحرب ، اشتجر الرعاس : اشتدت المعركة واهتزت الرماح ، مارن : صلب لدن ، المخطف : سريع القتل ، رمح ذابل : رمح رقيق ، العسال : شديد الاهتزاز ، النسال : الذي ينسل الروح من جسم الخصم ، الاعصل : المعوج .

الصفحة (٧٦) المران : واحدها مرانة : الرماح اللدنة في صلابة ، شجر تتخذ منه الرماح .

الصفحة (٨٠) قمطرير : شديد ، المانوية : مذهب يقول بمبدأين : الخير والشر ، النور والظلام ولعله أراد الهرة ، الايجاس : احساس الخوف واضماره ، أوجف الشيء : حركه وجعله يضطرب ، اوجال : اضافة : اوجله جعله يوجل يخاف .

الصفحة (٨٠) أرجف : خاض في الأخبار السيئة والفتن ، قصد أن يهيج الناس .

الصفحة (٨١) اعتور القوم الشيء تعاطوه وتداولوه ، الوتر في اللسان : التتابع ، الحدا : الحداء : غناء الحادي للقافلة .

الصفحة (٨٢) دأماء : البحر ، الآتى : السيل ، الصفحة (٨٣) الشيقة : المشتاقة ، السقب : ولد الناقة ساعة يولد ، قاليا : كارها ، شاط : بعيد من (شط) : بعد ، لطية : تصغير لطاة : مطاة الرجل : أمتعته .

الصفحة (٨٤) الهون : الذل الهوان والخزي ، يضرى : يصبح من الضواري ، الجُنة : الوقاية ، القنبل : والقنابل : الرجل الغليظ الشديد : فهنت هنا : أي فأنت هنا (لغة) ، الهنا : النسب الخسيس ؛ الهنا : عذق النخل .

الصفحة (٨٥) دثاري : غطائي ، ما ادثر به ؛ كن الشيء : يكنه : ستره وأخفاه في كنه وغطاه وصانه .

الصفحة (٨٦) الثقلان : الانس والجان .

الصفحة (٨٧) الطارق المعتم : الضيف المتأخر ليلا ، كلهم : همهم ، عقوة الدار : وعقاتها : الموضع المتسع أمام الدار أو المحلة أو حولها .

الصفحة (٨٨) الأفئدة تجيب : تخفق .

الصفحة (٨٩) تبزل الرجل : كملت رجولته ، الخذم : القاطع .

الصفحة (٩٠) نشط من المكان : ينشط : خرج ، وأنشط الدابة من عقالها : أطلقها منه ، عين : أعين وسوعد ، العرف : الرائحة الطيبة ، تخمس : لبس بردا من برود اليمن كناية عن البذخ والترف ، هلممت : دعوت ، قلت : هلم اليّ .

المراجـــع

١ ـ الشيخ عبدالله بن علي الخليلي ـ ديوان الخليلي ـ وحي العبقرية وزارة التراث القومي ـ سلطنة عمان ـ ١٩٧٧ .

٢ ـ د. نورية الرومي ـ البيان : مجلة ـ العدد ٢١٦ ـ مارس ١٩٨٤ ـ رابطة الأدباء ـ الكويت .

٣ ـ الحريري : أبو القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري المصري ـ مكتبة صبيح ـ القاهرة .

٤ ـ د. زكي مبارك : النثر الفني في القرن الرابع ـ دار الجيل ـ بيروت ١٩٧٥ .

٥ ـ د. شوقي ضيف : المقامة ـ دار المعارف بمصر ـ ٤٧ ـ عدد ١١١٩ .

٦ ـ طاهر أبو فاشا : مقامات بيرم التونسي ـ مكتبة مدبولي ـ القاهرة ـ ١٩٧٣ .

٧ ـ الشيخ عبدالله بن علي الخليلي : مقامات الخليلي : مخطوطة .

٨ ـ محمد محيي الدين : شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني ـ ط ٢ ـ ١٩٦٢ ـ القاهرة .

٩ ـ د. مصطفى الشكعة : بديع الزمان الهمذاني ـ رائد القصة العربية والمقالة الصحفية ـ دار الرائد ـ بيروت ـ ط ١ ـ يونيو ١٩٧١ .

١٠ ـ د. يوسف نور عوض : فن المقامات بين المشرق والمغرب ـ دار القلم ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٩٧٩ .



جانب من الفعاليات والمناشط التي يقيمها المنتدى الأدبي بين الفينة والفينة

القصة الشعرية في ديوان الخليلي[1]

بقلم الدكتور / احمد امين مصطفى
كلية الآداب ـ جامعة السلطان قابوس

هو عبدالله بن علي الخليلي ، ينتمي الى قبيلة عبس ، ولد سنة ١٩٢٢ بمدينة سمائل بعمان ، وحفظ القرآن الكريم ودرس العلوم العربية والدينية ، ونشأ في أسرة عريقة وكان أبوه مطاعا في قومه .

وقد أصدر ديوانه الأول (وحي العبقرية) سنة ١٩٧٨ . ويقع هذا الديوان في خمسمائة صفحة تقريبا ، ويضم مجالات عديدة في السلوك والتصوف وفي المديح والشكوى والحكمة والوطنيات ، وكتب ملحمة تاريخية تتحدث عن عمان منذ العصر الجاهلي حتى عصرنا الحاضر في ظل السلطان قابوس ، كما ضم الديوان تأملات وإخوانيات وضم غزلا وموشحات ورثاء ، وضم شعرا قصصيا هو مجالنا الذي نتحدث عنه .

وتسيطر الروح الدينية على الديوان ، كما تظهر الروح العربية واضحة أيضا حيث تهز الشاعر الأحداث التي تقع ببلدان العالم العربي مشرقه ومغربه .

ويشغل الشعر القصصي أكثر من خمسين صفحة في ديوان الخليلي ، ويحوي الديوان خمس عشرة قصة شعرية أقصرها قصة بعنوان (على بيتي المأمون) وتقع في تسعة وعشرين بيتا ، وأطولها قصة بعنوان (أقصوصة الروض) وتقع في مائة وخمسة وخمسين بيتا ، ومعظم القصص ما بين خمسين وستين بيتا ، فالشاعر طويل النفس ثري الحافظة ، وهو ذو ثقافة واسعة كما يبدو ومما تضم هذه القصص الشعرية من معلومات متنوعة .

---

(١) وحي العبقرية ـ عبدالله بن علي الخليلي ـ وزارة التراث القومي ١٩٧٨ ، وقد شارك هذا البحث في الحفل التكريمي الذي أقامه المنتدى الأدبي تحت رعاية معالي يحيى بن محفوظ المنذري وزير التربية والتعليم والشباب يومي ١٩ و ٢٠ فبراير سنة ١٩٩٠ م ، احتفاء بشاعر عمان سعادة الشيخ عبدالله بن علي الخليلي وتقليد سعادته درع المنتدى الأدبي الذهبية .

ويغلب الطابع التاريخي على هذه القصص ، فهناك إحدى عشرة قصة تعد من القصص التاريخية ، وتستمد هذه القصص جميعها من التاريخ العربي فتستمد من الأحداث في العصر الجاهلي ، ومن عصر صدر الاسلام والعصر الأموي والعصر العباسي ، وتدور قصتان من هذه القصص حول الرشيد وثلاث أخرى حول المأمون ، وقد حيكت حول هذين الخليفتين أقاصيص عديدة نحسب أن بعضا منها مخترع أو على الأقل دخلته المبالغة .

ونستطيع أن نقسم هذه القصص التاريخية أقساها ثلاثة نلمح الفارق بينها وان اندرجت جميعها تحت القصة التاريخية ، ونستطيع أن نطلق على ست من هذه القصص (قصص الشخصيات التاريخية) ونطلق على أربع منها (قصص الحوادث التاريخية) ونطلق على واحدة منها (قصة المناقب التاريخية) .

الشخصيات التاريخية

ولتوضيح الفرق بين هذه الأنواع الثلاثة نقول : إن قصص الشخصيات التاريخية تدور حول شخصيات تاريخية بارزة ويكون الهدف منها توضيح معالم هذه الشخصية أو ابراز جانب من جوانبها ، وتسلط الأضواء هنا على الجوانب النفسية لهؤلاء الأبطال ، أما التصوير الجسدي فلا يهتم الشاعر هنا الا بتصوير جمال البطلة ويجعلها تبلغ القمة في هذا المجال كما هو المعتاد في القصص على وجه العموم ، ويندرج تحت هذا العنوان ستة قصص هي :

١ ـ الخيزران والرشيد :

والخيرزان هنا جارية من جواري الرشيد كان الخليفة متعلقا بها ، وليست أم الرشيد كما قد يتبادر الى الذهن ، وتوضح القصة بعض ملامح شخصية الرشيد ، فقد كان الرشيد ـ كما صورته الحكايات ـ ميالا الى المتعة ، وتكشف القصة أيضا عن ذكاء أبي نواس واستشفافه للحوادث ، وتحكي القصة أن الرشيد تسلل الى الخيزران وكانت تستحم فأسبلت شعرها على جسدها فغطاه ، وطلب الرشيد الشعراء وسألهم تصوير ما بنفسه ، فقال أبو نواس أبياتا يصور فيها الحادثة كأنه رآها .

وأبيات أبي نواس همزية ، ونلحظ أن شاعرنا يبني قصيدته على أبيات أبي نواس ملتزما الوزن والروي ، ونرى هذه الظاهرة في كثير من قصص هذا الديوان .

٢ ـ من ملح الرشيد :

وتهدف القصة الى الهدف السابق وهو إظهار ميل الرشيد الى المتعة ، وتحكي أن الرشيد تسلل الى إحدى جواريه فعاتبته على هجرانه لها ، ووعدته بأن توافيه في الصباح ولكنها أخلفت وعدها فعاتبها فقالت : « كلام الليل يمحوه النهار » وعلى منوال القصة السابقة يدخل أبو نواس ويسأله الرشيد أن يعبر عما في نفسه ، فيقول أبو نواس أبياتا يختمها بقوله :

فقلت : الوعد سيدتي ، فقالت : كلام الليل يمحوه النهار[١]

ويبني الشاعر هنا أيضا قصيدته على وزن أبيات أبي نواس وعلى الروي نفسه .

٣ ـ على بيتي المأمون :

وتهدف القصة إلى إبراز جانب اللهو أيضا عند المأمون ، وقد روي عن المأمون قوله :

فـؤادي كتـوم لأسـراركم ودمعـي نمـوم لسـرى مذيـع
فلولا دموعي كتمت الهوى ولولا الهوى لم تكن لي دموع[٢]

ويتحدث الشاعر عن تعلق المأمون بجاريته التي طلبت منه أن يغني بيتيه هذين فغنى ، ويبني الشاعر قصيدته على هذا الوزن وهذا الروي .

٤ ـ من طرائف المأمون :

ويبدأ بالحديث عن شوق المأمون واستدعائه مغنية إسحاق الموصلي ذات ليلة ليغنيه ، ثم استئذان المأمون مغنيه حتى يطوف على أهله ، وانتهز إسحاق الفرصة فمضى إلى جاريته ولكنه رأى على الطريق منزلا به جوار حسان وشموع وطرب ، وقضى إسحاق وقتا بينهن ، ووعدهن بالعودة مع صديقه الكريم ، وعاد هو والمأمون ، وكان هذا المنزل للحسن بن سهل وزير المأمون ، وتزوج المأمون بوران بنت الحسن ، ولكن المأمون لم يدخل بها ليلته لمانع شرعي ، وقال المأمون بيتين في هذه المناسبة .

---

(١) وحي العبقرية ص ٤٧٢ .
(٢) وحي العبقرية ص ٤٧٧ .

٥ ـ المأمون والجارية :

وقصة أخرى عن المأمون تحكي عن شبابه الأول ، وربما كان هذا أول حب له ، فقد أحب المأمون جارية بالقصر ، وبينما كانت الجارية تصب الماء على يدي الرشيد أومأ إليها المأمون وغمز لها بعينه فنظرت اليه وكسرت حاجبها فتأخرت عن صب الماء ، وسألها الرشيد فأجابته بالحقيقة ، فعنف الرشيد ابنه المأمون فأغمي على المأمون فعطف عليه الرشيد ووهب الجارية له ، وقال المأمون أبياتا في ذلك .

٦ ـ أقصوصة الروض :

وتهدف إلى ابراز جانب النبل والاريحية عند الحسين بن علي ، ويبدأ الشاعر بالحديث عن جمال زينب بنت إسحاق في خمسة وعشرين بيتا ، ثم يخاطب زوجها ناصحا له بالتمسك بزوجته وعدم الاغترار بما يحيط برملة بنت معاوية بن أبي سفيان من مظاهر الجلال ، ثم يتحدث عن يزيد بن معاوية وكيف تعلق بزينب بنت إسحاق حتى شكا هذا الحب الى أبيه خليفة المسلمين ، فبيت معاوية أمرا خطيرا وأرسل الى عبدالله بن سلام زوج زينب ليقدم عليه من العراق ، وعرض عليه معاوية أن يزوجه ابنته رملة لأنه أكرم من يستحقها ، وأرسل معاوية أبا الدرداء وأبا هريرة يسألان رملة رأيها ، فوافقت بشرط أن يطلق زوجته ويكون لها وحدها ، فطلق زوجته طلاقا بائنا ، ثم سوفت رملة وأعلنت أنها رجعت عن رأيها .

وأرسل معاوية أبا الدرداء رسولا الى زينب يبلغها بطلاق زوجها لها وخطبة يزيد بن معاوية لها ، وفي الطريق قابله الحسين بن علي وعرف ما حدث ، فطلب الحسين من أبي الدرداء أن يذكره عند زينب ، ففعل ، فاختارت زينب الحسين زوجا لها .

ثم عاد ابن سلام الى الحسين يطلب الاذن ليسترد وديعة كان قد أودعها عند زينب ، وسمح له الحسين بالدخول عند زينب ، وعندما تقابلا بكيا ، وردت اليه زينب وديعته ، وعندئذ تنازل الحسين عن زينب وطلقها لتعود الى زوجها الأول الذي أحبته من كل قلبها ، وباء يزيد بن معاوية بالفشل .

ويبدو بوضوح أن القصة تهدف الى ابراز الأخلاق الكريمة التي تحلى بها الحسين بن علي .

الحوادث التاريخية

أما قصص الحوادث التاريخية فتهدف الى ابراز حادثة تاريخية على جانب من الأهمية أو الطرافة ، وهذه الحادثة لابد أن تتعلق بأشخاص ولكن الهدف الأول هنا ليس الشخص وإنما الحادثة لطرافتها أو لدلالتها ، وفي ديوان الخليلي أربع قصص نستطيع أن ندرجها تحت هذا العنوان وهي : ـ

١ ـ عند الموصلي :

وفي هذه القصة يدخل الشيطان بطلا من أبطالها مما يجعلنا نقول : إنها قصة مخترعة ، وتحكي القصة أن إسحاق الموصلي أحب فتاة زارته في إحدى الليالي وطلبت مغنيا غير الموصلي يغنيهما ، فعثر الموصلي على مغن أعمى غناهما أبياتا كانت الفتاة قد أنشدتها حينما قدمت إلى حبيبها منها :

أيدخل محبوب على الباب واقف

واستأذن المغني للاستراحة ولكنه لم يظهر ثانيا وبحثوا عنه ، واذا به ينشد أبياتا بدون أن يروا شخصة ويعرفهم أنه أبو مرة .

٢ ـ الحزم والوفاء :

وتحكي القصة عن طرفة بن العبد والمتلمس ، وكيف نقم عليهما عمرو بن هند وكتب الى عامله على البحرين (الربيع بن حوثرة) أن يقتلهما ، وأوهمهما عمرو بن هند أنه أمر لهما بجائزة ، ومضى طرفة الى الربيع فقتله ، أما المتلمس فإنه شك في الأمر ودفع الكتاب إلى غلام بالحيرة ليقرأة ، فقال له الغلام : النجاء فقد أمر بقتلك ، فنبذ الصحيفة في النهر وهرب الى الشام .[1]

وتبرز القصة الشعرية هذه الحادثة المشهورة في الأدب العربي القديم ، ويضيف الشاعر إليها ما يزيد القصة أهمية ويزيدها تعقيدا أو إثارة وجذبا للقارىء ، فهو يتحدث

---

(١) تفصيل الحكاية في (الشعر والشعراء) لابن قتيبة جـ ١ ص ٧٩ المتلمس ، ص ٨٥ طرفة . دار المعارف .

عن شوق زوجة المتلمس حين طال غياب زوجها عنها ، وكيف حفظت هواه ورفضت الاقتران بغيره ولكنها أجبرت على ذلك ، ويعود المتلمس ليلة زفافها الى قريبة له تعيره ملابسها ليتخفى فيها ، ويدخل الخباء ويختبيء به ، وحينما دنا الزوج الجديد من أميمة صاحت :

ألا ليت شعري والحوادث جمة بأي مكان أنت يا متلمس ؟ (١)

فأجابها المتلمس :

بأدنى مكان يا أميمة فاعلمي ومازلت مشتاقا إذا الركب عرسوا

ويخلي الزوج الجديد المكان ، ويعود الزوجان الى الحياة الهنيئة .

والبيتان قديمان ، وقد اتبعهما الشاعر في الوزن والروي .

٣ ـ حفظ الكرام :

وتستوحي هذه القصة التاريخ الاسلامي ، ويوحي العنوان بمغزى القصة ، وتحكي عن حادثة جرت أيام خلافة عمر بن الخطاب حيث كان هناك شابان تآخيا في الله ، وغاب أحد الصديقين في الجهاد ، ومر الصديق المقيم يتفقد الأحوال فرأى السراج مضيئا فدنا ليتبين حقيقة الأمر فرأى يهوديا مع زوجة صديقه الغائب ، وتوقدت غيرة الصديق وجرد حسامه وقتل اليهودي الخائن ، وسأل عمر بن الخطاب عن القاتل فقام الفتى وأخبره الخبر فلم يعاقبه عمر .

ويلتزم الشاعر في الوزن والروي بأبيات قالها اليهودي ، وهذه القصة من قصص الحوادث التاريخية التي تحكي عن أخوة المسلمين وغيرتهم وكيد اليهود لهم وعدالة عمر بن الخطاب وحسن تصرفه في الأمور .

٤ ـ جذيمة والأحداث :

وقد استمدها الشاعر من تاريخ ما قبل الاسلام ، وفي القصة أحداث مثيرة وتطورات تنم على ذكاء وحسن تدبير ، وفيها مفاجآت تلهب الخيال وتهز العاطفة ، ولذلك نضعها بين قصص الحوادث التاريخية .

---

(١) وحي العبقرية ص ٤٧٥ .

تقع القصة في مائة وثلاثة وثلاثين بيتا ، وتشمل على عشرين مشهدا ، وتبدأ بمقدمة عن الحب ، ثم يتحدث الشاعر عن رقاش ويشيد بجمالها ومكانتها ويسألها عما فعل الحب بها ، ثم يتوجه بالحديث الى جذيمة ويحذره من نديمه عدي ، ويلقي باللوم على جذيمة وانغماسه في الخمر والمجون .

وينمو الحب بين رقاش وعدي ، وتوحي رقاش لعدي بأن يخطبها من جذيمة حين تستولي عليه الخمرة ، وتنجح الخطة ، ويتزوج عدي رقاش ، وتحمل رقاش ، ويجن جنون جذيمة فيسألها :

« خبريني رقاش لا تكذبيني أبحرّ زنيت أم بهجين » ؟
« أم بعبد ؟ فأنت كفء لعبد أم بدون ؟ فأنت كفء لدون[1] »

وتجيبه رقاش وتنحي باللائمة عليه قائلة :

أنت زوجتني وما كنت أدري إذ أتتني النساء للتزيين
ذاك من شربك المدامة صرفا وتماديكم في الصبا والمجون

ويهرب عدي ، وتلد رقاش عمرو بن عدي ، ونشأ عمرو بن عدي شهما شجاعا ، وأعجب به خاله جذيمة وأحبه كابن له ، واختطف عمرو ثم أعيد الى أمه وخاله .[2]

ويحب جذيمة الزباء ويتزوجها ، وتأمر الزباء جواريها بقطع عروق جذيمة والحرص على ألا تسيل قطرة من دمه خارج الطست ، ويقوم عمرو بالملك بعد خاله .

ثم يدبر قصير ويجدع أنفه ويلجأ إلى الزباء يطلب عندها الأمن والحماية ، وتخدع به الزباء ويقيم عندها ، ثم يتفق مع عمرو على مجيء الجنود في صناديق تحملها الابل ، ويكتشف أحد الحراس حقيقة الأمر فتهرب الزباء الى السرب لتختبىء فيه ، فتجد عمرو على بابه وكان قصير قد هداه اليه ، فتبتلع الزباء السم من خاتمها وتقول : « بيدي لا بسيف عمرو » .

---

(١) وحي العبقرية ص ٤٩٢ . والبيتان قديمان .
(٢) اعادة مالك وعقيل ابنا فارح بن كعب .

المناقب التاريخية

أما القصة التي نضعها تحت عنوان (قصة المناقب التاريخية) فهي بعنوان (نزار وبنوه) وتقع في مائة وتسعة وعشرين بيتا ، وتهدف القصة أساسا الى الفخر بالصفات العربية كالفراسة ، وقد أشار الشاعر الى هذا الهدف حيث يقول :

حين قالت بجهلنا الأمم الأخرى وقالت : قلوبنا أغلاق
ثم قالت بأنه ليس للعرب سوى القول والنهى إطباق[1]
كذب الادعاء فالعقل والمنطق والعلم إرثنا والسباق

وتحكي القصة عن نزار جد العرب وأولاده الأربعة : مضر وربيعة وإياد وأنمار ، وحينما مات نزار قصد أولاده الى الملك الأفعى الجرهمي ليحكم بينهم في اقتسام إرث أبيهم ، وفي الطريق رأوا أعرابيا ينشد جملة فوصفوه له بأنه أعور أزور أبتر شرود ، فأمن الرجل على قولهم ، مع أنهم لم يروا هذا الجمل وإنما استنتجوا هذه الصفات حينما رأوا آثار الجمل والمكان الذي رعى فيه ، وقصدوا جميعا الأفعى الجرهمي ، وقدم لهم الطعام فاستنتجوا أن الشاة التي ذبحت غذيت بلبن كلبة ، وأن العنب الذي عصر نبت على قبر ، وأن الملك لغير أبيه ، واتضح صدق ظنهم ، وأعجب الملك بهم وأشاد بذكائهم وقضي بينهم .

وواضح أن القصة تهدف أساسا الى الكشف عن المناقب العربية ، ويبدأ الشاعر القصة بمقدمة تضم اثنين وعشرين بيتا يشيد فيها بالعرب ، ثم يختم القصة الشعرية بأبيات يشيد فيها بذكاء العربي ويتحدى أن يكون هناك من يماثله .

قصص اجتماعية

ويضم ديوان الخليلي قصتين اجتماعيتين هما : مبعث الأسى ، والبدوي والوهم ، ونستطيع أن نضع القصة الأولى تحت عنوان (القصة الاجتماعية الوعظية) ، والثانية تحت عنوان (القصة الاجتماعية النفسية) .

---

(١) وحي العبقرية ص ٤٧٨ .

في قصة (مبعث الأسى) يتحدث عن ثلاثة أشباح رآها أو ثلاث عجائز ، ويشبههن بالسعالي ، وهو تشبيه قديم ، ويصفهن بأنهن ضعاف يلبسن الحداد ، ويأبى إلا أن يمددن أيديهن لاظهار الذل والحاجة ، وهنا يفخر بنفسه وبآله ويحشر الشجاعة في الحرب حشرا ، ويجود عليهن بما استطاع من المال ، ويغلب على القصة الطابع الانساني .

أما قصة (البدوي والوهم) فقصة اجتماعية نفسية يصور فيها الخيال المفرط أو أحلام اليقظة ، ويتحدث فيها عن بدوي معجب بنفسه مع فقره البادي في ملابسه الرثة ، وتعرض عليه غادة أن يبيع لها سمنا ، وهنا يداعبه الخيال بأنه سيبيع السمن ويأخذ أجره ويشتري فرخا يربيه وينتج أفراخا ، ثم يشتري عنزا وتلد أعنزا ، وهكذا حتى يكثر ماله ، ثم يخطب ابنة عاهل البلد ، ويتخيلها بجانبه ، وبينما هو يسبح في أخيلته إذا به يضرب إناء السمن برجله فيكسره ، ويسيل السمن وتتبدد أحلامه ، ثم يخاطبه الشاعر ناصحا بالاقتصاد في التمني .

قصص عاطفية

وفي الديوان قصتان عاطفيتان : الأولى منهما بعنوان (سلطان الغرام) وتتحدث أساسا عن كتمان الحب ، وتحكي عن ملك رأى فتاة تسمى راية فأعجب بها وأعجبت به وواعدته ، ولكن الملك لم يحفظ السر وأخبر وزيره ، وتتبعه الوزير ليرى بنفسه ما سمع من الملك ولكن راية رأت الوزير فهربت وفارقت حبيبها وتغنت بأبيات تقول :

وحياة حاجته إليّ وقربه لأبدلنّ نعيمه بعذابه
ولأمنعن جفونه طيب الكرى ولأمزجن دموعه بشرابه[1]

وهذا الحرص على كتمان الحب ظاهرة شائعة في الأدب العربي وفي قصص الحب العربي القديم كما عرفنا عن قيس وليلى .

أما القصة العاطفية الثانية فعنوانها (من قصص الماضي) والحقيقة أنها مجرد حديث عن الحب والأحباب ومناجاة بين الحبيبن وليست قصة بالمعنى المفهوم للقصة ، فليس فيها أحداث متطورة نامية ، وليس فيها عقدة ولا إثارة .

---

(١) وحي العبقرية ص ٤٥٩ .

يبدأ الشاعر بالحديث عن الحب واللقاء ، ويتحدث عن جمال المحبوبة ، ثم يتحدث عن زيارته لها وتمتعه بقربها والليل يصون سرهما ، ويدور بينهما حديث عن الحب ، وهذا كل ما تحويه الأبيات .

مفهوم القصة الشعرية
عند الخليلي

ومعظم القصص التي يضمها ديوان الخليلي تستمد من التاريخ كما قلنا ، ويلتزم الشاعر بالحوادث الواردة في القصص لا يغير فيها كثيرا ولا يضيف إليها من خياله ، وكل ما يمكن أن يضيفه أن يبالغ في وصف الشخصية بالجمال أو الذكاء أو المكر ، فهي مجرد صفات لا تتجاوز ذلك الى وقائع وأحداث .

وقد يقال : ان حياد الشاعر في القصة مطلوب ، ولكن الحياد معناه أن يترك الشاعر الأحداث تتطور تطورا طبيعيا لا يوجهها وجهة معينة بدافع التعصب لجنس أو لموطن معين ، وهذا الحياد لا يتعارض مع ابتكار المواقف التي تزيد الصراع أو تثير الاهتمام أو تخلق المفاجآت ، فهذا يزيد القصة ثراء ويزيدها غنى وافتنانا .

ولا يقتصر هذا الالتزام بالأحداث كما وردت على القصص التاريخية وإنما يتجاوزها الى سائر القصص ، فقصة البدوي والوهم مثلا يوردها كما قرأناها نثرا في الكتب ، وفي قصة (مبعث الأسى) ـ وهي قصة اجتماعية ـ يتخيل الشاعر ثلاث عجائز بسألنه فيعطيهن ، وهي قصة مخترعة ولكنا لا نرى فيها خيالا عميقا ، وقد تحدث كثير من الشعراء عن البائسة التي تحتاج الى العون وعن تقديم المساعدة لها ، وهنا خيال قريب يكاد يكون واقعا ملموسا .

وإذا كان شاعرنا يورد الأحداث كما وردت عن القدماء فإنه يعنى بإضفاء الجو التاريخي الملائم للعصر ، ففي قصة (الخيزران والرشيد) يصور قصر الرشيد فيقول :

سلا قصر الرشيد عن الزوايا ... وعن أقمارها تحت الخباء
جوار بالهنا لمالكيها ... جوار تحت أروقة الصفاء[1]

(١) وحي العبقرية ص ٤٥٥ .

وفي قصة (سلطان الغرام) يصور المحبوبة فيقول :

تهفو إليه في ضفائر فرعها كالليل يزجي البدر تحت نقابه[1]

ثم يتحدث عن خبائها فيقول :

ودنا الحبيب من الخباء فراعه تغيير عادته وصدمة بابه

وفي قصة (من ملح الرشيد) يصور جو العقاب في عهد الرشيد فيقول :

هلـم فإنـه سـيف ونطع والاّ فاجلُ سـرك لا يبار[2]

وفي قصة (الحزم والوفاء) يتحدث عن المتلمس وزوجته وقد هموا بتزويج زوجة المتلمس لآخر ، والمتلمس تائه في الصحراء . يقول :

لك الله فابعد ما تشأ ثم عد ترى دمالجها ليست لغيرك تلبس
وأنت على الغبراء تفترش العفا تبيت كما بات السليم المضرس[3]

وفي قصة (جذيمة) يصور مشهد الجمال التي كانت تحمل الصناديق وفيها الرجال فيقول :

دخلت حصنها الجمال توالى واحـدا إثـر واحـد مشـطون
وعيـون البـواب تنظـر لكـن في صناديق مقفلات الغضون[4]

وتعتمد القصص أساسا على السرد فتأتي القصة على لسان الشاعر ، وهنا نرى شاعرنا يعرض القصص ويسرد لنا الأحداث ، وقد يوجه الشاعر حديثه الى بعض أبطال القصة ناصحا وموجها . ففي قصة (الخيزران والرشيد) يخاطب الرشيد فيقول :

أبا المأمون في ترف منوط على شرف تحدد عن علاء
أتسلو الخيزران وقد طواها على الهجران كف الالتواء ؟[5]

---

(١) وحي العبقرية ص ٤٥٩ .
(٢) وحي العبقرية ص ٤٧٢ .
(٣) وحي العبقرية ص ٤٧٤ .
(٤) وحي العبقرية ص ٤٩٦ .
(٥) وحي العبقرية ص ٤٥٦ .

ثم يخاطب الخيزران جارية الرشيد فيقول :

خذي لليأس دربك فهو أولى ودلي فهو أجدر بالنساء
ونادي الصبر في سر وجهر فإن الصبر مرهم كل داء

وفي قصة (سلطان الغرام) يخاطب الملك بطل القصة فيقول :

يا ابن المظفر قد ظفرت بدرة عصماء كالتمثال في محرابه
درية البسمات هاروتية اللفتـ ـات كالصمصام بل كذبابه[1]

وكثيرا ما يختم القصة بأبيات يوجهها الى أحد أبطال القصة لائما أو ناصحا أو مهنئا أو مشيدا . كما في قوله في قصة (البدوي والوهم) ناصحا بطل القصة :

فمنّ على منار العقل واقصده كمقتصد
تنل ما رمت من أمل وتحيا عيشة الرغد[2]

وفي قصة (من طرائف المأمون) يختم القصة مشيدا ببني العباس :

يا بني العباس ذكركم عزة التاريخ من قدم
أنتم للدهر زينته في مجال الأنس والهمم[3]

وفي قصة (حفظ الكرام) يختم القصة مخاطبا عمر بن الخطاب فيقول :

أيا عمر الهداية نلت خيرا فإنك خير راع للأنام
حكمت فأنت قسطاس قويم وقمت فأنت للسمحاء حام[4]

وقد يأتي خطاب الشاعر لبعض الشخصيات بعيدا عن تطور الأحداث ، أي إن هذا الخطاب لا يسهم في نمو القصة وفي إبراز العقدة التي تبرز من تطور الأحداث بروزا طبيعيا ، وقد يأتي هذا الخطاب مسهما في تطور الأحداث فهو جزء من سرد الأحداث وإن

---

(١) وحي العبقرية ص ٤٥٨ .
(٢) وحي العبقرية ص ٤٦٧ .
(٣) وحي العبقرية ص ٤٨٧ .
(٤) وحي العبقرية ص ٤٩٠ .

تحول من ضمير الغائب الى ضمير المخاطب . ومن اللون الأول البعيد عن تطور الأحداث ما نراه في مطلع قصة (نزار وبنوه) حيث يخاطب أبناء نزار مظهرا إعجابه بهم :

أغزاة أم أنتم طراق ؟ أم بدور لا يعتريها محاق ؟
أم موازين يحكمون البرايا ؟ أم رعاة العقول وهي حقاق ؟[1]

ومن اللون الثاني الذي يسهم في تطور الأحداث قوله في قصيدة (جذيمة والأحداث) يخاطب جذيمة :

أنت في اللهو يا جذيمة واللهو لسر الحياة غير مبين
ورقاش الحسناء ترعى ويرعاها عدي بمقلتي مستبين[2]

ويستمر في توجيه الخطاب طورا الى رقاش وطورا الى جذيمة ومرة الى عدي ومرة يخاطب عمرا وقصيرا فيقول :

لن يعود المليك يا عمرو فاقبض قائم الملك يا إمام العرين
واجدع الأنف يا قصير ودبر حيلة الثأر للمليك الطعين

ونرى هذا الحوار الذي يسهم في تطوير الأحداث « اقصوصة الروض » حين يخاطب يزيد بن معاوية فيقول :

أصمتك زينب ألحاظا فبت بها كحية الواد لكن في تلويها
رمتك أسهم حب وهي غافلة فأسهم الحب لا تخطى مراميها[3]

ويقدم الشاعر لكل قصة بمقدمة توحي بجو القصة أو تكشف عن الهدف من هذه القصة ، ولكنها على أي حال لا تعد جزءا عضويا من القصة ، وكان بإمكان الشاعر أن يتخلى عن هذه المقدمات وعن الخواتيم حتى يترك للقارىء فرصة السبح والتخيل والاستنتاج بدلا من الوعظ المباشر أو الفخر بالصفات أو ما ماثل ذلك ، ويحسن أن تكون القصة الشعرية وحدة متكاملة تنمو نموا عضويا حتى تصل الى العقدة ثم يأتي الحل ، وقد يتركها بلا حل ويترك للقارىء أن يتخيله وحده .

---

(١) وحي العبقرية ص ٤٧٧ .
(٢) وحي العبقرية ص ٤٩١ .
(٣) وحي العبقرية ص ٥٠١ .

ومن المقدمات التي توحي بجو القصة ما جاء في قصة (نزار وبنوه) حيث يبدأ بمقدمة يشيد فيها بأبناء نزار فيقول مخاطبا إياهم :

أغزاة أم أنتم طراق ؟ أم بدور لا يعتريها محاق ؟[1]

وتتوالى الاستفهامات التي توحي بالاعجاب والدهشة .

وأحيانا يحسن الشاعر الانتقال من المقدمة الى صميم القصة ، وقد يترك بين المقدمة والقصة فجوة واضحة حتى إننا لنحس بعدم الترابط بين المقدمة والقصة ، وتكاد تكون قصة (البدوي والوهم) هي القصة الوحيدة التي لم يقدم لها الشاعر بمقدمة ، فقد بدأها بقوله :

غدا البدوي ذات غد يطوف الحي كالأسد[2]

فبدأ يحكي عن البدوي من أول بيت ، وهذا من صميم القصة .

ومن القصص التي لم يحاول الشاعر الربط بينها وبين المقدمة قصة (من ملح الرشيد) فقد بدأ بالحديث عن الجمال وأثره ، ثم ثنى بالحديث عن بغداد وعرش الرشيد ، ثم أعلن عن قصة رائعة يتلوها على الأسماع حيث قال :

فدونكها محجبة عليها من الاطراب والاطرا إطار[3]

وهنا إعلان عن انه سيقدم قصة رائعة ، وهذا يخلق فاصلا بين المقدمة والقصة .

ونرى هذه الظاهرة أيضا في قصة (نزار وبنوه) وهي قصة رائعة ، ولكن الشاعر يقدم لها بمقدمة تستغرق اثنين وعشرين بيتا ، ثم يقول :

فإليك البيان في قصص حلو دليلا لما عليه المساق[4]

ولكن الشاعر في مواقف أخرى يحسن الانتقال من المقدمة إلى موضوع القصة ، حتى لا نكاد نفطن الى هذه المقدمة وحتى نكاد نعدها جزءا من صميم القصة ، ففي قصة (مبعث الأسى) يبدأ الشاعر بالتساؤلات عن الدهر وشروره ، ويصل بهذه التساؤلات تساؤله عن هذه الأشباح ، ويفسر لنا هذه الأشباح فيقول :

---

(١) وحي العبقرية ص ٤٧٧ .
(٢) وحي العبقرية ص ٤٦٥ .
(٣) وحي العبقرية ص ٤٧٠ .
(٤) وحي العبقرية ص ٤٧٩ .

وما هذه الأشباح في الدو خشعا يخيل لي تحت السنابك تسرح ؟
ثلاثا كأمثال السعالي عجائزا ترى الموت فيها فاركا يتنحنح[1]

وهكذا جاء هذا التساؤل الأخير مرتبطا بالتساؤلات السابقة ، وهكذا أحسن الشاعر الربط بين المقدمة والقصة .

ونرى هذا الربط بين المقدمة والقصة أيضا في قصة (جذيمة والأحداث) حيث يبدأ الشاعر بالحديث عن الحب وأثره ، ثم يسأل رقاش الجميلة عما فعل الشوق بها فيقول :

خبرينا رقاش بالله عما فعل الحب عند غمز العيون

ويسأل جذيمة فيقول :

هاجس الحب يا جذيمة أقوى من يد الملك فوق عرش مكين[2]

وهكذا تأتي المقدمة موصولة بصميم القصة .

العقدة

وتتطور الأحداث وتنمو حتى نصل الى العقدة ، والعقدة من أهم عناصر القصة سواء كانت طويلة أم قصيرة ، وسواء كانت قصة شعرية أم نثرية ، وإذا ألقينا نظرة على القصص الشعرية التي يضمها ديوان الخليلي وجدنا بعض القصص خالية من العقدة ووجدنا قصصا تحوي عقدا بسيطة لا تثير اهتمامنا لأن الحل متوقع معروف ، ووجدنا قصصا تحوي عقدا طريفة تثير اهتمامنا وتطلعنا ثم يأتي الحل طريفا مرضيا للذوق والخيال .

ويطالعنا في الديوان عنوان (من قصص الماضي) ونقبل على قراءة القصة فلا نرى أكثر من حديث عن زيارته لحبيبه وتسجيل للحديث الذي دار بينهما .

وفي إحدى قصائده بعنوان (من طرائف المأمون) نرى إثارة شائقة ولكنا لا نرى عقدة تنتظر حلا ، فالمأمون يبيت مسهدا يستدعى اسحاق الموصلي ليغنيه ، ويذهب المأمون ليطوف على أهله ، ويذهب إسحاق ليرى جاريته فيمر بمنزل زاخر بالجمال والجواري

---

(١) وحي العبقرية ص ٤٦٢ .
(٢) وحي العبقرية ص ٤٩٠ .

والشموع ، وهنا يثير فضولنا ، ما هذا ؟ وماذا يحدث ؟ ويعود المأمون فيصحبه اسحاق ليريه هذا الجمال ، ويتضح أن هذا المنزل للحسن بن سهل ، ويتزوج المأمون بوران بنت الحسن بن سهل ، وهنا مواقف جميلة مثيرة ولكنها لا تضم عقدة تستدعى حلا .

أما القصص التي تحوي عقدة بسيطة يتوقع القاريء حلها فلا نجد في الحل طرافة فمثالها قصيدة (سلطان الغرام) حيث يحب الملك فتاة جميلة تدعى راية ، وتبادله الفتاة الحب ، ويبوح الملك بالسر لوزيره ، ويصحبه الوزير ليرى بنفسه ، وتلمحه راية فتغضب وتهرب . وهنا عقدة بسيطة . ماذا يكون موقفها ؟ والحل أنها تختفي ، ويذوق الملك جزاء ما قدمت يداه حيث باح بسر الحب ، وهذا حل متوقع ليس فيه مفاجأة وتنتهي القصة نهاية حزينة .

الحل في قصص الخليلي

والحلول في قصص الخليلي تتراوح بين النهايات الحزينة والسعيدة بحسب ما يتطلبه سير الأحداث حيث تأتي الحلول طبيعية متولدة من المواقف ليس فيها تكلف وافتعال .

ومن العقد البسيطة المثيرة التي تنتهي نهاية سعيدة ما نراه في قصة (المأمون والجارية) حيث يتعلق المأمون بجارية بالقصر ، وتقف الجارية تصب الماء للرشيد ، وينظر اليها المأمون وتنظر اليه فيتأخر صب الماء فيغضب الرشيد ، ويسألها فتخبره ، ويغمى على المأمون . وهنا العقدة . ماذا سيحدث ؟ ويكون الحل سعيدا حيث يهب الرشيد الجارية لابنه ، ويأخذ بيدها ويدخل الخباء ، وتكون النهاية السعيدة .

وتحوي بعض القصص عقدا مثيرة لا يتبادر حلها الى ذهن القاريء ، وقد تأتي النهاية سعيدة وقد تأتي حزينة ، ويتمثل هذا في قصتين في الديوان ، أما أولاهما فبعنوان (الحزم والوفاء) . وتتحدث عن الشاعر المتلمس الذي كتب له عمرو بن هند رسالة يسلمها الى عامله على البحرين ليكافئه ، ثم يتضح له أن الرسالة تحوي أمرا بقتله فيلقي الرسالة في النهر ويهرب ، وتحكي القصة الشعرية كيف حاولت القبيلة أن تزوج زوجة المتلمس رجلا آخر ، ولكنها رفضت ، ثم أجبروها على القبول ، وفي يوم العرس يعود المتلمس ويتخفى في ثياب امرأة ، ويدخل الخباء ويختفي فيه ، ويدخل الزوج الجديد ، وتتغنى الزوجة

بأبيات تنادي فيها المتلمس فيجيبها ، ويترك الزوج الجديد المكان ، وتنتهي القصة بجمع الشمل ، وهي قصة تحوي مواقف مثيرة لا يتبادر الى الذهن حلها ، ويأتي الحل مناسبا يتقبله الخيال والذوق .

وشبيه بهذه القصة قصة (حفظ الكرام) حيث يتآخى صديقان ويسافر أحدهما للجهاد ويرعى الصديق بيت صديقه ، وفي إحدى الليالي يجد يهوديا مع زوجة صديقه ، وهنا عقدة مثيرة ، ويأتي الحل حاسما حيث يجرد الصديق سيفه ويقتل الخائن ، وتنتهي القصة بهذه المأساة .

والحل في جميع القصص يأتي نابعا من عالمنا الذي نعيش فيه ، ولم يخرج الى عالم الاسطورةأو عالم الجن إلا في قصة واحدة بعنوان (عند الموصلي) حيث يظهر أبو مرة بطلا من أبطال القصة ويظهر في صورة مغن أعمى يغني للحبيبين ثم يختفي ، ويبحثون عنه فينطلق صوته من كوة الدار (أنا أبو مرة) .

وهناك ثلاث قصص تحوي عقدا متعددة ، وفي كل مرة تبرز العقدة وتثير اهتمامنا ولا يتبادر الحل في سطحية الى عقولنا ولكنا ننتظره ، ويأتي الحل ذكيا نابعا من الأحداث ملائما للجو النفسي الذي يسود القصة وملائما لشخصية البطل صاحب هذا الموقف .

في قصة (نزار وبنوة) عقدتان متواليتان ، وقد أسلفنا أن القصة تهدف الى الفخر بالصفات العربية كما يبدو في مقدمة القصيدة ، وتظهر العقدة الأولى حيزا يظهر صاحب البعير ينشد بعيره الضال ، ويلقى أبناء نزار فيسألهم عن البعير فيذكرون له أوصاف بعيره ، ثم يدعون أنهم لم يروه ، وهنا يتحير العقل . كيف عرفوا أوصاف البعير ولم يروه ؟ ويتأخر الحل فلا يعرف إلا قرب نهاية القصة بعد أن يصلوا الى الأفعى الجرهمي ويقدم لهم الطعام والشراب ، ثم يناقشهم ، وهنا ندرك أنهم عرفوا أوصاف البعير بالفراسة عن طريق تتبع الظواهر المحيطة بهم .

وتظهر العقدة الثانية بعد أن يصل أبناء نزار الى الأفعى الجرهمي ويقدم لهم اللحم والخمر والخبز ، ويأمر خادما بأن يسمع ما يقولون ، ويسمعهم يقولون : إن الشاة غذيت بلبن كلبة ، وإن العنب الذي عصر نبت على قبر ، وإن المرأة التي صنعت الخبز حائض ، وإن الملك ليس لأبيه ، وتستولي الدهشة علينا . كيف عرف أبناء نزار هذه الأسرار ؟ ثم

يأتي الحل فنعرف انها للفراشة أيضا ، فطعم اللحم يشبه طعم لحم الكلاب ، والخمرة تبعث الحزن لا السرور ، والخبز كأن الشرايين أريقت فيه ، وأخلاق الملك تخالف أخلاق أبيه ، وهكذا تأتي الحلول مناسبة للبيئة وللأحداث .

ومثلها قصة (جذيمة والأحداث) وهنا نرى مجموعة من العقد تتوالى واحدة إثر الأخرى ، وتبدأ العقدة الأولى عندما يربط الحب بين قلبي رقاش وعدي ، ماذا يفعلان وجذيمة يرقب الموقف ؟ ويأتي الحل حينما ينتهز عدي فرصة الخمار الذي يستولى على عقل جذيمة ويطلب منه أن يزوجه رقاش ، ويوافق جذيمة ويتم الزواج وجذيمة فير مدرك لما حدث ، ثم تظهر العقدة الثانية حينما تظهر أعراض الحمل على رقاش ، ويثور جذيمة ويسألها :

خبريني رقاش لا تكذبيني ... أبحرّ زنيت أم بهجين ؟
أم بعبد ؟ فأنت كفء لعبد ... أم بدون ؟ فأنت كفء لدون

وتصارح رقاش جذيمة بالحقيقة :

أنت زوجتني وما كنت أدري ... إذ أتتني النساء للتزيين
ذاك من شربك المدامة صرفا ... وتماديك في الصبا والمجون[1]

وهنا تنفرج الأمور ، ثم تظهر العقدة الثالثة حينما يختفي عمرو بن عدي ، ولكن الحل يأتي سريعا حينما يعيده خاطفوه الى خاله جذيمة ، ثم تظهر العقدة الكبرى حينما يحب جذيمة الزباء ويتزوجها ، ولكنها تأمر جواريها بقتله ، ويصمم عمرو بن عدي على الثأر ، وهنا يبدأ الحل على مراحل متعددة ، يبدأ قصير بتدبير الأمور فيجدع أنفه ، ثم يذهب الى الزباء لاجئا اليها محتميا بها ، وتثق الزباء به ويعرف أسرارها ويتصل بعمرو بن عدي ويدبران فكرة اختباء الرجال في الصناديق التي تحملها الابل على أنها بضاعة ، وعندما تحس الزباء بالخطر تسرع إلى مخبئها فتجد عمرو بن عدي على باب المخبأ فتشرب السم الذي خبأته في خاتمها وتقول : بيدي لا بسيف عمرو .

---

(١) وحي العبقرية ص ٤٩٠ .

وآخر القصص التي تحوي عقدا متوالية (أقصوصة الروض) وتبدأ العقدة الأولى حينما يتعلق يزيد بن معاوية بزينب زوجة عبدالله بن سلام ، ويعلن يزيد هذا الحب لأبيه ، وهنا نتساءل : كيف تحل هذه العقدة ؟ . ويبدأ التدبير العميق ، ويرسل معاوية لابن سلام فيلبي الدعوة ، ويعرض عليه معاوية أن يزوجه رملة بنت معاوية ، ويوافق عبدالله ، وتوافق رملة بشرط أن يطلق ابن سلام زوجته زينب ، وهنا عقدة أخرى ماذا يفعل ابن سلام أمام زوجته وابنة الخليفة ؟ والحل انه اختار رملة وطلق زوجته .

وأرسل معاوية أبا الدرداء يبلغ زينب الخبر ويعرض عليها خطبة يزيد لها ، وفي الطريق يقابله الحسين بن علي ويطلب من أبي الدرداء أن يذكر الحسين عندها ، وتقف زينب حائرة بين يزيد والحسين ثم تختار الحسين ، وأخيرا يأتي حل العقدة الكبرى ، فزينب متلهفة على زوجها الأول ، وابن سلام متلهف على زوجته زينب ، ويتنازل الحسين عن زينب لتعود الى زوجها وحبيبها ، وهذا حل يجسم نبل الحسين وكرم أخلاقه ، وتنتهي القصة نهاية سعيدة .

الصراع والحوار الداخلي

ولا يهتم الشاعر كثيرا بالتحليل النفسي وتصوير الصراع الداخلي وإنما يمر به مرا سريعا ، وفي مواقف الحب فقط يصف أثر الحب في النفس ولكنه وصف مطروق كما في حديثه عن الملك الذي تعلق بفتاة ثم هجرته ، وهنا يقول الشاعر :

أخذته راية من معاقل ملكه فمضى يتيه ملفعا بضبابه[1]

وفي قصة (نزار وبنوه) موقف نفسي قاس يؤدي الى الانهيار والتمزق النفسي ، وذلك عندما سأل الأفعى الجرهمي أمه عن أبيه الحقيقي ، واعترفت الأم بأنه لغير أبيه وعللت لموقفها ثم قالت لابنها :

فاقض ما شئت يا بني ودعني من حديث تكراره إحراق[2]

ولفظ إحراق يكشف عن الاحساس النفسي الفظيع الذي تحسه الأم في هذا الموقف .

---

(١) وحي العبقرية ص ٤٦٠ .

(٢) وحي العبقرية ص ٤٨١ .

وقد سنحت في القصص العديدة مواقف كان يمكن للشاعر أن يستغلها في التحليل النفسي ولكنه أوجز ومر بها مرورا خاطفا ، ومن ذلك حينما مر الصديق بمنزل صديقه الغائب في الجهاد وراعه أن السراج مضيء ، ووقف الصديق حائرا يناجي السراج :

أأدنو كي أراك على يقين ... وأبصر ما وراءك من وئام ؟
لعل هناك أنفاسا جياعا ... تدافع تحت أنفاس ظوام[1]

هكذا فقط . وفي قصيدة (جذيمة والأحداث) يختطف عمرو بن عدي ، فتقول أمه رقاش :

أنا ألقى به مصابين والثا ... لث عودي بصفقة المغبون
فتولت بالحزن تذرف دمعا ... يا لعمري متى تراك عيوني ؟[2]

أين لوعة الأم لضياع وحيدها ؟ وأين الآمال التي بنتها عليه بعد ذهاب والده ؟ وكيف تهدمت هذه الآمال في لحظة قصيرة ؟ وأين تعلقها بين اليأس والرجاء ؟

وفي (أقصوصة الروض) أيضا مواقف مثيرة كان يمكن أن يستغلها الشاعر للكشف عن الصراع النفسي الذي تعانيه الشخصية ، ولكن الشاعر كان يكتفي ببيت أو بيتين ويتجاوز الموقف الى غيره .

فحين عرض معاوية على ابن سلام أن يزوجه رملة ، وذهب اليها أبو الدرداء وأبو هريرة يعرضان عليها الأمر . قالت :

قولا له : جذ حبل الوصل بائنة ... عن زينب إن مثلي لا يواليها
لا أقبل الحبل موصولا بواحدة ... غيري ولو كنت من أدنى أدانيها[3]

أي إنها اشترطت أن يطلق زينب طلاقا بائنا ، وأخبر ابن سلام بما قالت رملة ، وهنا يقول الشاعر :

فأخبراه بما قالت وما اقترحت ... وأنه خير من في الناس يرضيها

---

(١) وحي العبقرية ص ٤٨٨ .
(٢) وحي العبقرية ص ٤٩٤ .
(٣) وحي العبقرية ص ٤٩٩ .

فهش للأمر عبدالله مغتبطا وقال رملة ما أحلى لياليها

هكذا بكل سهولة ، وأين حبه لزوجته ؟ وأين الصراع النفسي بين هذا الحب الراسخ وهذا الزواج الذي يرفع من قدره ويجعله صهرا للخليفة ؟

وحينما ذهب أبو الدرداء إلى زينب يخبرها بأن زوجها طلقها ، وأن يزيد بن معاوية والحسين بن علي يرغبان فيها كان جوابها في بيت واحد :

قالت : قضاؤك ربي لا مرد له وحكمك العدل فاقصم من علا فيها

وكان من الممكن أن تعبر زينب عن أحزانها وعن آمالها المنهارة وعن ثقتها التي وضعتها في عبدالله وعن نسيانه العهد الذي قطعه لها . إلى آخر ما يتطلبه هذا الموقف .

ويلجأ الشاعر في أحيان قليلة الى الحوار النفسي حيث يناجي الشاعر نفسه ، ويكشف هذا الحوار عن الآمال الدفينة أو الآلام الحبيسة ، وأبرز موقف أبرز فيه الشاعر هذا الحوار الداخلي حين عبر عن آمال البدوي في الثراء وفي الحب ، إذ راح الشاعر يعبر في خمسة وعشرين بيتا عن آماله في الثراء وفي الزوجة الثرية الجميلة ، وراح يعبر عن أمله في أن يشتري فرخا ثم عنزا ثم إبلا ، ثم يتقدم لخطبة كريمة عاهل البلد ويتمتع بثرائها وجمالها . ومن قوله :

فأمثل بالكرامة بين أيدي عاهل البلد
وأدرك بغيتي وأنال من دنياي معتمدي
أقدم خطبتي ليدي كريمته من الخرد[1]

الشخصيات

والشخصيات في معظم قصص الخليلي شخصيات مسطحة تلزم وصفا معينا في القصة لا تنمو ولا تتطور ولا تظهر في أوضاع متغايرة ، فالرشيد والمأمون كلاهما محب وكفى ، وإسحاق الموصلي مغن عاشق ، وهكذا ، ولا نرى شخصيات نامية متطورة إلا في ثلاث قصص هي : نزار وبنوه ، وجذيمة والأحداث ، وأقصوصة الروض .

---

(١) وحي العبقرية ص ٤٦٦ .

في قصيدة (نزار وبنوه) نرى أولاد نزار يتجهون الى الأفعى الجرهمي ليحكم بينهم ، فهم إخوة مختلفون يذهبون للتقاضي كما أوصاهم أبوهم إن اختلفوا ، وعندما يقابلون صاحب البعير الضال يتحولون الى شخصيات حكيمة تنظر وتتأمل وتستنتج وتصدر أحكاما ، فهم قد تحولوا الى وضع مختلف وظهروا في ثوب جديد ، كما أنهم يظهرون في هذا الوضع أيضا في قصر الأفعى الجرهمي حيث يصدرون أحكاما تتعلق باللحم والخبز وصاحبته وبشخصية الملك أيضا .

وفي قصة (جذيمة والأحداث) تتطور شخصية رقاش ، ويتطور جذيمة أيضا ، فرقاش تظهر فتاة محبة تتعلق بعدي وتوعز إليه أن يخطبها من جذيمة حينما تستولى عليه الخمرة ، ثم تتزوج وتحمل جنينا في أحشائها وتقف موقف المتهمة تدافع عن نفسها ، ثم تصبح أما تفرح بطفلها وتحزن لاختطافه وتسر بعودته .

وكذلك يظهر جذيمة في أول القصة ملكا منهمكا في الخمرة ، ثم يتحول الى ساخط على أخته حينما رأى مظاهر الحمل عليها ، ثم يتحول الى خال مشفق على ابن أخته يحتضنه ويرعاه ، وأخيرا يتحول الى محب يخطب الزباء ويتزوجها ويفقد حياته بسبب هذا الحب .

وفي (أقصوصة الروض) تتطور شخصية ابن سلام حيث يظهر في أول القصة زوجا وفيا ذا شخصية سامية مبجلة ، وينصب معاوية حول شراكه فيتحول ابن سلام الى شخصية طامعة خائنة لعهد الوفاء للزوجة ، ثم يتحول الى شخصية منهارة يعض أصابع الندم ، ويعود الى زوجته يطلب وديعة تركها عندها ، وأخيرا يعود الى أحضان السعادة مع زوجته .

وتتصرف الشخصيات في هذه القصص تصرفا طبيعيا يتمشى مع متطلبات الأحداث ويوافق مشاعر الأبطال وتقاليد العصر ، وفي قصة (حفظ الكرام) نرى العربي يقتل اليهودي الذي ضبطه عند زوجة صديقه ، وهذا هو التصرف المتوقع من عربي مسلم غيور على العرض وفي لصديقه ، مبغض لليهود الذين يعادون الاسلام والمسلمين .

وفي (أقصوصة الروض) نرى التدبير العميق كما تحكي القصة ، وقد عرف معاوية بن أبي سفيان بالتدبير والدهاء ، وعندما شكا إليه يزيد حبه لزينب لم يزد معاوية على أن قال :

أو قال : حسبك فأصبر يايزيد لها واكتم لعل القضا يوما يسويها[1]

ثم بدأ التدبير الذي يحقق لابنه ما يريد ، وإذا كنا نرى الخلفاء والرؤساء المحبين يضعفون أمام الحب فهذه ظاهرة معروفة ، وسيطرة الحب لا يماري فيها أحد .

وشخص آخر يتصرف تصرفا ماكرا غير معهود ، وهذا الشخص هو قصير الذي جدع أنفه ليوهم الزباء أن قومه يضطهدونه حتى تثق به وتقبله لاجئا عندها ، وعندئذ يتمكن من معرفة أسرارها والتدبير لانتقام عمرو بن عدي منها ، وقد عرف قصير بالعقل الراجح والتدبير حتى ضرب به المثل .

فقيل في مواقف الاستنكار : لا يطاع لقصير أمر .

ونرى أحيانا تصويرا حسيا للشخصيات يكشف عن حالة نفسية ، ومن ذلك قوله في الخيزران حينما رأت الرشيد وهي تستحم :

فأرسلت الضفائر حالكات تصون الحسن عن غمزات راء[2]

فإرسال الضفائر على جسمها حركة حسية تكشف عن الدلال والاغراء والشعور بجمالها .

وفي قصيدة (البدوي والوهم) يقول في مطلع القصيدة :

غدا البدوي ذات غد يطوف الحي كالأسد
يجر رداءه عجبا وليس الغي كالرشد[3]

فالطواف يوحي بالنشاط ، وجر الرداء يكشف عن اعجابه بنفسه ويهيء الذهن للأخيلة المغرقة التي تستولى عليه وتنمو حتى يتخيل نفسه متقدما لخطبة كريمة عاهل البلد .

وهكذا تطرق هذه القصص مجالات الحياة الانسانية وتصور نماذج متعددة نراها في حياتنا العادية ، ولكنها لا تصور نماذج نادرة إلا فيما نراه عند قصير في قصة (جذيمة

---

(١) وحي العبقرية ص ٥٠١ .
(٢) وحي العبقرية ص ٤٥٦ .
(٣) وحي العبقرية ص ٤٦٥ .

والأحداث) حيث يجدع قصير أنفه ليوهم الزباء أن قومه آذوه ، وأنه يلجأ اليها ويحتمي بها .

الـزمـان

ويظهـر أثر عنصر الزمان في تطور الشخصيات في بعض القصص ، فالزمان يمر والشخصيات تتأثر كما هي سنة الحياة ، ويظهر هذا الأثر في قصة (الحزم والوفاء) فزوجة المتلمس وفية لزوجهـا تأبى أن تستبـدل غيره به ، ولكن مرور الزمان يؤثر على الأوضاع وتخضع زوجة المتلمس .

ويؤثر عنصر الزمان أيضا على زوجة المجاهد في قصة (حفظ الكرام) وتنهار الزوجة لطول فترة غياب زوجها وتستسلم لليهودي الذي يضبطه الصديق في منزلها .

ويظهر أثر عنصر الزمان أيضا في القصتين الطويلتين جذيمة والأحداث ، وأقصوصة الروض ، ففي قصة جذيمة يمر الزمان فتتطور رقاش من محبة الى زوجة ثم الى أم ، وينمو عمرو ويصير شابا ثم ملكا ثم ينتقم لخاله من الزباء ، وهكذا تتطور شخصيات القصة .

وأيضـا في (أقصـوصـة الـروض) يؤثر الزمان في عواطف ابن سلام فيتخلى عن زوجته ، ثم يمر الزمان ويستولى عليه الندم ، ويستمر تطور الأحداث مع مرور الزمان .

ويحرص الشاعر على متعة القاريء فيلجأ خلال القصة الى وصف الجمال أو السعادة أو لوعة الحب ، ومن وصفه للسعادة قوله :

خود تصحبه بقبلة مغرم وتنير ليلته بمثل شهابه
وإذا نأى عنها رعته بعينها وإذا دنا فالعطف في جلبابه
تلقاه في البسمات دون خبائها وتضمه شوقا لدى أبوابه[1]
تهفو إليه في ضفائر فرعها كالليل يزجي البدر تحت نقابه

ومن وصف لوعة الحب قول الجارية للرشيد تشكو هجره إياها :

فقالت يا أمين الله مهلا فللأيام في قلبي أوار

---

(١) وحي العبقرية ص ٤٥٩ .

هجرت بدون ما ذنب سريري أمثلي لا يغير ولا يغار
ألست لحبك الروحي أهلا أمثلي لا يقر له قرار[1]

ومن وصفه لجمال المحبوبة وصفة لرملة بنت معاوية حينما أقبل أبو الدرداء وأبو هريرة يسألانها رأيها :

فأقبلا وهي مثل الشمس في حلل خضر يطيش لديها عقل رائيها
لا السمهري إذا مالت يماثلها ولا المهند في لحظ يضاهيها
ولا حفيف الصبا في سيرها سحرا كهمسة الطيف منها في محبيها
تفتر عن ناصع كالطلع يبرق في حمرا الشفاه كأن الخمر في فيها[2]

الأوزان والقوافي

ويلتزم الشاعر الخليلي في قصصه بوحدة الوزن والقافية ما عدا قصيدة واحدة لجأ فيها الى تنويع القافية ، أو قل انه لجأ الى نظام المقطوعات فجاءت كل ستة أبيات على قافية واحدة ، وهذه هي قصيدة (عند الموصلي) .

والحقيقة أن التزام الشاعر بوحدة القافية أو وحدة الروي أحدث قلقا في بعض القوافي فكان يأتي أحيانا بكلمات مجلوبة للقافية أو يأتي بكلمات غامضة يحتاج القارىء معها الى الرجوع الى المعاجم ، وهذا يقطع على القارىء متعة المتابعة العاطفية ويقطع تسلسل الأفكار عند القارىء ، وحبذا لو أكثر الشاعر من تنويع القافية حتى يضمن له ذلك التنويع حرية التعبير ويفتح أمامه مجالا أوسع لاستعمال الألفاظ الملائمة أو الألفاظ الواضحة التي تتقبلها الأذواق وتستريح اليها الآذان .

ويصب الشاعر أفكاره في عديد من البحور فقد استعمل بحور الوافر والكامل والمتقارب والطويل والخفيف والمديد والبسيط ، ولجأ الى مجزوء الوافر مرة واحدة ، والى منهوك المنسرح مرة واحدة ، والمجزوء والمنهوك تحذف فيهما إحدى التفعيلات مما يؤدي الى قصر الوزن وخفة الموسيقى .

---

(١) وحي العبقرية ص ٤٧١ .
(٢) وحي العبقرية ص ٥٠٢ .

الألفاظ

والشاعر الخليلي يميل الى الألفاظ الجزلة ذات الرنين الصوتي والوقع الصاخب ، ولا عيب في هذا ، غير أنه يأتي أحيانا بألفاظ معجمية غامضة يضطر القارىء معها الى التوقف والرجوع الى المعجم للكشف عن معانيها ، والشعر يخاطب العاطفة ويحسن أن تكون ألفاظ الشعر واضحة المعاني بدون ابتذال ، وألفاظ الشاعر بعيدة عن الابتذال ولكنها ليست بعيدة عن الغموض ، وإذا قرأنا هذه القصائد القصصية طالعتنا ألفاظ معجمية عديدة ، ومن أمثلة ذلك قوله :

وبي ناشط كالجواد الأصيل في شوطه سدك يمرح[1]

والسدك خفة اليدين في العمل ، ويقول :

ثلاثا كأمثال السعالي عجائزا ترى الموت منها فاركا يتنحنح

والفارك البغيض ، والتنحنح تردد الصوت في الجوف ، ويقول في القصيدة نفسها :

وأنضب عنا الماء والعيش والكلا ومجرى الهوا والنور والله يكفح

والكفح كشف الغطاء ورد البلاء ، ويقول في القصيدة نفسها :

فقلت : نعم فالبؤس تقفوه ألغم ولن يغلب اليسرين عسر مطحطح

طحطح كسر وفرق . ويقول في قصيدة نزار :

فإذا ما اختلفتم بعد موتي فإلى الجرهمي حيث البعاق[2]

والبعاق المطر الغزير . ويقول في القصيدة نفسها :

لم يمت من له ولو واحد منكم وإن مات جسمه والصفاق

والصفاق الجلد الأسفل الذي عليه الشعر . وهي كلمة مجلوبة للقافية يغني عنها جسمه .

---

(١) وحي العبقرية ص ٤٦٢ .

(٢) وحي العبقرية ص ٤٧٩ .

الانشاء والتضمين والاقتباس والحكم

ويضمن الشاعر قصصه أبياتا من الشعر لشعراء قدماء ، وقد أسلفنا الحديث عن بناء الشاعر قصصه على أبيات قديمة ، وقصيدته الأولى بعنوان (الخيزران والرشيد) بناها على أبيات معروفة لأبي نواس مطلعها :

نضت عنها القميص لسب ماء فورد خدها فرط الحياء[1]

ويورد الشاعر في خلال قصته هذه الأبيات القديمة ويصفها بين قوسين للتنبيه على أنها ليست من إنشائه .

واقتبس الشاعر من الحديث الشريف كما في قصيدته (مبعث الأسى) إذ يقول :

ولن يغلب اليسرين عسر مطحطح[2]

وهي تتضمن الحديث الشريف (لن يغلب عسر يسرين) .

ونجد ـ على قلة ـ حكما في ثنايا هذه القصائد كما في قوله في (أقصوصة الروض) :

إن الأمور مقادير وأقضية تبارك الله بين الخلق يقضيها[3]

ويكثر الشاعر من الأوامر والاستفهامات . ومن الأوامر قوله في أربعة أبيات متوالية :

سلاها قبل هيمنة المساء

سلاها والظلام له صداء . . . . . .

سلاها والدجى حيران تهوى . . . . . .

سلاها والحبيب على فراش . . . . . (٤)

ومن توالي الاستفهامات قوله في قصيدة (نزار وبنوه) في أبيات متوالية :

أغزاة أم أنتم طراق ؟ . . . . . .

أم موازين تحكمون البرايا ؟ . . . . . .

---

(١) وحي العبقرية ص ٤٥٧ .

(٢) وحي العبقرية ص ٤٦٤ .

(٣) وحي العبقرية ص ٥٠٤ .

(٤) وحي العبقرية ص ٤٥٥ .

أم أساطين والوجود فناء ؟ . . . . . .
أم خلايا تكشف الغيب عنها ؟ . . . . . .
أم خصوم ولا شقاق ولكن ؟ [1]

على أن الشاعر في كثير من الأحيان يختار الألفاظ الملائمة التي توحي بمعان خفية ، وفي حديثه عن الخيزران والرشيد يقول :

سلا قصر الرشيد عن الزوايا وعن أقمارها تحت الخباء
وعن آلام ليل الشوق فيه وعن أحلامه تحت الخفاء[2]

فالزوايا توحي بالخفاء والاستتار وتناسب خلوات الرشيد كما تحكي القصص ، ثم الأقمار وتوحي بجمال ساكنات هذه الزوايا ، والخباء من المصطلحات الشائعة في القديم وتناسب الزوايا ، ثم آلام الشوق ، والآلام تكثر ليلا والشوق يلتهب مع الوحدة في الليل ، وكذلك الأحلام تكون ليلا ، فالألفاظ كلها متلائمة .

ويقول الشاعر في قصة (سلطان الغرام) :

متحرك السكنات إلا أنه خاوي العزيمة فاقد لصوابه[3]

فقوله : (متحرك السكنات) يوحي بمدى القلق والتوثب ، فهو متحرك حتى وهو ساكن ، فهو متحفز متوثب قلق غير مستقر ، ثم يضيف الشاعر : (خاوي العزيمة فاقد لصوابه) فهذا المحب القلق خاوي العزيمة لأنه لا يستقر على شيء ولا يعقد العزم على شيء ، وإنما هو التردد والتقلب ، ثم هو فاقد لصوابه لأن الحيرة استولت على عقله فلا يحسن التفكير والتدبير .

التصـــويـــر

ونلقي نظرة على التصـــوير عنـد شاعـرنـا الخليلي فنـرى الشـاعـر يعنى بتصـوير الشخصيات تصويرا يكشف عن الجانب الذي يرمي الى ابرازه ، وفي تصويره لأبناء نزار نراه يقف أمامهم مدهوشا يسألهم :

---

(١) وحي العبقرية ص ٤٧٧ .
(٢) وحي العبقرية ص ٤٥٥ .
(٣) وحي العبقرية ص ٤٥٨ .

أغزاة أم أنتم طراق ؟ أم بدور لا يعتريها محاق ؟
أم موازين يحكمون البرايا ؟ أم رعاة العقول وهي حقاق ؟
أم أساطين والوجود فناء ؟ أم ميادين والأنام زقاق ؟
أم خلايا تكشف الغيب عنها جل ربي لا يدنيها اختلاق ؟[1]

وكل هذه تشبيهات يرمي الشاعر من ورائها الى إضفاء صفات الكمال عليهم .

ونلقي نظرة أخرى لنتبين المصدر الذي يستخدمه الشاعر ونتبين مدى ملائمة التصوير للهدف الذي يهدف اليه الشاعر ، ونستطيع أن نقول : إن مخيلة الشاعر مشبعة بالخيال القديم ترتسم عليها صور الحياة الجاهلية التي رآها مصورة في الشعر الجاهلي والاسلامي والأموي والعباسي ، ولكن هذا لا يمنعنا القول بأن بعض الصور تنبع من الحياة المعاصرة وتصور الترف والتزخرف .

وتتنوع صور الخليلي بين التشبيه والاستعارة والكناية ، وبين الخيال المفرد والمركب ، ونراها في كثير من الأحيان تصيب الهدف وتكشف عن الاحساس النفسي لأبطال القصة . ففي قصة (الخيزران والرشيد) يقول متحدثا عن الخيزران جارية الرشيد :

سلاها والدجى حيران تهوى به الأنات في أرض عراء
سلاها والحبيب على فراش كأن وطاءه شوك الغناء[2]

وإذا نظرنا الى الصورة نظرة كلية وجدنا الظلام مخيما والأنات تنبعث في هذا الجو القاتم ، والحبيب يتقلب على فراش كأنه الشوك ، فأجزاء الصورة ظلام وأنين وقلق وألم ، وهذا جو يلائم جو الحرمان والألم الذي يعيشه المحب ، وفيه اللون القاتم والصوت الصارخ والحركة القلقة ، ثم اننا نلقي نظرات جزئية فنقول : إن الدجى الحيران تشخيص ولكنه مطروق ردده كثير من الشعراء ، وكذلك تشبيه الفراش بالشوك ردده الشعراء منذ عهد النابغة الذبياني حيث يقول :

فبت كأن العائدات فرشن لي هراسا به يعلى فراشي ويقشب

---

(١) وحي العبقرية ص ٤٧٧ .
(٢) وحي العبقرية ص ٤٥٥ .

والهـراس الشـوك ، ونحن لا نعيب هذا التشبيه فهو يؤدي الغرض ويصور المنظر والحالة النفسية ، وإنما نقول : إن خيال الشاعر مشبع بالصور القديمة ، ونريد أن نسجل إعجابا بقول الشاعر :

تهوى به الأنات في أرض عراء

فالأرض العراء تصور الفراغ النفسي الموحش والحياة المجدبة المنفرة ، ولفظ تهوى به يصور السقوط في هذه الحالة النفسية والشعور المتطور بالألم .

وفي القصيدة نفسها نرى لمسة بارعة في وصف سعادة اللقاء حيث يقول :

وعن حسناء خامرها التمني بشهد من خليات اللقاء

وتشبيه سعادة اللقاء بالشهد أو عسل النحل تشبيه معروف ، ولكن البراعة هنا أنه أتى بالخليات وجعل الشهد من خليات اللقاء ، فالسعادة تتولد من اللقاء كما يخرج الشهد من خلايا النحل ، وجميل أنه أتى بهذا المزج بين اللقاء والسعادة كما نراه بين الخلايا والشهد .

وفي أوصـاله للمرأة يصف أعضاءها كما كان يفعل الجاهليون فيجعل قوامها رمحا ولحظها سيفا :

لا السمهري إذا مالت يماثلها ولا المهند في لحظ يضاهيها[1]

وفي صور الخـليلي نرى الـتشبيه التمثيلي الـــذي يتضمن صورة تحوي : جزئيات متناسقة لا تناقض بينها كما في قوله يصف المحبوبة :

تهفو إليه في ضفائر فرعها كالليل يزجي البدر تحت نقابه[2]

فهو يشبه وجهها المشرق وقد أحاطت به ضفائرها الفاحمة بالبدر في الليل، وأجزاء الصورة هنا متناسقة نلمسها في واقع الحياة .

---

(١) وحي العبقرية ص ٥٠٢ .

(٢) وحي العبقرية ص ٤٥٩ .

وقد يستمد الشاعر من الطبيعة الحضرية الجميلة ، كما في قوله :

وخد كالمروج الخضر يزهو به نور وريحان ونار[1]

وقد يرسم الشاعر لوحة ممتدة تجمع بين القديم والجديد وتضم الطبيعة العلوية الى جانب الطبيعة الأرضية فنرى لذة الشهد وإشراق البدر في الدجى وثغور الياسمين تتفتح ونظرات العيون السعيدة ، وذلك في وصفه ليلة سعيدة حيث يقول :

بليال في لذة الأري لكن رداها من أذفر موضون
يشرق البدر في دجاها ولكن عن ثغور الهناء والياسمين
ويظل الصباح بين زوايا ها عيونا تنساب إثر عيون[2]

وقد يجمع الشاعر في بيتين متواليين بين صورتين توهمان التناقض ، فيشبه المحبوبة بالغزال وبالليث ، ولكن الشاعر يشبهها بالغزال ثم بالليث في حالتين مختلفتين وإن كانتا متتاليتين ، فهو يقول :

لكن راية كالغزال وقد رأى شبحا يهم بختله وطلابه
رأت الوزير فأدركت غاياته فتمنعت كالليث غاب بغابه[3]

فراية كالغزال في رشاقتها وخفتها وفزعها عندما ترى شبحا ، وعندما لمحت الوزير يسير خلف حبيبها لكشف سرها تمنعت واختفت كالليث الممتنع في غابة .

المحسنات البديعية

لا نستطيع أن نقول : إن الشاعر عبدالله الخليلي ممن يتكلفون المحسنات البديعية ، وإذا قرأنا قصائده وجدنا المحسنات البديعية كالطباق والمقابلة والجناس ولكن في اعتدال وبدون تكلف ، وقد نلمح في بعض الأحيان أن الشاعر يقصد الى هذه المحسنات قصدا ولكنها لا تثقل على النفس ولا يمجها الذوق ، وقد يتطلب الموقف هذه المحسنات لابراز المعاني ولبيان الفرق بين الأضداد .

---

(١) وحي العبقرية ص ٤٧٠ .
(٢) وحي العبقرية ص ٤٩٢ .
(٣) وحي العبقرية ص ٤٥٩ .

ومن الطباق الذي جاء طبيعيا لا تكلف فيه قوله :

أقلب طرفا رماه الهوى أفتحه وهو لا يفتح
وألمس من تحت ثوب الخيال عين الحقيقة لا أبرح[1]

في البيت الأول طباق بالايجاب والسلب في قوله : أفتحه وهو لا يفتح ، وفي البيت الثاني يأتي الخيال والحقيقة ، وهو طباق يؤكد أن ما يتخيله لا يتعدى الواقع . ويقول أيضا :

إذا قوضت ساعة خيمت من الأنس أخرى بها نمرح

ويجمع بين الطباق والجناس بدون تكلف فيقول :

أكأسا تدار وعتبى تدور وجد وهزل فهل تمزح ؟

فالجناس في تدار وتدور ، والطباق بين جد وهزل ، وهكذا تكون المجالس بين الأحبة تجمع المتناقضات وتجمع بين مظاهر السعادة والشقاء .

وقد تتوالى المحسنات البديعية في أبيات متتالية في صدق وبعد عن التكلف كما نرى في قوله :

هو الحب فيه الجفا والوفا وسوء الفعال وحسن الصنيع
هو الحب فيه اعتزاز الحبيب وذل المحب ومهوى الشفيع
يذل عليه المليك القوي ويعتز حينا عليه الوضيع[2]

وكل بيت من هذه الأبيات يضم محسنا أو محسنين من الطباق والمقابلة والجناس .

هذه لمحة نقدية تلقي ضوءا على القصة الشعرية عند الشاعر عبدالله علي الخليلي ، وفي كل عمل أدبي مزايا ومآخذ . ولاشك في أن ازدهار حركة النقد الأدبي يؤثر تأثيرا إيجابيا في الأدب شعره ونثره ويدفعه نحو مسايرة التقاليد الأدبية العصرية ، وقد شهدت عمان ازدهارا في حركة النقد الأدبي كما شهدت ازدهارا في سائر النواحي نأمل أن يؤتي ثماره المرجوة . وبالله التوفيق .

---

(١) وحي العبقرية ص ٤٦٢ .

(٢) وحي العبقرية ص ٤٧٦ .

المقـامة والقصـة
في أدب الشـيخ عبد الله الخليلـي

بقلم الاستاذ الدكتور : الطاهر أحمد مكي [1]

أولا : المقـامة :

لا أظن الصدف وحدها هي التي جعلت من عمان أقدم بلد ابتدع المقامة ، على يد أبي بكر ابن دريد الأزدي العماني المتوفى عام ٣٢١ هـ ، والذي احتذاه بديع الزمان فيما كتب ، وبين أن يكون أحدث إبداع في المقامات لأديب عماني أيضا .

والـذي أراه أن وراء هذا التلاقي على بعد ما بين الأول والثاني من أعوام تتجاوز الألف هو عبقرية المكان التي تعمل عملها ، والموروث الثقافي الذي يؤدي دوره ، وتشابه المزاج الذي يقارب ، أو يباعد ، بين نتاج ونتاج .

ولم تصلنـا مقـامات ابن دريد ، وإنما شذرات منها نقلها تلاميذه والمعجبون به ، ووصلنا جانب لا بأس به من مقامات بديع الزمان ، وكل مقامات من ساروا على طريقه ، أو جلها في القليل .

مقارنة بين الخليلي وسابقيه

وحين نقارن بين مقامات الخليلي وسابقيه لا نجد فرقا ، لأن الصورة واحدة من حيث السجع والازدواج والمزاوجة ، وطريقة القص ، وإنما الفرق هو في ثقافة العصر وهمومه ، فكل واحد منهم صور مشكلات عصره ، وهموم قومه ، ومعضلات زمانه ، يودعها ما شاء من فكـرة أدبـية ، أو فلسفية ، أو خطرة وجـدانية ، أو يأتي على خبر بعض العـادات

(١) القي البحث في الحفـل التكـريمي الذي أقامه المنتدى الأدبي تحت رعاية معالي يحيى بن محفوظ المنذري وزير التربية والتعليم والشباب يومي ١٩ و ٢٠ فبراير ١٩٩٠م ، احتفاء بسعادة شاعر عمان الشيخ عبدالله بن علي الخليلي ، وتقليد سعادته درع المنتدى الذهبية .

والتقاليد ، أو يصف ما يقع بين الناس من ألوان الخصومات والأحقاد والمظالم ، أو يرسل العظة ، أو يسوق الوصف أو ينمق الفكاهة .

وكل ذلك نجده في مقامات الخليلي ، ولو أن الفكاهة ترد في مقاماته قليلة للغاية ، ربما لأن المثقفين دينيا ، والمتقدمين سنا يضحكون قليلا ، وإن ضحكوا ففي اتزان واقتصاد .

قدم لنا الشيخ الخليلي ست مقامات ، أو هذا ما وصلني منها وقرأته ، وهي :

المقامة النزوية ، والتساؤلية ، واللغوية ، والجعلانية ، والسمائلية ، والسمدية .

وهي تختلف فيما بينها طولا وقصرا ، وأسلوبا ولغة وموضوعات . فأطولها المقامة التساؤلية ، وأقصرها النزوية ، وأصعبها لغة اللغوية ، وهذا شيء طبيعي .

وتختلف فيما تتناول من موضوعات ، وفي البناء ، ففي بعضها نلتقي بالبطل صريحا بعد سطور قليلة من المقدمة . ويجيء في البعض الآخر بعد صفحة أو صفحات أحيانا ، ونلتقي به أحيانا متواريا وراء أوصاف ، ولا يجيء اسمه صريحا إلا في نهاية المقامة أو قريب من نهايتها .

وراوي مقامات الخليلي هو أبو الصلت الشاري بن قحطان ، وهو يعدل عيسى بن هشام في مقامات البديع ، والحارث بن همام في مقامات الحريري ، وبطل مقامات الخليلي هو فراهيد بن هود ، وهو يعدل شخصية أبي الفتح الاسكندري في مقامات البديع ، وشخصية أبي زيد السروجي في مقامات الحريري ، ونلحظ أن الراوي والبطل في مقامات الخليل عربيان عاربان خالصان .

البطل في مقامات الخليلي

وبطل الخليلي يختلف عن بطلي سابقيه ، فإذا كان هذان البطلان عند البديع والحريري من المكدين ، وهم أصناف كثيرة لا تكاد تحصى ، فبطل الخليلي : « شيخ عليه سمة الوقار وسمة الصالحين ، يعلوه الخشوع والانكسار لله رب العالمين ، وكأنما أمسك بيده ناصية الجنة ، فتهلل وجهه نورا يغشى الناس والجنة ، وكأنما دفنت يده ـ والعياذ بالله ـ في

بؤرة النار ، فبكى وأبكى من حوله خوفا من دار البوار ، وهو يهيب بالناس إليه ، ويجمعهم لديه ، في لسان ذلق ، وصوت صهصلق ، والناس اليه كالسيل الجارف ، والحلقة تجمع الجاهل والعارف » .

ويصفه في المقامة الثانية بأنه شيخ « قد جلله الوقار ، وبدا عليه الاكبار » ، وفي الثالثة بأنه ينشد شعرا يفخر فيه بالعرب العاربة ، واليعربيين واليمنيين ، على حين انه في الرابعة : « حسن الوجه صافي الاديم ، تبدو عليه ملامح الشرف وبشرة النعيم ، وإن غيرت منه وعثاء السفر ، وعضته أنياب الدهر بالكبر ، ولكنه لايزال شديد المنسر ، حاد اللسان والانيب والاظفر ، ظاهر على الأقران ، عليه سمة الايمان ، وسمة الرزانة والاتزان ، رقيق الحاشية ، شديد الغاشية ، قليل اللغو ، بعيد عن اللهو » .

وهو في المقامة الأخيرة : « شيخ وقور ، كأنه ليث هصور » .

المقامة الأولى : النزوية

تجيء المقامة الأولى وهي النزوية ، مقدمة أو كالمقدمة ، وتدور حول تصوير الواقع العربي قديما وحديثا من خلال خطبة يتحدث فيها الخطيب عن عرب الجاهلية وكيف أعزهم الاسلام ، وكيف أحب أبناؤه الموت في سبيله ، وحملوه شرقا وغربا ، وكيف انتهى بهم الحال فتوزعوا فرقا ، وضعفوا أخلاقا ، وهانوا شعوبا ، ولاذوا بأعدائهم ، كل واحد يعجب بزعيم منهم ، ونسوا خيار أعلامنا : الصديق والفاروق وعمر بن عبدالعزيز ، وغيرهم كثير من أهل العلم والعمل .

ويعجب أبو الصلت الشاري بالخطيب ، ويحاول أن يتعرف اليه ، ويعرف انه فراهيد بن هود ، وبهذه الطريقة يقدم لنا بطله ، ويجد الكاتب المناسبة ليورد لنا دعاء اسلاميا خالصا .

والمقامة الثانية : وهي التساؤلية

أطول المقامات ، وتتضمن أحد عشر سؤالا ، أغلبها يتصل بالمرأة ، زوجا وحبا وغزلا ، وحقوقا وطلاقا ، ولهذا صحب الراوي معه « سيدة الوادي » ، وأميرة النادي ، التي إن قالت أعربت ، وإن عبرت أعربت ، وتركها تتوجه بأسئلتها الى الشيخ فراهيد بن هود .

تسأله عن أبيات الغزل ينشدها الشاعر ، « تهيج المشوق ، وتسيطر على المعشوق ، وتلعب بالقد الممشوق » وعن « شعره يسبي العقول ، وغزله أرق من النسيم ، ومناجاته ألذ من برد النعيم » ، فيرد عليها مفصلا رأي الاسلام ، وأنه دين الفطرة ، وأن البداوة أنقى للقلوب ، وأصفى للبشرة ، وتسأله عن قول الشاعر :

حجبوها ، وكيف تحجب شمس شع في الخافقين منها ضياء

فيجد الفرصة مواتية ليكون رده عن الشعراء ودورهم في الحياة ، والشعر ورسالته ، ما يقبل منه وما يرد ، وما يرتضيه الاسلام وما يرفضه ، ثم يعرض لقضايا نقدية خالصة ، كالخيال والمجاز والبلاغة والاعجاز ، ويعرض لشعر الغزل من جديد ويدعم رأيه بقصة ابن عباس رضي الله عنهما ، حين دخل عليه عمر بن أبي ربيعة ، فأقبل على الشاعر والناس ينتظرونه ، فغضب ابن الأزرق ، وقال : نضرب إليك أكباد الابل للسؤال ، ويأتيك حدث من أحداث قريش فتقبل عليه ، وتسمع منه ، وتعرض عنا .

ويدع الشعر والشعراء وما يقولون الى أسئلة تتصل بقضايا اجتماعية ، كالعلاقة بين الزوجين وما يجب أن تكون عليه ، في حديث جريء ولكنه يتسم بالحشمة ، ويستشهد بقصة المرأة التي لجأت الى الامام علي رضي الله عنه ، تشكو زوجها ، فيقف الى جوارها ، وبحكايات أخرى عمانية معاصرة .

وعندما يعرض لقضية الاختلاط بين الزوجين في العمل والحفلات ، يورد حجج المرأة السائلة ، وهي الى جانب الاعتدال أميل ، فتذكر أن نساء الصحابة كن يمشين في الطرقات ، ويختلطن بالرجال ، ويخرجن في الحرب ، يحملن الماء والزاد ، ويضمدن الجراح ، ويذهبن الى المساجد ، ويعملن في الحقول ، ويقرين الضيف ، ويغثن الملهوف ، أما الحجاب فلم ينزل إلا على نساء المصطفى عليه الصلاة والسلام .

ولا يقر الشيخ رأيها ولا ينكره ، وانما يرد ذلك الى مجتمع وقر في قلبه الايمان ، وهيمن على ارادته القرآن ، وربته البداوة في الخشونة ، ونشأته على الغيرة والأنفة ، وعودته على رعاية الجوار ، وحسن الصنيع ، فشب على مكارم الأخلاق .

ويتحدث عما صنعه الاسلام بالمجتمع العربي ، واحترامه المرأة وحقوقها ، ولكنه لا يقر أيضا التطرف في التحرر ، فيتحدث عن جاهلية القرن العشرين ، وقد غزي الاسلام في عقر داره ، وما أدى اليه ذلك من سفور واختلاط وانحلال .

ثم يستشهد بامرأة غربية زارت العالم الاسلامي لتتعرف الى معالم الاسلام وحضارته ، فلم تجد شيئا مما قرأت أو سمعت ، ثم تهيب بالمرأة العربية أن تعود الى تعاليمها الاسلامية ، في وعظ لا يختلف عن أي وعظ يقوله امام مسجد في خطبة الجمعة ، وتمضي في وعظها ، أو وصيتها فتحدثها عن المرأة الغربية ، وكيف تسكعت في الضلال ، وذابت في الانحلال ، وتتوجه الى الشباب أيضا ، وتنصحه الا يتشبه بالفتيات .

وهو حديث لى عليه تحفظ شديد .

وتدع القضايا الاجتماعية الى قضية تتصل بالعقيدة وعلم الكلام ، وطالما خاض فيها الفلاسفة ، وعلماء التوحيد ، وهي مطابقة الشرع للعقل ، في بيان خال من الاسناد والنقل . وتجيء الاجابة في حديث طويل ، يدعمه الشيخ فراهيد بن هود بحديث عن ورقة بن نوفل ، ويستشهد بقصة ابراهيم الخليل وبالآيات القرآنية المتصلة به .

ومن مطابقة الشرع للعقل الى السؤال عن النقل وما مدى تعلقه بالعقل ، وإذا كان النقل يحتمل الكذب والصدق فكيف يبنى عليه دين ويقام حق ؟

ويجيء الجواب عن هذا السؤال موجزا لا يتجاوز عشرة سطور .

ومن العقيدة الى العبادات ، فيكون السؤال التاسع عن الصلاة والصيام والحج والزكاة ، وفي جوابه عن الأسئلة ، وعن أركان الاسلام يستخدم العقل ، ويقدم لها وصفا شافيا .

وتعود السيدة فتسأله عن تعدد الزوجات ، ومدى صلاحيته ، فيقدم الشيخ تفسيرا وتبريرا لهذه الظاهرة ، ويكون السؤال الحادي عشر والأخير عن الزواج المبكر ، ويورد قصة أخبر بها من أيامنا هذه ، عن رجل تزوج من فتاة في الثامنة ، وأخرى عن فتاة تزوجت في الحادية عشرة من عمرها ، ويشغل الحديث عنهما صفحتين كاملتين ، وينشد أبياتا تتصل بالقضية .

ثم يمضي أبو الصلت الراوي لحاله ، وتمضي السيدة لحالها ، وقد اقتنعت بما سمعت من آراء .

المقامة الثالثة : اللغوية

تجيء مقدمة المقامة اللغوية حافلة بالأسماء الصعبة ، ولذلك اضطر الكاتب أن يوضحها في الهامش ، ثم يلتقي بشيخ يحاوره ، وينشده شعرا يفخر فيه بالعرب العاربة واليعربين واليمنيين والقصيدة طويلة ، وفيها روح أبي بكر بن دريد ، وكما أراد شيخنا القديم أن يظهر براعته اللغوية ، أو أن يعلمنا شيئا من مفردات العربية ، فكذلك صنع أديبنا الخليلي ، ولذلك وردت في القصيدة الأولى كلمة العجوز أربعا وسبعين مرة ، تتفق فيها جميعها في الرسم وتختلف في المعنى ، دون أن يتكرر معنى واحد لها ، وفي قصيدة تليها وردت كلمة « العين » إحدى وخمسين مرة ، الرسم فيها واحد والمعنى مختلف ، وفي ثالثة نلتقي بكلمة « الخال » ثمانيا وثلاثين مرة ، لكل لفظ منها معنى مختلف . وحين يبلغ غايته من هذه البراعة اللغوية ، ينهيها بأنه بعد أن صلى معهم ركب جواده ، وأطلق للريح ساقه .

المقامة الرابعة : الجعلانية

وجرت أحداث المقامة الرابعة الجعلانية بين مصر وعمان ، فقد دعا البطل الناس للصلاة ، وبدأ يحدثهم عن أشياء حدثت له في شوارع شبرا ، وهو أحد أحياء القاهرة ، حيث التقى بشاب صحبه حتى رأى الملك ، وطلب منه الملك أن يسمع أخبار عمان فقصها له ، واتخذ منها سانحة ليتحدث عن واجبات الملك وواجبات الرعية ، مستشهدا بحكاية فارسية حدثت لأبي سابور كسرى ، ولكن تراثنا العربي استشهد بها .

ولما أنهى كلامه أخذ طريقه راجعا ، ولمصر موادعا .

المقامة الخامسة : السمائلية

المقامة السمائلية تتضمن حديثا عن خير النساء ، كما يتصورها ويصورها الكاتب ، لا في الجانب الحسي فقط على طريقة الشعراء الأولين ، وإنما يتناول أيضا الجانب المعنوي ، على طريقة ابن حزم وهو يصف صاحبته في طوق الحمامة ، وإن كان الوصف الحسي يشغل مساحة أكبر .

ولكي يزيد الصورة وضوحا ، على طريقة الجاحظ ، تحدث عن شرار النساء ، ومن نساء الى وصف الحصان والسيوف والرماح ، على أن أبرز ما فيها وأجمله وصف الطبيعة ، وجاء مقدمة للمقامة :

« كنت أمشي مرة بواد كشعب بوان ، ذي روح وريحان ، وأفانين وأفنان ، وأطيار وغزلان ، فمن ألوف ومن نافر ، ومن واقع ومن طائر ، ومن وارد ومن صادر ، شجره كثيف ، وروحه لطيف ، ونسيمه عليل ، وعذبه يشفي العليل ، له جداول كعين عذارى ، وحور كقامات العذارى ، وكأنما حصباؤه اللجين الأبيض ، والماء عليها كالعقد المفضض ، وترى الماء يتلوى في منحنياته ، كالسيف الأعوج في يد كماته ، وترى الروض في جنباته ، كالعذار اليوسفي خلف وجناته ، وكأنما صداح بلبله وترجيع هزاره ، تلمود الراهب على ناقوسه ومزماره ، وكأنما وسوسة الماء وخريره ، قلم الشجي إذا يشجيك صريره » .

ويشغل هذا الوصف الجيد صفحتين كاملتين ، يعقبهما حديث قصير عن « أزد عمان ، أسد الطعان ، وأكفاء الاقران ، الذين إن قالوا أعربوا ، وإن صالوا أوعبوا » .

المقامة السادسة : السمدية

وكصورة مقابلة لهذه الطبيعة الباسمة ، يقدم بنا الكاتب في المقامة السمدية ، في جانبها الصاخب الثائر « فالأرض قد كشرت عن ناب الغضب ، فاضطربت بالأمواج بحارها ، وكادت تنفرج عن الشر أقطارها ، فتسمع للفضاء غمغمة ، وللرياح همهمة ، وللبرق خطفا مذهلا ، وللرعد صوتا مجلجلا ، والأفق مطير ، والطقس قمطرير » .

ويتبع هذه الأوصاف بأبيات من الشعر تتفاوت بين الغزل والحكمة ، ثم ينتهي الى كومة من الحجر ، تحتها فرش من هشيم الشجر ، حتى اقترب الراوي منها وجد طيها « شيخ وقور كأنه ليث هصور » ، فسألني من أنت ؟ قلت له : أنا الانسان .

قال : ما أخالك إلا فراهيد بن هود .

قلت : وما أظنك إلا الشاري بن قحطان ، ثم مال عليّ وأنشدني أشعارا ، وبعد محاورة أخذ يقص عليه عددا من الأمثلة ، هي خاتمة المقامات .



جانب من الامسية الأدبية التي أحياها المنتدى الأدبي تحت رعاية السيد فيصل بن علي بن فيصل آل سعيد
وزير التراث القومي والثقافة بمناسبة مرور عامين علي افتتاح المنتدى

بناء المقامات الخليلية

تلك هي المقامات الخليلية ، ولا تختلف في بنائها عن مقامات خير عصور العربية ، وذلك لا يمس أصالتها ، فليس الابتكار في الفن أن يخلق المبدع شيئا من العدم ، أو غير مسبوق ، ذلك لا يتأتىً عادة ، وليس هناك من يبدأ من فراغ ، وإنما المبدع المبتكر هو من يرعى قواعد الفن ، ويتحرك في نطاق أطره وقوالبه ، ولكنه يضيف إليها ذاته ، ويملؤها من فيض مشاعره وأحاسيسه ، ويديرها حول قضايا عصره ، أو هموم قومه ، أو من مشكلات يمور بها داخله .

والمقامات التي أعرض لها تعكس اهتمامات كاتبها وهموم ذاته في صدق ، ولا يحتاج القارىء معها الى جهد لكي يدرك أن كاتبها يتحرك بين محورين رئيسيين هما : الاسلام والعـروبة ، وانه في العروبة يخص قومه الأقربين بمزيد من الاهتمام ، وأن واقع العرب والمسلمين يشغله ، وصورتهما في الأمس الزاهر والحاضر الباهت ، متقابلتين دائما ، وينطلق من هذا الى وعظ فيما يراه علاجا وطريقا للنهوض .

ولا تخلو مقامة من مقاماته من الاستشهاد بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والأمثلة ، وتتخللها أشعار تتراوح بين البيت الواحد والقصيدة والقصيدة المطولة ، وأحسب أن الأشعار في جملتها ، عدا أبيات شوارد ، من إنشاد الكاتب نفسه .

وبتـأثير من ثقافة الكاتب وتدينه خلت مقاماته ، على غير المألوف في مثلها ، من المجون والهجاء ، وقلت الفكاهة ، وخلت من الالغاز .

وأسلوب المقامات مسجوع ، كما هو الحال في كل المقامات ، وكلماتها اللغوية إجمالا قليلة الصعوبة ، باستثناء المقامة اللغوية ، وتجيء الجمل قصيرة موقعة كما في قوله يصف ركوبته : « أنيقة المظهر ، متينة المخبر ، تسبق الطير ، ولا تكل من السير » ، وقد تطول السجعة ، فتجيء في تسعة جمل : « أما خير الرجال ، وصفوة الأبطال ، فالسيد الجواد ، القليل الأنداد ، الماجد الأجداد ، الراسي الأوتاد ، الرفيع العماد ، العظيم الرماد ، الكثير الحساد ، الباسل الذواد ، الصادر الوارد » .

وهو يختار لكل موضع ألفاظه المناسبة ، يلين في مقام الرقة ، ويعذب عند الاطراق ، ويصعب ويغرب حتى يبلغ الغاية ، إذا تطلب المقام ذلك ، كما في المقامة اللغوية ، وفيها فقرات تعد من آيات الوصف السابغ ، والحركة القوية ، وتتوارد المناظر خلالها في حياة وانسجام ، وعندما تنتهي من قراءتها لا تجد شيئا كأن الخليلي لم يقصد بها غير الوصف .

ثانيا : القصة في أدب الخليلي :

في مجال القصة القصيرة أسهم شيخنا الخليلي بمجموعة من القصص تبلغ تسعا ، وتنتمي إلى أزهى عصور الحكاية العربية التراثية ، وهذا تقديرنا لها ، وفي ضوئها يجب أن تدرس .

فنحن معها نتنسم روح القسم الثالث من كتاب المكافأة لابن الداية ، وتدور قصصه حول من وقع في شدة ثم خلص منها ، أو كان عرضة لضياع ماله أو فقدان نفسه فرد إليه ماله ، ووهبت له نفسه ، كما كان أو خيرا مما كان .

وهي شديدة الشبه بقصص التنوخي ، وهو قاض لا يذكره التاريخ إلا قصاصا ، وبخاصة في مجموعته « الفرج بعد الشدة » ، وكشف كل كتب القصص على أيامه ، فقد طواه على قدر كبير منها ، ربما لم يؤلفها كلها ، وجاء بها مسندة ، وجرى عليها قلمه تعديلا وتصويبا وصياغة ، ولا توجد فيها حدود فاصلة بين الخيال والواقع ، بين ما حدث فعلا وبين ما هو من إبداع الكاتب ، وتعرض لنا الوقائع في صور تفيض بالمعاناة ، ويعيش أبطالها في توتر ، ونهاياتها كلها سعيدة .

أبطال الخليلي في القصة

وكل هذه المشاهد نلتقي بها في قصص الخليلي ، فأبطاله كلهم يعانون ويكافحون ، ويواجهون مصاعب لا حد لها ، ويخرجون من أزمة الى أزمة ، ولكنهم في النهاية ينتصرون ، وقد يتخذ من البطل رمزا للخير الذي يلاحق ، ومن آخر صورة الشر الذي يكشر عن أنيابه ، ويبدو في مظهر المنتصر ، ولكنه في النهاية يلاقي سوء المصير ، ويخرج الخير من المعركة منتصرا ، مرفوع الرأس .

فالشيخ يعرب في القصة التي تحمل اسمه ، يواجه أعداء كثيرين ، يعجزون عن مواجهتـه ، فيستخـدمون معه الأساليب الخفية من الافساد : الخمر والنساء والطرب ، وحينئذ تفتح القلعة الجبارة أبوابها ، وتأخذ في التصدع .

أتراه يرمز بها الى الصراع بين الاسلام وخصومه ، وبين العرب وأعدائهم ، أحسب هذا ، وتسمية البطل يعرب تشي بشيء من هذا ، وتغزو الكتلة الحاقدة الكتلة الكبرى ، وتوزعها كتلا متناثرة ، عملا بمبدأ فرق تسد ، ولكن رجلا صالحا يخرج من زوايا الوطن العـربي الكبير ، يلوذ بعتبات مسجد صغير ، في قرية نائية ، تحت جبل شامخ ، يدعو الناس إلى الاسلام الصحيح ، ويتبعه عدد من قومه ، يواجه بهم الأعداء فينتصر عليهم ، ويحرر الناس ، وفي كفاحه يجتاح السيل المنطقة ، وفيها سجن كبير ، فيسرع اليه لانقاذ المسجونين ، فيموت غرقا ، وينال كلتا الحسنيين ، النصر والشهادة .

البناء القصصي عند الخليلي

وقد تكون القصة تاريخية خالصة ، أعاد ترتيب أحداثها ، لتأخذ شكلا فنيا ، كما في قصة « الجمال المتعادل » فهي تتخذ من حكاية زواج الحارث الغساني من ابنة الحارث بن أوس الطائي إطارا ، يوضح من خلاله أن الجمال مصدره الجسد والروح معا ، وبهما تقوم الحياة الزوجية ، وأن الزوجة الصالحة تستطيع بعقلها وذكائها أن تخدم أمتها ، حتى في أعوص مشكلاتها ، فقد استخدمت الزوجة مواهبها وجمالها في أن تدفع زوجها ، قبل أن تملكه نفسها في أن يعمل على إنهاء أعتى حرب وأشدها قساوة عرفتها الجزيرة العربية في الجاهلية ، وهي التي كانت بين قبيلتي عبس وذبيان .

وقد تكون القصة مستوحاة من القصص القرآني ، إذ يرجح عندي أن قصة « الخطر المحدق » أوحت له بها قصة موسى في القرآن ، حين ورد ماء مدين ووجد فتاتين تستقيان ، فأحمد بطل قصة الخليلي يقضي جل وقته في الجامع ، ويعيش من تجارة صغيرة ، وقرر أن يحج شابا ، وفي الحج أخذ بعينين جميلتين ، وأمسك بيد صاحبتهما فنهرته ، فعاد إلى رشده واستغفر الله ، وهو في طريق العودة مال الى ماء ، وبقربه وجد كيسا فيه ألف دينار ذهبا ، فألزم نفسه أن يعود الى الحج من العام القادم ليعرف ، وبقى على الماء يسقى الركبان ،

ويدور العام ، ويذهب الى مكة من جديد ويعلن عن اللقيطة التي وجدها ، ويتقدم اليه صاحبها ، فيقدمها اليه ناقصة عشرين دينارا ، كان قد صرفها خلال إقامته على الماء ، ورفض صاحب الكيس أن يعفو عن المبلغ أو يعتبره قرضا ، وطلب منه أن يصحبه الى بلده ليعمل عنده بما يساويها ، ولم يجد أحمد بداً من الذهاب معه .

ويلتقي أحمد بنساء كثيرات في بيت الرجل : زوجه ، وبناته وقريباته ، وبينهن الفتاة التي لقيها في الحج ، ويعرف انها زوجة الرجل ، وأن الرجل شحيح ومقتر وأن المال كله لها من أبيها . وقد عتبت على زوجها قسوته في معاملة الشاب ، فرد عليها بقسوة بأن منظره أعجبها ، وهذه خيانة .

ولأن المال مالها ، أعفت الشاب من الخدمة ، مقابل المبلغ الناقص ، وأطلقت سراحه لوجه الله ، وتركت البيت ، فغضب زوجها ، وصاح بها : أنها طالق ثلاثا ان جاوزت عتبة البيت .

ولكنها خرجت ، فأصبحت طالقا ، وأشهدت على ما حدث ، إمام المسجد ، ثم تذهب الى أحمد حيث يقيم ، تحمل شهادة الطلاق ، وتنتظر براءتها ، ثم يتقدم أحمد فيخطبها ، ويوافق وليها ويتزوجان .

والقصة كما نرى تزدحم بمصادفات غير مبررة ، تأباها القصة الحديثة ، ولكن الحكايات القديمة والوسيطة ، في الأدب العربي والآداب العالمية لا تضيق بها ، وحسبنا لها مثلا ما يزخر به ألف ليلة وليلة من مثل هذه الحكايات .

وقد تتضمن الحكاية الواحدة عدة حكايات ، يربطها خيط رقيق ، كما في قصة « المغامرة » ، حيث الشرطة تحاول القبض على فتى ، وهو يدفعهم عن نفسه ، لأنه يريد أن يقدم دواء معه لوالده ، ويتدخل بطل القصة ، ويقترح على الضابط أن يذهب الشاب ومعه شرطيان ليوصل الدواء ثم يعود ويقدم نفسه ، وصحبهم البطل في العربة .

في الطريق سأل بطل القصة الفتى عن السبب الذي جعلهم يحاولون القبض عليه ، فنفى أنه يعرف شيئا ، فتطوع أحد الشرطيين به ، وذكر حكاية ضابط وجد قتيلا ، وبجواره فتاة فيها بقية من رمق ، في تفصيلات مؤداها ، أن هذا الضابط وفتى آخر كانا يتنافسان في حبها ، ولم يجد الفتى وسيلة يتخلص بها من غريمه غير أن يطلق الرصاص عليه ، وما ان

ينتهي الشرطي من هذه القصة ، حتى يتدخل الفتى في الحوار ليقص عليهم حكاية رواه والده : قصة رجل من أهل النعمة واليسار ، حاصرته الدسائس والمكائد ، واحدة وراء أخرى ، وهو يأتي عليها تفصيلا ، إلى أن اتهم الرجل أخيرا بأنه يدبر للثورة فصادرت أملاكه بما فيها بيته ، وبقى الرجل في السجن أعواما ، ثم مات ظالمه ، وجاء ابنه ، فعفا عنه ، وفك سراحه ، وخرج من بلده ليلحق بزوجه عند أهلها في بلدهم .

وفي الطريق نزل بقوم فاستضافوه ، وبعد العشاء خرج من الحي ، واستاق الى الصحراء ، وهو في أحلامه مع نفسه ، رأى فتاة تقبل من جانب ، وشابا يقبل من جهة أخرى ، وإذا بفتى آخر يقبل من ناحية الحي ، ويطلق عليهما النار فيرديهما قتيلين ، ويسرع هاربا ، ويجيء الناس على صوت الرصاص فيجدون هذا الغريب المستلقي فيأخذونه بالجريمة ويقيمون عليه الأدلة ، ويساق الى المحكمة وتقضي عليه بالاعدام ، وقبل التنفيذ بقليل يتقدم شاب ، ويعترف بأنه الذي قتل أخته وعشيقها ليمسح العار عن أسرته ، فيطلق سراح الرجل الذي اتهم ظلما ، ويأخذ المجرم مكانه قاتلا .

وحين أكمل الشاب القصة كانت السيارة قد وصلت الى بيتهم ، فقدم الدواء لأبيه ، وصلى الأب كم أجله ، وأمره أن يعود ويسلم نفسه .

ولكن البطل الذي توسط له استأذن على رئيس المحكمة ، وأخبره بقصة الولد وأبيه ، فلما طلب الملف وجد المجرم غير ذلك الفتى ، وقد ألقى القبض عليه فعلا ، فأفرج عنه ، فعاد إلى والديه ، وكان وحيدهما ، وهكذا الجزاء من جنس العمل ، وفي المثل « عاقبة الصبر الفرج » .

في نطاق الأمثلة التي ذكرت ، ولا أريد أن أطيل بذكر المزيد منها ، من توظيف التراث ، تاريخا ومأثورات ، وتوليد الحكايات بعضها من بعض ، تجيء بقية القصص في بنائها ، وإن اختلفت مادتها وموضوعاتها بالطبيعة ، وهو اتجاه تطلب تقنيات فنية معينة ، فالقصص تبدأ بكان ، أو كنت ، أو يحكى أو يروى ، وقد تستطرد الى تفصيلات جانبية ، واهية الصلة بالموضوع الرئيسي ، كوصف مناسك الحج تفصيلا في قصة « الخطر المختبىء » ، وعنصر الزمان والمكان فيها يختفي تماما ، فلا تعرف أين وقعت الأحداث ولا في أي زمن ، وهي سلبية لها جانب ايجابي ، لأنها تجعل من الحكاية تاريخا حيا مشاهدا

في أي زمـان ومكـان ، وبخاصة أنها تعرض لقضايا ومشكلات لا يختص بها عصر دون آخر ، ولا شعب دون شعب في أمتنا العربية .

وجـو الحكـايات ديني إجمـالا ، فالأبطال صالحون ، يعملون هم ، أو آباؤهم في المساجد ، أئمة أو خطباء ، أو خدما في حالات قليلة ، أو عاكفون فيها على العبادة ، وهم عرب أصلا ، يذكر الكاتب أسماءهم في أكثر الحالات ، سواء كانوا من الرجال أم النساء ، وإذا استثنينا يعرب في القصة التي تحمل اسمه ، فبقية الأسماء عربية حديثة أو إسلامية ، فهناك : محمد وأحمد وبدر وخيري ورشدي وصالح ، وفاطمة ومنى وهناء .

ونسـاء القصص كنسـاء عمـر بن أبي ربيعة ، متشابهات في الصفات والملامح ، ولا تفترق واحدة منهن عن أخرى ، مهما اختلف موضوع القصة ، أو تنوعت المواقف .

ومع أن القصص تراثية البناء ، لكن موضوعاتها مما يجري بيننا في حياتنا المعاصرة ، ولا بأس أن تكـون هذه المـوضـوعات ذات امتداد بعيد ، فالتنافس والأحقاد والمكائد ، والخيانات ، والصراع حول المرأة ، وجدت منذ وجود أول إنسان على ظهر البسيطة .

ومـع أنـه لا يمكن القـول إن الكـاتب يستخدم ما يسميه النقاد المحدثون اللغة الثالثة ، أو الوسطى ، والتي يتطلبها فن القصة ، لأنها تصور حدثا وقع في الحياة العادية حيث يتحدث الناس لغة بسيطة ، لكن لا يمكن أن يقال أنها لغة صعبة ، فهو يراعي السهولة ، فلا سجع ولا اغراب ، وإن ظل في نطاق نهجه الأسلوبي من الاستشهاد الدائم بالقرآن الكريم ، وبأبيات الشعر والأمثال حين تتطلب المناسبة ، غير أنه في الوقت نفسه كان حريصا أشد الحرص على نقاء لغته من الدخيل ، حتى أنه يؤثر تعبير ألف ألف على كلمـة مليون ، لأن هذه دخيلة وتلك عربية خالصة ، كذلك لا تتضمن القصص كلها كلمة عامية ، أو محلية ، أو أجنبية .

المضامين العلمية في شعر الخليلي

إعداد : سعيد بن سليمان العيسائي [1]

إن المتتبع لديوان الخليلي يجد أن الشاعر قد قسم ديوانه إلى عدة مجالات نذكر منها :

السلوك والتصوف والمديح النبوي والحكمة والوطنيات والتأمليات والاخوانيات والرثاء والغزل .

وقد يقول سائل كيف استطعتم استخراج القصائد أو الأبيات الخاصة بالعلم وليس هناك مجال خاص بالعلم أو بالعلماء في المجالات التي قسم اليها الشاعر ديوانه ؟

والحقيقة أن شعر العلم في ديوان « وحي العبقرية » لا تكاد تخلو منه قصيدة من قصائد الديوان ولو ببيت أو بيتين إلا أننا حرصنا على أن تكون القصائد التي اخترناها تعبر تعبيرا واضحا عن المضامين العلمية التي أرادها الشاعر واستطاع الباحث بالتالي استخلاصها من هذه القصائد ليؤكد أن عدم تخصيص مجال للعلم والعلماء لا يعني إغفال هذا الجانب من قبل الشاعر وانما لأهميتها طعم بها كثير من القصائد كما ذكرنا سابقا .

وإذا كنت أؤكد في هذه الورقة على تصرف الخليلي في الشعر العلمي من خلال القصائد والمقطعات التي ستكون موضع الحديث والنقاش لهذه الأمسية فأي ثقافة تؤهله لخوض غمار هذا الجانب المعقد ؟ وأي دراسة تمكنه من التعبير برقة متناهية عن جوانب علمية ربما يصعب على المتخصص التعبير عنها بأسلوب الخليلي العميق ؟

وللاجابة على هذا السؤال علينا أن نورد مجموعة من الأسباب والعوامل التي أثرت في ثقافة شاعرنا وهي :

---

(١) القي البحث في الحفل التكريمي الذي أقامه المنتدى الأدبي تحت رعاية معالي يحيى بن محفوظ المنذري وزير التربية والتعليم والشباب يومي ١٩ و ٢٠ فبراير ١٩٩٠م ، وتم فيه تقليد سعادة الشيخ عبدالله بن علي الخليلي درع المنتدى الذهبي .

أولا : نشأ الشاعر نشأة علمية في أسرة عريقة اشتهر أهلها بالعلم والدين والتقوى الى جانب العدل والحكمة . ولهذا يروي سعود بن علي الخليلي بأن الشاعر « تلقى علومه على يد اخصائيين ممتازين مبتدئا بالقرآن الكريم لدى مقرئه الحاذق زاهر بن مسعود الرحبي ثم انتقل الى استاذ العربية الفاضل النحوي الكبير حمدان بن خميس بن سالم اليوسفي ، ومن ثم قرأ على الشيخ العلامة حمد بن عبيد بن مسلم السليمي الذي حمل لقب داهية العلماء والشيخ سالم بن حمود بن شامس السيابي اللذين يشغلان رتبة القضاء » . (١)

ثانيا : وسائل الاعلام التي كانت متوفرة آنذاك ، تمثل أحد الروافد الفكرية لثقافة شاعرنا العلمية ومالها من دور كبير في ابراز المخترعات والمكتشفات في صورة تمكن المتابع والمتتبع من فهمها وتمثلها في مخيلته .

ثالثا : الأسفار والزيارات لبلدان العالم المختلفة التي قام بها شاعرنا مكنته من مشاهدة مجتمعات وعوالم أخرى أكسبته بدورها مجموعة من التجارب ، كما اطلع عن كثب على بعض التكنولوجيا العصرية وما تزخر به الدول من صناعات متطورة ومتقدمة .

رابعا : القراءة والاطلاع ، على الكتب والمراجع والمؤلفات فشكلت جانبا كبيرا من ثقافة الشيخ الشاعر ومكنته بدورها من الالمام والمعرفة بما يجري حوله من تطورات وتغييرات وخصوصا في الجوانب العلمية .

خامسا : الالتقاء ببعض الزوار من الدول العربية والأجنبية وتحاور شاعرنا معهم فيما تتميز به بلدانهم وما تختص به دولهم رفده بثقافة واسعة شكلت بعض أوجه ثقافته العامة وثقافته العلمية الخاصة :

المنهج المتبع في هذه المحاضرة :

قام الباحث في إعداده لهذه الورقة بعدة خطوات نجملها فيما يلي :

١ - اختيار مجموعة من القصائد التي تحدثت عن الجانب العلمي وهي أربع قصائد وتخميسة ونذكرها على النحو التالي :

---

(١) سعود بن علي الخليلي : كلمة تقريظية : الديوان ١٨ - ٢٢ .

(أ) في موكب العلم .
(ب) الفلسـفة .
(جـ) ركب الحضارة .
(د) تخميسـة .
(هـ) الصـاروخ .

٢ ـ اختيار مجموعة من الأبيات والمقطعات من هذه القصائد لما لها من خصوصية في الحديث عن الجانب العلمي والتركيز عليه ولما تتميز به عن غيرها من أبيات القصيدة لاحتوائها على العديد من المضامين العلمية التي هي مجال الحديث في هذه الأمسية .

٣ ـ اعداد أسئلة يجيب عليها الشاعر بحيث تتناسب مع الأبيات المنتقاة ومع المضامين العلمية التي سوف تستخلص منها .

٤ ـ استخلاص المضامين العلمية من الأبيات المنتقاة ومحاورة الشيخ الشاعر لمعرفة رأيه وتعليقه عليها للاسترشاد بتعليقاته القيمة على المضامين ومن ثم رأيه بوجه عام في المقطعات أو الأبيات التي تم اختيارها .

القصيدة الأولى
في موكب العلم

تتحدث هذه القصيدة عن العلم والأخلاق والحياة وقد تم اختيار بيتين منها يمثل كل منهما مضمونا مختلفا عن الآخر ومستقلا في معناه وغرضه .

المضمون الأول العلم يقود الحياة العصرية ونستنبطه من البيت الذي يقول : [1]

موكب العلم من قريب يناديك ... وركب الحياة في الأعقاب

أي أن الحياة في تطور مستمر والعلم يسير نحو الامام يوما بعد يوم في تقدم ورقي وحضارة فيجب اللحاق بهذا الركب لأن قطار العلم لا يعرف التوقف ومن فاته ندم أشد الندم .

(١) الشيخ عبدالله بن علي الخليلي : ديوان الخليلي ـ وحي العبقرية ـ وزارة التراث القومي والثقافة ـ سلطنة عمان ـ ١٩٧٧ ـ ص ١٧٢ .

ويعلق الشيخ على المضمون الأول فيقول :

العلم هو الموكب الذي يتقدم بصاحبه الى الرقي والازدهار ، والعلم منبع الأخلاق وهو منبع الحياة ، وهو منبع الشرف ، وهو منبع الأخلاق السامية كلها . لكن العلم بحر حافل بكل ما فيه ، والانتقاء من هذا البحر يعود الى من عام فيه ، فمنهج من ينتقي اللؤلؤ ، ومنهج من ينتقي السمك ، ومنهج من يركب فيه للنزهة ، فكذلك العلم .[1]

أما المضمون الثاني : العلم والأخلاق وجهان لعملة واحدة .

ونستنبطه من قول الشاعر في هذا البيت :[2]

وابن بالعلم والكرامة والأخلاق هذي الأجيال غير محاب

أي أن الانسان المتعلم يجب عليه أن يجمع مع العلم الكرامة والأخلاق ليستطيع بناء جيل متسلح بعلم يفيد منه أمته وشعبه ووطنه إذا اقترن هذا العلم بالأخلاق الفاضلة .

ويعلق الشاعر الشيخ على هذا المضمون فيقول :

« أما إذا كان العلم يراد به وجه الله فهو الأخلاق السامية وهو الذي يهدي لكلتا الحسنيين ، الآخرة والأولى » .

وهذه هي مناط الأخلاق السامية والأخلاق العالية ، فالذي يرجى من الشباب أن يراقبوا في تعاليمهم وجه الله ، وأن يمضوا بسبيل العلم في السبيل الذي يفضي الى الله ، لأن العلم درجة عالية ، وهذه الدرجة العالية أفضل ما تكون موجهة إلى ذات الحي القيوم .

العلم فيه الحياة العصرية ، والحياة الماضية ، والحياة التي ستأتي ، وحسبك بالقرآن به علم من قبلكم وعلم من بعدكم ، هذا الذي أتمناه وأشير إليه .[3]

وهنالك مقطعة تم اختيارها من قصيدة « في موكب العلم » تحتوي على أربعة

---

(١) مقابلة مسجلة مع الشاعر : الجلسة الأولى بتاريخ ١٩٨٩/٧/١٩ .

(٢) الديوان : ص ١٧٣ .

(٣) مقابلة مسجلة : الجلسة الأولى بتاريخ ١٩٨٩/٧/١٩ .

أبيات ، وقد استنبط منها الباحث مضمونا علميا آخر هو : العلم ووقت الفراغ ليصبح بذلك المضمون الثالث في هذه القصيدة .

تقول هذه الأبيات : [1]

لا تنال العلياء الا بعلم ... وهو الا بالجد والتطلاب
ماذا ما سئمتم الجد فيه ... ما مرحوا في رياضة الألعاب
لتعودوا الى العلوم بوعي ... وتعيدوا النشاط للأعصاب
ولتقووا على البناء فتبنوا ... مجدكم من سواعد التدآب

أي أن الأجسام والعقول تمل من تواصل التعليم واستمرار الدرس والتحصيل ، لذا كان لابد من الترويح عنها لتستعد لما يلقى عليها فيما بعد ، وتتمكن من استيعاب ما يقال وما يكتب .

القصيدة الثانية

الفلسفة

تحتوي هذه القصيدة على مجموعة من الأبيات تم استخلاص مقطعة مكونة من ثلاثة أبيات تمثل مضمونا علميا واستخلص الباحث مضمونين آخرين كل منهما قد ورد في بيت مستقل .

وبهذا تكون هذه القصيدة مكونة من ثلاثة مضامين علمية سنوردها فيما يلي :

المضمون الأول : اتباع الأسلوب العلمي في التفكير :

ونستنبطه من الأبيات التالية : [2]

أقم على العلم واترك رأي من خملا ... واستعمل الفكر حتى تبلغ الأملا
وقل له إن هذا الدهر مشكلة ... وقلما حلها عقل بها اشتملا

(١) الديوان : ص ١٧٤ .
(٢) الديوان : ص ٩٣ .

وقم بوعي وفكر في الوجود تجد تباينا جل من سواه معتدلا

ففي هذه الأبيات الثلاثة ثلاثة معان كبرى تشكل مجتمعة المضمون الذي نحن بصدد الحديث عنه وهي :

١ ـ الفكـــر .
٢ ـ العقـــل .
٣ ـ الوعي بالمشكلة .

ويعلق الشيخ على المضمون الأول فيقول : « إن للناس مدارك ، وان لهم وعيا ، فينبغي للعاقل والمفكر والواعي أن يصرف هذه النعم التي أنعم الله عليه بها ومن عليه بها ، ان يصرفهـا فيما يصلحـه ، لأن العقل أينما وجهته اتجه ، وجهته للاختراع ، وجهته الى العلم ، وجهته أينما وجهته اتجه » .

فأنا أقصد من هذا التوجيه الفكري ، ينبغي أن يكون اتجاه الفكر فيما يعود بالنفع على صاحبه .

اما علم وإما اختراع وإما التفكير في مشكلة الكون ، لأن الانسان أمامه مشكلة بل مشاكل ، والمشكلة الكبرى هي الانحراف عن جادة العقل ، فاذا انحرف الانسان عن جادة الوعي انحرفت عن جادة الصواب ككل .

فينبغي للانسان ألا ينحرف وأن يستعمل الوعي والفكر والعقل فيما يصلحه ويصلح المجتمع ويعود بالخير له ولمجتمعه . والانسان وان كان خلق فردا لكنه خلق للمجتمع ، ولو كانت أعماله فردية .

وعلى كل حال لا توجد أعمال ينفرد بها الانسان بنفسه لنفسه لأن كل الأعمال فيها ترابط بينك وبين جارك ، وبينك وبين أخيك ، وبينك وبين أبيك ، وبينك وبين ولدك ، وبينك وبين زوجتك ، وبينك وبين سلطانك ، وبينك وبين خادمك .

هذه أشياء مترابطة كونية ، لا يمكن الخروج عنها بوجه من الوجوه ، فمادامت الأمور مترابطة هذا الترابط ، وهذا الترابط جاء من قبل الله عز وجل ، لا يمكن للانسان أن يغيره بوجه ما من الوجوه .

فينبغي أن يكون العاقل سالكا فيه المسلك الذي يصلح الأمة والفرد والمجتمع .

والعلم سواء كان شعرا أو نثرا أو علما من علوم السماء ، أو علما من علوم الأرض ، هو من أكبر مقومات الحياة .

هناك ترابط كوني بين الفرد ومجتمعه ، هذا على مستوى الجهلة فمابالك بالعلماء .

ويجب أن يكون الانسان كما يقال في رواية عمرو بن عدي الذي هو ابن أخت جذيمة الابرشي « هذا جناية وخياره غيه وكل جان يده إلى فيه » بمعنى لي ولغيري ، وهذا الأمر من الطبقة التي تخدم المجتمع .

وينبغي للانسان أن يخدم بعلمه كل انسان ، وكل من له حق في المجتمع .[1]

المضمون الثاني : كيفية مواجهة المشكلات اليومية .

ونستنبطه من البيت التالي :[2]

لا تحسب الدهر انسانا تعاقبه فيرعوي لك مهما قلت ممتثلا

ففي هذا البيت يدعو الشاعر الى التكيف والتلاؤم مع الدهر ، ذلك لأنه لا طاقة للانسان على مغالبته ومقاومته .

ويعلق الشيخ على هذا المضمون بقوله « في حديث إذا صحت روايته (لا تسبوا الدهر فإن الدهر هو الله) وفي أبيات قلتها انه ليس الدهر الا الانسان ، فهذا لا يتنافى مصارعة الدهر ، لكنك لا تصارع الدهر نفسه ، وإنما تصارع الأحداث فيه ، فالتكيف مع الدهر هي ومصارعة الأحداث . الناس طريقان بين الرفق والعنف ، فالرفق تستطيع أن تقود به الأشياء الى ما تريد ، والعنف أحيانا يطاوعك وغالب الأحيان ينصر بك » .

والدهر لو حاولت مصارعته لا تستطيع مصارعته بمعنى الكلمة لكنك تصارع الحوادث ، وتتكيف مع الدهر وتصارع الحوادث فيه ، لأن الانسان بطبعه لا يستسلم للحوادث ، يعالجها بما أوتي من قوة .

---

(١) مقابلة مسجلة : الجلسة الأولى بتاريخ ١٩٨٩/٧/١٩ .

(٢) الديوان : ص ٩٥ .

إما أن يغلب عليها وإما أن تغلب عليه وإما أن يستمر في المغالبة .

فبطبع الانسان لا يستسلم للحوادث ، والتكيف للدهر معناه أن يعيش في المجتمع كواحد منه يلقى التوجيهات ، ويلقى النصائح لمن يستحق النصح ، ويكون العون لمن يستحق العون ، واليد الضاربة إذا كان في امكانك اليد الضاربة للضلال والطغيان .[1]

المضمون الثالث : الجمع بين العلم والتوقع لما يأتي به القدر .

بمعنى أن العلم يزود الانسان بالعديد من الحقائق والمعلومات التي تمكنه من التنبؤ ببعض الأمور المستقبلية وفقا لأرقام وحسابات واحصاءات دقيقة بما لا يتعارض مع القدر ومفهومه وأحكامه .

ويعلق الشيخ على هذا المضمون قائلا : « على كل حال إن المؤمن يؤمن بالقضاء والقدر وفي الحديث » لن نؤمن ولن نبلغ حقيقة الايمان حتى نؤمن بالقدر خيره وشره ، فقال : يارسول الله فكيف لي أن أؤمن بالقدر خيره وشره .

قال : أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، فإن مت على غير هذا دخلت النار .

القضاء شيء يأتي من قبل الله القدير ، فلو رضيت بالقضاء أو كرهت القضاء ، فالقضاء لا يرجع والقدر لا يرجع ، والمقدر كان ، ولكن كيف هنا الذي يجب .

يجب الصبر على القضاء والقدر ومقاومة الأيام ، وتبذل قصارى جهدك في مكافحتها ، أما القضاء والقدر لو حاولت لا تنجح .

فالقضاء والقدر من قبل الله ، والصبر من شأن الموفق ، والذي يوفق على الصبر للقضاء والقدر وفق لكنز لا يحد بقيمه . استقبل القضاء والقدر بالرضا ، لأنه على الحالين إن رضيت وإن سخطت هو يجري ما أراده الله .

لأن الانسان في هذه الحياة هو بين اصبعي الله عز وجل وفي قبضته ، لكن الشجاعة الكبيرة هي الصبر على القضاء والقدر .

---

(١) مقابلة مسجلة : الجلسة الأولى بتاريخ ١٩٨٩/٧/١٩ .

فالاستسلام للقضاء والقدر ليس معناه الاستسلام للرذائل أو للرجال ، ولكن الاستسلام لله عز وجل ، فالاستسلام لله عزة وتوفيق .[1]

القصيدة الثالثة

ركب الحضارة

تحتوي هذه القصيدة على مقطعتين ، تتكون المقطعة الأولى من ثلاثة أبيات ، والأخرى من بيتين :

ويمكن استخلاص مضمون واحد من هاتين المقطعتين وهذا المضمون هو :

إسهام الشعب في تحقيق آمال القائد .

ويتضح ذلك من المقطعة الأولى التي يقول فيها الشاعر :[2]

ركب الحضارة في الحياة يسير ... والوعي مزدهر الجناب مطير
والعلم يرفده بأنهار الحجا ... ريان ويلقح نبته التفكير
وترى الشعوب على مواكب نبلها ... فيه بألوية الطموح تسير

والمقطعة الثانية التي تقول :[3]

بالله قم يا شعب حيث النور ... يجلو الحقيقة والحياة مرور
العلم مركبة الحياة فسر بها ... حتى توارى والمعالم نور

فهذه الأبيات تتضمن معاني الوعي والحجا والعلم والتفكير والطموح والعمل ونور الحضارة وحقيقتها .

ويعلق الشيخ على مضمون هاتين المقطعتين بقوله :

« على كل حال الشاعر والكاتب والمحدث والخطيب ، ما هم إلا يوحون الأفكار ، فإن قبلت فأنعم بها وإلا فذلك حولهم وتلك قوتهم » .[4]

---

(١) مقابلة مسجلة : الجلسة الأولى بتاريخ ١٩٨٩/٧/١٩ .
(٢) الديوان : ص ١٨٤ .
(٣) الديوان : ص ١٨٥ .
(٤) مقابلة مسجلة : الجلسة الثانية بتاريخ ١٩٨٩/٨/٣ .

تخميسة في العلم والعلماء [1]

تتكون هذه التخميسة من بيتين وشطر ، أو من خمسة أشطار ، ويمكن أن نستخلص منها مضمونا واحدا هو المحافظة على كرامة العلم والعلماء .

أي أن العلماء لهم قدرهم ومنزلتهم التي يجب أن يعرفها الناس ، ولهم من الاجلال والقدر ما أجمع عليه الأولون والآخرون .

ويعلق الشيخ على هذا المضمون بقوله « هنا المخاطب علماء الدين لا كل من علموا أو الموا بالعلم ، يدخل تحته علماء الأرصاد ، وعلماء الفلك » .

وأنا قلت هذا التخميس بناء على بيت الشاعر الذي خمست له .

إن رجال العلم يجب أن يكونوا قمة في كل شيء لأن نظرهم الى الدنيا يزري بهم ، وتعلقهم بها يمتهنهم فيجب أن يكونوا قمة . . فهذا يدل على أن العالم لا ينبغي له أن يمد اليد حتى الى من تمد اليه الأيدي ، صيانة للعلم . [2]

القصيدة الخامسة

الصـــاروخ

تحتـوي هذه القصيدة على ثلاث مقـطعـات ، تتكـون المقطوعة الأولى من ثلاثة أبيات ، والمقطعة الثانية من ثلاثة أبيات والمقطوعة الثالثة من بيتين . . ويمكن استخلاص ثلاثة مضامين علمية من هذه القصيدة تمثل الواحدة مضمونا من المضامين الثلاثة .

والمضمون الأول هو : تقدير العقل والعلم .

ويتضح ذلك من قول الشاعر : [3]

---

(١) الديوان : ص ٥١٥ .

(٢) مقابلة مسجلة : الجلسة الثانية بتاريخ ١٩٨٩/٨/٣ .

(٣) الديوان : ص ١٩٣ .

والعقل يقترع الوجود مقامرا بالعلم تحت أسرة الأسرار
والعلم يقترع الحياة مغامرا بين النبوغ ومنجم الأخطار
فالكون منه العقل قطب مداره والعلم حجة ذلك المنظار

ويعلق الشيخ على هذا المضمون بقوله « الحقيقة أن العقل هو قطب مدار الحياة كلها يدور عليها العلم وغيره ، ولكن العقل محتاج الى العلم ، كما أن العلم محتاج الى العقل ، فالترابط بين العلم والعقل ضروري » .

فاختراع المخترع ، وبناء الباني ، ووصول الانسان الى الهدف بطريقة امتزاج العلم بالعقل ، وعلى كل حال فهذا شيء يعرف بالمعقول والمفهوم .

إن العلم والعقل توأمان كل واحد منها مكمل للآخر .[1]

المضمون الثاني : التعبير عن المعاني العلمية بأسلوب سهل ممتع .

ويتضح ذلك من قول الشاعر في الأبيات التالية :[2]

يلقي الاشارة عنه لاسلكية والجو مصدر ذلك الاصدار
أتراه قد بلغ المرام فهزه اعجابه فأهاب بالطيار
أم حام حول حماه وهو مروع فأتى المدى يسعى بلا استقرار

ويعلق الشيخ على هذا المضمون بقوله « يجب على كل انسان يحاول قضية أن يدرس مفاهيمها إما من ماضيه وإما من حاضره ، وإما من مستقبله ، لأن مفاهيم الحياة هي التي يستطيع الانسان أن يبرزها ويبرز فيها » .

فعلى كل حال أنا لا استطيع أن أقول لانسان إذا شئت أن تقول : (فقول على كذا) ، وانا هو الذي يختار بنفسه الهدف الذي يريده ، وينظر الى مقوماته إما عقليا وإما علميا . لأن الحياة لابد لها من أن تعطي الانسان انطباعات ، وقالوا الشاعر لسان قومه ، وقالوا لسان زمانة .

---

(١) مقابلة مسجلة : الجلسة الثالثة بتاريخ ١٩٨٩/٩/٢٤ .
(٢) الديوان : ص ١٩٣ .

وقد يقول الشاعر كلاما يسبق الفهم بعشرات السنين فلو سألت الشاعر عن علم ما قال به لم يستطع ، لأن الشعر وهب من عند الله كالوحي .

والموهبة اندفاع يندفع اليه الشيء من حيث يدري ومن حيث لا يدري .

ولذلك فالشاعر الموهوب يحدثك عن أشياء تسبق لميعاده ، وقد تحدث فيما بعد أي بعد سنوات .

ويتنبأ بأشياء قبل حدوثها ، وهذا بالموهبة التي تأتيه من قبل الله .

أما الشاعر الذي ينبني شعره على أساس علمي ، وعلى نظم الحياة ، يكون الشعر متكلفا حتى لو كان فيه علم لكنه يكون متكلفا لأنه لم يبن على موهبة .

أما الموهبة غليان كغليان القدر بجد الشاعر يتلقاه كما يتلقى الانسان الحاجات من يد الآخرين بحساب وبدون حساب » .[1]

المضمون الثالث : إبراز أن الله محيط بكل شيء .[2]

في عالم منه البسيطة والسما ... والكل تحت تصرف القهار
لبيك رب وأنت خير حافظا ... فقني بهديك من ضلال عار

يعلق الشيخ على هذا المضمون بقوله « أنا قلت هذه القصيدة وكما أخبرتك في قلبي غليان كغليان القدر ، أتلقاها عفوا ، ولم يسبق لي علم بالصاروخ ، وإن كنت اسمع والناس يضجون حول هذه الأشياء » .

ولكنني تلقيته من قبل الموهبة ، فلو سألتني عن تعبير ما قلته ، أكاد لا أستطيع الا بالموهبة ، وذلك شيء من قبل الله .[3]

---

(١) مقابلة مسجلة : الجلسة الثالثة بتاريخ ١٩٨٩/٩/٢٤ .
(٢) الديوان : ص ١٩٤ ـ ١٩٥ .
(٣) مقابلة مسجلة : الجلسة الثالثة بتاريخ ١٩٨٩/٩/٢٤ .

الباب الثاني

قـراءة في الأدب والفكــر العمــاني



طالبات جامعة السلطان قابوس في زيارة لمكتبة المنتدى الأدبي

مع : شعراء الشباب
بجامعة السلطان قابوس

عاصـــم الســـعيدي
بـــين
المعارضة التراثية والرؤية الرومانسية

اعداد : د. ســـعد دعبيـــس
كلية الآداب ـ جامعة السلطان قابوس

حين أتحدث عن البدايات الأولى لحركة الابداع الأدبي لدى طلاب جامعة السلطان قابوس ، فقد يبدو الأمر سهلا ، إذ أن الجامعة قد بدأت مسيرتها العلمية والثقـافة منـذ أعوام ، ولكن الأمر يختلف حين يرتبط الحديث بمولد تيارات ثقافية وأدبية ضاربة بجذورها في ضمير الأمة وتاريخها وتراثها ، ومؤثرة في حاضرها ، ومبشرة بمستقبلها ، فكثير من هؤلاء الشباب المبدعين ، لم تولد مواهبهم مع بداية الجامعة ، وإنما ولدت هذه المواهب معهم يوم ولدوا ، وأعلنت عن نفسها بين الحين والحين في مراحل دراستهم الاعدادية والثانوية ، وإذا كان للجامعة من فضل عليهم فذلكِ الفضل يرجع إلى المناخ العلمي والثقافي في الجامعة ،

فالجامعة قبل أن تكون محاضرات ومقررات ، هي أيضا ـ وفي المقام الأول ـ منهج للفكر ، ورؤية جديدة للوجود والكون والحياة والمجتمع ، وحوار دائم بين المناهج والأفكار ، وتفاعل خلاق بين التيارات الفكرية والاتجاهات الثقافية ، ومن ثم . . فلا عجب إذا تهيأ للمبدعين في مجالي : الشعر والقصة وغيرهما ، مناخ يرحب بالمواهب الجديدة ، ويصقلها ، من خلال الاجتماعات التنظيمية للجماعات الثقافية ، والندوات ، والأمسيات الشعرية والقصصية ، وحفلات الأعياد القومية والمناسبات الدينية ، وغيرها .

لقد بدأت أولى الجماعات الأدبية ، مع إشراقة الحياة الجامعية . . ولدت مع جماعة « الخليل بن أحمد » مشمولة بالعناية الاهتمام من عمادة شئون الطلاب ، وكان لي شرف الأبوة الروحية لها ، وانضم اليها طلاب عديدون من مختلف الكليات برزت مواهب كثير منهم في الأمسيات الشعرية والقصصية ، وآن لنا أن نقف من هذه المواهب موقف دراسة ونقد . . موقف مراجعة لمسيرة ذلك الابداع الأدبي لدى طلاب الجامعة وقد آثرت ان أبدأ هذه المجموعة من الدراسات بالطالب الشاعر : (عاصم السعيدي) الطالب بكلية الهندسة :

طفولته

إذا كانت مرحلة الطفولة ، هي مرحلة الارهاصات الأولى للابداع الفني والأدبي ، فقد كانت هذه المرحلة بالنسبة لعاصم السعيدي ، من أكبر العوامل التي فجرت في أعماقه

النبع الأول لأحزان الرومانتيكية ـ أو (الهروبية) [1] ـ كما أوثر أن أسميها ـ بقلقها وانطوائها ، واغترابها في الزمان والمكان ، وهروبها من عالم الواقع الزائف ـ في نظرها ـ الى عالم البراءة والحلم . . والنقاء والطهر . . عالم المدن الفاضلة المثالية . . !

فقد ولد ذلك الشاعر عام ١٩٦٨ ، في بيئة غنية بمناظر الطبيعة الساحرة . . في قرية عمانية صغيرة ، تسمى (قلعة بني سعيد) في قلب سلسلة من جبال الحجر الغربي ، وهي قرية رائعة الجمال بها أفلاج ونخيل ، تلتقي بها الجبال بالأفلاج والنخيل ، لتقدم للشاعر لوحة رائعة لبراءة الفطرة النقية ، وصفاء الأرض حين يلتقي بصفاء السماء . . !

ولكن الطفل الحالم . . لا يسعد في طفولته بهذه البيئة الفياضة بحنان الأم وحنان الطبيعة . . بل يتجرع الغربة وآلام الضياع ، حين يرحل مع أبيه ، وهو في الخامسة من عمره الى دولة الامارات العربية المتحدة ليلتحق بإحدى مدارسها . [2]

وهكذا بدأت رحلة الغربة في حياة ذلك الشاعر منذ الخامسة من عمره . . حيث نشأ بعيدا عن حنـان الأم ومهد صباه الحبيب في قريته الصغيرة الحالمة . . وافتقد الكثير من الرعاية والحب . . بينما كان في أمس الحاجة اليهما .

---

(١) أرى أن مصطلح « الرومانتيكية » الذي أطلق على تيار من تيارات الشعر العربي الحديث ، لا يتفق مع واقع ذلك التيار والأفضل منه : مصطلح « الهروبية » . . لأن الرومانتيكية كانت تمثل تيارا عاما ، ساد المجتمع الأوربي ، نتيجة لتيارات فلسفية ، تدعو الى تحطيم سيطرة العقل ، وتنادي بتحكيم العاطفة ، وتمجيدها ، والعودة إلى أحضان الطبيعة والبعد عن عالم المدن الزائفة ، أما الهروبيون العرب فلم يساندهم تيار فلسفي منظم ، وامتداد كبير في بقية ألوان الفنون بالشكل الذي ظهر في أوربا . . وفضلا عن ذلك فقد نشأت الرومانتيكية في أوربا نشأة ثورية ، إذ كانت الوجه الأدبي المعبر عن الثورة الفـرنسية ، بينما كانت الهروبية العربية من بدايتها لنهايتها محاصرة باليكائيات واليأس والغربة والموت . . وقد ناقشت هذه القضية حين ناقشت أزمـة المصـطلحـات النقدية في كتابين من كتبي ، هما : (الغزل في الشعر العربي الحديث) ص ٦٦٩ وما بعدها ، و(حوار مع قضايا الشعر المعاصر) ص ٥٨ وما بعدها .

(٢) من مذكرات مخطوطة للطالب الشاعر : عاصم السعيدي .

لقـد وضعـه والـده في القسم الداخلي بإحدى المدارس في دولة الامارات العربية المتحدة ، لعدم وجود منزل للأسرة في البلد الذي كانا يقيمان به . . ومن ثم كان يقضي العام كله بين فصول الدراسة ، واقامته بالقسم الداخلي اقامة اقرب الى العزلة الحزينة . . حيث لا تكتحل عيناه طوال العام برؤية أمه الحنون ، أو رؤية أحد من أهله .

وسنرى بعد ذلك أن أحزان اغترابه ، وهو طفل بدولة الامارات كانت أهم الروافد التي أثرت في تجربة الغربة في شعره . . بالاضافة إلى طبيعته الانطوائية القلقة ، وقراءاته العديدة في روائع الشعر الرومانتيكي ذي الطابع الهروبي ، فقد تأثر تأثرا شديدا ـ كما يقول ـ وكـما يتضـح في ابـداعه الشعري ، بشعراء المهجر الامريكي ، وعلى الأخص : تلك القصائد التي تفيض بالقلق والحزن والتأمل ، لجبران وايليا أبي ماضي ، كما تأثر بشعراء رومـانتيكيين آخـرين كأبي القاسم الشابي والدكتور ابراهيم ناجي ، وعلي محمود طه . . وكلهم من أعلام الشعر الرومانتيكي العربي الحديث . . ولعل أهم شاعرين معاصرين أثرا فيه تأثيرا شديدا ، هما : عمر أبوريشة ، ونزار قباني ـ الذي يسميه (شاعر القرن العشرين) .

ولكن هذه المؤثرات الرومانسية لم تنفرد بشخصية ذلك الشاعر الشاب فقد أتيحت له في المـرحلتـين : الاعدادية والثانوية بعض القراءات التراثية التي كان لها أيضا تأثيرها في ابداعه الشعري ، وهو يعترف في مذكراته بأن أول ديوان شعر قد امتلكه ، كان ديوان عنترة ابن شداد ، وقد قرأه مرات عديدة وهو في الصف الثاني الاعدادي ، وحفظ معظم قصائده عن ظهر قلب ، كما حفظ الكثير من أبيات المعلقات ، وعشق شعر المتنبي ـ حسب تعبيره

ـ عشقا شديدا ، وحفظ المئات من حكمه الشعرية ، ولا عجب إذن إذا وجدنا أن ظاهرة المعارضات التراثية من أبرز الظواهر الفنية في شعر (عاصم السعيدي) .

نحن ـ إذن ـ أمام اتجاه شعري مميز ، تلغى فيه الحدود بين المذاهب الأدبية ، ويلتقي في نهره أكثر من رافد ومنبع ، وأكثر من تيار واتجاه ، ويمكن أن نوجز هذا اللون من الشاعرية الذي يصادفنا أحيانا في الشعر العربي الحديث ، والذي يصادفنا أيضا في شعر (عاصم السعيدي) بأنه مزيج متكامل من التراثية والرومانسية حيث تلتقي المعارضات التراثية المتأثرة بروائع التراث ، بالرؤية الرومانسية الهروبية للكون والوجود والحياة . . ولنبدأ بظاهرة (المعارضات التراثية) : ـ

(أ) ظاهرة المعارضات التراثية

من الطبيعي لشاعر يبدأ مسيرته الشعرية ، أن يبحث في أعماق نفسه ، وفي البيئة الثقافية من حوله ، وعبر قراءاته المستمرة في الشعر قديمة وحديثة ، عن النموذج الشعري المفضل لديه ، أو لنقل عن المثل الشعري الأعلى الذي يأسر لبه ووجدانه حين يقترب من عالمه ، وما من شاعر في الماضي أو الحاضر الا وكان له أب روحي هام بشعره ، وتتلمذ عليه ، أو ـ على الأقل ـ تأثر به في مرحلة ما من مراحل ابداعه . . ولا تصدقوا خرافة : (جيل . . بلا آباء) و(جيل . . بلا أساتذة) لا يصدق ذلك على الشعراء القدامى فقط ، بل يصدق أيضا على شعراء الحداثة المعاصرين وها هو ذا الشاعر صلاح عبدالصبور أحد رواد التجديد المعاصر ـ يعترف بذلك قائلا : [1]

وقد حاكيت الشعر أول ما حاولته محاكاة للنماذج التي أحببتها ، وعندي قدر لا بأس به حاكيت فيه المتنبي ، وقدر آخر لا بأس به حاكيت فيه أبا العلاء ، ثم قدر آخر حاكيت فيه بعض الشعراء المعاصرين كابراهيم ناجي ومحمود حسن اسماعيل ، ولكني رغم اعجابي بهؤلاء الشعراء الأربعة ، توقفت فترة من الزمن ، لأسأل نفسي ، ما الشعر ؟ وقد وجدت كلا منهم قد أجاب على جانب من سؤالي ، وكان توقفي اثر قراءة بعض النماذج فقد قرأت (ريلكة) في ترجمة انجليزية ، وقادني الصديق بدر الديب ، والصديق عبدالغفار مكاوي الى شعر (إليوت(وقصص (كافكا) .

---

(١) مجلة الآداب (البيروتية) عدد مارس ١٩٦٦ ، ص ٨ .

ومن الطريف ان معارضات (صلاح عبدالصبور) تتخذ لها مجالا آخر في عالم المعارضات ، حيث نراه أحيانا ـ يعارض بعض قصائد لشعراء أوربيين ، ومن ذلك معارضته (لإليوت) بإحدى قصائد ديوانه (الناس في بلادي) وهي قصيدة (المُلْكُ لك) التي يعارض بها قصيدة (إليوت) التي عنوانها (الرجال الجوف) (The Hollo Men) وإن كان ذلك اللون من المعارضات للشعر الأوربي لم يمنعه من معارضاته للجوانب الخصبة في التراث العربي ـ كما يتجلى في قصيدته (مذكرات الصوفي بشر الحافي) . (١)

وحسبنا أن نشير في هذا المجال لابراز الجوانب الخصبة في شعر المعارضات ـ مخالفين في ذلك الغالبية من النقاد والمعاصرين الذين يهاجمون المعارضات ـ بدعوى كراهيتهم للتقليد ـ حسبنا أن نشير إلى مثل واحد نقدمه من شعر (أبي الحسن علي بن عبدالغني الحصري) ـ أحد شعراء القيروان ـ وصاحب قصيدة (ياليل الصب . . متى غده . . ؟) لقد أرسل لي أحد الأصدقاء التونسيين ، وهو أيضا أحد كتاب تونس البارزين ، الأستاذ محمد الصادق عبداللطيف ، دراسة له عن هذه القصيدة ، وقد أثبت فيها أن عدد الشعراء الذين عارضوا هذه القصيدة قديما وحديثا قد بلغ المائة ، ومعظم هؤلاء المعارضين هم من أعلام الشعراء العرب ، ممن طبقت أسماؤهم الآفاق ، ويذكر صاحب الدراسة منهم : (ابن الأبار) صاحب « تكملة الصلة » ـ لابن بشكوال ـ واسماعيل الزبيدي اليماني ، وشمس الرئيس الحسيني الشهير بالحصري الدمشقي ، ومصطفى خريف ، وأبو القاسم الشابي ، ومحمود بيرم التونسي ، وأحمد شوقي ، واسماعيل صبري ، ومحمود رمزي نظيم ، وبشارة الخوري (الأخطل الصغير) وفوزي المعلوف ، وخير الدين الزركلي ، والزهاوي . . الخ . (٢)

وحين نتأمل ظاهرة المعارضات التراثية في شعر « عاصم السعيدي » سنجد نموذجا جيدا للمعارضات التي تستلهم الأصل ، وتتعمق أسرار جماله ، ولكنها . . بعد ذلك تعيده إلى عالمها الخاص ، وتذيبه في مكوناتها النفسية والوجدانية والثقافية والبيئية ، لتخرج منه بعد ذلك إبداعا فنيا ينم عن خصوصية متميزة ، لها مذاقها الخاص ، وهمومها الخاصة . .

---

(١) أنظر هذه القصيدة في ديوانه (أحلام الفارس القديم)

(٢) أنظر دراسة للأستاذ محمد الصادق عبداللطيف ـ بجريدة الصباح التونسية ٨ من أكتوبر ١٩٨٧م .

وعـالمها المتفرد ، وسأقدم هنا نموذجا واحدا لنجاح (عاصم السعيدي) في مجال ظاهرة المعارضات ، أما النموذج الأول فيبدو في قصيدته عن القدس جرح الاسلام النازف . . وعنوانها (الى مدينة القدس) ومطلعها : [1]

حقا . . أيا وطني . . يوما ستلقاني حقا . . سترقد . . يوما بين أحضاني . !

وقد عارض بهذه القصيدة ، قصيدة لي مطلعها :

يوما . . ستعرفني . . يوما ستلقاني سوف تندم . . يوما حين تلقاني

وعنـوانها (الـوجه الذي ضاع . .) وهي إحدى قصائد ديواني الثاني (اعترافات انسان) وحين نتأمل القصيدتين ، نجد أنهما تتفقان في الوزن والقافية ، فكلاهما من بحر البسيط (مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن . . الـخ) كما تتفقـان في الـطابـع المأساوي والتدفق العاطفي الحزين .

ولكن . . لكل منهما بعد ذلك عالمه الخاص ، وأدواته التشكيلية الخاصة ، فقصيدتي مثـلا تدور حول مأساة ضياع الأندلس التي تكاد تسمع بكاء مآذنها المختنق وراء دقات أجـراس كنـائسهـا ، والحنـين الى عودة ذلـك الفـردوس المفقـود ، أما قصيدة (عاصم السعيدي) فتـدور حول مأسـاة العرب المعاصرين . . وجرحهم النازف دما . . ودموعا الا . . وهـو . . جرح فلسطين المحتلة بأقذر استعمار عنصري حاقد ، وهو : الاستعمار الصهيوني وقـد استـطاع الشاعر أن يقدم هذه المأساة ، من خلال مجموعة من اللوحات التصويرية المتتابعة في بساطة تعبيرية أخاذة ، أقرب الى براءة الطفولة ونقائها ، معتمدا على بناء درامي ، يقدم رؤية الشاعر للمأساة ، من خلال بعض الأحداث المرسومة المتتابعة ، ومعتمدا أيضا على مجموعة من الشخصيات ، هي : الشاعر والجد والأم ، بالاضافة الى شخصيات أخرى . . هي شخصيات أطفال القرية وشخصية المذيع .

ولنتأمل تتابع الأحداث حتى بلوغ ذروة التعقيد المأساوي في هذه القصيدة ، في قوله :

حقا . . أيا وطنا تبكي مآذنه يوما ستعرفني . . يوما ستلقاني

---

(١) أنظر هذه القصيدة في الملحق الثقافي بجريدة عمان ـ العدد الصادر في الثالث من ديسمبر ١٩٨٧م .

أم أنه حلم . . لقياك ياوطني وسوف أبقى طريدا . . دون أوطان
مذ كنت طفلا . . وأحلامي تراودني أن ألتقي مع أحبابي وخلاني . !
وكم سمعت بأن القدس قد رجعت فرحت أنشد للأضواء ألحاني . !
وسرت . . أخبر أمي . . قدسنا رجعت يا أم . . فلتطفئي ناري وأحزاني . !
وسرت . . أخبر جدي . . كي أبشره لكي يقبلني من صدره ألحاني . !
أخبرت جيراننا . . أخبرت قريتنا عادت فلسطين . . ياأهلي وجيراني . !
قمنا مع الفجر . . أعددنا حقائبنا والشمس ترقص . . في شعري وألحاني . !

* * *

لكن صوتا . . من المذياع . . أيقظنا ناموا . . فقد سكمو في كف شيطان . !

ثم . . لنتأمل روعة تصوير شخصيات أطفال القرية ، حين سمعوا صوت المذيع يعلن أنباء المأساة . . بأسلوب ساخر (ناموا . . فقدسكمو في كف شيطان) :

الله . . كم ذبحوا أحلام فرحتنا فالدمع فاض . . كنهر بين وديان
الله . . يا وجه أمي . . كيف مزقه دمع الأسى . . فبكى في صمت إيمان . !
وهزني صمت جدي . . مثل مقبرة فيها شهيد دفين . . دون أكفان . !
وكيف مزقني أطفال قريتنا لما بكوا . . فلعنت الغاصب الجاني . !

وهذا الشاعر ـ بالرغم من أحزانه العميقة ـ يمتلك أسلوبا ساخرا لاذعا يستعين به على تعميق أبعاد المأساة :

مذ كنت طفلا . . وأحلامي تراودني أن ألتقي مع أحبابي وخلاني
قالوا . . وقالوا بأن القدس قد رجعت وألفوا قصصا من نسج بهتان . !
واليوم . . أسأل . . أين القدس . . شاعرنا فأنت مثلي طريد دون أوطان
مذ كنت طفلا . . ووصل القدس تحلمه وكم خدعت بتصريح وإعلان . !
قل لي . . إلامَ ستبقى كل قوتنا يوما . . ستعرفني . . يوما ستلقاني

* * *

من عهد جدي . . رجوع القدس فحلمه أنا . . وجدي . . وعند الموت أوصاني
قد قال لي . . ستلاقى القدس ياولدي وعندها . . يا فتى . . إياك تنساني
ومات جدي . . ولا يدري بما صنعت أيديهم . . في أزاهيري وبستاني . !
قد مات جدي . . وأحلام الصبا دفنت في القبر . . واختنقت أحلام انسان . !
ودمع أمي همى تبكي لفرقته تبكي لجدي . . وتبكي قدسنا الفاني . !
تقول . . أيهما يوما سندركه جد حزين . . مضى للعالم الثاني
أم ندرك القدس . . أرض الحب ياولدي فمنظر القدس في الأغلال أبكاني . !

* * *

والله . . ياأم . . لا أدري فوا أسفي أبكي على القدس . . أم أبكي لأشجاني . !

* * *

أما المثال الآخر للمعارضات في شعر (عاصم السعيدي) فيبدو في قصيدته التي عنوانها (إلى فلسطين) ومطلعها :

على كاهل الأيام يمضي بي الدهر وأقهر أحزاني . . فيقهرني القهر[1]

وهو يعارض بها قصيدة للشاعر العباسي (أبو فراس الحمداني) وهي إحدى روائع أبي فراس ، ومطلعها :

« أراك عصي الدمع شيمتك الصبر . . أما للهوى نهي عليك ولا أمر »

وحين نتأمل قصيدة (عاصم السعيدي) سنرى أنها لم تلتق مع قصيدة أبي فراس الا في الوزن والقافية ، فكلاهما من بحر الطويل (فعولن مفاعيلين فعولن مفاعلين) ـ وعلى الرغم من تنوع الأوزان في قصيدة « عاصم » فإن معظم أبيات قصيدته جاء على وزن « الطويل » .

وإذا تجاوزنا هذا الاتفاق في الوزن والقافية ، سنجد أن « عاصما » يشق لتياره الشعري ، مجرى خاصا به ، في الموضوع والفكر والبناء التصويري ، فهو هنا يواصل

---

(١) احدى قصائد الديوان التي لم تنشر بعد .

مسيرته مع مأساة فلسطين التي بدأها في القصيدة السابقة : هيام بحب فلسطين وبكاء غاضب ساخط على محتليها وغاصبيها ، ودعوة إلى الانسان العربي المسلم لكي يتحول من ظاهرة صوتية الى ظاهرة فعلية ، حيث تصبح الكلمة لديه موقفا . !

وبحيث تلغى تلك الثنائية بين الانسان الكلمة ، والانسان الموقف . ! بين الوردة . . والسيف . . والصلاة . . والمدفع . !

في أسلوب تصويري يعتمد على المفارقة الشعرية ، والسخرية اللاذعة يقدم (عاصم السعيدي) لوحته عن مأساة فلسطين ، وهي مأساة يقوم الصراع فيها بين ازدواجيات متضادة . . بين : الحب الشديد والكراهية العنيفة ، بين : الشوق الشديد الى الفعل الايجابي والعجز الصامت السلبي ، بين : الحق الأعزل والباطل المدجج بالسلاح ، بين : الكلمات السرابية الوهمية والكلمات المشرقة بنور الحق والقرآن . !

ولنقدم نماذج من هذه الازدواجيات المتضادة :

(أ) على كاهل الأيام . . يمضي بي الدهر وأقهر أحزاني فيقهرني القهر . !
وأكتم آهاتي . . فيفضحني الكرى وإن قلت : صبرا مل من صبري الصبر
وأرسل أشعاري بوحي تأملي وبعد سنين عاد أدراجه الشعر

* * *

(ب) إلام سنبقى . . كالدخان مشتتا تفرقنا النعمى ويجمعنا الذعر
وقرآننا أمسى أغاريد منشد نردده لفظا . . وأعماقنا صخر . !
وتبقى فلسطين الحبيبة ملعبا لغدر أناس . . كل شيمتهم غدر . !

* * *

(ج) عنيت بقولي . . ياشباب عروبتي بأنا أناس حط من قدرنا القدر
وأنا أناس لاتكر خيولهم إذا كرت الفرسان وانهتك الستر
لنا أن نقول الشعر في كل مشهد فصولتنا شعر وجولتنا شعر
على مثلنا ماتت حضارات أهلنا وأمجاد أهل العرب قد ضمها القبر . !
سلبنا أراضينا . . وكل عزائنا كلام لسان . . مل من ذكره الذكر . !

كلام به تحيا القضايا يتيمة وفي ظله ماتت عروستنا البكر . !
فليت قوافينا تصير سفائنا وليت بحور الشعر ثار بها بحر . !
لنعبر نحو القدس والكل شاهد ورايانا القرآن والبيض والسمر . !

والشاعر في هذه القصيدة يركز دعوته الى اقتران الكلمة العربية بالفعل العربي ، تركيزا قويا معتمدا على قالب تراثي ، هو : قالب الحكمة التي تمتزج فيها الفكرة بالعاطفة في صورة قصيرة سريعة خاطفة ، قوية الايحاء ، وهو في هذه الحكم متأثر - إلى حد ما - بأبي فراس الحمداني ، كما يتضح في قوله :

فلا اخضرت الدنيا . . ولا هطل الحيا ولا طابت النعمى ولا غرد الطير
ولا الخير مع أهل الخيانة نافع وعند أهالي الخير لا ينفع الشر
ولا الصبر تحت السيف يجدي لصابر لكم صابر في الذل حطمه الصبر
ومن سار فوق الشوك جرح رجله ومن سل سيف الضر حطمه الضر
ومن ينتصر بالغير قل عزاؤه إذا كنت في ضعف فلن يقدم النصر
وإن لم يكن للسيف من ينثني به يقطع أعناقا خصائلها الغدر
فلا ترتجوا نصرا ولو كان جيشكم بعد رمال البيد ، مغنمكم صفر

وجدير بالذكر أن هذه القصيدة ، على الرغم من انتمائها الى عالم المعارضات التراثية فإنها تنتمي أيضا إلى عالم التجديد المعاصر ، فيما يتصل بالموسيقى ، حيث تعددت فيها الأوزان : وزن « الطويل » في مثل قوله :

على كاهل الأيام يمضي بي الدهر وأقهر أحزاني فيقهرني القهر . !

ووزن « الكامل » في مثل قوله :

أنا ما عشقت الغادة الوسنى ولا من تاه في ألحاظها السكر

وومن « الوافر » في مثل قوله :

سأبقى أعشق الاقصى أقول الشعر في الأقصى . . ولا فخر

وعلى الرغم من أن معظم أبيات هذه القصيدة من بحر « الطويل » فإن ظاهرة المزج بين عدة بحور من الشعر في قصيدة واحدة ، كانت من أبرز الظواهر التجديدية التي نادى

بها دعاة التجديد في الشعر العربي الحديث ، بدءا بالأبيات الأربعة التي أوردها (أحمد فارس الشدياق) (١٨٠٤ ـ ١٨٨٨) في كتابه (الساق على الساق) كجانب من محاولته كتابة الشعر في نظم غير مقفي من بحور مختلفة . (١)

ومرورا بخليل مطران الذي حاول استخدام أشكال وبحور مختلفة كما فعل عام ١٩٠٥ في قصيدته « نفحة الزهر » إذ قسمها إلى خمسة أجزاء ، واستخدم نوعين من المقطوعات ، كما استخدم الوزن والقافية الموحدتين ، منوعا بين « الرمل » ومجزوء « الكامل » . (٢)

ومعه أيضا : الدكتور أحمد زكي أبو شادي الذي كتب نموذج الشعر الحر بتأثير من الشعر الأمريكي ، وهو قائم على مبدأ تجميع بحور مختلفة في قصيدة واحدة ، وتغيير الوزن في القصيدة الواحدة تبعا لمتطلبات التجربة الشعرية . (٣)

ثم . . وانتهاء بحركة الشعر التي سارت بخطى حثيثة في هذا المجال .

وإذا كان لي أن أضيف دفاعا عن ظاهرة المعارضات لدى الشاعر الشاب عاصم السعيدي ، ولدى آبائه من التراثيين القدامى والمحدثين ، بالاضافة إلى ما قلته سابقا ، فإني أرى أن مقياس نجاح الشاعر في هذه الظاهرة الفنية ، إنما يعود إلى أصالة الشاعر الذي يستلهم هذه الظاهرة ، ومدى قدرته على أن يبدع من خاصة الأصل الذي يعارضه ، أثرا جديدا له مذاقه الخاص ، وكأنما خلقه خلقا جديدا ، وجعل له تمثالا من نفسه وحياته ، وأصبح مبتكرا في التجربة التي عارضها ، كما يبتكر الممثل في انتحال أدواره وأبطاله ، فهو فنان خالق في اتباعه ، كما يكون المرء فنانا خالصا في ابتداعه ، وفرق بين هذا اللون من المعارضة التي لا تلغي شخصية المعارض وتقليد العاجز المتكلف الذي يضلع في آثار القادرين بغير أداة المعارضة والمجاراة . (٤)

---

(١) أنظر : كتاب « حركات التجديد في موسيقى الشعر العربي الحديث » ص ٢١ ، ص ٢٢ ، تأليف : س . موريه ـ ترجمة وتعليق : د . سعد مصلوح .

(٢) المرجع السابق ص ٧٣ .

(٣) المرجع نفسه ـ أنظر : هامش ص ٣٢ ، وأنظر : ديوان : « الشفق الباكي » للدكتور/ أحمد زكي أبوشادي ص ٥٣ .

(٤) انظر : « الغزل في الشعر العربي الحديث ـ للدكتور/ سعد دعبيس » ، وانظر : « شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي » ص ١٣١ وما بعدها ـ لعباس العقاد .

(ب) الرؤية الرومانتيكية في شعر عاصم السعيدي :

أشرت ـ سابقا ـ (في الجزء الأول من دراستي عن عاصم السعيدي) إلى أن شاعرية ذلك الشاعر ، تقوم على دعامتين أساسيتين ، ألا وهما :

(أ) المعارضة التراثية .

(ب) والرؤية الرومانسية[1] للكون والوجود .

وآن لنا الآن ـ بعد أن تناولنا ظاهرة المعارضات التراثية في شعره ـ أن نتناول الدعامة الثانية ، وهي : الرؤية الرومانسية للوجود والكون والحياة والمجتمع ـ كما تبدو في شعره ، وقد أشرت في تمهيدي لهذه الدراسة (في الجزء الأول منها) الى العوامل التي أثرت في ذلك الشاعر ابان مرحلتي الطفولة والشباب . . حيث عاش طفولة حزينة عانى فيها الغربة والحرمان من حنان الأم . . بعيدا عن مهد صباه الحبيب في قريته الجميلة الحالمة . . ! وحيث أكثر في مرحلتي الدراسة الاعدادية والثانوية من قراءاته في روائع الشعر الرومانتيكي العربي الحديث ، وحفظ الكثير من قراءاته في روائع الشعر الرومانتيكي العربي الحديث ، وحفظ الكثير من روائعه . . ! وكان لابد لهذه المؤثرات أن توجه شراع ذلك الشاعر الشاب الى تيارات الرومانسية الحائرة المعذبة ، الحزينة الباكية ، المغتربة في مجتمعها ، الباحثة عن (يوتوبيات) المدن الفاضلة ، كما تبدو في الطبيعة الشاحبة ، والغربة المنطوية ، والتأملات السابحة في عالم ماوراء الحياة . . !

ويكاد (عاصم السعيدي) يجسد لنا في كثير من قصائده ملامح الشخصية الرومانتيكية التي تتسم بما يأتي :

(أ) القلق الحائر ، وعدم الرضا بالحياة . . !

(ب) الحزن الذي يغلب على النفس في كل حال ، دون أن يجد له الانسان سببا ، ولهذا يعتصم الرومانتيكيون من الواقع بالانطواء على نفوسهم ، ونشدان مثل أعلى لهم هو الجمال .

---

(١) أعني ـ كما أشرت سابقا ـ الرؤية الهروبية للكون والوجود ـ راجع : رفضي لمصطلح الرومانتيكية في كتابي (حوار مع قضايا الشعر المعاصر) نشر دار الفكر العربي بالقاهرة ص ٥٣ ـ ص ٩٩ .

(ج) والرومانتيكي غريب في عصره بشعوره واحساسه ، لأنه يحس بالتفرد والعبقرية . . ! ولـذا فالألم والدموع علاج لنفوسهم المرهفة المتفردة ، انه يحب الحياة الغامضة ، ويضيق ذرعا بالأشياء الثابتة المستقرة . (١)

ومن هنا . . فهو مغترب زمانيا ومكانيا ، ويحار المرء في ذلك الاستسلام العجيب للأسى المبرح الماثل في الأدب الرومانتيكي . . إنهم يحسون بنوع من اللذة المروعة أشبه بتلك اللذة الدامية التي يجدها المجروح اذا أثار جرحه المندمل . . (٢) ها هو ذا بطل رومانتيكي يصورة « شاتوبريان » يفتخر بآلامه ، ويرى « أن سعادته في شقائه » :

(La Foie D'être Malheureux)

يقول ذلك البطل :

« كنت أجد نوعا من اللذة الغامضة في حزني المروع المبرح ، ويتراءى لي في حزني حركة غامضة مبهمة توحي بالسعادة ، ذلك لأن الألم ليس إلا لذة » .

(د) والرومانتيكي يريد أن يترك الحياة عمدا لو لم تربطه بها صلة : « لقد كنت أريد أن أترك هذا العالم قبل إذن الواحد القهار ، ولكن كنت أدرك أن هذا جريمة عظيمة » .

ومن العجيب أنني لم تعد لدي رغبة في الموت منذ أصبحت شقيا بائسا ، لقد غدت أحزاني الشغل الشاغل الذي يملأ لحظات حياتي . (٣)

وحين نتأمل كثيرا من قصائد (عاصم السعيدي) نجدها تصور شخصية أقرب إلى هذه الملامح الرومانسية السابقة ، فعاصم ـ كما يبدو في هيئته الحالمة القلقة المتسمة بغير قليل من الانطوائية والحيرة ، والحزن الغامض ، وكما يبدو في شعره ، يجسد هذه الملامح تجسيدا قويا ، ففي شعره أكثر من قصيدة تتراءى فيها أحزان الغربة والعزلة والرحيل والنفي الدائمين . . !

---

(١) الرومانتيكية ـ للدكتور محمد غنيمي هلال ـ ص ٣٦ ـ ص ٤٨ .

(٢) أنظر كتاب « تيارات أدبية بين الشرق والغرب » للدكتور ابراهيم سلامه ـ ص ٣٠٢ .

(٣) Chateaubriand : René - P.11 - Larousse 1966

هذه الغربة الانطوائية القاسية تبدو ـ مثلا ـ في قصيدته (عودة الى الموت) ، والتي يقول فيها :

عدت وحدي . . صامتا . . كالبحر . . أخفاه المساء . . !
خاشعـا . . كالكـوكب الناسك . . في جوف السماء . . !
وعـلى عيني أمـواج من الـدمـع . . كأمـواج الضياء . . !
فطوتـــني غرفـــتي . . كالـقـــبر . . ضيقـــا وعـنـــاء . . !
وعـلى نافـذتي . . نامت حمامـات . . وماتت كبرياء . . !
فأنـــا الآن . . وحيد . . وعـلى عيني شيء من رثـاء . . !
يتـــهـــاوى الـعـــالم الـضـــاحـــك بيتـــا من شقـــاء . . !
فيه أسـلمـت إلى الـليل بقـــايا جثـــة تأبى البقـــاء . . !
آه . . يا طفـــلا يتـــيما . . نام من غير عشـــاء[1] . . !

وفي قصيدته (القصة التي ضاعت . . !) يواصل تصوير احساسه بالغربة والرحيل فيقول :

وأسأل نفسي . . إلام الرحيل إلام سأبقى طريدا مسافر ؟

هذه الغربة الدائمة . . وهذا النفي الأبدي . . هما محصلتان لذلك القلق الرومانسي الذي يعصف بالشاعر ، ويجعله يصرخ في قصيدة أخرى ، هي قصيدة (لحظة الوداع) حيث يقول :

مرهق قلبي . . كموج حائر موغل في البحر . . ماض للعدم . !
آه . . لو أغمض عيني ساعة فأنا من ألف عام . . لم أنم . !
كيف أغفو . . وغدي يحملني لديار . . حزنها . . دون حدود . !
راحـــل من غـــير زاد صـــامت رغم ادراكي بأني . . لن أعود . !

هذه الأبيات تذكرنا بالشاعر الفرنسي لامرتين (Lamartine) وهو يتوجع في منفى عزلته التي اختارها لنفسه ، صارخا في احدى قصائده ، وهي قصيدة :

---

(١) استخدم الشاعر في هذه القصيدة مجزوء بحر الرمل رباعيا ، مرة ، وخماسيا مرة أخرى ، والقصيدة من مخطوطات ديوانه الذي لم ينشر بعد .

العزلة (L'isolement) ترى لماذا أظل في أرض المنفى . . وليس بيني وبين هذا العالم أي رابطة أو صلة . ؟[1]

كما تذكرنا بأكثر من صرخة للدكتور ابراهيم ناجي وأبي القاسم الشابي وعلي محمود طه ، في هذا المجال : أي : مجال الغربة والنفي الفكري والعاطفي ، وقد تأثر (ناجي) ـ مثلا ـ تأثرا كبيرا بفكرة التشرد الأبدي عند (لامرتين) في قصيدته البحيرة (le lac)[2] حيث يقول :

« وهكذا قضي الله أن نظل دائما مدفوعين من شاطىء إلى شاطىء محمولين في هذا الليل الأبدي . . دون عودة » .

ألا نستطيع أن نلقي المرساة ولو يوما واحدا في عباب الزمن ؟
فلنسرع . . اذن في الاستمتـــاع بالحب
في لحظاتـــنـــا السريعـــة الهـــاربـــة . .
فليس للانســـان مرفـأ في خضم الـزمن
ان تياره يسرع . . ونحن ماضون معه . !

ويقول الدكتور ابراهيم ناجي ، في قصيدته (الخريف) مستوحيا هذه الفكرة : ـ

يا فؤادي . . قاتل الله الضجر وعذابي بين حل وسفر
ما ترى قنطرة من بعدها راحة ترجى ، وبال يستقر[3]

وقد عرب قصيدة (البحيرة) للامرتين في صياغة شعرية جميلة مزدوجة القافية ، مطلعها :

من شاطىء لشواطىء جدد يرمى بنا ليل من الأبد . . !
ما مر منه مضي فلم يعد هيهات مرسى يومه لغد[2]

---

(١) Michel Berveiller : L'oeuvre de Lamartine - P.18.
(٢) ديوان ناجي ص ٩٣ .
(٣) المرجع السابق ص ١٢٨ .

وهذه الرؤية الرومانسية للكون في شعر (عاصم) ، والتي نجد تأثيرها في احساسه الدائم بالغربة والنفي في الكون ، تجعله أيضا ينظر إلى الموت نظرة فيها تأثر شديد بنظرة الشعراء الرومانتيكيين ، ولعل من العجيب أن كبار الرومانسية في العالم العربي اتجهوا الى تصوير الموت كأنه فيض من العبقرية الغامضة ، أو رمز الى السر الخفي الرائع ، ويتجلى هذا الشعور واضحا في وصف الرومانتيكيين لشخصياتهم في قصصهم ومسرحهم ، حيث يتمنون الموت في أسعد لحظات حياتهم ، يقول (ادجار ألان بو) « لا ريب أن موت امرأة جميلة ، هو خير موضوع شعري في العالم » . (١)

وهذا التغني بالموت الذي نلمحه لدى (عاصم السعيدي) يبدو في أكثر من قصيدة من قصائده ، منها : قصيدة (العودة من القبر) حيث يقول :

هأنا .. قد رجعت من وحشة القبر .. بروحي .. ولعنتي .. ودماري ..!
دفنتني يداك .. منذ شهور دفنتني .. ومزقت أشعاري ..!
صدقيني .. قد كان في القبر عندي نهر شوق .. وذكريات جميلة
كنت وحدي ولست وحدي .. فشوقي .. كان عندي يأسو جراحي العليلة
كنت أبكي من حملت اثم قتلي فهي أيضا تعيش بعدي قتيلة
قتلتني والموت أهون عندي أن أراها تعيش روحا وحيدة ..!

وفي قصيدة (سهر مع الليل) يصرخ هذه الصرخة :

صديقتي .. هأنا .. والليل معتكر ولا صديق .. ولا نجم .. ولا قمر
صديقتي أولا تبكينني أبدا فهأنا مع ظلام الليل أحتضر ؟

وفي قصيدة (الرسالة الأخيرة اليها) يصرخ مرة أخرى .. ثائرا :

أنت وهنم .. انقاضة تتهاوى بين عيني والأسى يعتريني ..!
فاتركيني لكي أموت وحيدا عل موتي يعيد ماء جبيني
كيف تبكين لا وربك أخشى إن همى الدمع أن يميت شموعي

---

(١) أنظر : « الرومانطيقية ومعالمها في الشعر العربي الحديث » ـ عيسى يوسف بلاطة ـ ص ٦٨ ، وانظر : « فن الشعر » ـ ص ٥٨ ـ للدكتور/ احسان عباس .

مثلما مات بين جنبي حب كان يبني أسواره من ضلوعي
قد تداعى .. وصار قبرا كئيبا فيه أودعت ذلتي وخضوعي
اتركيني فالقبر يصرخ .. كلا لقيودي لشقوتي لرجوعي

وحين يعود الى مهد الذكريات .. ومكان التلاقي ، يجد أن أحبابه قد رحلوا .. ولم يعد ثم الا الوحشة الرهيبة ، والصمت الكئيب ، وتعاسة القبور ، ها هو ذا يرسم لنا صورة للوقوف بأطلال مهد الذكريات أقرب إلى الصورة التي رسمها الدكتور ابراهيم ناجي حين قال :

والبلى أبصرته رأي العيان ويداه تنسجان العنكبوت ..!
صحت .. يا ويحك .. تبدو في مكان كل شيء فيه حي لا يموت [1] ..!

ويقول « عاصم السعيدي » :

جئت وحدى .. الى مكان التلاقي يا إلهي .. ياليتني .. ما أتيت ..!
وتأملت في المكـان مليـا أين عيناك كي ترى ما رأيت
قد تهاوت أنقاضه فهو قبر من سكوت .. على ثراه ارتميت
وهو بيتان من قصيدة حب مات بيت .. وبات يبكيه بيت ..!
يا ظلاما وقفت فيه طويلا .. ثم .. أشعلت شمعتي .. وبكيت ..!

ان التـدفق العـاطفي الحـزين المـوغل في بحار الغربة والضياع والموت والعدم ، والعلاقات العاطفية المحبطة المعذبة ، والقلق العنيف ، هذا التدفق الحزين يسود مضامين شعره وصوره .. ودائما .. نحن أمام العذاب والدموع والبكاء .. أمام الحزن الحائر القلق والرؤية الشاحبة للكون والوجود .. ومن ثم .. فلا عجب اذا وجدناه يرى انما وجد في هذا الكون ، للعذاب ، وحمل الهموم الثقيلة ، وفي ذلك يقول في قصيدته (لغز الوجود) :

إنما نحن للعذاب خلقنـــا وعلينـا حمل الهمـوم الثقيلة ..!
قد خلقنا لكي نكون دموعـــا وعــذابـا أضاع يوما سـبيله

وفي ختام هذه الرحلة النقدية مع شاعرية الشاعر الشاب (عاصم السعيدي) ـ الطالب بكلية الهندسة بجامعة السلطان قابوس ـ بما تبشر به من ابداعات خصبة سيكون

---

(١) من قصيدة : (العودة) ديوان ناجي ـ ص ٣٩ .

لها ـ ان شاء الله ـ شأنها في المستقبل القريب : نحب في نهاية هذه الجولة أن نشير الى بعض الأخطاء اللغوية والنحوية التي وقع فيها ذلك الشاعر الموهوب ، وهي أخطاء لا تقلل من روعة الأداء الشعري المتميز ، وخصوصيته عند ذلك الشاعر ، ومن هذه الأخطاء ـ مثلا ـ قوله :

« أنت ما اخترت أن تكونين جرحى » والخطأ النحوي هنا في قوله (أن تكونين) .

وكان ينبغي أن يقول (أن تكوني) لأن (تكونين) فعل مضارع من الأفعال الخمسة ينصب بحذف النون ، وقوله :

« كم ساهروني وهم يبكو على غصصي » والخطأ في قوله (وهم يبكوا) اذ حذف نون الفعل المضارع (يبكون) مع انه مرفوع ، والواجب أن تثبت النون « هنا ، لا أن تحذف ، لأن الفعل هنا من الأفعال الخمسة التي ترفع بثبوت النون » .

ومن هذه الأخطاء النحوية قوله :

« وقد كنت نسرا في الفضاء محلق » .

والخطأ في قوله (محلق) بالرفع ، وكان من المفروض أن ينصب كلمة « محلق » . . فيقول : « محلقا » . . لأنها صفة لاسم منصوب ، وهو « نسرا » .

ومن أخطائه اللغوية : « ترى . . أي ذنب عظيم ذنبت » والصحيح « أذنبت » ويمكن أن يقول « جنيت » .

ومن أبياته التي يبدو فيها قلق عروضي ـ وذلك نادر في شعره ـ قوله :

لي فؤاد قد علمته الليالي أن يودع أطلاله البالية

فالنصف الأول من البيت ، وما قبله من أبيات من بحر « الخفيف » والنصف الثاني لا يستقيم مع ذلك الوزن .

وهناك أيضا بعض الأخطاء الاملائية ، نحب أن نشير اليها ـ وان كانت قليلة أيضا : منها قوله :

« فتيهي فخارا اذ قصصتي جناحيا » والصحيح « قصصت » .

وقوله : « يا من صنعتي كرامتي ورجولتي » والصحيح « صنعت » .

وقولـه :

ويرحـل نجـم بقصـة حبـي ويترك قلبـي رهـين الدمـوع
ويطفـأ في مهجتي شـمعة فـؤادي بهـا مسـتهام ولـوع

والخطأ في قوله « ويطفأ » اذ أن الضمير في الفعل هنا عائد الى النجم في البيت السابق وهو يريد أن يقول : ان هذا النجم يرحل بقصة حبه ، ويتركه ملازما للدموع ، ويطفىء في قلبه شمعة ـ فالصحيح ـ هنا ـ املائيا ـ « ويطفىء » .

وأخـيرا . . فإني أتـوقـع لذلك الشاعر الشاب (عاصم السعيدي) أن يصبح في السنوات القادمة نجما من نجوم الشعراء الشباب في المجتمع العماني . . ان موهبته الآن . . أكبر من سنه بكثير .

مرة أخـرى . . أقـول . . فلنترقب معا تألق نجم ذلك الشاعر الشاب (عاصم السعيدي) . . انـه الآن واحد من أبرز ممثلي الرومانسية الجديدة بين شعراء الشباب في منطقة الخليج العربي . . من يدري . . غدا ماذا يكون من أمر المهندس الشاعر ؟ أحذره فقط . . من الاستسلام للغرور ، ومن توقف القراءة الجادة ، في جميع ألوان المعرفة التي لها اتصال بعملية الابداع الشعري . . !

وإلى شاعر آخر من شعراء الشباب بجامعة السلطان قابوس . . في دراسة قادمة إن شاء الله .

والله الموفـــق . .



العمانيون وارتباطهم بالاسلام

بقلم : محمد علي الصليبي
مساعد مشرف المنتدى الأدبي

تمهيد تاريخي :

قبل أن نتحدث عن العمانيين وارتباطهم بالاسلام ، واقبالهم على الدخول فيه طواعية وعن طيب خاطر ، نرى من المفيد هنا أن نوطىء بمقدمة قصيرة نتحدث فيها عن عمان وموقعها في قلب العالم المتحضر القديم ، وأثر ذلك وانعكاساته على الحياة الاجتماعية في هذا البلد الذي يشكل الجزء الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة العربية ، وما كان لهذا الموقع من أهمية حضارية من كافة النواحي السياسية والاقتصادية والعسكرية ، فقد قامت على أرض عمان أقدم الحضارات وأعرضها في مسيرة البشرية الطويلة ، وتتوالى الاكتشافات الأثرية للبعثات التنقيبية العاملة بالسلطنة تحت إشراف دائرة الآثار بوزارة التراث القومي والثقافة لتثبت أن هذه المنطقة من العالم القديم شهدت وضعا حضاريا راقيا منذ الألف الرابعة قبل الميلاد ، وتعد آثار عبري بمنطقة الظاهرة خاصة موقع بات من أهم الأدلة على ذلك .

وإذا كان هذا الجزء المهم يعرف في التاريخ الاسلامي والحديث باسم عمان ، فقد عرف أسماء عديدة في العصور القديمة أشهرها (مجان) وهو الاسم الذي ظهر في النصوص السومرية لبلاد الرافدين في الألف الرابعة قبل الميلاد ، كما ظهر مرات عديدة في النصوص البابلية والأكادية والأشورية مما يدل على أهمية الدور والتفاعل العماني في أحداث العالم القديم تأثيرا وتأثرا .

أهمية الدور العماني
في مجريات أحداث العالم القديم

أما علماء السياسة الدولية ، فانهم بدورهم يؤكدون على أهمية الدور العماني في مجريات الأحداث في العالم القديم خلال الدراسات التي قدمت لاسيما في الآونة الأخيرة ،

فقد ذكر الاستاذ حامد ربيع استاذ السياسة الدولية بجامعة القاهرة ، خلال محاضرة له في قطر مؤخـرا بأن الأحداث العالمية والصراعات الدولية في التاريخ القديم تركزت بصورة مباشرة في حوض البحر الأبيض المتوسط في منطقة الشام ، ثم الصراع اليوناني الفارسي ، فالصراع الروماني الفارسي والذي اختتم حلقة الصراعات الدولية في العصور القديمة ، كما أشـار في محاضرته إلى أن منطقة الخليج لعبت دورا هاما في تلك الأحداث التي شهدتها صفحات التاريخ القديم حيث مثلت المنطقة بما فيها عمان درعا استراتيجيا للبحر المتوسط ، وان كنا نلاحظ أن أهمية منطقة الخليج العربي وخاصة السواحل الجنوبية تبدو أكثر من دور الدرع لحوض المتوسط ، فقد كان الصراع على حوض المتوسط الشرقي بين اليونان ومن ثم الـرومـان من جهـة ، وبـين الفرس من جهة ثانية يتعلق بموضوع السيطرة على الطرق والممرات التجارية في المقام الأول ، ومثل الخليج العربي ممرا بحريا تجاريا هاما بين حوض المتوسط وأوربا من جهة وبين عالم المحيط الهندي وتجارة جنوبي شرقي آسيا من جهة أخرى ، وبـاحتـلال عمان ذلـك الركن الهام من الجزيرة العربية جعلها تتأهل للتحكم في الطرق البحرية العالمية ، والاتصالات الحضارية بين الشرق والغرب قديما ، كما مكنها هذا الموقع المتميز من الاشراف على عمليات التبـادل والاحتكـاك الحضاري قديما ، حيث شهدت أرضها عبور الجماعات المتحركة في غرب آسيا لتبحث لها عن مواقع جديدة للاستقرار ، بل شهدت أيضا التقاء حضارات الشرق الأدنى القديم طبقا لما جاء في محاضرة الدكتور أحمد فخـري استاذ الآثار المصري السابق حيث أشار إلى أن لقاء الحضارة السومرية القديمة بالحضارة الفرعونية قد تم في منطقة ظفار في جنوب عمان في الالفين الرابعة والثالثة قبل الميلاد ، ولا أدل على هذا الدور واقعية وأهمية من اتجاه أنظار اليونسكو في رحلتها الحضارية والتي تعرف برحلة دروي الحوار بين الحضارات الى سواحل عمان ، وقيام علمائها بزيارات ميدانية والقاء محاضرات حول هذا الموضوع تؤكد على دور عمان الحضاري كان من بينها التوقيع على اتفاقية تسليم اليخت السلطاني فلك السلامة لليونسكو والتي وقعت في مبنى وزارة التراث القومي والثقافة في شهر نوفمبر من العام الماضي ، وكانت آخر انجازات موكب السـلام الحضـاري هذا استقباله في مسقط والاحتفال المهيب الذي أقامته وزارة التراث القومي برعاية صاحب السمو السيد فيصل بن علي آل سعيد حيث اختتم هذا الاحتفال بنـدوة طرق الحـرير التي أقـامتها الوزارة بجامعة السلطان قابوس وشارك فيها نخبة من العلماء ، كما أقامت الوزارة العديد من الفعاليات الهامة بهذه المناسبة .

من هنا كانت عمان باعتبارها مركزا حضاريا هاما طيلة العصور القديمة مطمعا للقوى العالمية في تلك الحقبة حيث شهدت المنطقة محاولات لاحتلال بعض سواحلها بسبب موقعها وتوفر المواد الخام بها ، خاصة النحاس والفضة من ذلك غزو عمان من قبل الملك الاكدي نارام سن (عام ٢٣٠٠ ق.م) واسره ملك عمان آنئذ (مانو دانو) وكان الغرض الأساسي المعلن عنه للغزو هو جمع الغنائم والاسلاب من عمان أكثر منه احتلالا للأرض والتي سرعان ما استعيدت باستعادة البلاد وحيويتها ، كما حاول الاسكندر المقدوني منذ القرن الرابع قبل الميلاد احتلال سواحل عمان ، فأرسل الحملات الاستكشافية ، ولكن الأجل لم يمهله حتى انه ذكر ان من يمتلك سواحل الخليج يمتلك العالم القديم ، كما ذكر أيضا أن أباطرة روما كانوا يحلمون بالوصول إلى تجارة الخليج العربي وعمان ، وبسبب المنافسة بينهم وبين الفرس ظلوا بعيدين عن المنطقة حتى تمكنوا من الوصول إلى جنوب عمان ، وعقدت اتفاقية بين الامبراطور تراجان وبين حاكم ظفار سنة ١٠٥ م من أجل التجارة .

على أن صفحات التاريخ حفلت بالأحداث بين السواحل الفارسية وسواحل عمان العربية ، ومحاولة الفرس الساسانية تطبيق سياسة الاحتكار للطرق التجارية البرية والبحرية ، ولذلك فانهم قاموا بمحاولات مستمرة للسيطرة على سواحل عمان ، وقد تأتى لهم ذلك لفترات حتى أصبحت صحار في فترة من أهم مراكزهم في الخليج العربي ، وفي نفس الوقت كانت القبائل العربية التي قدمت إلى عمان منذ عهد مالك بن فهم ومجموعة من الازد ، وما تبعهم من قدوم قبائل عربية أخرى إلى عمان ، كانت كل تلك الجموع العربية تعيش في داخلية عمان حسب عاداتها ونظمها العربية التي حملتها من مواضعها ، وبعد تطهير الساحل العماني من الفرس الساسانية على يد مالك بن فهم ظلت هذه القبائل عربية على أوضاعها إلى أن ظهر بنوشمس بن معولة كحكام للجموع العربية في عمان قبل ظهور الاسلام ، ودخوله عن رضا وطواعية الى أرض عمان .

الاسلام حسم هوية المنطقة لصالح الأمة وأمنها واستقرارها

لقد كان لظهور الاسلام في القرن السابع الميلادي ، واشراقة النور المحمدي على أرض الجزيرة العربية أثره الفاعل على الأوضاع الأمنية العامة في منطقة الخليج وغرب

آسيا ، والأمنية الخاصة في عمان والخليج العربي ، فعلى الصعيد الأمني في منطقة غرب آسيا ، أطاح الاسلام بكل القوى التي كانت تتنافس وتتناحر دونما شرعة الهية سمحة على المنطقة قديما ، وخاصة الامبراطورية الساسانية والتي كان لها الدور الرائد في تحريك الأحداث بطرقها وتأثيرها على القوى الأخرى التي كانت تبعا لها ولا يعصي أحد لها أمرا ، وهنا نرى أن الاسلام حسم هوية هذه المنطقة لصالح الأمة وأمنها واستقرارها ، مما يدل على ذلك استقرار الأوضاع الأمنية في المنطقة تماما في صدر الاسلام ، ولا أدل من تطبيق المسلمين والاسلام لنظرية الأمن العام من حديثه عليه الصلاة والسلام « والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون » ، ولنا في عمر لأسوة حين جعل من أهم واجباته تطبيق الأمن والسلام والعدل في دولة الاسلام ، والحفاظ على حدودها ، والذب عن ذمارها حيال تهديدات أجنبية من الخارج ، كما عمل الاسلام على دمج العصبيات والأجناس العديدة في المنطقة في بوتقة واحدة من أجل بناء وطن اسلامي واحد ثابت الأركان ، لا تزعزعه الهواجس والفتن والشكوك يتمتع كل فرد فيه بالحرية والأمان ، وكان من نتيجة هذه السياسة أن أصبحت المنطقة بأسرها تعج بحركة حضارية راقية مازلنا نتنسم عبيرها الزاكي الى يومنا هذا .

وعلى صعيد عمان كان اسلام أهلها مكسبا بل مغنما حضاريا للمنطقة حيث بدأ أثر ذلك في عدة مظاهر على رأسها مظهران هما :

الأول : توحيد جهود أهل عمان الداخل ، وتشميرهم عن سواعدهم في سبيل استعادة وتعريب سواحل بلادهم ، واجلاء الفرس الساسانية عنها ، ويتجلى ذلك في سرعة استجابة العمانيين للدعوة التي قدم بها عمرو بن العاص وأبو زيد الانصاري إلى جيفر وعبد ابني الجلندي من قبل الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام ، وانه بالرغم من تعدد نصوص الرسالة الا أن فحواها كان في دعوة جيفر وعبد بدعاية الاسلام ، ولا أدل من سرعة استجابة العمانيين الى داعي الله دون تردد أو خوف أو رهبة ما ورد عن جيفر من قول : (اني فكرت فيما دعوتني اليه ؛ فإذا أنا اضعف العرب ان ملكت رجلا ما في يدي ، وهو لا تبلغ خيله هنا ، وان بلغت خيله الفت قتالا ليس كقتال من لاقى) .

ويتضح لمتتبع الأحداث التاريخية في الفترة الهامة من تاريخ عمان أن تحول العمانيين للاسلام ، حكومة وأفرادا ، كان يسير بانسجام شامل ، ذلك ان الاسلام أدى الى ارتباط أهل عمان بالطمأنينة والاستقرار ، فوحدوا صفوف جبهتهم الداخلية وبدأوا بالتصدي للعدو الرابض على سواحلهم ، وتمكنوا وبالاسلام من دحره وطرده ، مما ترتب عنه مكسب أمني جديد في تاريخ عمان ومسيرتها من حيث ارتباط عرب عمان بباقي اخوانهم ، كما ترتب عليه أيضا توحيد الصف العماني من أفراد وقبائل من أجل العمل على تطبيق الشريعة الاسلامية ، والتعاون مع واليهم الجديد عمرو بن العاص ، مما جعل عمروا هذا ـ كما ذكر ابن سعد في طبقاته يشهد بحسن اسلام أهل عمان في قوله : (فأجاب إلى الاسلام هو وأخوه جميعا وصدقا النبي وخليا بيني وبين الصدقة ، وبين الحكم فيما بينهم ، وكانا عونا لي على من خالفني ، فأخذت الصدقة من اغنيائهم ، فرددتها علي فقرائهم فلم أزل مقيما بينهم حتى بلغنا وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم) .

وتتابعت وفود أهل عمان متجهة صوب مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث تشير المصادر الى أن وفدا ذهب بقيادة أسد بن بيرح الطاحي ، قابلوا الرسول وطلبوا منه أن يبعث معهم رجلا يقيم امرهم ، كما قدم وفد آخر بقيادة سلمة بن عباد الازدي ، وهذه تقطع الشك باليقين على مدى اقبال أهل عمان على الاسلام ، وارتباطهم بالدعوة الجديدة منذ البداية ، غير غافلين عن رحلة الصحابي العماني مازن بن غضوبة إلى المدينة المنورة واسلامه ودعاء الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام له ولأهل عمان .

الثاني : ترسيخ وبناء قيم اجتماعية في قلب المجتمع العماني ، فقد ترتب على اسلام أهل عمان ، انتشار السلام والأمن بين ربوعهم (اسلما تسلما) وهو الهدف الأول للدعوة الاسلامية حيث عم الفكر الجديد نواحي عمان ، وتوحدت كلمة القبائل العربية في عمان لأول مرة في تاريخها بسبب الاسلام ، فتوحدت عمان لذلك تحت راية الاسلام ، وأصبح مجتمعها عضوا فعالا في المجتمع الاسلامي الكبير حيث اسهم العمانيون في مسيرة الأحداث التاريخية على مساحة العالم الاسلامي الكبير في مشاركتهم بالفتوحات الاسلامية ونشر الاسلام ، وحروب الردة ، ويظهر ذلك من تولية الخليفة أبي بكر لعبد بن الجلندى لسرية خرجت لقتال الغساسنة ، كان فيها الصحابي حسان بن ثابت ، كما كان لهم دور مهم في

نشر الاسلام في الشرق الاسلامي ، ولا أدل على ذلك من الدور الذي اضطلع به آل المهلب وهم ـ كما نعلم ـ من ازد عمان .

وكان مما يحسب للعمانيين وقوفهم عن دراية وحنكة بعيدين عن النزاعات والمشاحنات التي أصابت العمود الفقري للعالم الاسلامي حيث ظل العمانيون بعيدين عن أحداث الفتنة والفرقة التي تعرضت لها الدولة الاسلامية اثر مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فارتبطوا بالفكر الاسلامي دونما تكلف ، ورفضوا التطرف أيا كانت أسبابه وبواعثه ومصادره ، فتمسكوا بالحق ، ونذروا حياتهم لاحقاقه ، وتخلقوا بخلق الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، وحذوا حذو السلف الصالح ، فلم تهزهم ريح التغيير ، ولم يزعزع صمودهم تألب وتكالب اعدائهم عليهم ، فورثوا المجد كابرا عن كابر ، وحاولوا جهدهم بناء نظام اسلامي يحميهم من تقلبات الأوضاع والتيارات السياسية التي كانت تسود العالم الاسلامي آنئذ ، وخاصة نظام الامامة التي أعلنوها دائما ، متمسكين على الدوام بهذه الروح الاسلامية التي دبت بين أوصالهم ، فبعث فيهم الحياة قوية ، غير غافلين عما دوّنه الرواة من أحاديث شريفة عن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام في فضل اسلامهم (فمن سره أن ينظر إلى أصحاب رسول الله فلينظر إلى الصلحاء من أهل عمان) ، وعن مسلم من حديث أبي برزة قال : (بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا إلى قوم فسبوه وضربوه ، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لو أهل عمان اتيت ما سبوك ولا ضربوك) .

قلت : ان التطورات السياسية والفكرية التي اعتصرت قلب الخلافة الاسلامية أدت إلى تمسك العمانيين بمعين الفكر الاسلامي الأصيل ، حيث اصبحت عمان بقبائلها وبلدانها ورجالها تمثل زادا ومعينا لا ينضب لهذا الفكر الاسلامي الأصيل ، بل انعكس هذا الأمر على الجوانب الاجتماعية في عمان منذ البداية ، حين اعلنت أول امامة في عمان سنة ١٣٢ هـ سنة ٧٤٩ م بقيادة الامام الجلندى بن مسعود ، وكان هذا الاعلان بداية لمرحلة جديدة في التنظيمات الاجتماعية في عمان ، ذلك لأن العلماء تعاونوا مع الامام في سبيل وضع أساس للتنظيمات الاجتماعية الجديدة في عمان ومن هؤلاء : موسى بن أبي جابر ، وعبدالله بن القاسم ، وهلال بن عطية ، وخلف بن زياد البحراني ، وشبيب بن عطية ، وبشير بن المنذر النزواني ، ومنير بن النير الجعلاني .

فاتسم المجتمع العماني بالطابع الاسلامي بل كان نموذجا يحتذى لذلك المجتمع القائم على أرقى النظم والنماذج الحضارية في تاريخ البشرية بالرغم مما اعتوره من هزات سياسية خارجية ، وموجات صاخبة من المد والجزر ، الا ان هذا المجتمع ظلت تسوده مبادىء ونظم مازالت إلى يومنا هذا أصيلة فيه لأنها اضحت تعد جزءا لا يتجزأ من ذاتيته حتى ان السالمي ذكر في تحفته (لم يأخذوا الصدقة بغير حقها ، ولم يضعوها في غير موضعها ، وقسموها على أهلها بحكم القرآن) كما اتسمت نظم هذا المجتمع بالعدالة والتكافؤ بما يمكن تسميته (وضع الرجل المناسب في المكان المناسب) حيث ذكر عنهم (ولا يستقضون على ولايتهم الا أهل الثقة وأهل العلم والفهم والورع) .

الهيئة العليا للعلماء
ودورها في ترسيخ وحدة المجتمع العماني

وترسيخا لوحدة هذا المجتمع ، وحفاظا على أن يبقى نقيا عرف المجتمع العماني ما يمكن تسميته بالهيئة العليا للعلماء والتي عملت جهدها على تفتيت الروح القبلية بين أهل عمان ، وهذه المجموعة اعتمدت عليها الامامة في إدارة عمان إلى جانب حملة العلم وعرف منهم : الحسن بن عقبة والوليد بن خالد ، وموسى بن سعيد ، وجعفر بن بشير ، ومعين بن عمر ولوط بن سام وحيم بن المغيرة ، ويبدو ان هذه العناصر الادارية للامامة ابتعدت تماما عن الطابع القبلي ، واستندت على امكاناتها العلمية ، وسمعتها الخلقية والدينية ، حيث ذكر السالمي عنهم (ولا يتهمون في دينهم مرضيون في اخوانهم ، متبع رأيهم ، معروف فقههم) ، كما ان جماعة (حملة العلم) والتي كانت تتبع مباشرة للامام ، فقد كانت هي الاخرى بعيدة عن التعصب القبلي ، ملتزمة بالطابع الاسلامي في حركتها بين مناطق وأهل عمان ، هذا ويمكن للباحث في شكل المجتمع العماني في تلك الفترة الاسلامية الأولى أن يقسمه إلى ما يلي : -

أولا : الامام ، وهو رأس المجتمع ، والمطبق للشرع الاسلامي وحدوده والحافظ لأحكامه وشرائعه ، وهو المنتخب من العلماء الاتقياء المتفق على نزاهتهم وصلاحيتهم للقيام بعبء هذه المسؤولية .

ثانيا : الهيئة الاستشارية العليا للامام : وكان يمثلها في تلك الفترة رفاق الكفاح للامام الجلندى بن مسعود من حملة العلم وأئمة الدعوة مثل : عبدالله بن القاسم وهلال بن عطية العماني ، وخلف بن زياد البحراني ، وكان لهؤلاء الأئمة المكانة الهامة في الحكم والسيطرة على البلاد وقد يتدخل العلماء في بعض القضايا وقد يعزلون أئمة ويولون غيرهم .

ثالثا : الهيئة التنفيذية ويرأسها الامام باعتباره رئيس الدولة بالمعنى السياسي العام والمعبر عن السلطة الحاكمة .

رابعا : رئيس الوزراء أو الوزير الأكبر ، وهو الذي يعاون الامام في الادارة ، وممن احتل هذا المنصب هلال بن عطية في امامة الجلندى بن مسعود .

خامسا : الولايات والمناطق ، حيث قسم الامام دولته إلى ولايات واستعمل على كل منها واليا ، وعين القضاة عليها .

سادسا : بيت المال : وهو يمثل الجانب الاقتصادي في الامامة حيث تجمع به الصدقات وأموال الزكاة ، وأصبح منصب الجباة من أهم مناصب الامامة .

سابعا : الاخلاق العامة : ظهرت وظيفة المحتسب في عمان في تلك الفترة حيث أصبح شبيب بن عطية المحتسب للامامة في عمان ، وكان يقوم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ثامنا : وتأمينا للحفاظ على الطابع الاسلامي للدولة بدأ الامام باصدار ـ ما يشبه عهدنا ـ المراسيم ـ من ذلك : ـ

١ ـ أمر النساء بأن يدنين في جلابيبهن ، ورفع الخُمر فوق الاذقان . وستر النواحي التي حرم الله ، وسائر الزينة الا الوجه والبنان ، كما أمر الرجال البعد عن مظاهر الخلاعة والتشبه بالنساء ، فأمر بتقصير الشعور ، والملابس .

٢ ـ أنكر الامام على المسلمين التشبه بزي أهل الذمة ، وأنكر على أهل الذمة أن يتشبهوا بالمسلمين .

٣ ـ طهر الامام عماله وولاته من الرشوة والبغي ، وأمرهم بالمعروف والعدل في الرعية ونهاهم عن المنكر .

تاسعـا : وفي سبيل القضاء على مشكلة غلاء المهور ، وتيسير الزواج حفاظا على المجتمع المسلم ؛ فقد أمر الامام الفقراء من رجاله ان يعرسوا أنفسهم على النساء بعشرة دراهم ، كما شجع على ذلك بطرق وتوجيهات عديدة .

الاسلام يصهر المجتمع العماني في بوتقته

وفي الوقت الذي استطاع فيه الاسلام أن يصهر المجتمع العماني في بوتقته ، فقد مكنت هذه التنظيمات الجديدة من صبغ المجتمع العماني بصبغة اسلامية مازالت ترتبط بها جوانب هذا المجتمع ، بل نراها وقد تأصلت في أعماق جذوره إلى يومنا هذا والى ان يشاء الله ، وتأكيدا لهذه الأصالة كونها لا تفارق الحياة اليومية العادية للشعب العماني ، الذي كثيرا ما نصادفه وهو يحدثنا حديثا طويلا عن أمجاد قومه وامته ، وكثيرا ما تؤثر هذه الصفات الحميدة في نفوس الزائرين ، ولا غرابة أن يجمعوا على ان الاخلاق الحميدة والأدب الجم ، وحسن السلوك أمور كلها تنبثق عند أهل عمان بصورة طبيعية دونما تكلف ، وهي تتمثل أحيانا في ذلك اليسر التلقائي والأدب الظاهر على الصبيان الصغار وهم في مجالس الآباء .

وهذا ما لاحظه كاتب هذه السطور الذي اتيحت له الفرصة وعلى مدى أكثر من ثلاثة عشر عاما أن يقوم بجولات في ولايات السلطنة بطبيعة مهنته كصحفي أولا ، وكعضو في فريق المسح الميداني للبنية الأدبية بالسلطنة والتي يضطلع بها المنتدى الأدبي في هذه الأونة ، كان من أبرز الملاحظات التي دونتها مذكرات كاتب هذه السطور أن حب الضيافة واكرام الزائرين ، وحسن استقبالهم ، وترحيبهم بهم في مجالسهم باستمرار وافساحها لهم هي جزء لا يتجزأ من الآداب العامة بالسلطنة حيث يدفع طبع العماني بالغريزة وحبه للكرم بأنه من الضروري أن يدعو الشخص الغريب الى بيته ليقدم له ما تيسر ـ حسب قولهم ـ ويتناقل العمانيون هذا التراث بحرص شديد حتى انهم وضعوا هذه القواعد والأصول على رأس قائمـة الأولـويات يعلمونها أولادهم منذ نعومة أظفارهم ، ليشبوا عليها ، ولتواكب هذه الصفات الحميدة المتوارثة أبا عن جد مسيرة حياتهم الى أن يصبحوا رجالا يحفظون عن ظهر قلب ما يجب عليهم نحو اكرام الضيف ، لأنه رأي الآباء والاجداد ولأنه تراث أمة ، وذوب مشاعرها وحصيلة تفكيرها .

وإذا كان علماء الاجتماع ذهبوا الى القول لدى دراستهم الحالة الاجتماعية لشعب من الشعوب في فترة من الفترات ان لها تأثيرا مباشرا أو غير مباشر على أنواع نشاطاته الأخرى ، ذلك لأن النظم والظواهر الاجتماعية يؤثر بعضها في بعض ، ويرتبط الواحد منها بالآخر ، فيأخذ منه ويعطيه ، واننا لو تذكرنا هذا القول ونحن نشاهد الصناعة المحلية في عمان وتنوع فنونها في صياغة المعادن ، وابداع الأشكال والنقوش عليها ، واعطاء الأهمية لكل ما يبرز صفات الشعب ، وما يتحلى به من أخلاق ، فإننا سنجد اهتماما فنيا ـ خاصة ان ما يوجد على الخنجر العماني ـ يعطينا انطباعا لما لهذا النوع من تقدير قومي ، وكذلك الاهتمام بأدوات الضيافة من دلة وفناجين وغيرها ، ثم ان هذه التصاميم في الوقت الذي تؤكد فيه على تأثر العمانيين بالفنون الاسلامية ، وانصياعهم لهذا التأثر بما عرف عنهم من تمسك بالاسلام ، وحفاظ على العادات والتقاليد والقيم بما يبرز ما لهم من صبر وتحمل وانهم مهرة في صناعاتهم لكونها تنبع من قيمهم الروحية أصلا .



أضواء على شعر أبي مسلم [1]
« ناصر بن سالم بن عديم الرواحي »

بقلم الشاعر
سالم بن علي بن سالم الكلباني

لم أكن عازما على مباشرة الكتابة عن شعر أبي مسلم في الوقت الحالي رغم أني أنوي الكتابة عنه إن عاجلا أو آجلا بإذن الله وليست هذه السطور القليلة نواة لمشروع الكتابة عنه وإنما لالقاء بعض الضوء على شموخ علم من أعلام العظمة الشعرية في عمان . ولقد جاءت مساهمتي هذه استجابة لدعوة المنتدى الأدبي الذي يسعده أن يقوم خير قيام بمهمته الشريفة المتمثلة في إحياء تراث عمان من الثقافة والعلم والمعرفة وإظهاره بالمظهر المشرف في إطار من العناية والاجلال بعد التحقيق والتدقيق والبحث والتمحيص . لقد كنت أسوّف وأمني النفس بأنني سأنفض غبار الكسل وسأشمر عن ساعد الجد لأعمل ما ينبغي عمله وأكتب ما يليق بالمقام لشعر تعدى حدود المألوف من المفاهيم المادية للشعر وابتنى لنفسه معراجا تجاوز به الآفاق العليا للابداع الذي يحترمه كل ذي مروءة ويعشقه كل ذي نفس تعرف الجمال وتحبه وتقدره .

ولئن كانت مشاغلي الحالية في معترك الحياة المعاشية تبخل علي بفرصة التقاط الأنفاس فإن واجب الأدب أجل وأكبر مما توحي به هذه المشاغل . كما ان دعوة المنتدى الأدبي الكريمة كان لها في النفس وقع لم أستطع مقاومته . لذلك عمدت إلى إنعام النظر في عدد معين من قصائد هذا الشاعر الفحل محاولا عرضها في هذه العجالة لتسليط الضوء على مفخرة من مفاخر عمان الأدبية ربما لم يطلع عليها « أي القصائد » بعض الزملاء العمانيين والاخوة الوافدين من الأدباء العرب وزمرة من المحابين الذين اتضح لي من خلال ما قرأت لهم من مقالات وآراء عن الأدب في عمان أنهم يتمنون ذا ورم باعتمادهم على ما توفر لديهم من نماذج أدبية لأشخاص معدودين شغفوا بمحاباتهم فأصدروا لهم أحكاما جزافية يكذبها الواقع وتمقتها الأمانة ولو أنهم توغلوا في التخوم الأدبية العمانية لتكشفت لهم حقائق مذهلة

(١) ألقي البحث في احدى جلسات السمر الأدبية التي يقيمها المنتدى الأدبي بين الحين والآخر .

عن شخصيات أدبية عملاقة تتضاءل أمامها الشخصيات المكبرة آلاف المرات بمجاهر المهالئين والمتزلفين الذين يعشى أعينهم التحديق في الأفق البعيد . إنك وأنت تقرأ شعر أبي مسلم تشعر وكأنك تمتطي جوادا عربيا جامحا صعب الشكيمة ينقلك عبر المفاوز الشاسعة ويقفز بك إلى القمم السامقة دون أن تبدو عليه علامات الاعياء أو التهيب ، إنه شاعر خالد بكل المقاييس الإبداعية التي يقتضيها الخلود في ذاكرة المجد والفضيلة .

وفي ظني انه لولا ظروف الموقع الجغرافي لموطن الشاعر والمنعزل في أقصى الجنوب الشرقي من الوطن العربي لكانت لهذا الشاعر سمعة لا تقل عن سمعة معاصريه من أمثال البارودي وشوقي حيث ان العاطفة التي يُصدر أبو مسلم عنها أشعاره عاطفة جياشة لديها من الانفعال والتوهج ما يكفل جعلها على رأس قائمة العواطف الشاعرة الفياضة التي لا تنضب خاصة وهي تهتدي بضوء العلم الساطع الذي يحتويه صدر هذا الشاعر . لقد تثقف أبو مسلم ثقافة دينية بحتة جعلت معظم أشعاره تصطبغ بالصبغة الدينية وتنصب في مجالها متمثلة في الأذكار والتضرعات وتقديس الذات الالهية وتمجيد الحضرة النبوية في أسلوب ينضوي معظمه تحت لواء الاستشراقات الصوفية مطعما ببعض الاستشارات العقلانية التي ربما يستخدمها الشاعر للدلالة على عظمة الاعجاز الالهي في إيجاد الموجودات المادية والروحية التي يرى فيها مثلا أعلى لذلك الاعجاز الباهر ، وسوف نتجنب الابحار الآن في خضم هذا القسم من اشعاره الربانية لأن ذلك يتطلب استعدادا أتم ووقتا أطول مما هو متاح لنا اليوم . أما القصائد القليلة التي أمكنتنا الفرصة من استعراضها فإنها قصائد عصماء تنبىء عن تمكن صاحبها وقدرته على امتلاك مشاعر قارئه والتغلغل في ضميره بما أوتي من دقة التصوير وروعة التعبير .

أبو مسلم خطيب مصقع

أرجو عزيزي القارىء ان لا يحز في نفسك أو يتسرب الشك إلى يقينك في شاعرية أبي مسلم الفذة إذا قيل لك انه يعتمد الأسلوب الخطابي في معظم قصائده الوطنية فقد كان الشاعر يهز بقصائده تلك أريحيات قوم فطروا على اجابة الصارخ وإغاثة الملهوف . فالمجتمع الذي يناديه وان لم يكن مجتمعا بدويه بالمعنى الحرفي لهذه الكلمة إلا انه مجتمع عاش متمسكا والى أبعد الحدود بالعادات العربية القُحة التي تكونُ الفطرة الانسانية ملهمها وباعث

خلجاتها . لذلك جاءت قصائد الشاعر صرخات ندبة تستثير النخوة وتستجدي الشهامة . وبما أنه يعتبر نفسه داعية الى الفضيلة والفضيلة تتمثل في الايمان بالله ورسوله وتمسك العبد بمبادىء عقيدته السمحاء والائتمار بما أمر الله والانتهاء عما نهى عنه وقد أمر الله بفعل الخيرات واستباق الحسنات ومن جملتها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد طلب من مجتمعه تطبيق هذه المبادىء فعليا وراح يدعوه ويخاطبه باللغة التي يفهمها وعلى الطريقة التي ينهجها معتمدا في ذلك على حجته القاطعة وبرهانه الساطع وعلى ما أوتي من بلاغة صادعة وبيان ساحر والمجتمع الذي نعنيه هنا ليس بالضرورة المجتمع الذي تربى فيه بل ربما يتعدى حد القرية أو المدينة أو حتى الوطن الصغير الى الوطن القومي الأكبر .

يا لقومي والاسى كل الاسى ... ان جرى النيل على هذا القدر
ضايقوكم في المراعي مطلقا ... واشرأبوا لاختصاص وأشر
ليت شعري ما الذي أبطرهم ... ضغطة الرومان أم عدل عمر
أم وصايا المصطفى في حقهم ... ان ملكناهم وسعناهم ببر

انه شعر قومي اسلامي لا يعترف بالحدود الضيقة للوطن فأبو مسلم شاعر من شعراء الامة الاسلامية والوحدة العربية يحزنه أن يضام الدين وينتهك الحمى والعرب والمسلمون لا يحركون ساكنا همهم في الأكل والشرب واللباس .

ألا هل لداعي الله في الأرض سامع ... فإني بأمر الله يا قوم صادعُ
أفيقوا بني القرآن ان كتابكم ... يناقض في أحكامه وينازع
تعيث قرود الجبت في سنة الهدى ... إذا عقدوا شنعاء جاءت شنائع
يعدون دين الله بهتا وهجنة ... وأن ليس من صوب الالاه شرائع
وان هدي الاسلام في الأرض ظلمة ... ولو زال بانت للرقي سواطع
وان بني الاسلام في همجية ... وحوش تعادي في الفلا أو ضفادع
هلم بنا نقطع حبالة ديننا ... إذ الدين عن نور التمدن قاطع
ونذروا وصايا الله في الريح تربة ... فليس بها أستغفر الله نافع
أما كذبوا لا قبح الله غيرهم ... ولا أفلحت تلك الوجوه اللواكع

نفوا ملة الاسلام إذ منعتهم محارم في حكم العقول فظائع
ولو قلدوا الاسلام ضاق عليهم سبيل الى ما تشتهي النفس واسع
ولا أطلقتهم في الرذالة رتعا نذالتهم مهما اقتضته الطبائع

لقد تجاوزت الترتيب التي كانت عليه هذه الأبيات في القصيدة ولكن طول النص أعوزني إلى هذا التجاوز والشاعر في نصه يدمغ الاباطيل التي يفتريها أعداء الاسلام بقولهم ان الدين عقبة في طريق التقدم الحضاري وانه لن يفلح المسلمون الا بتحررهم من ربقة دينهم الهمجي الذي يفرض عليهم العيش في ظلام التخلف ويؤر الانحطاط حسب رأيهم الذي فنده الشاعر ومحا ظلام باطله بنور الايمان الذي يملأ حنايا صدره وقد مر بنا في أحد الأبيات التفات رائع كانت تقتضيه ضرورة الابداع في فن الشعر وهو قوله (استغفر الله) بعد ان قال (فليس بها) أي وصايا الله التي يزعمون أنه ليس بها نافع . وهذا الالتفات كان ضالة النقاد العرب في العصور الماضية ثم ان الشاعر أخذ بعد هذا يشحذ همم المسلمين ويعظهم بالتي هي أحسن معلنا على مسامعهم أن التفرقة والعداء اللذين يدبان في نفوس الضعفاء منهم هما سبب تراجع عظمة الاسلام وهما سبب الشقاء والنكال اللذين يعانيهما أبناء هذه الأمة .

ففيهم صراخ المسلمين وجأرهم وأغلبهم للمقسطين منازع
لهم في أساليب الشقاق طرائق وكل طريق في الضلالة شارع
وأغلبهم للاستقامة شانىء بسيف التحدي في حمى الله شانع

إلى قوله :

فقم نحو ما يدعو اليه بفضله فداعيك قيوم برحماه واسع

وعلى هذا النسَّق يستن أبو مسلم في معظم أشعاره طامحا إلى تغيير طبائع النفوس أو على الأقل تهذيبها وتقويمها بمقومات الدين والمروءة والفضيلة حاملا على عاتقه هذه المسئولية الجسيمة عن رضى وقناعة بأنه مكلف بذلك من واقع معرفته لله وخبرته بأمور الدنيا وإدراكه لما ستؤول اليه أحوال المسلمين طالما استمروا في تراخيهم وتواكلهم وقد وقع ما كان يخشاه وها هي الأمة الاسلامية تكابد مشقة الواقع المرير الذي حذر منه وما أكثر التحذير لو كان يلقى أذنا صاغية .

أين رجال الله ما شأنكم إلى متى في ديننا نرضى الدنا
إلى متى نعجز عن حقوقنا الى متى يسومنا الضيم العدا
كنا أباة الضيم لا يقدح في صفائنا الذل ونقدح الصفا
كنا حماة الأنف لا يطمح في ذروتنا الطامح في نيل الذرى

هذا هو أسلوب أبي مسلم الداعية الذي ينسى أمام دعوته كل ما سواها حيث ينجرف وراء عواطفه الجياشة وانفعاله الصارخ حتى يصير شعره شعلا ملتهبة تقرؤه فتحس بين جنبيك لهب الحمية والأنفة اللتين قصد الشاعر اذكاءهما فيك . إنه متحمس لقضيته إلى أبعد الحدود ولسنا بصدد مناقشة القضايا الداخلية أو الدعوات التي يناصرها الشاعر ومدى اصابتها للحق وتمسكها به وحسبنا أن يكون بين أيدينا هذا الشعر الرنان الذي لا يمكن ان يتجاهله من كان له قلب ينبض بالشهامة ويحب الأخلاق الكريمة . ولئن اكتسب أبو مسلم شهرته الذائعة اليوم لدى العامة من الشعب وعرفه المزارع والراعي والبحار من خلال نونيته الشهيرة فليعلم الجميع أن هذه القصيدة ليست الأروع أو الأبدع من قصائده وإنما استمدت شهرتها من كونها لامست شغاف قلوب المجتمع بمختلف فئاته وذلك ما وفق اليه الشاعر عندما صار يندب القبائل العربية بأسمائها وبلدانها مستثيرا نخوة هذه القبائل في شعر خطابي دوت له آفاق الوطن العماني .

أما إذا أردنا المفاضلة بين قصائد الشاعر فإن له قصائد أخرى يقف العقل مندهشا أمام عظمتها الابداعية ولن أستشهد للقارىء الكريم بشيء على صحة هذا الرأي فلو أردت الاستشهاد لازدحمت في ذهني عدة قصائد يصعب الحكم بينها . أما إذا عن لقارىء سؤال يوجهه إلي عن رأيي في مدى أفق التجنيح الخيالي لدى أبي مسلم فالجواب هو أن الاعجاب به لا يأتي من هذا الباب وإنما يكمن في القوة البيانية التي يمتلكها الشاعر فهو في خياله قلما يتجاوز حدود المألوف من المواضيع المتداولة ولكن مع ذلك فإنه يحلق بك على أجنحة بيانه الى آفاق سامية يجعلك تطل من عليائها لترى أعناق الشعراء تشرئب الى ذلك السمو الشامخ .

أين الخيار العائذ الكون بهم وصفوة الصفوة من هذا الورى
أين بقايا الله في عباده ضنائن الله وقائذ التقى
أين أسود الغيل ماذا اغتالها قد أسد الثعلب فينا وضرى

هيهات بعد القوم شدت رحلها حمية الدين وصارت منتسى
أنشـــدها من مسجد فمعهد فمنهـــج فمجمـــع فمنتـــدى
فلم أجد منشودتي في موضع ثم حدست انها رهن الثرى
أرملة ناحت على أحرارها ثم ثوت آسفة فيمن ثوى
أواه أواه رزئنا بعدهم وليتنا في خلف عمن مضى
ما في الحمى من دافع ومتق ما يعقب الخزي ولا من يتقى
قد ضاعت عن الحرمة بعد صونها وشنت الغارة في عقر الحمى
وطرق الحيَّ ذئابُ جوّه ودعثر الزرب وخاس المرتعى
أدعو رعاة الحي في قبورهم ان سمع الميت دعاء من دعى
أدعو لها الأموات إذ أيست من أحيائهم لعل فيهم من وعى
يا أيها الراعي انتبه فما بقى حول المراعي ما ثغى وما رغى
يصخ صوتي مسمعا ومسمعا لو كان من يزعجه هذا الندا
أصبح قومي جثة باردة عي به الطب وعيت الرقى
ما أثر النصح على ألبابهم الا كآثار الحيا على الحصى
وما رسوخ الوعظ في قلوبهم الا كما يرسخ في الصخر الصدى

وفي البيتين الاخيرين صورتان رائعتان لمطابقتهما الواقع الذي يعيشه مجتمع الشاعر .

لقد أسلفنا فيما قبل أن أبا مسلم ألزم نفسه الدفاع عن كرامة الاسلام والمسلمين معولا على همم أبطاله الذين لم يأل جهدا في ندبتهم للقيام بواجب صون الحمى واسترداد الحقوق ولكنه في بعض الأحيان يكاد يتزعزع ايمانه بنصرة الأمم الأخرى له ولا يبقى أمامه سوى الاعتداد بالوطن الأم والتعويل عليه في فك أزمات الاسلام واستعادة عظمته المسلوبة فتراه يوجه بعض أشعاره لتلك الأمم ممزوجة بالعتاب المر وحتى التوبيخ الذي قلما يلجأ اليه أبو مسلم الا بعد اليأس .

تفضل بالزيارة في عمان تجد أفعال أحرار الرجال
تجد ما شئت من فضل ومجد وأحساب عزيزات المثال
تجد ما قسمته من المنايا خيول الله في حزب الضلال
تجد من هيبة الاسلام شأنا عليه الكفر مبيض القذال

تجـد هم الرجـال مصـممات بثأر الدين ترخص كل غال
قطين الشرق غتم نوم عبد فنبهكم صـناديد الكمـال
فقوموا عندنا أولا فناموا هنيئا بين ربات الحجال
سنأخذ حقكم ونذود عنكم ذيادا باليمين وبالشمال

إلى قوله :

بأسـياف الغـيراء المواضـي ستخضر الأسـافل والأعـالي

ويبدو أنه كان يرد بهذه القصيدة على بعض معاصريه من الأدباء ربما كان قد أرسلها دعوة في هذا المجال فانبرى أبو مسلم ليقول :

الا لبيك يا داعي المعالي لقد أسمعت أحرار الرجال

الا انه لم يصرح بما يؤكد هذا ورغم عدم وجود أي نص شعري بين أيدينا يؤكد صلة الشاعر بأدباء الأقطار العربية إلا أن حنينه إلى الوحدة العربية وحرصه على إعلاء راية الاسلام يتجلى فيهما نزوعه وتوقه الى كل ما من شأنه دعم هذه الوحدة أو التربيت على جسدها العليل . ويجوز لنا أن نعتبر مقطوعته الشعرية (إخوان الصفا) وقطعا أخرى محاولة منه للالتحام بمواكب الآداب في الدول العربية الشقيقة وربما يكون قد بعث بهذه المقطوعات الى الجماعات والمؤسسات العلمية التي تمثل بعض الحركات الأدبية في عصره . وهذه أبيات من مقطوعة عدد أبياتها ١٦ بيتا يدعو فيها الى العلم والفضيلة .

فتقلدوا همم الكرام وزاحموا أكتاف أحرار الفضيلة والوفا
واستصلحوا سير النفوس بما به تزكوا ولا تذروا الكمال مسوفا
حتى يقوم المجد فيكم قائلا الناس كل الناس إخوان الصفا

وقطعة أخرى يبدو أنه يعاتب فيها بعض القائمين على الصحافة أو المنتسبين اليها :

تمسكت بالآمال منكم تعللا ولكنهـا موثوقـة بقيـود
إذا كنتم حرمتم الصفو بيننا وأبرمتم حكما بنقض عهود
فهاتوا لنا طبعا يوافق طبعكم فإني ميال لكل جديد
تغز عليكم قطعة من بطاقة ونقطة حبر من لسان جريد

أما قصيدته الرائعة التي نظمها في المؤتمر الاسلامي المؤسس على يد رياض باشا في مصر فإنها تؤكد حرصه على المشاركة في افراح هذه الأمة وأتراحها كما تؤكد عظمة الهمة التي تملأ نفسه وتلقي عليها تبعات النهوض بأعباءه تقوى على النهوض بها الا النفوس العظيمة .

فقد كشف في هذه القصيدة عن مكنوناته الدفينة وعبر فيها خير تعبير عن مطامح الانسان المسلم في ذلك الوقت العصيب .

هزت العالم أدوار البشر ... ينقضي الدور بأدوار أخر
كل دور رقص الدهر له ... ضايق العالم وارتاد القمر
أيها العالم سعها جلدا ... إن نصف الليل يتلوه السحر
ان هذا النيل أم حافل ... كلنا يرضع منها ويذر
فغدت حافلنا ترضعها ... حية أشبه شيء بسقر
رضعتها لبنا ثم دما ... واغتبطنا بمشاش ووبر
وهي لا يقنعها ما ترتمي ... لا ولا يقنعها بلع الحجر
ذكرتنا بعصا موسى على ... أن ذي تلقف أرواح البشر
نيلنا في الغرب يجري ذهبا ... وبقينا نترامى في الحفر

إلى قوله :

لو يكون الشعر نصرا لم أزل ... أنظم الانجم لا أرضى الدرر
لو ملكنا السيف لم نرجع إلى ... قلم في النصر إن قام عثر
والغيور الحر يبدي نصره ... لاخي ملته كيف قدر
فخذوا شعري ثناء بعدما ... مدحت نهضتكم آي السور

وهناك أدلة كثيرة تؤكد قوة اندفاعه في هذا المجال حيث أنه لا يؤمن بالمركزية الضيقة للوطن ولا يرضى بما دون الاسلام انتماء .

تأثره بالشعراء وتأثيره فيهم

يترفع أبو مسلم بشعره أن يكون عالة على الشعراء مثلما يترفع بنفسه عن ذلك . وليس من الجائز الحكم عليه بالتبعية أو التقليد حيث أنه يشكل وحدة شعرية مستقلة لها

نهجها الخاص وأسلوبها المميز ولئن رأيت أنه أورد في شعره بعض المعاني التي تتفق مع مبتكرات فطاحل الشعراء فما ذلك الا على سبيل الاعتزاز بهذه المعاني ولاطلاعك أنت القارىء على اعجابه بتلك المعاني حيث انها غالبا ما تأتي من قبيل التندر والاستجادة ويمكن اعتبار عنترة وأبي الطيب وحسان بن ثابت في مقدمة الشعراء الكبار الذين أعجب بهم ولم يجد سبيلا للخلاص من السير على نهجهم . فالدعوة التي يدعو اليها حسان والقضية التي يدافع عنها عنترة والطموح الجامح الذي يحرك همة المتنبي كل هذه الأشياء معاني سامية لا يمكن لأبي مسلم التفريط في شيء منها وعلى هذا فلابد له من التحليق في نفس الأجواء التي حلق اليها الثلاثة على أنه لا ينتهك حماهم الا نادرا وبالتقدر غير المفرط . وهناك شخصية اسلامية كبرى أعجب بها أبو مسلم وتبنى أفكارها وانطبع بطابعها حتى انك لتجد آراء هذه الشخصية واضحة في أشعاره انها شخصية أبي حمزة الشاري المختار بن عوف الذي وصف أصحابه بأنهم رهبان بالليل فرسان بالنهار . وقد تعلق أبو مسلم بهذا الوصف وراح يردده في كثير من أشعاره والحق أنه وصف رائع أصبح عاما بين الناس بحيث لا يمكن تسمية مستعمله بأنه سارق أو مقلد فهو مشاع لكل المتكلمين .

وربما أعجب أبو مسلم بقصيدة من الشعر العربي القديم كانت تحضر على فضيلة أو تنهى عن رذيلة فأراد أن يشاطر صاحب القصيدة أعباءه وأن يؤيده برأيه فانبرى لانشاد قصيدة تحمل معظم سمات شقيقتها القديمة وهذا ما حدث في مطلع قصيدته المسماة لامية الحكم والتي نبيح لأنفسنا القول بأنها متأثرة باللاميتين الشهيرتين حيث بدأ الشاعر هذه اللامية بداية تقليدية قال فيها :

لا تكترث بالليالي انها دول　　لا يستمر لها حزن ولا جذل
كأن حلة حرباء تلونها　　لا تظهر الشكل الا ريث تنتقل

لكنه لم يلبث على هذا المنوال الا مدى خمسة عشر بيتا أفاق بعدها من استرخائه العاطفي فإذا به يخاطب قارئه ومجتمعه قائلا :

صك الخطوب بخطب اسمه جلد　　والق الأمور بعزم شخصه جبل
وصانع الناس لا نكسا ولا ملقا　　بما يسرك من تلقائه الرجل

ومضى في سائر القصيدة يستلهمها من قريحته ويصدرها عن طبعه الأبي الذي يتفق معه طبع شاعر آخر هو الامام ابراهيم بن قيس الحضرمي الذي الزم نفسه مقارعة الأعداء بالسيف والقلم وسيرته مشهورة في عمان وقصائده رنانة مدوية . ولئن قال العباس بن الأحنف (من العصر العباسي) .

إذا لم يكن في الحب سخط ولا رضى فأين حلاوات الرسائل والكتب

فأبو مسلم وفي مجال غير الحب لا يروقه أن تهب الريح رخاء وتجري السفن رهوا بل انه يستلذ ركوب الأهوال ومقارعة النكبات لادراك المجد الذي يبتغيه .

ما سرني درك مجد لا تقارعني من دونه نكبات الدهر والغيل

هذا ولا نزعم أن أبا مسلم مقلد أو متبع لغيره من الشعراء فهذه صفة نأنف منها له كما يأنف هو ذكرها .

أما تأثر الشعراء به وتقليدهم له فليس من الصعب ايضاحه خاصة مع أولئك الذين يقتدون بأفكاره في مجال الدعوة الى الله والحض على توثيق عرى الوحدة الاسلامية وهذا أكثر وضوحا لدى الشعراء العمانيين الأقرب أمدا من عصر أبي مسلم . أما شعراء الاقطار العربية الاخرى فإنها تلوح لي في أشعارهم بين الحين والآخر بعض معاني أبي مسلم ولست داريا هل أنهم اطلعوا على ديوانه فتأثروا به أم أن ذلك من قبيل توارد الخواطر وهو ممكن . فمعنى عمر أبي ريشة الذي يقول فيه مخاطبا الأمة العربية :

أتلقاك وطرفي مطرق خجلا من أمسك المنصرم

له عدة قرائن في شعر أبي مسلم . ونزار قباني الذي يسوؤه أن ينسب الى التقليد جاء في بعض قصائده :

لا توجد منطقة وسطى ما بين الجنة والنار

وأرى أنه يوجد نسب بين هذا المعنى ومعنى أبي مسلم الذي يقول :

مالي وجهان ولا ثلاثة ان لم أكن حلوا أكن مر الجنى

وحتى أشعار أحمد شوقي لا تخلو من حمل خصائص بعض أشعار أبي مسلم . لاح لي ذلك في عدة مواضع لعل أكثرها وضوحا المطلع الرائع الذي بدأ به شوقي قصيدته العصماء في مدح الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وهو :

ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء

ونحن نعلم أن لأبي مسلم معنى مشابها لهذا هو قوله :

وأعرب الكون عن بشرى ضمائره فالكائنات أغاريد وألحان

ولعل هذا يؤكد لنا الصلة الروحية إن لم تكن الجسدية بين الشاعرين وأظن أيها القارىء الكريم أنك لست حريصا على أن نوغل السباحة في هذا اليم (التأثر والتأثير) لذلك فلنستغل ما لدينا من وقت لالقاء الضوء على بعض الأبيات الذاتية التي تنم عن بعد همة هذا الرجل وقوة جلده وما أكثر ما تكلم في هذا الموضوع ولكن على كثرة ذلك الكلام لا يجد الملل منه سبيلا الى اذنك ولا منفذا الى ضميرك وهذا قليل من الكثير الرائع الذي قذفته مشاعره الجياشة .

قال عانيا الدهر :

إن وسع الدهر احتمال عاجز فهو سلاحي وتلادي المجتبى
ينفق في اهانتي صروفه وأنفق العزم وانفاقي زكا
ذنبي اليه جنفي عن لؤمه وقدرتي على احتمال ما جنى
وأنني ألحتف على لئامه أنكأ في حلوقهم من الشجى
أذود عن حريتي بحقها وأجهد النصر لحر مبتلى
وأنني لا أعرف الحد لما أسطيع أن أنجزه من العلا
وأنني لا أبطل الجهد إلى حد سكوني بين أطباق الثرى

هذا قسم من المقطع الذي خصصه من هذه المقصورة لتشخيص ذاته واعطاء صورة وصفية لمبادئه . ومادمنا في المقصورة فأود أن لا يتهمني القاريء بالتقصير إذا لم أشبع رغبته بسرد المزيد من أبياتها وقد تنزع بي الرغبة الى ذلك ولكنني سأقتصد بين الافراط والتفريط مشيرا الى بعض الأبيات التي لامست مشاعري وأنا أستعيد قراءة المقصورة وهذه أبيات غير مسلسلة كما جاء فيها والبيت الأول فيه دلالة على تقييد حرية الرأي :

وغيرة المؤمن في ضميره يطفئها الخوف ويذكيها الأسى
ما تنفع الغيرة في مكمنها والسيف في قرابه لا ينتض
حتى تكر الخيل كسفا ساقطا تهوى هويَّ العاصفات في الوغى
تجمز جمزا بالكماة شزبا عوابسا شمسا كسيدان الغضى
في فيلق حالكة أركانه يجلل الأرض الدجى رأد الضحى
تقل في الجو عجاجا لو هوى عليه رضوى لم يصل الى الثرى

هكذا وعلى هذا المنوال ينتقل من ندب محمدة الى أخرى وللقارىء أن يتصور روعة الموقف الذي تثير الخيل فيه هذا الغبار الكثيف الذي أبدع الشاعر في وصفه بأنه لو هوى عليه جبل رضوى لحال بينه وبين السقوط على الأرض . ثم يخلص الى القول :

والسلف الصالح سل سيفه وكان ما كان له ثم انقضى
تلك الرفات طينة صالحة لغارس وحارث ومن بنى
اتبحثون بينها عن عزة أو في لعل فرج أو في عسى
تلكم إذاً أمنية مخلفة وضيعة العقل وجهل وعمى
لنا صفاح ولها سوابق لكننا نصفح عن سيف العلا
والمجد لا يملك عن وراثة لكن بتحطيم الشبا على الشبا

ويسترسل في القصيدة هكذا قرابة (٢٠) عشرين بيتا يذكر فيها مفاخر الأجداد في شعر أكاد أقول أن عظامهم تهتز ارتياحا له .

هم وسعوا الكون حلوما وهدى وطائلا ونائلا ومجتدى
هم أمجدوا وأنجدوا وأوجدوا وأفقدوا وطولوا الباع الورى
هم لكبات الخميس حدها وجدها وشدها والمحتمى
هم إذا الخيل ارجحن بحرها في مأزق الروع تراموا للردى
أسلافنا وما لنا من مجدهم الا حديث بعدهم لا يفترى

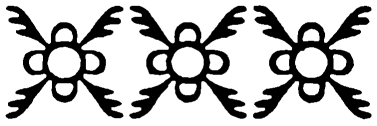
هذه نماذج مقتطفة من مقصورته وما أكثر النماذج في قصائده الأخرى ولقد كنا قبل ورود هذه النماذج نتحدث عن الأشعار التي تنبىء عن أصالة جوهر هذا الشاعر فلنعد الى تكملة الحديث عنها .

أقول للدهر أرسلها العراك فإن أجزع لخطتها فالويل والهبل
وهات كاسك ان صابا وان عسلا فقد تساوى لديّ الصاب والعسل

ويقول في موضوع آخر ذاكرا مدارج طفولته ومراحل حياته :

نشأت فيها وروحاتي ومرتبعي روح الفضيلة لا رند وريحان
أرتاح فيها الى خل فيبهرني صدق وقصد ومعروف وعرفان
فحال حكم النوى بيني وبينهم هنا تأكدت أن الدهر خوان
حتام يا دهر لا تبقي على بشر حر وحتام ضيم الحر إحسان
أكل رأيك حربي أم لها أمد فإني عهدي وللحالات ألوان
حل العقال وأطلقني الى سعتي ففي سجونك للميدان فرسان
يا دهر يا باخس الأحرار حقهم أعط العدالة ان الله ديان

ويتجاوز به العمر الستين عاما ولكن همته لم تجبن وطموحه لم يتخاذل بل انه يجعل من عمره المتقدم سببا لزهره .





جانب من الفعاليات والمناشط التي يحييها المنتدى الأدبي

قصائد السلوك
في شعر أبي مسلم [1]

بقلم : أحمد بن سليمان الكندي

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله الذي كرم بني آدم في البر والبحر ورزقهم من الطيبات ، وفضلهم أجلَّ تفضيل على سائر المخلوقات ، وجعلَ فيهم من تعلو منزلته علو السموات ، حاملين لواء الحمد والثناء تعظيما وإجلالا لمنشىء . . الكائنات ، سعيا وراء عفوه ومرضاته لنيل أسمى الدرجات وأفضل المكرمات .

أحمده حمدا يليق بجلاله وعظمته ، ويكافىء فضله ، وأصلي وأسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد سيد الأولين والآخرين وبعد . .

أيها الجمع الكريم . . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . في هذه اللحظات المباركة لهذه الأمسية أتشرف بقراءة هذا البحث الذي يدور حول الشيخ ناصر بن سالم بن عديم الرواحي الفقيه الشاعر . . فالى موضوعنا بالرغم من أنني أحب أبا مسلم البهلاني حبا خالصا في الله وبالرغم من اعجابي الشديد له كشخصية فريدة قلما يجود الزمان بمثلها ومع كثرة قراءتي لشعره وسماعي إلى من يقرأه إلا أنني لم أجد أمرا أصعب من الكتابة عنه ذلك لأن سبر أغواره يتطلب مهارة فائقة لست كفؤا لها .

---

(١) نوقشت في احدى جلسات السمر الأدبية التي أحياها المنتدى عام ١٩٩٠م .

وإذا كان قد خصص لي أن أتحدث عن سلوكيات أبي مسلم فإن الكتابة عن سلوكياته أكثر صعوبة . فالمطلع على شعر أبي مسلم يجد السلوك بارزا في مختلف أغراضه بل لعله سمة مميزة لشعره . . وإذا كان التعريف اللغوي الأقرب إلى كلمة السلوك هو الطريق المستقيم ـ كما جاء في لسان العرب وغيره من معاجم اللغة ـ فإن إصرار أبي مسلم على أن يجعل محور أدبه هو الاستقامة تأتي من هذا المعنى . لذلك نجد أن شعره كله ـ في الغالب ـ متمحور حول الاستقامة منبثق عنها داع اليها . . هذا عدا شعره السلوكي الصرف الذي تفرع من خلاله إلى الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى أو بالباقيات الصالحات ، أو يتوسل من خلاله إلى الله سبحانه وتعالى عن طريق المدائح النبوية .

فوطنياته ومدائحه ومراثيه كلها لا تخرج عن إطار هذا النهج المستقيم ولينظر المتأمل ملاحمه الوطنية الأربع المقصورة والنونية والميمية والعينية ، ثم لينظر تخميساته لقصائد القطب المجدد الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي ولينظر بعد ذلك مراثيه في العلماء الأجلاء كالامام نور الدين السالمي وقطب الأئمة والشيخ أحمد بن سعيد الخليلي وغيرهم وحتى مدائحه التي وجهها لحكام عصره صاغها بقالب سلوكي رفيع .

ولنأخذ من كل ذلك بعض الأمثلة لنقف على حقيقة الأمر . أما عن الأسباب والعوامل التي جعلته ينهج هذا النهج فهي بالدرجة الأولى شفافيته الايمانية المنبثقة عن صفاء عقيدته والتي تمكن من خلالها من معرفة الحق سبحانه وتعالى فأوصلته إلى مرتبة الأولياء ويظهر أن هذا لم يأت من فراغ حيث ان شاعرنا لم يكن شاعرا فحسب فهو عالم متبحر في الأصول والفروع .

وكتابته نثار الجوهر يشهد على ذلك ، كما تشهد بذلك جزالة المعنى الملموسة من شعره . والمقترحات النثرية التي نجدها قبل كل قصيدة سلوكية تدل أيضا على أن أبا مسلم لم ينظم هذه القصائد باعتباره شاعرا فحسب ، فهو ينظم دون تكلف بل هي حديث عادي له يأتي بتلقائية تامة وفي حال خلوةٍ مع الله .

وكان ـ كما يظهر من فهمنا لتلك المقدمات ـ يهيىء نفسه بالطهارة والوضوء والتبتل والخشوع والصلاة في سدفة الليل . فتنساب تلك الأبيات على شكل دعاء يناجي بها ربه في تلك اللحظات الروحية الرفيعة تجيش بها عاطفته ويهيم بها وجدانه ويمتلىء بها قلبه وتخفق بها جوانحه .

وكما أشرت فإن ملكته العلمية في أصول الدين والفقه واللغة العربية والموهبة الشعرية الفذة وصفاء الذهن ونقاء العقيدة وطهارة القلب واخلاص العمل وصدق التوجه كل هذه أمور ساعدته بشكل عفوي على أن يتحول دعاؤه في كل مرة إلى قصيدة .

وبقدر طول تلك الخلوة يكون طول القصيدة وبقدر عظم الهمم التي تتفاعل في نفسه يكون الانعكاس في القصيدة التي تجود بها قريحته ولاشك أن للبيئة التي عاشها في صباه والاسرة التى تربى فيها الأثر البالغ في توجهه . فهو وان لم يدرك العلامة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي الا أن لقرب عهده به وعلاقته الحميمة بنجله الشيخ أحمد بن سعيد بالغ الأثر في نفسه فهو يعبر عن ذلك في نونيته بقوله :

أرتاح فيها إلى خل فيبهرني صدق وقصد ومعروف وإحسان

إضافة إلى أن شخص الشيخ سعيد كان ماثلا في مخيلته وآثاره لا تزال حية نابضة . تأثر بها أبو مسلم ، واجتهد في الاقتداء بصاحبها وكان في ذلك تخميسه للقصيدة الدالية « سموط الثناء » وكذلك الميمية .

هذا إلى جانب كون والد أبي مسلم فقيها قاضيا ولاشك أن للتربية أثرا في سلوك الانسان والسلوك في حقيقته غير التصوف وأبو مسلم لايبدو أن له علاقة بالصوفية ، وان لمس في شعره شيء مما يوجد الشك أن ذلك أثر من آثار التصوف فإن الحقيقة ان السلوك أسلوب يجمع بين التوجه الصادق إلى الله والتفاعل التام مع الحياة . وهذا ما لا يلمس مع الصوفية التي تنقطع للعبادة بشيء من الافراط فيها والتفريط في الأمور الحياتية .

وقصائد أبي مسلم بما في ذلك السلوكيات البحتة نابضة بالحياة متدفقة بالتفاعل مع معطياتها . . الأمر الذي يجعلنا نستبعد جازمين صلته بالصوفية .

متى بدأ أبو مسلم نظم قصائد السلوك ؟

بدأ أبو مسلم في نظم سلوكياته مبكرا حيث يذكر انه نظم (المعرج الاسنى في أسماء الله الحسنى) في نهاية القرن الثالث عشر الهجري وبالتحديد في العام الأخير منه (١٢٩٩) وعندما تجمع لديه عدد من القصائد السلوكية عزم على جمعها في ديوان مستقل باسم

(النفس الرباني في أذكار ابي مسلم البهلاني) ، وهذا بخلاف ما يشاع من انه لم يتجه الى السلوك الا في آخر حياته كتوبة له في حياة كانت غير مستقيمة .

فحياته ـ رحمه الله ـ كانت حافلة بالمحامد بعيدة عن النقائص ومما يلاحظ انه لم يؤثر عنه أي شعر هابط رديء ولا أعني بذلك الشعر الركيك في صياغته وانما الهابط في أهدافه وأغراضه فحتى غزلياته القليلة التي أثرت عنه كانت رفيعة المستوى مترعة برحيق القرآن الكريم فضلا عن اخوانياته وأحاجيه ومتفرقاته .

نماذج متفرقة من شعر أبي مسلم

نأخذ فيما يلي بعض النماذج من متفرقات شعر أبي مسلم من مدائح أو وطنيات أو اخوانيات أو قصائد قالها في مناسبات أخرى كتقريض بعض من الكتب التي ألفت في عصره . ونترك المراثي لأنها أقرب ما تكون الى السلوكيات لما تحمله من العبر والعظات . وذلك أمر طبيعي الا ان مراثي أبي مسلم تعد بحق من أروع وأبدع المراثي ذلك لأنه إلى جانب ملكته البيانية وغزارة علمه فهو مرهف المشاعر جياش العاطفة ، وهو لا يرثي إلا الافذاذ من الرجال الذين تمتلىء جوانحه حبا لهم ، لذلك تأتي مراثيه لهؤلاء الرجال في مستوى رفيع معبرة أصدق تعبير عن حال الفقيد ومكانته عما تجيش به عاطفة الشاعر تجاهه .

لهذا فنحن لسنا في حاجة إلى استعراض شيء من المراثي ولكن يظهر سلوك أبي مسلم وتمحوره حول الاستقامة وتشربه للقرآن الكريم في مجالات قد تكون في نظر الكثيرين بعيدة عند هذا الجانب .

فمن المدائح نرى قصائده التي وجهها الى السلطان حمد بن ثويني تدور في فلك القرآن الكريم ، حيث نجد إحدى هذه القصائد يرتبها الشيخ على سور القرآن الكريم حيث يقول :

فاتحة الحمد أيادي من عفا ... والحلم أصل للمقامات العلى
يزدهر المجد بزهرا وبها ... مثل انجلاء الشمس في رأء الضحى

ويقول :

هداه فرقان وحد سيفه الـ ـفاروق في محص الضلال والعمى
صفاته يعجز عنها الشعرا مثل عجز النمل عن قض الحصى

وفي آخرها :

ومن اذا شاهدته في دسته أيقنت ان الفلق الثاني بدا
ومن هو الناس فمن نظيره منهم ومن يبلغه في مهتدى

وقصيدة أخرى طائية رتبها على كلمات آية الكرسي بحيث أدخل كل كلمة من كلمات الآية الكريمة في بيت من أبيات القصيدة .

أما وطنياته وقومياته فإنها تستنهض العزائم والهمم وتدعو الى استشعار العزة والدفاع عن الحق عن طريق الرجوع الى الاسلام والتمسك به والاقتداء بالسلف الصالح الذين بنوا للأمة عزها وسؤددها بفضل ذلك التمسك . فمن مطلق تفاعل الشاعر مع الأحداث المعاصرة على المستوى العربي الاسلامي أرسل قصيدة طويلة إلى مصر بمناسبة انعقاد مؤتمر اسلامي فيها ، والقصيدة الى جانب ما بها من الاقتباس الواضح من القرآن الكريم وخاصة من سورة القمر فهي مليئة بالنزعة الايمانية الصادقة .

أما وطنياته الخاصة بعمان فهي أكثر دلالة على تمسكه بنهجه السلوكي في كل شأن من شؤون إبداعاته .

ولا يفوتني بالمناسبة ان أشير إلى أن شعر أبي مسلم لقي رواجا لا نظير له في عمان حتى ان القصيدة من قصائد ما ان تصل الى عمان في عصره حتى يتلقفها الناس فيتناقلوها ويحفظها عامة الناس فضلا عن خاصتهم . وهو في هذا شبيه بالامام نور الدين السالمي ـ رحمة الله عليه ـ الذي كانت مؤلفاته ولا تزال تحتل سويداء قلب كل عماني فلا يكاد يخلو بيت عماني من نسخة من كتاب جوهر النظام وتلقين الصبيان وتحفة الأعيان كذلك لا يكاد يخلو بيت من ديوان أبي مسلم وقبل صدور الديوان مطبوعا كنا نجد الناس يتناقلون الديوان أو شيئا منه بخط اليد .

والعامل الأوحد لتقبل الناس بهذا الانتاج هو الاخلاص . فالملاحم الأربع المشهورة لأبي مسلم وهي النونية والميمية والعينية والمقصورة طبقت الآفاق في عمان وخارجها ولم تخرج هذه القصائد عن الخط العام الذي رسمه أبو مسلم لنفسه وهو خط السلوك الذي نحن بصدد الحديث عنه حيث نجده في النونية يشيد بنزوى معقل العلم والحق ومما يقول فيها :

انزل على عرصات كلها قدس ... للحق فيهن أزهار وأفنان
انزل على عزبات النور حيث حوت ... أئمة الدين قيعان وظهران
حيث الملائكة احتلت مشاهدهم ... لها على الحل والتعريج ادمان
أرض مقدسة قد بوركت وزكت ... تنصب فيها من الأنوار معنان

إلى آخر ما قاله فيها وهو في ذلك يرتكز على قاعدة أصيلة هي مكانة نزوى في تاريخ الاسلام وما شهدته من فترات مشرقة لمسلك الظهور .

وعندما يذكر الأئمة الذين تتابعوا على نزوى يعرج من أفق علوي فيجسد ذلك في مشاهد حية نابضة ومما قاله فيهم :

أئمة حفظ الدين الحنيف بهم
من يوم قيل لدين الله أديان
صيد سراة أباة الضيم أسد شرى
شمس العزائم أوّاهون رهبان
سفن النجاة هداة الناس قادتهم
طهر السرائر للاسلام حيطان
مقيدون بحكم الله حكمتهم
وهمهم حيث ما كان الهدى كانوا
هم اسمع الناس في حق وأبصرهم
وفي سواه هم صمم وعميان

وفي القصيدة مخاطبة للقلوب المؤمنة واثارة للوجدان الحي فكثيرا ما يستعطف أبناء أمته من خلال تذكيره إياهم بالايمان والهدى وكثيرا ما يسدي اليهم النصح بأن يكون ذلك الايمان هو الموجه لهم في علاج قضاياهم . والميمية سالكة في نهج النونية وتتحدث عن نفس الموضوع الذي تتحدث عنه اختها وبالضرورة تأتي على نفس القالب وفيها يقول .

هنيئا لأهل الحق صدق انتصارهم
ويقظتهم في الله والدهر نائم
وفوا بوصايا الله في السخط والرضى
كراما وافعال الكرام كرائم
شبوا على القرآن شربا بمائه
فأصدرهم والكل ريان هائم
مقدسة ألبابهم ونفوسهم
وأفعالهم والمنتحى والعزائم
لهم قدم في الاستقامة ثابت
وهمهم الاخلاص لله قائم

أما العينية فإنها وان كانت تدور حول نفس موضوع النونية والميمية الا ان صوت الشاعر فيها يستهدف الأمة الاسلامية عامة فيجسد فيها الفكر الأباضي الصحيح الذي يدعو الى وحدة هذه الأمة ففيها يقول :

وما الدين الا واحد والذي نرى
ضلالات اتباع الهوى تتقارع
وما ترك المختار ألف ديانة
ولا جاء في القرآن هذا التنازع
فياليت أهل الدين لم يتفرقوا
وليت نظام الدين للكل جامع

وفي المقصورة الشيء الكثير من الحكم المرتكزة على الايمان والتقوى وعلى كل حال فإن جميع شعر أبي مسلم ملىء بالروحانية المنبثقة عن فرط الشفافية الايمانية التي أفعم بها قلب أبي مسلم .

نماذج من الشعر السلوكي الصِّرف

وإذا جئنا إلى الجانب السلوكي الصِّرف نجده يحتل جانبا كبيرا من شعر أبي مسلم وتتنوع قصائده فمنها ما كان على شكل دعاء وابتهال واستغفار ومنها ما كان على شكل مدائح

نبوية وتوسلات ومنها كان على شكل تخميس لقصائد سلوكية وتتفاوت هذه القصائد جميعها من حيث الطول والقصر .

أما مضامين الأدعية في الغالب فهي متفقة الى حد كبير فإلى جانب الاستغفار والتوبة التى تزخر بها هذه القصائد نجد الشاعر يدعو لنفسه بمزيد من الاستقامة والتقوى والتثبيت على الطريق القويم ويطلب رضاء الله عنه وفي أحيان كثيرة يخرج عن ذاتيته الى شعوره بآلام أمتـه وما يشاهده في عصره من ظلم وجور فيدعو الله أن يوحد صفوف المسلمين ويجمع شملهم تحت ظل قيادة مسلمة تستمد سلطتها من شرع الله .

وكثيرا ما يلجأ الى الله في دعائه وتوسله وتبتلاته بأسمائه الحسنى استلهاما بالأمر الالهي في القرآن الكريم ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ .

ونجـده وخاصة في المطولات من هذه القصائد يقسم القصائد الى مقدمة وأقسام داخلية وخاتمة أو خاتمتين ، وتكون التقسيمات الداخلية للقصيدة أحيانا على شكل لطائف تختص كل لطيفة بموضوع معين ، ومن هذا النوع المعرج الأسنى . وتكون هذه التقسيمات أحيانا على أسماء الله الحسنى بحيث يخصص الشاعر لكل اسم من الاسماء الجليلة عددا من الأبيات يذكر فيها الاسم الجليل بما يناسبه ويدعو بدعاء يتناسب وذلك الاسم ، وهذا التقسيم استخدمه الشاعر في النونية الكبرى .

ومنها ما يكون على شكل فصول ، كل فصل يستقل بدعاء في موضوع معين يكون خاصا طورا وعاما في تارة آخرى .

كما يتوسل الشاعر أحيانا بالباقيات الصالحات ، فيخصص قصيدة كاملة للتسبيح ، وأخـرى للتحميد ، وثالثة للتكبير ، وهكذا . هذا وقد أشرنا إلى أن أبا مسلم قد وضع مقدمات نثرية لبعض قصائده السلوكية ، تكون في حد ذاتها قطعا أدبية نادرة . ومهمة هذه المقدمات تهيئة القارىء جسميا وحسيا ونفسيا ومعنويا لتلاوة تلك الأوراد .

وأحيانـا يضمن ذلـك في المقـدمـة الشعـرية للقصيدة كما هو الحـال في (المعـرج الأسنى) . فلتـلاوة (المعـرج الأسنى) يشترط عددا من الشروط كما يشترط مثلها لبقية أذكاره ، الا انه وان لم يعتبر تلك الشروط الزامية لكنه يؤكد بأنها من باب كمال الفضل ، ولتحري القبول لأن تطبيق تلك الشروط من شأنه تصفية النفس وتزكيتها وتهيئة الداعي

تهيئة تامة لهذا الغرض ، ولكي لا تتخذ هذه الاذكار مجرد قصائد شعرية يترنم بها في المحافل فإن ناظمها قد خصصها لأوقات معينة ولمهمات معينة .

والمعرج الأسنى وهو أول أذكار أبي مسلم نجده يشترط في المقدمة ستة شروط فيقول :

فأوله التطهير للقلب من أذى الـ ... معاصي وثانيه التفرد في الخلا
وثالثه الاخلاص لله وحده ... وهذا ملاك الأمر فالزمه مقبلا
ورابعه استقبالك البيت في الدعا ... وخامسه كون الوضوء مكملا
وسادسه صوم الخميس محبب ... وفي سحر الزهراء للذكر فاعملا

ثم يقسم (المعرج الأسنى) الى ست لطائف وخاتمة يخصص اللطيفة الأولى في سؤاله تزكية النفس ومنها يقول :

ويارب أصلح لي عبوديتي اكن ... مطيعا خضوعا خاشعا متبتلا
ويا مالكا ملكني النفس والهوى ... فلا ينزلا بي من معاصيك منزلا

ويخصص اللطيفة الثانية في استمداد الأنوار العلمية فيقول فيها :

ونوّر جناني يا عليم بومضة ... من العلم تحييني بها متجملا
وزين فعالي يا حكيم بحكمة ... فمن تؤتها فالخير قد حاز مجملا
ويا محيي الموتى فؤاديَ أحيه ... بأرواح اسرار لأسمائك العلى

اما اللطيفة الثالثة فيدعو بها لدفع الآفات والحفظ من طوارق المخافات ويقول في شيء منها :

ألوذ بجبار السموات راجيا ... لجبر انكساري مخبتا متذللا
فيا قادرا بدل بعجزي قدرة ... إلهية اظهر بها العدل في الملا
دعوت دعاء المستجير وانت يا ... قريب ترى ما مس جنبي فاعضلا

وفي اللطيفة الرابعة يركز على تطهير النفس بالاستغفار من الأوزار ومما يقول فيها :

عبُيدك يا تواب جاءك عائذا ... تحمل ذنبا فاعف عما تحملا

وجد بمتاب يا عفو ورحمة على عبد سوء طالما عنك أغفلا
ويا غافر الذنب اغفر الذنب والخطا وان كان وزرا يقصم الظهر مثقلا

وفي اللطيفة الخامسة يطلب فتح خزائن النعم وانبساط فيوض الكرم ومن ذلك قوله :

يؤوب احتياجي يا غني وفاقتي اليك منا لنعماء بؤسي بدلا
ويا بر خولني ببرك نعمة فأغدو بنعماء المليك مخولا

ويخصص اللطيفة السادسة والأخيرة لدعائه في كسر شوكة ذوي الفساد ومنها قوله :

ويا وارث اصرف سورة البغي وانتقم بعدلك ممن بالضلال تسربلا
ويا آخر الأشياء لا لنهاية بنصرك أيدني وخصمي جندلا

ويجمل دعاءه في الخاتمة باستدرار عطف الله تعالى أن سأله بأسمائه الحسنى ثم يصلي ويسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والتائية الكبرى يرتبها على أسماء الله الحسنى فيبدأها بـ « هو الله » ويفصل كل اسم من أسماء الله الحسنى على حدة فيخصص لـ « هو الله » ستة وستين بيتا ولاسمه تعالى « الله » ستة وستين بيتا ثم لكل اسم من الاسماء أحد عشر بيتا بعد ذلك يأتي بخاتمتين الأولى اظهار لموقف العبد السائل المنيب وهي في ستة وستين بيتا ، والثانية في الصلاة والسلام على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه وتقع كذلك في في ستة وستين بيتا وبذلك يكون مجموع ابيات هذه القصيدة (١٤٩٥) بيتا .

أما المخمسات فمنها تخميسة للقصيدتين الدالية والميمية اللتين هما للشيخ سعيد بن خلفان الخليلي فالدالية وهي المعروفة « بسموط الثناء » يقال ان الشيخ المحقق الخليلي كان كثيرا ما يتهجد بها ويرددها حتى حقق الله له بها سؤله .

وأبو مسلم وهو امتداد لمدرسة الامام الخليلي المحقق قام بتخميس هاتين القصيدتين وابدع في تخميسهما حتى أصبح التخميس جزءا لا يتجزأ من الأصل ، ويشعر القارىء عندما يقرأ القصيدة الأصلية دون التخميس بأن القصيدة ناقصة وذلك لبلاغه التخميس وجزالته وتطابقه مع الأصل واستكماله لمعانيها . ومن الدالية نأخذ قوله :

تجردت من نفسي فلم يبـق لي أنـا
وطـارت هوى روحـي بأجـنـحـة الـفـنـا
لمن هو أهـل المـجـد والـعـز والـغـنـى

لمن هو أهل الحمد والمدح والثنا لذي الفضل والآلاء خير مفيد

ويقول :

لقـد هالـني ذنـبـي بخـطب مبرح
وبـارزت خلاقـي بفـعـل مجرح
ابـوء بقـلب بالخـطايا مقـرع

فجد بمتاب عن مقر مصرح بذنب وتقصير وطول صدود

والقصيدة واقعة في عدة فصول ، خصص كل فصل لموضوع معين يدعو الله من أجله .

أما الرائعة الأخرى فهي الميمية صنو الدالية ، وتأتي في سياق واحد أي غير مجزأة وهي لا تعنى بالدعاء بقدر ما تعنى به من ابراز دور العلم اللدني في معرفة الله والسمو بالعالم الى مقامات لا يصلها غيره وهي جزلة غزيرة رفيعة ومطلعها :

هو الله فاعـرفـه ودع فيه من ومـا
دعـاك فلم يترك طريقـك مظلما
عن الحـق نحـو الخلق يدفـعـك الـعـمى

تقدم الى باب المليك مقدما له منك نفسا قبل أن تتقدما

ويقول :

تجنـب قيود الحظ فالحظ مرتهـن
وارهـق جنـود الـنـفس حربـا ولا تهن
وفي ظلمات الـطبـع بالحـق فاسـتـبـن

وعرج على باب العليم فسله من مواهب نور العلم بحرا قليلما

أترضى مقام الجهل تخبط في الشرى
بطامسة أعلامها متحيرا
تطلع لنور العلم واطلب مشمرا

فمن لم يكن بالعلم في الناس مبصرا فلا عاش الا في الضلالة والعمى

ويشير الى مكانة العلماء بسبب شرف العلم فيقول :

سما بهم العرفان أعلى المراتب
ونالوا مقاما فيه فتح المواهب
وفهم خطاب الحق من كل جانب

وذلك من ادنى رفيع المناقب لهم لم يعدوها فخارا ومغنما

ويذكر بعض أسباب الوصول فيقول :

وقف وقفة المندك مالك حيلة
فحالك في هذا المقام جليلة
ونفسك في عز الجلال عزيزة

وقل بلسان الحال ما لي وسيلة ولا حيلة والهج بقولك ما وما

وعرج على التقديس تستخلصنه
ونفسك نسك لازم فاذبحنه
وشأنك ان أخلصت لا تحقرنه

فإن تك لا شيئا هناك فإنه رناك لما ادناك اذلك قد رمى

ثم يشير أنه بانتهاج هذا النهج يصل العالم الى الغاية المنشودة وعندئذ تكون :

لهم درجـات من لديه تحقـقـت
عليهـم بها شمس الحـقـيقـة أشرقـت
والـطاف وهـب من لدنـه تدفـقـت

مواهـب قد دقـت عن الـفـهـم وارتـقـت
عن الـوهـم رقـت عن نسـيم تنـسـما

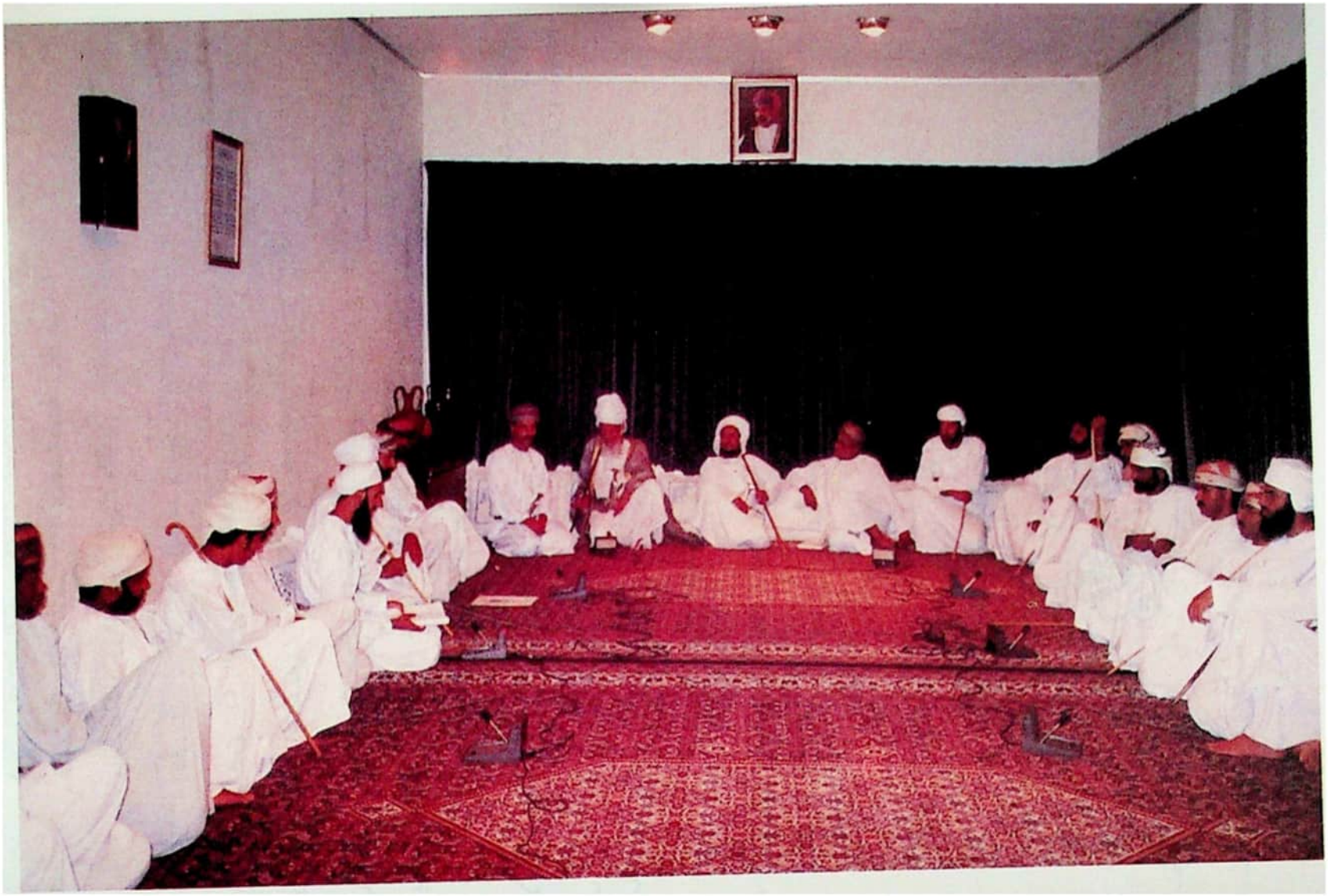
ويختتمها باعترافه وتقصيره واستسلامه لله وتفويضه الأمر اليه تعالى .

وهذه القصيدة تعتبر من آخر ما نظمه أبو مسلم حيث وجد بخط يده انه انتهى من تخميسها يوم ٢٨ من محرم الحرام عام ١٣٣٩ للهجرة . وكانت وفاته رحمه الله في اليوم الأول من صفر من نفس العام ، أي بعد يوم أو يومين من تخميس القصيدة .

ولا يسمح لنا المقام باستعراض مزيد من سلوكيات أبي مسلم والا فإن في سلوكياته ما لا يمل ذلك لأنها بطبيعة الحال نفحات روحية ايمانية يقذفها قلب مفعم بالايمان وبمحبة الله يستمدها من وهب رباني لا ينضب ـ رحم الله أبا مسلم وأسكنه فسيح جناته .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .





احدى جلسات السمر التي يحييها المنتدى الأدبي ضمن فعالياته وأنشطته

اللواح الخـــروصي كمـــا صورتـــه
المصادر التاريخية [1]

بقـــــلـــم : الشيخ مهنا بن خلفان الخروصي

أحلى ما سجعت به بلابل الاقلام ـ وأغلى ما انتظمت فيه عقود البلاغة والانسجام وأشهى ما ينعت به جواهر الأدب والاعلام حمد مولانا الذي شرف العرب ـ وارسل لنا منا نبيا عربيا منزها عن جميع الريب ـ سيدنا محمدا ﷺ وعلى آله ومن صحب وبعد . .

فإنه من ثمرات النهضة الكريمة لصاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم حفظه الله ورعاه عنايته بالعلم والثقافة والأدب . لرفع مستوى معنوية هذا الوطن والشعب . وحينما أراد إكرام العلم وأهله وتقدير الأدب وذويه أمر وتفضل بإنشاء هذه الدوحة الأدبية المباركة المتمثلة في المنتدى الأدبي الذي نرجو أن يكون كما نعهده مدرسة أدب وثقافة لكل أبناء عمان ليستقوا من معينه مناهل الأدب وليزرعوا في تربة نفوسهم الخصبة مكارم الأخلاق الأدبية وليجنوا من قطوفه رغائب الأعلاق الذهبية ولاتزال أبواب اللقاء مفتوحة للتشجيع الخاص من قبل صاحب السمو السيد وزير التراث القومي والثقافة .

إلى أن جاء الدور بالاحتفاء بذكرى مرور خمسمائة عام قمرية على الشاعر العماني المعروف بأبي حمزة سالم بن غسان بن راشد بن عبدالله بن علي اللواح الخروصي وانه الشعلة من مشكاة وطنه عمان حيث لمع نجمه في جزء من هذه الأرض الطيبة يتمثل في وادي بني خروص باعتبار أنه شهد النور في احدى قرى الهجار وطن الامام العادل الوارث بن كعب الخروصي وانه من صميم قبيلة خروص من سلالة الامام الرضي الصلت بن مالك

---

(١) القيت في الحفل الذي أقامه المنتدى الأدبي تحت رعاية سعادة جمعة بن حمد النصري وكيل وزارة الخدمة المدنية مساء يوم الاثنين ٢٦/٣/١٩٩٠ وذلك بمناسبة مرور (٥٠٠) عام على وفاة الشاعر وظهور ديوانه الذي صدر عن وزارة التراث القومي والثقافة في جزأين وقام بتحقيقهما الأستاذ محمد علي الصليبي ـ مساعد مشرف المنتدى الأدبي .

الخروصي ونجده يصف نفسه بعنوانه الكامل امام رسول الله ﷺ في الروضة الشريفة بقوله في قصيدته التي ألقاها لحضرته :

أنا العماني واسمي سالم وأبي غسان والأزد هم قومي وهم عصبي
ومن خروص إذا أنسبتني نسبي وأنت حسبي ومولاي ومنتخبي

علمـاء عصـره

هذا هو الرجل الذي ولد في أواخر القرن التاسع الهجري وامتدت به الحياة السعيدة إلى اواخر القرن العاشر وقد عاصر هذا الشيخ العديد من العلماء الكبار والفضلاء الاخيار كالشيخ أحمد بن مداد بن عبدالله المدادي الناعبي والشيخ أحمد بن خلف بن أحمد الازكوي والشيخ أحمـد بن قاسم بن كهـلان وعـلي بن أبي القاسم محمد سليمان الازكوي والشيخ الـطبيب المـاهر العماني عمير بن ثاني بن خلف العوفي والشيخ الطبيب علي بن مبارك بن هاشم الهـاشمي وكـان يعايش من حكام عصره السادة اليعاربة الذين كانوا حكاما على الـرستـاق ونخـل ومـا حولهـا وهم علي بن شاذان بن محمـد وحمد بن بلعرب بن سلطان ويعرب بن حمد بن يعرب بن مالك وكان على سمائل من آل عمير أولاد سنان وعلى أرض السر في عمان أمراء الجبور وعلى أرض الجو ملوك النباهنة وكانت له مراسلات فيما بينهم واياه ومدائح كما جرى منه عتاب للامام بركات بن محمد بن اسماعيل الاسماعيلي وكان مقر امامته ببهـلا وقد نقم عليه علماء عصره احداثا لا تنطبق على الأئمة وبما ان مكانة هذا الشاعر العارف لا تخفى فهو سيد قومه ومرجع أمرهم وقد ظهر عليهم بقوة عزيمة ورسوخ عقيدة فلا يزال في حال دفاع ونصرة لأهل الحق كما نستشف ذلك من شاعريته ومخاطباته ونصائحه .

وان المطلع على هذه المراسلات يخرج بفكرة أن اللواح لم يكن شاعرا فقط بل كان شاعرا ولغويا وفقيها وعارفا وتتجلى لنا مشاعره عن حماسته في عذوبة الفاظه الرائعة البليغة التي هي كنه غاية هذه الشخصية البارعة عند قوله من قصيدته البائية :

أنا الرجل الضرب المهذب قلبه وأنّي امرؤ مثلي يقال له الضرب
فلي لفظ سحبان وقدر اسامة وشيمة جساس إذا أنعل الركب

ورب قواف بين مدح ممجد وبين نسيب عنده يقلب القلب
نوادر من سحر الحلال غرائب حوى الشرق منها ما حوى مثلها الغرب
فحسبك أني من أناس تقدموا إذا ذكرت أحسابهم فهم الحسب
كأني بقايا عصبة الكهف كلما طلعت على قوم بهم ينزل الرعب

مكانتـــه

ولا ننسى مكانة هذا الشاعر الورع عندما يلقي نفسه الرضية أمام الله تعالى متبتلا اليه وخاضعا لديه فيقول في سلوكياته :

يا عالما لخفيات الأمور ويا سميع داعيه إسرارا بلا كلم
يامن اذا ما دجى الليل التمام يرى فيه دبيب قطار النمل في الظلم
يامن هو الله شيء لا يشابهه شيء يضاهيه في الكونين في القدم
لئن صفحت عن الجاني فذا أملي وان غضبت فلا جور فمن جرمي

وهكـذا نتعرف عليه في ديوانه انه عايش من رجال العلم والادب ما قلناه فنجده يذوب أسى في مراثيه على فقد أولئك الابطال الذين حق له ان يندبهم ففيهم العالم وفيهم الكريم وفيهم الزعيم المقدام وقد واسى أبناء زمانه بمراثيه وتعازيه لهم فها هو الآن نراه يعزي أبناء عبدالسلام في الفقيه نجدة بن أبي الحسن بن عبدالسلام فيقول رحمه الله معزيا :

إلام نحن على لهو وفي امل وتربنا نجدة الزاكي تقدمنا
إني أعزيك يا عبدالسلام وفي قلبي أسى جدد التأسيف والحزنا
لي من مصيبتكم سهم أعيش به فلو سلوتم فما أسلو أسى وضنى
رضى بما قدر الباري الكريم رضى له البقاء وللانفاد قدرنا

ويطرح أمامنا المرثاة الرائعة. يرثي بها الأمير علي بن سنان العميري ويمضي قائلا فيها :

مات الأمير الذي كانت مهابته جميع من وطىء الغبراء يخشاها
ابوالحسين علي خير من فخرت على المطايا مطايا قد تمطاها

ان كان مات فما ماتت مكارمه بيانها وجميل الذكر أحياها
بعامر عمر الله البلاد وقد أحيا العباد به لما تولاها

وقد جاء دور مدائحه النبوية التي نبعت من سويداء القلب بإيمان راسخ ومحبة ثابتة في قصائد متعددة وكلها ترفع الوية الحمد وتشرق بسناء المجد وتتلألأ بأسرار البلاغة وتشع آفاقها بضياء الفصاحة وها نحن نستعرض شيئا منها فيقول :

يا قلب ان اثيل المجد غايته حب النبي الذي ترجى شفاعته
محمد المصطفى المبعوث من مضر من طاعة الله في الكونين طاعته
من كان يطلب في الدارين راحته يلقي العصا قربه في ذلك راحته
هذا النبي الذي نصت فضائله وعمت الخلق بالجدوى سماحته
وخاتم الرسل وهو الصدر أولها في الفضل ما أدركت في المجد غايته
توراة موسى على التفضيل شاهدة له وانجيل عيسى وهو ناعته
فأصبحت شهب الاسلام طالعة مرفوعة في لواء المجد رايته
وبلغ الثقلين الكل شرعته وانقذتهم من الاهوا هدايته
ما مات الا وفحل الدين قد حرست عنه شقاشق أفحال تصالته

ونجد له من شعره ما استشهد به الشيخ العلامة القطب الربّاني في كتابه الجنة في وصف الجنة شرح العبيرية حيث يصف العباد في عرضات العرض الأكبر في يوم هذا آخذ بيمين ومعطى بشمال حيث استطاع تصوير الموقف في وصف مطابق فيقول رحمه الله :

وأولو اليمين إلى الجنان تزفها املاكها زف العرائس آلها
دخلت برحمة وبها وسعادة سبقت لها من فضله افضالها
الحور مشرفة على أبوابها شوقا لها بهر الجمال جمالها
سيقت إلى جنات عدن ذللت ثمراتها وتعززت ذلالها
فرعوا على رضوانها خزانها أبوابها فتساقطت أقفالها
فلقتهم بتحية وبشارة ولقيهم من عندهم أمثالها
قال ادخلوها آمنين فإنها قشعت مخافتكم وطاب حجالها
فرقوا على درج البقا وتوطنوا دارا هم طول المدى حلالها

انه لوصف رائع وتصوير باهر وتسرب ديوان هذا الشاعر إلى أقصى المغرب في ظروف من الزمن تحيط به الأهوال والاخطار لدليل على اعتناء علماء اللغة والأدب به وهكذا كان اختيار شيخنا القطب من الديوان بما يناسب المقام لفظا ومعنى لقد كان لهذا الشاعر العارف الأثر الكبير لمكانته وعلو شأنه .

ولم يبق لنا في حلبة هذا المجال إلا أن نأتي بما يلائم مقام الاختتام من وصف هذا العالم الشاعر عندما يرسل أشعة النور من حكمه ونصائحه للأمة وهكذا رجال الدين والخير ورجال الأدب شأنهم بث النصائح في إطار من الحكم والأمثال لينبهوا القلوب السامدة وهو الدور الأساسي الذي يتحمله علماء الأمة ووزعة الملة وقد أحسن في هذا المجال ما جاء في طابع أقواله بالقصيدة النزوية رحمة الله عليه فيقول ولله دره :

فدار العلم والعلماء نزوى ... وأهل الزهد ناديها حواها
وسادتها الكرام بها نزاه ... من الادناس طاهرة تراها
أعيد نصائحا من مستشار ... وقد حلب الليالي وامتطاها
اطيعوا الرب يا ارباب نزوى ... اريضوا النفس لا تركب ثآها
مروا بالعرف وانهوا عن نكير ... وتقوى الله لا تفروا عراها
متى بالعدل نزواكم أصينت ... فكل عمان تحت لوى لواها
فكل عمان من نزوى ونزوى ... فمن رجل أطال سما علاها
إذا اقتدت الرجال بذي نهاء ... تدل على التكامل في نهاها
نصحت وكم نصحت سراة قوم ... أبوا فلقوا من التيه التياها
كلاك الله يا نزوى وطوبى ... لدار مثلك الباري كلاها
سقاك الله بعد المحل غيثا ... عمان بما سقاك به سقاها

وهكذا نقف مع هذا العالم الشاعر الأديب ونحن في خمائل رياض أدبه ننهل من ينابيع مغدودق سحائب مواهبه جزاه الله .

ولاشك أن المطلع من القراء على غور هذا الديوان وما جاء فيه من درر وجواهر سوف يشهد له بحق ويعترف له بصدق وان حاولنا الاطراء والثناء المتكرر على صاحب هذا الديوان فلن نبلغ غاية ما هو عليه من مفاخر الحمد وسمات المجد وقد صادف هذا الديوان عناية

رائعة من وزارة التراث القومي والثقافة وقد برز في طبعه على أفضل صورة لائقة وجيدة كما انه تم تحقيقه وتصنيفه على يد الأستاذ الأديب محمد علي الصليبي الذي أبدى فيه تحقيقا وافيا مع ما بذله من الجهود الطويلة المدى للعوائق التي كانت بين يديه فجاء الديوان بحمد الله كما تشتهيه الانفس ولله المنة والشكر .



قراءة في ديوان اللواح الخروصي [1]

أعدها للنشر : د. الطاهر أحمد الدرديري
« جامعة السلطان قابوس »

ملاحظات على تحقيق الديوان

يقع الكتاب في مجلدين : الجزء الأول والثاني

المجلد الأول : وعدد صفحاته ٤٤٢ صفحة من الحجم المتوسط والجزء الثاني وعدد صفحاته ٣٠٤ صفحات .

الباب الأول : في مدائح المولى سبحانه وتعالى .

الباب الثاني : في مدائح ليلى الشريفة وتوديعها وتوديع مقاماتها ومواقيتها .

الباب الثالث : في مدائح سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم .

الباب الرابع : في المدائح والمواعظ والدعوات .

الجزء الثاني

الباب الأول : في نظم مسائل شرعية واجبات من الآيات الواضحات الناجيات .

الباب الثاني : في النصائح والمعاتبات .

الباب الثالث : في تأبين الأموات وفيه قصائد متعددة .

---

(١) القيت في الحفل الذي أقامه المنتدى الأدبي تحت رعاية سعادة جمعة بن حمد النصري وكيل وزارة الخدمة المدنية مساء يوم الأثنين ١٩٩٠/٣/٢٦ وذلك بمناسبة مرور (٥٠٠) عام على وفاة الشاعر العماني اللواح الخروصي وظهور ديوانه الذي صدر عن وزارة التراث القومي والثقافة في جزأين وقام بتحقيقه الاستاذ محمد علي الصليبي مساعد مشرف المنتدى .

قام المحقق الاستاذ محمد علي الصليبي جزاه الله خيرا :

١ ـ بمقابلة النسخ الخطية . . وتوجد منه نسختان .
٢ ـ جاء النص سليما من التحريف والتصحيف بعد المقابلة بفضل التحقيق بدرجة عالية .
٣ ـ أصلح الخطأ والسقط الوارد عن طريق النساخ .
٤ ـ أصلح الخلل في بعض الأوزان التي صدرت من النساخ .
٥ ـ أجهد المحقق نفسه في شرح المفردات الغريبة وذلك بالرجوع الى قواميس اللغة .
٦ ـ بين بحور الديوان كله .
٧ ـ رقم أبيات كل قصيدة .
٨ ـ صنع مقدمة للجزء الأول مستقلة ومقدمة للجزء الثاني وفي المقدمة جهد مقدر ، وتعريف بالشاعر من جهة ووصول إلى نتائج صحيحة من خلال أبيات الديوان . واستنتاج صحيح إلى تأخر وفاة الشاعر العماني أبي حمزة سالم بن غسان اللواح الى ما بعد سنة ٩٨١ هـ . يعتبر هذا أهمية الديوان :

ـ إضافة جديدة إلى مصادر المدائح النبوية وعملا مباركا من أعمال وزارة التراث القومي والثقافة بفضل جهود صاحب السمو السيد فيصل بن علي آل سعيد وزير التراث القومي والثقافة في نشر أمثال هذه المخطوطات القيمة . في ظل سنوات النهضة المباركة التي تشهدها السلطنة بقيادة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم .
ـ كما يعتبر هذا الديوان ثروة قيمة في الأخلاق والآداب والسلوك وتربية النفس وصفاء الروح .
ـ وثروة لغوية وأدبية في أمجاد الغرب والمسلمين .
ـ وصورة من صور حياة المسلمين في القرن العاشر الهجري . وشوقهم الى الديار المقدسة والحنين الى الحرمين الشريفين .
ـ ولقد قرأت الديوان كله بترو ومهل فلم أقف فيه على شيء من شطحات الصوفية وإنما وجدت فيه الشوق المتأجج والحب العذري الى الديار المقدسة والاعتدال في كل شيء .
ـ لو قدر لهذا الديوان أن يطبع قبل سنوات لردد أناشيده عشاق المدائح النبوية في البلدان العربية قاطبة كما يرددون قصائد ابن الفارقي والبوصيري وعبدالرحيم البرعي .

ـ كشف الـديوان عن صعـوبة الوصول الى الأراضي المقدسة من عمان وما جاورها من البلدان وما يتكبده الحجيج من السهر والضنى في البر والبحر في القرن العاشر .

قصـائد مختـارة

استغفر الله والحمد لله

هي استغفار من الذنوب وشكر لله على نعمه وهي استواء ظاهر المؤمن وباطنه في النية والقـول والعمـل . كما هي اعتصـام بالله وتعلق بعـروتـه الـوثقى وأنضمام لولاية الله ، للمؤمنين . وتولٍ وبعد عن ابليس والشيطان والهوى .

ـ في القصيدة حث على المسارعة إلى الفرائض وعدم التهاون في شأن النوافل .

ـ الاعتناء بشأن الصلاة وهي عماد هذا الأمر وأداء الزكاة والصيام والحج على الوجه الأكمل .

ـ القصيدة أدب من آداب السلوك وانه ينبغي للمسلم أن يحافظ على سمعه وبصره وسعيه في ميادين الحياة . قال تعالى : ﴿ **إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا** ﴾ .

ـ ودعوة إلى عفة الذوق والشم واللسان .

ـ وهي هجـر لأكـل الحـرام ، وتـرك الـربـا والتطفيف في المكيال وحمد لله على الآدمية والانتساب الى الأمة الاسلامية والاعتزاز بالعروبة والفصحى . وهي نعم تستوجب الشكر .

قال مستغفرا وداعيا وتائبا الى الله تعالى . **البسيط** . ويتضح في هذه القصيدة الايمان الثابت العميق ، ومراقبة الله تعالى في كل لحظة . وسعي الشاعر العارف المؤمن للفضائل . ونبـذه للرذائـل ، ومنهجه وسعيه وسيرته في الحياة وفق الشريعة الاسلامية من غير افراط ولا تفريط . والقصيدة لوحة وصورة لسلوك المؤمن المتبع لنهج الكتاب والسنة .

وعنوان القصيدة : استغفر الله والحمد لله :

استغفر الله من قولي ومن عملي
ونيتي بخلاف الطوع للأزل
استغفر الله من ترك الولاية للـ
باري ولطائعيه الكل والرسل
استغفر الله من طوعي وتوليتي
ابليس والتابعيه جملة السفل
استغفر الله من هدِّي الفروض ومن
تهاوني سنن المختار والنفل
استغفر الله من غطي الصلاة ومن
عفطى الصيام ومن حج على عجل
استغفر الله من تركي الزكاة ومن
عطيتها من ولاة الجور والدغل
استغفر الله من سمعي ومن بصر
وسوء سعي ومن بطش على خطل
استغفر الله من شم شممت ومن
لم لممت ومن ذوق ومن نهل
استغفر الله من مدحي اللئام ومن
هجو الكرام ومن لهو ومن غزل
استغفر الله من أكلي الحرام ومن
شربه أو لبسه حليا ومن حلل
استغفر الله من بيع الرباء ومن
بيع المحرم ومن دق ومن جلل
استغفر الله من هجري القران بلا
درس وتركي طلاب العلم للجهل
استغفر الله من كيل طففت ومن
وزن خففت ومن زرع على عجل
الحمد لله أنشاني وصورني

من صلب آدم من طين ومـن عجـل
الحـمـد لله أن الله أوضـح لي
نهجـا الى دينـه من أوضـح الـسـبـل
الحـمـد لله أن الله عرفـني
وجـارني بنـبـي سيد الـرسـل
الحـمـد لله أن الله نزهـني
من ملة الشرك أهـل الختر والختـل
الحـمـد لله أن الله أنـطقـني
بمـنـطق واضـح الأفـصـاح معـتـمـل

وقال فيما يسع جهله وما لا يسع جهله وهي دعوة الى التوكل لا للتواكل هي دعوة للتعلق بالعروة الوثقى . ودعوة الى العفاف والطهر والارتواء من حياض علوم أصول الدين كتاب الله وسنة نبيه .

ذيـل البطـالة

« الطـويـل »

أيا ساحـبـا ذيل الـبـطالـة والـصـبـا
معـاب على أمـثـالـك الـيوم ان صبـا
تزوج أخـا الـعشرين تلهـو بحـبـهـا
وأنـت أخـو الخـمـسـين قد صرت أشـيبـا
رأيتـك تمشي بالجـهـالـة خيزلي
وتخـطر حينـا بالـغـواية هيدبـا
إلام وحـتـام اغـترارك بالمـنـى
تجرجـر أذيال الـبـطالات معـجـبـا
الا فاسـتـفـق من شرب كاس جهـالـة
ودونـك كأس الـعـلم فانهله مشربـا

إليك أصول الدين إن كنت جاهلا
فخذها منيرات اذا كنت في غبا
على المرء فرض يعرف الله ربه
على أنه باريه من نطفة هبا
هو الخالق البارى المصور ماله
شريك يباريه وشبه ترتبا
وان له رسلا وكتبا صحيحة
تنزلها الأملاك مثنى وكتبا
وان ابن عبدالله وهو محمد
رسول أمين بالشرائع أندبا
وكل الذي وافى به عند ربه
صحيح وحق ثابت الاصل صوبا
كذا الموت حق والنشور وبعده
وعيد ووعد صادق لن يكذبا
فذي جملة صحت بكل معبر
إذا عرضت في القلب لن تتقلبا
تضيق بنا الدنيا اذا غبتموا عنا
وتزهق بالأرواح أشواقنا منا
بعادكم موت وقربكم حيا
وإن غبتموا عنا ولو نفسا متنا
فانا إذا طبنا وطابت نفوسنا
وخامرنا خمر الغرام تهتكنا
أما ترى الطير المقفص يا فتى
اذا ذكر الأوطان جنَّ الى المغنى
يفرح بالتغريد ما بفؤاده
فيطرب أرباب العقول إذا غنى
كذلك أرواح المحبين يا فتى
تهزهزها الأشواق للعالم الأسنى

الـوافـر

وقال مودعا بعض الأصدقاء ويذكر مسيره الى ليلى الشريفة .

نودعـكـم أحـبـتـنـا وداعـا
قصارى سـتـةٍ لكـم ارتجـاعـا
نودعـكـم وفي الأحـشـاء منـا
أجـيـج الـشـوق يلتذع الـتـذاعـا
نودعـكـم وفي الـوجـنـات هـام
أبي الـدمـع منـحـدرا تداعـى
نراعـيكـم على قـرب وبـعـد
ومـثـلكـمـو أحـق بأن يراعـى
أراع الله قلبـا غير راع
حفـاظـكـم ولا بكـم أراعـا
نودعـكـم أحـبـتـنـا ونـرجـو
على اثـر الـوداع نرى اجـتـماعـا
ولـولا حب بيت الله ما إن
نوينـا عن مقـاربـكـم نزاعـا
سـألـنـا الله يرجـعـنـا إلـيكـم
وقـد نلنـا المـراد به سراعـا
سنـذكـركـم بمـكـة في المـسـاعـي
متـوسـعـكـم مواقـيتـا وسـاعـا
ونـطلـب ربـنـا لكـمـو رضـاه
ونـطلـب أحمـدا لكـم الـشـفـاعـا
ونـطلـب منـكـم الـدعـوات كيما
بها في الـقـصـد تنـتـفـع انـتـفـاعـا
وألـف تحيـة منـا عليكـم
كنـشـر الـروض أو كالمـسـك ضاعـا

في سرعة السير الى ليلى الشريفة

سـعـود الـنـاس

الـوافـر

أراك تريد فوق هوى تليد
طريف هوى على قلب عميد
تذكرني بليلى إن ليلى
شعاري في الركوع وفي السجود
ولست لها بناس في قيامي
ولا عنها بساهٍ في قعودي
يطارحني بها منها خيال
مطارحة الكئيب هوى الخدود
يغور الغور بي ليلا لليلى
وينجدني لها صبحا نجودي
يلاحمها فؤادي في التقاصي
وتنظرها عيوني في رقودي
وما من عاشق الا لديه
عواذلها أشد من الصدود
ألا إني شغفت بحب ليلى
هوى شغف المحب المستعيد
ألا إني أحن لوصل ليلى
حنين الخامسات الى الورود
سعود الناس ان طلعت سعود
وليلي ان تطالعني سعودي
سألت الله أن يدني مزارى
بليلى غير ناسية العهود

ومـن ذا لائـمـي إن رحـت أمشي
لليلى والـنـعـال ولـو خـدودي
سأرتـكـب الخـطير لوصـل ليلى
ولـو كانـت بغـابـات الأسـود

طيبة المختار

« وصـف النـاقـة »

البسـيط

والـعـيس مثـل بنـات المـاء في لجج
من السراب تشـق الآل تشـقـيقـا
تظنهـا في لعـاب الـشـمس سابـحـة
رأد الـضـحـى فوق قامـوس حداريقـا
تبـين طورا وتخـفـي تارة فكـما
في جدول تغـسـل الأيدي الابـاريقـا
تسـوق أرجـلهـا بالـوخـد أيديهـا
وشـوق ليلى لليلى حثـحـث الـشـوقـا
لها حنـين الى ليلى هوى وجـوى
تظنهـا كلما حنـت مفـاريقـا
والـذئـب يقـتـله ترسـيم قامـتـه
من خوفـهـا ويخـال الـظن تحقـيقـا
قالـوا عليهـا وبـاتـوا فوق أرجـلهـا
مثـل الـبرود باكـوار سبـاريقـا
تنـاشـدوا شعـر ليلى كلما انـتـهـبـوا
ومـا كان في الـشـعـر محزونـا ومـفـروقـا
حتـى إذا فلق الأصـبـاح فالـقـهـا
والـعـيس فلقـت الـبـيداء تفـليقـا

لاحـــت شوارع ليلى والمـنـابـر والـ
أعـلام تحسـبـهـا سفـنـا مطالـيقـا
مهـلل الـركـب تكـبـيرا ومـن فرح
بكـت ويبـكـي أخـو الافـراح تشـويقـا
ألـقـت عصـاهـا بها في صحن أبـطحـهـا
وأوضـمـت في الـوصـامـات الحـواليقـا
وأقـبـلت تنـتـحـي باب الـسـلام ومـذ
ليلى بدت لهم ضجـوا مواليقـا



الجانب السياسي والثقافي في عصر اللـواح الخروصـي [1]

بقلم : المهندس سعيد بن محمد الصقلاوي

قدر للشـاعـر العـماني اللواح (٨٦٢ ـ ٩٨١ هـ) أن يعيش بين قرنين هما القرن التاسع ، والقرن العاشر ولم يك مصادفة قوله : ـ

ومن يك عاش من قرن لقرن تنكر منهمو طبعا وزيا

وخلال هذا العمر الطويل الذي تعدى ١١٩ عاما ، قد شهد اللواح عصرا زاخرا بكثير من الصراعات والأحداث الجسام أهمها حدث إحتلال البرتغاليين لعمان عام ٩١٣ هـ .

لقد كانت منطقة الخليج على نحو أخص والجزيرة العربية تموج بكثير من المتغيرات التي أحدثتها الأطماع والصراعات الداخلية بين الكيانات السياسية المنتشرة في المنطقة بطول ساحل الخليج وعرضه ، ففي عمان كانت الامامة والقبائل الأخرى تنافس سلطة النباهنة ، وكانت الخلافات على أشدها تصبغ أديم عمان بالمآسي الدامية ، وتترك وراءها مزيدا من الجراح ، والشقاق مما سهل عملية الاحتلال البرتغالي وساعد على تثبيته في مسقط وصحار وصـور وقـريات وغـيرهـا من المـدن العـمانية ، حيث كانت صحار بيد محمد بن سيف الهديفي ، وبهلا بيد مظفر بن سليمان النبهاني المتوفى (٩٧٦ هـ) ، ومقنيات من منطقة السر بالظاهرة بيد فلاح بن محسن النبهاني المتوفى (٩٨٢ هـ) وسمائل بيد عمير بن حمير ، والرستاق بيد مالك بن أبي العرب ، وسمد ونواحيها من المنطقة الشرقية بيد الجهاضم وغيرها .

وإن اضاءت بعض المواقف الايجابية كمساندة النباهنة لمحمد بن سيف الهديفي في صد الغزو الفارسي عن صحار ، إلا أن انشغال العمانيين بجراحاتهم الخاصة التي انتجتها

---

(١) القي البحث في الحفل الذي أقامه المنتدي الأدبي تحت رعاية سعادة جمعة بن حمد النصري وكيل وزارة الخدمة المدنية مساء يوم الأثنين ٢٦/٣/١٩٩٠ وذلك بمناسبة مرور (٥٠٠) عام على وفاة الشاعر العماني اللواح الخروصي وظهور ديوانه الذي صدر عن وزارة التراث القومي والثقافة في جزأين وقام بتحقيقهما الاستاذ محمد علي الصليبي مساعد مشرف المنتدى

الصراعـات على السلطة أكبر من انشغالهم بجرحهم الوطني العام ، وقد ساهم ذلك في توسيع مسافة الاحتلال الزمنية .

ولم يغن انتشـار الدويلات العربية في الخليج شيئا في دحر العدوان الخارجي ففي العراق كانت السلطة بيد أحفاد (تيمور لنك) وهم الجلائرية حتى عام ٩١٣ هـ والذين خلفهم التركمان فيما بعد ، كما اشتد الصراع على العراق بين الصفويين الذين أسسوا دولتهم عام ٨٨٨ هـ وبين العثمانيين الذين ظفروا عام ٩٢٠ هـ ، وفي البحرين كان الصراع على أشده بين بني جبر وبني جروان الذين انتزعوا السلطة منهم عام ٨٢١ هـ ، ولكن ما لبث أن وقعت جزيرة أوال تحت الحكم البرتغالي عام ٩٥٢ هـ .

وفي نجد كانت إمارة الدرعية في منتصف القرن التاسع وكانت الفتن والأحفاد تلتهب بين الأخوة وأبناء العم ، وفي الحجاز كان العثمانيون يسيطرون على مقاليد الأمور وكانوا يديرونها بواسـطة واليهم على مصر ، وقـد مدوا سلطتهم لتشمـل قطر والاحسـاء عام ٩١٣ هـ ، أما في الجانب الآخر من الخليج فقد نشأت دولة هرمز الجديدة التي إحتلت قلب الخليج وبسطت نفوذها على مناطق واسعة فيه وكانت حروبها تمتد إلى مناطق مختلفة فتارة في عمان وتارة في سواحل الخليج المختلفة ، وبالرغم من ازدهارها وقوتها إلا أنها تهاوت أمام البرتغاليين والقوى الأجنبية ، وسقطت صريعة إلى يومنا هذا .

كذلك نشأت في الجانب الآخر من ساحل الخليج إمارات عربية ، كإمارة المشعشعين (٨٤٥ هـ) التي استطاعت أن تهزم حاكم شيراز الفارسي وتبسط نفوذها في البصرة وقامت إلى جانبها إمارة كعب ، وحكومة أفراسياب ، ومشيخات بني لام ، والمنتفك والبطائح على ضفتي النهر .

أما في الشام فقد كانت السلطة بيد العثمانيين وفي حضرموت كانت الدولة الكثيرية عام (٩٢٦ هـ) في حروب مستمرة تارة مع اليمن التي كانت تحت حكم بني طاهر وتارة مع العثمانيين حتى يأتي عام ٩٢١ هـ حيث تمكن البرتغاليون من احتلال جزيرة (كمران) التي طهرها منهم العثمانيون فيما بعد .

هذا المناخ السياسي الملبد بالتراكمات المأساوية الناتجة عن التطاحن الداخلي أولا وعن الضغـوط والزحف الاقليمي ثانيا ، للقوى الاسلامية في المنطقة وكذلك عن السيطرة ، والتسلط من القـوى الخـارجية الأجنبية الدخيلة ثالثا ، قد ترك آثارا عميقة على وجدان

المجتمع في الخليج وألقى بظلاله الداكن على الساحة الثقافية منه ، شعرا ونثرا ، فكرا ، وعلما .

ففي وسط هذا الدخان كانت حياة الشاعر العماني ، اللواح ، والتي أشار إلى السياق التي مرت فيه حياته بين قرنين وذلك في قوله : ـ

بدهـر عشـت بعدهمو غريبا أخبر عنهم غيـلان طيـا

إن الذي شدنا إلى السفر في هذه المحطات السياسية هو الرغبة في التعرف على مدى التأثير الذي طبعته تلك الأوضاع في عمان على نحو أخص وفي منطقة الخليج على الشاعر اللواح إذ سبق وأن تلمسنا بعض مظاهر تلك الأوضاع في شعر الستالي على الرغم من أنه قصر شعره على مدح النباهنة وكذلك برزت بعض وقائع النباهنة في شعر الكيذاوي ، في صور ، وجعلان وغيرها من مناطق عمان .

وحيث ان اللواح عاصر عددا من أئمة عمان إبتداء بالامام عمر بن الخطاب بن محمد (٨٨٥ هـ) ومرورا بالامام محمد بن اسماعيل الحاضري (٩٠٦ هـ) ومظفر بن سليمان (٩٧٣ هـ) ووصـولا إلى الامـام بركـات بن محمـد (٩٤٢ هـ) وعبـدالله بن محمـد (٩٦٧ هـ) وفي ظل سلطة النباهنة ومنهم سلطان بن محسن (٩٦٤ هـ) وفلاح بن محسن (٩٧٦ هـ) وسليمان بن مظفر (٩٨٣ هـ) ، فإن الاعتقاد يحدونا الى أن الشاعر اللواح ، بما امتلك من قدرة على الجهر بالحق ، والشجاعة في القول ، والتصاق بمجتمعه ، لابد وان تكون له بعض القصائد التي تحمل إشارات عن الأوضاع السياسية وآثارها في عمان ، ذلك لأن واجبه الديني أولا ، والوطني ثانيا يحثانه على محاولة الاصلاح والدعوة الى الهدي والرشاد ، وفي سبيله الى ذلك لابد وأن يواجه ما يراه معوجا غير مستقيم في طريق الهداية والفوز وهذا يسوقنا الى الاعتقاد بأنه لم يصل إلينا شعر اللواح كاملا ، في جزئي الديوان حسبما أخرجته وزارة التراث فقد جاء في الجزء الثاني من الديوان ص ٢٩٥ على لسان الناسخ قوله (تمت القـطعـة الأولى من ديوان الشيخ الفصيح الشـاعـر سالم بن غسـان اللواح الخروصي) وفي هذا ما يؤكد إعتقادنا ، ويعضده إشارة محقق الديوان الذي استشهد بكلام أحد نساخ الديوان في قوله (تم ما اخترناه من ديوان اللواح) كما أن كثرة التصحيف من حذف وتحريف في نسخ الديوان تعضد الرأي السابق ، وتعمق الاعتقاد به . (انظر الجزء الأول من الديوان ص ٣٧) .

لقد شجع الوضع السياسي المتدهور في منطقة الخليج على تفسخ العربية من جذورها وعمد إلى ذلك حكام الدول غير العربية كالتيمورية ، والتركمانية ، والفارسية ، والتركية وبدلا من أن يرعى الحكام الآداب والفنون (شعرا ونثرا) تركزت جل اهتماماتهم على جمع الخراج والدخول في صراعات مستمرة ، بل وعمد بعضهم الى اهمال اللغة العربية .

أما في عمان فقد اختلف الوضع بالرغم من الصراع الداخلي على السلطة ذلك لأن الصراع كان . . عربيا ـ عربيا . . وكانت اللغة العربية هي الضمير المتكلم باسم المجتمع العماني ، فقد رعى بنو نبهان الشعر والشعراء وكان من أبرزهم في فترة اللواح الشاعر سليمان بن سليمان النبهاني المتوفى عام (٩٥٠ هـ) والشاعر الكيذاوي ، فضلا عن العلماء والفقهاء والقضاة كقطب عمان أبي عبدالله محمد بن سليمان بن أحمد بن مفرج والشيخ الفقيه عبدالله بن مداد ، والشيخ الفقيه محمد بن ثابت بن عبدالله بن مداد والفقيه أبي القاسم بن شائق والعالم أبي القاسم بن محمد بن ثابت والشيخ عمر بن خلف بن محمد والملاح العماني أحمد بن ماجد وغيرهم من العلماء والشعراء والأدباء .

وكانت هناك العديد من الرموز الأدبية التي عاصرها الشاعر منتشرة في مختلف بلدان الخليج والجزيرة العربية ، ففي الحجاز كان قطب الدين محمد بن أحمد النهرواني المكي (٩١٧ ـ ٩٩٠ هـ) ، وفي البحرين كان الشاعر أبا البحر الخطي المتوفي عام (١٠٢٨ هـ) وفي حضرموت عبدالصمد بن عبدالله الكثيري المتوفى عام (١٠٢٥ هـ) وأبو بكر العيدروسي المتوفى سنة (٩١٤ هـ) وفي اليمن عبد الرحيم البرعي المتوفى عام (٨٠٣ هـ) وموسى بن يحيى بن بهران (٩١٢ ـ ٩٦٥ هـ) وفي الاحساء جعفر الخطي المتوفى عام (١٠٢٨ هـ) وغيرهم كثير فضلا عن شعراء وعلماء وأدباء المغرب الذين كانت تربطه بهم علاقات حميمة وكانت بينه وبينهم مساجلات ومراسلات علمية وأدبية لم نستطع الاطلاع على شيء منها وذلك بسبب فقدها حسبما جاء في مقدمة الجزء الأول من الديوان من (ديوان الشاعر اللواح) .

ولقد سعينا من خلال هذا الايضاح الى التلميح على المناخ الثقافي الذي كانت تتقلب فيه المنطقة العربية في هذا الجزء من العالم ، كما سعينا الى الاشارة الى موقع اللواح كشاعر عماني في وسط هذه الكوكبة الأدبية التي تدعونا الى مزيد من البحث عن علاقات الشاعر بأدباء العربية في عصره ، وخاصة وإن شعره يفصح عن أسفار عديدة للحج وزيارة الأماكن

المقدسة في مكة والمدينة إذ أن سياق شعره وتعدد قصائده وتشوقه المستمر للرحيل يشير بوضوح الى امكانية القيام بذلك أكثر من مرة واحدة ، وليس كما نوه في النبذة عن حياته في الجزء الأول من الديوان ص ٥٠ .

أدبـــه :

يكاد يتمحور أدبه على مرتكزين هامين وهما الشعر ويمثل أغلب أدبه والنثر الذي لم نلمس إلا قليلا منه ، وقد إعتنى في نثره بالمحسنات البديعية واجتهد في التقاط السجع إذ أعانته على ذلك لغته الواسعة وطبعه الشاعري وسمة عصره التي كانت مميزة به . وقد زاوج بين النثر والشعر خاصة في قصائد التأبين والتعازي وأحيانا المراثي مقتبسا بعض الآيات القرآنية الكريمة والأمثلة السائرة ، والأحاديث الشريفة ومما يدعونا إلى قبول هذا النوع من النثر ذلك أن ثقافة الشاعر الدينية ، والتراثية وانشغاله بأسبابها قد أثرت لا إراديا على أسلوبه العفوي ، كما أن ذوق المجتمع في تلك الحقبة قد فرض على الأدباء في مختلف الوطن العربي أن ينهجو ذلك السبيل ، وأن تكون ابداعاتهم مؤطرة في قوالب متوارثة صناعيا دون أن يدثرها الابداع الحر بنقائه وصدقه وبراءته ومن عزائياته النثرية قوله (ذهب الصالحون الوادعون الذين هم للخيرات مسارعون ، وللأياب والمتاب مراجعون ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ أين من كان بالعمل الصالح مسرورا وبفنون العلم ورزاحة الحلم مشهورا ، أصبح في الضريح موجودا مستورا . . كان ذلك في الكتاب مسطورا) .

وتتراوح أشعاره بين الأغراض والموضوعات المختلفة التي تظهر عارضة وهي موضوعات تقليدية كالغزل ، والمديح ، والفخر وغيرها بينما تبرز موضوعات أكثر أهمية ، وأجل موقعا في دائرة اهتمامه الفكري ، والنفسي ، والعاطفي ، كالمرأة والشوق ، والوداع والشكوى والعتاب وبعض الموضوعات تتماشى مع الهاجس الوطني والاجتماعي كقضايا القحط والجفاف ، والتعنيف ولومه للامام بركات بن محمد وغيرها ، إلا أن هذه الموضوعات تكاد تومض من مسافة بعيدة في مساحة شعره الواسعة الأمر الذي يعزز اعتقادنا بوجوب البحث عن المزيد من شعره الذي لم يضمن ضفتي ديوانه كي تتاح لنا فرصة التعرف على عصره ، في سماته المختلفة سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وغيرها .

ويمثل الجانب الديني من شعره حيزا كبيرا يتقاسم قصائده مع المناسبات التي تركزت في المراثي ، والتعازي والتأبين ولا غرو في ذلك فإذا ما نظرنا إلى المحيط الثقافي في الخليج والجزيرة العربية لوجدنا أن ظاهرة الشعر الديني الذي ازدهر على يد الزهاد والمتصوفة قد بلغت مدى واسعا واحتلت مكانا طيبا في خارطة الشعر العربي وربما يعود ذلك الى الانعكاسات السياسية والمعنويات الاجتماعية المتداعية التي أفرزتها الصراعات المحلية والاقليمية والدولية بحيث وجه المجتمع الى الالتجاء للباري عز وجل والتيقن بأنه بدون الالتجاء اليه والسعي الى نصرة دينية على كافة المستويات الاجتماعية فلن تكون هناك عزة ، وانتصار وخلاص للمسلمين إلا بالعمل في قوله : ﴿ **إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾ صدق الله العظيم .

كما ساعد بعض الحكام في المنطقة على هذا المنهج لأغراض سياسية ، فانتشار النشاط الصوفي في هذه المنطقة في شكل فرق صوفية كالنقشبندية والبكطاشية والرفاعية والقادرية في العراق واليمن ، وحضرموت وبعض الفرق الأخرى على الجانب الآخر من الخليج العربي ، أو انتشاره على يد أفراد من الزهاد والمتصوفة ، مثل نور الدين السمهودي المتوفى عام (٩١١ هـ) في المدينة المنورة ، وأبوبكر العيدروسي المتوفى عام (٩١٤ هـ) في حضرموت ، وعمر باخرمه المتوفى عام (٩٥٢ هـ) في اليمن كل هذا الانتشار قد مد خيوطه الى بلدان مختلفة في الخليج ومنها عمان إما على سبيل الاتصال المباشر أو بالتأثير غير المباشر من خلال رحلات الحج أو قراءة المؤلفات أو تمثل الشخصيات ، ولم يكن هذا المد الصوفي غريبا على عمان بل كانت جذوره متأصلة منذ إسلام مازن بن غضوبة الطائي الذي قال مخاطبا الرسول الكريم (ﷺ) .

إليك رسول الله خبت مطيتي
تجوب الفياقي من عمان الى العرج
لتشفع لي ياخير من وطىء الثرى
فيغفر لي ربي فأرجع بالفلج
فأصبحت همي في الجهاد ونيتي
فلله ما صومي ولله ما حجي

ومتعمقة في روح وسلوكيات الأئمة العمانيين كجابر بن زيد ، والربيع بن حبيب وأبي حمزة الشاري وصولا إلى الامام الوارث بن كعب والعالم أحمد بن النضر وغيرهم كثير ، ولذا فإن الشاعر اللواح بقدر ما كان عصره يزخر بهذه النخبة من المتصوفة والزهاد ، وبقدر ما كانت تتسم فترته بهذا النشاط الديني كان الزهد والتصوف لديه امتدادا طبيعيا في حياة المجتمع العماني ، ومساقاته الفكرية .

ومما يعزز ما ذهبنا اليه هو ظهور تلك الكوكبة من الزهاد والمتصوفة الذين تجلت أسماؤهم في شعره من خلال مراثيه وتأبيناته .

ولقد جنح في شعره الصوفي الى التقليد الذي يتحدث مباشرة عن الذنب وطلب المغفرة ، والتعلق بالمقدسات والندم على ما ضاع من شباب كان أولى أن يكون في عمل البر والخيرات وعمل الصالحات.ثم يعرج على النفس طالبا منها اغتنام الفرصة وعدم تكرار الخطايا والابتعاد عن الشهوات والملذات ، إذ يجعل العلاقة وثيقة بين إبليس الذي يأمر الناس بالمعاصي وبين النفس التي تأمر صاحبها بالسوء ولذا فإنه وجب الاستعاذة من النفس كما تجب الاستعاذة من إبليس .

وقد وضحت هذه الفكرة في قوله :

تقول لي النفس إغنم لذة حصلت
واتبع هواي على الباقي من العمر
وما درت أن في عقبي لذاتها
نقائصا وردها حاد عن الصدر
أعاذني الله من دهياء غاشمة
عمياء تشعر إلا وهي في سقر
لله منها ومن إبليس قائدها
ومن هواها أنا في الخوف والحذر
لكن لي أملا في الله أنعشني
من هوة القنط الموسوم بالبطر

وتتكـرر هذه المفـاهيم الثابتة في معانيها المختلفة ، وصورها المتعددة وفي مباشرتها الحادة إلا ما ندر فقد تضمن شعره بعض القصائد غير المباشرة ومنها قصيدة (ياله من محشر ص ٣٣٦ ج ١) حيث صور الشاعر نفسه شجرة على سفح جبل منتشرة العروق مطمئنة ، بعيدة عن مواطن الكفر والفساد ، وعن منازل الشرور والأحقاد حيث ترتع في نعمة الله الوهاب شاكرة ، طائعة مؤمنة وأما الفجار فينزلون من القصور العاليات الى الحفر المظلمات تنتظرهم نار جهنم ولظى السعير : ـ

ليتني كنت شجرة ... بسفح أرض مقفرة
تشرب من ماء السما ... عروقهـــا منتشـــرة
آمنة من أن تكون ... في العصاة الفجرة
فانزلوا من القصور ... العاليـــات المقصـــرة
إلى بيـوت الوحـش ... والديدان وهي المقبرة
وبعـــدها فيحشـــرون ... زمـــرة في زمـــرة
لمحشـــر ويالـــه ... من محشـر ما أوعـره
وبعـــدها يدهدهـــون ... للجحيـــم المســـعرة

ولا يكف عن تذكـير الغـافلين وتنبيه المدلجين في عماية الجهل الساهين عن دينهم المشتغلين بدنياهم إذ يسخر ثقافته التاريخية فيستعير منها ما شاء من المضامين ، ويقتبس العديد من الأفكار عن الأمم السابقة وما أصابها من الملمات والحوادث نتيجة كفرها وجهلها مذكرا بأن الدنيا دار فناء والآخرة دار البقاء : ـ

أيا شاربـا كأس الخـمـر والـرقـاد
ويا قاطـعـا عمـره بالـتـمادي
أتـرجـو الخـلود بدار الـفـنـاء
وأصـلك والـفـرع تحت الـصـلاد
ألم تعـتـبر بالألى الـغـابـرين
كطسـم وحـي ثمـود وعـاد
وأيـن ملـوك بنـي حمـير
وابـنـا معـد وآل هـداد

وأين الذي ملك المغربين
وعمر ألفين في الالتداد
وأين الذي أبعد الغزوتين
سبعين عاما لنيل المراد
وأين الذي كان من جوده
بغمدان يفضح ويل الغوادي
وأين الذي جمع الفيلقين
جيشا ضاق عرض البلاد
وأين الذي عمروا الجنتين
ملوك الورى حضرها والبوادي
وأين الذي صرحه روحت
به الريح شهرا وشهرا تغادي
وأين أبو القاسم المصطفى
وأصحابه العز أهل البوادي
فلو أن يعطي الخلود أمرؤ
لأعطي النبي شفيع العباد
فلابد للموت مكن زورة
اليك على القرب والابتعاد
فيا فوز من قد حوى خطه
بيمناه يلقى به الله هادي
يزف إلى جنة عرضها
كعرض السماء وعرض البلاد

ومما يثير الانتباه في شعره هو بروز ظاهرة الشكوى والتبرم مما يلاقيه ، ويعترض مسيرة حياته ، ويحاول أن يصد وجهته ، وتارة يشكو من الزمن الذي لم يكن وفيا معه ، ولم يكن رؤوفا به ، عطوفا عليه ، ثم شكواه من الناس كعناصر فاعلة في المجتمع الذين يشيحون بوجوههم عنه ولا يمدون إليه يد المساعدة وإنما يسعون مسرعين لطلب حاجاتهم التي كان دائما يلبيها ويقوم بأدائها .

إذا دعت الحاجات لي عند صاحب تزاور عني جانبا وهو عابس
وإن كانت الحاجات عندي له أتى يبصبص مثل الهر في الحال بائس
فحين رأيت الدهر من قاس ما أتى بماض وبئس المرء من لا يقايس
هو الدهر وإن فكرت فيه وهارد وإن كثير الناس فيه النسائس

ويشتكي لوعة وحسرة على ما يصيبه في غربته ويصاب بالحساسية المفرطة لدرجة أنه يصف كل ما يعترض له حتى حينما تلسعه حشرة ، دابة أو أشعة الشمس أو حرقة الحصى أو خدش شجرة ، وطعن شوكة ، أو غيرها لكنه رغم ذلك صابر محتسب ، لا يتخلف عن عبادته واعتكافه : ـ

لقد أثرت بي لسعة الكرش بالكرش وما لي عليها من قصاص ولا ارش
وتنهشني بالليل والصبح والضحى ونحن بليل عكف ايما نهش
ففرشت ما عندي من الفرش دونها فلم يوقني عنها لحافي ولا فرشى
فغودرت من لسع الكروش كأنني فريخ من النيران ملقى بلا عش
إذا الكرش دبت في فراشي تنفخت عروقي وكز الجلد من شدة الهمش

الشـــكوى

وعلى الرغم من حبه للرحيل والسفر إلا أنه يتبرم شاكيا ما يعانيه من ويلات ، خاصة ، إذا تعلق الموضوع بضيق ذات اليد ، أو نقص فيما يكفيه مؤونة سفره وترحاله ، وهذا أمر طبيعي ليس فيه غضاضة فالناس في عامتهم لا يحفلون بالغرباء وإن كانوا مسافرين الى الحج أو غيره ولكن البعض منهم يعنيهم الالتفات الى الغرباء ومساعدة المحتاجين أيا كان نوعهم وجنسهم ، فحين يتعرض وهو في غربته لكفاف مؤونته أثناء السفر الى مكة مارا بجدة ، نراه يندب حظه ويشكو غربته ، يذوب حسرة على نفسه وخوفا من عدم بلوغ مناه بوصوله إلى مكة وذلك بسبب ما يعانيه من ضيق يده وحاجته الملحة : ـ

لا طارف عندي لا ولا وتـــد في جدة فبلي يا جدة جـــدد
والمرء إن برئت من حاله يده فما له أبدا في العالمين يد
ما ضاق صدر الفتى من ضيق ثروته إلا وضـــاقت على أخـــلاقه البلد
واحرّ كبد غريب أسر غربتـه والجسم يبلى إذا ما حرت الكبد

وكيف يملأ عينا بالكرى رجل ... بجدة لا صديق لا ولا تلد
أنا الغريب غدت لي جدة وطن ... كأنها اللحد مالي عنه ملتحد
لا حيلة لغريب الدار غير شجن ... وعبرة وكفت في الخد تنسرد
ما حال ناء عن الأوطان مبتعد ... وعنه ليلى نأت والصبر والجلد

تشط به الغربة حتى في وطنه عمان وشكواه من هذا الاغتراب الذي يصاحبه في وطنه لا تقل عن شكواه من اغترابه وهو خارج عمان فتشابه الظروف والأحوال وتطابق المسببات هو الذي يدفعه الى تحسس غربته في وطنه والى ندب حظه بين أهله وأصحابه وجماعته في مسقط كما هو الحال في جدة أو مكة أو غيرها فالشكوى كامنة في أحاسيسه وتلتظي في وجده ، وتبعث عن تلهف عاطفي الى مجتمع تسوده القيم الأصيلة التي يحض عليها الدين من مراعاة للجار والصديق والغريب وصدق المعاملة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها من خلائق الاسلام الكريمة : ـ

بمثوى مسقط طال الثواء ... وملت صحبتي فيها النواء
فصرت كأنني فيها أسير ... ولا فاد لديّ ولا إفتداء
أروم بها خفاء السر لكن ... لما قاسيته برح الخفاء
وبئس الدار دار ليس فيها ... لنازلها حمى أو أصدقاء

وشكواه من الزمن تقل حدة ، أو تخفض تأثيرا في نفسه من شكواه الأخرى وإنما تكالب عليه الزمن وكلفه كثيرا من حياته ، رغم مقاومته بالصبر والتجلد والمجاهدة ، إلا أن الزمن ظل يضيق عليه الخناق ، وهو لا يكاد يقوى على دفعه إلا بمزيد من الصبر والتصبر مزيد من الشكوى والعتاب : ـ

أراك يا زمني كلفتني شططا ... وفي الهداية تطوي الدخن والحمطا
سألتك القسط مذ أوليتني فأبت ... أحكام شرعك إلا الجور والقسطا
اكشف عن غطاء الصبر من حزن ... والحزن يكشف عن ذي الصبر كل غطا
مذ فاتني فرط قد كان لي أمل ... فيه فلا أمل في فائت فرطا
ووطأة الموت عمدا ما بها خطل ... رضى به حيث ما عمدا عليّ وطا
رضى ولا جزعا مني ولا هلعا ... من حيث سهم الردى احتمى وليس خطا

الشـوق والحنـين

ثمـة علامـة وطيدة بين الشـوق والحنـين والـوداع لكن ارتباط الشوق بالحنين في السلوكيات الانسانية أقوى من ارتباط الشوق بالوداع إلا أن الأمر يختلف بعض الشيء عند المتصوفين ذلك أن العلاقة بين الوداع والشوق أقوى منها بين الوداع والحنين أو بين الحنين والشوق وسر قوتها تكمن في أن الوداع يفجر الشوق وأن الحنين يأتي في مرتبة لاحقة .

ويتضح ذلك في شعر اللواح كأحد النماذج للشعر الصوفي في منطقة الخليج ، إذ يرتبط الشوق عنده بالوداع ارتباطا وثيقا فما يكاد يودع (عرفات) حتى يشتاق اليه ثانية ، وعينه الى الوقوف بين المقدسات عابدا ، شاكرا ، أوابا ، وينزع به الشوق ، وهو في عمان إلى ليلى ، والتي هي رمز للكعبة أو مكة المكرمة ، أو للأماكن المقدسة في المدينة التي كانت كثيرا ما خاطبها باسمها طيبة وهو ذات الاسم الذي يستخدمه الصوفيون في إشاراتهم إليها .

فالعلاقة بين الشوق والوداع في شعره علاقة وثيقة الصلة فهي علاقة تشابكية يصعب تفكيك خيوطها ، وكذلك فهي أيضا علاقة زمانية تلعب اللحظة فيها دورا هاما في اذكائها وتطويرها بحيث لا تدع مجالا لاختلالها ، ذلك لأن في الوصل سعادة وفي الوداع كدر ، وفي الشوق احياء ورجاء باللقاء وقد وضحت هذه العلاقة في قوله : ـ

أيا ليلى ويا ليت التلاقي ... يـدوم ولا يـؤول إلى افـتراق
وكيف أطيـق يا ليلـى وداعـا ... وبينـك حمـله فـوق المطـاق
فبري عنـك يا ليـلاء فـان ... وحبـي فيـك يا ليـلاء بـاقي
وإن أخـا الهـوى قربـا وبعـدا ... لمـن يهـواه يا ليلـى فشـاق
وحسـبي الله في التـوديع اني ... لفـي حـزن وهـم واحـتراق
أيا ليلـى على عقبي الفـراق ... سـألت الله يـأذن للتـلاقي
فلا قطعـت حبـال رجـاء وصـلي ... ولا قصـرت دونـك عن متـاق

وقوله في (قصيدة كيف أطيق يا ليلى الوداع ص ١٤٩ جـ ١) يعزز تلك العلاقة الترابطية بين الوداع والشوق : ـ

فكيف أطيق يا ليلى وداعـا وداعـي الحـب حمـلن صـنوفه

ولا تقتصر هذه العلاقة بين الشوق والوداع على حبه للأماكن المقدسة وتعلقه بها وإنما ترتبط أيضا بوطنه عمان فهي علاقة ثابتة متأصلة في منهجه النفسي ، ومنحاه الفكري فحين يودع بلاده وأصدقاءه متوجها الى الأماكن التي يحبها ويشتاقها قلبه لا تكاد أنفاس الوداع تسكن حتى تهب أنفـاس الشـوق من جديد فهي علاقة أكيدة وثيقة في قصيدة (أجيج الشوق ص ١٤٦ حـ ١) تسطع بوضوح للعيان : ـ

نودعكـــم أحبتنـــا وداعـــا قصـــارى ســـنة لكـم ارتجـاعا
نودعكـــم وفي الأحشـــاء منـــا أجيـج الشـوق يلتـذع التـذاعا
نراعيكـــم علـى قـرب وبعـد ومثلكمـو أحـق بـأن يراعـى
نودعكـــم أحبتنـــا ونرجـــو على أثـر الوداع نرى إجتماعا

المرأة في شعره

احتلت المرأة وضعا ملموسا في شعره ولم تظهر كباعث للغزل في مقدمات قصائده فحسب بل برزت بشكل يشير الى أن المرأة في عصره كان لها مكان محمود من حيث تقدير الرجل واحترامه لها كشريك في الحياة ، ومن حيث مساهمتها المختلفة في خدمة المجتمع ، ومن حيث كونها أمـا أو اختا وبنتا وزوجة لكنها ظهرت على استحياء كبصيص ضوء من بعيد ، ذلـك لأنـه لم يشـأ التصريح عنهـا ولم يخاطبها باسمها وإنما اكتفى بالاشارة اليها كزوجة ، أو أم أو ماشابه ذلك .

وهذه عادة قديمة متوارثة تكاد تمتد الى يومنا هذا ليس في عمان وحدها وانما تنتشر في كافـة المجتمعـات العـربية ، والنـاظر الى الدراسات الاجتماعية عن المجتمعات العربية الصحراوية والريفية سوف يلاحظ هذه العادة شاخصة إلى يومنا هذا .

كان حظ المرأة وافرا في مراثيه وتعازيه أكثر منه في القصائد الأخرى ، ولم يلصق بها إلا كل صفة جديرة بالاحترام والتبجيل ، فهي حرة ، مصونة ، مرضية عنها معينة لزوجها صابرة محتسبة عطوفة ، حنونة ، راعية للدين فقيهة فيه : ـ

هي الزوجة المعوان في السخط والرضى وفي الدين والدنيا وجدك مسعد
إذا حلت الأضياف بالليل ساحتي ونام في لين الفراش المزند
تطوف على خفض القدور ورفعها وجاراتها فوق المضاجع هجد
وكانت على الدين الحنيفي حافظا على أنها منه تنص وتسند
وكانت على فقدي تحاذر قبلها وندبان أبقى لتسلي وتفقد
زماني بها غض وعودي بها ند وحلمي بها كهل وخدي أمرد

وما يدعم رأينا السابق حول المرأة قوله تلميحا باسم المرأة لا تصريحا إلا ما ندر متجنبا ذلك لمخالفته عرف المجتمع في وقته وخشية الخروج عن العادات والتقاليد والتسبب في جرح وجدان المجتمع ، فقد اكتفى بذكر والدها وأشار اليها ببنت موسى بن عامر معددا صفاتها الحميدة وأخلاقها الزكية ، ومشيرا الى وجود صفوة من النساء الزاهدات العابدات : ـ

على بنت موسى رحمة الله إنها برحمته في ظلمة القبر أخلق
على طاعة الرحمن شابت وأيفعت وكانت على طاعاته قبل تزهق
فمن محض مدى طول عمرها نظن اللظى إلا لها فهي تخلق
فما برحت تستجلب الصبح بالثنا الى أنه بلا رجعة من الصبح مشرق
وتقطع حراء الهواجر صائما وما كان من حال فلله تنفق
على ضعفاء المسلمين فإنها من الوالد الساعي أبر وأشفق
ولا تنطق العوراء غيبا ومشهدا ولكنها بالصالح القول تنطق
كريمة قوم لا غراث ضيوفها وإن قابلت عنها الرجال فانفق

تفاعله مع قضايا امته

تفاعل الشاعر مع قضايا قومه الخاصة والعامة من خلال إصراره على المشاركة المستمرة في كل مناسبة إجتماعية تسنح له الظروف بالمشاركة فيها فهو لم يتخلَّ عن الواجب الوطني إجتماعيا وقوميا ، وإنما كان ينصهر في ذاته إيمان عميق بضرورة التفاعل مع المعطيات المستجدات في مجتمعه ، فلا نراه إلا وشخص في المناسبات السعيدة والحزينة ، بالرغم من أن فترة عصره كانت تضج بالمناسبات غير السعيدة وكانت تحشد في رحم الأيام كثيرا من الهموم الحبلى بالمصائب والأحزان .

وما انتشار قصائد الرثاء والتعازي والتأبين التي تقاسمت شعره مع الشعر الديني الا دليل قوي على ما كان يئن به المجتمع .

وسواء كانت تلك الويلات لا إرادية بفعل من القدر كالموت أو المرض أو المجاعة أو القحط أو بفعل فاعل كالظلم والاغتصاب وسفك الدماء وغيرها فإن الشاعر لم يتخلَّ عن أداء واجبه بقدر استطاعته فمن لم يستطع دفع الظلم بالسيف فعليه أن يدفعه بالقول . وهذا ما جنح اليه الشاعر دون أن تأخذه الخشية في قول رأيه ناصحا ومعاتبا ولائما أو محذرا ، وداعيا الى الله أن يهب قومه وبلاده السلامة والأمن والرخاء .

وعندما تعلق الأمر بوجوب دفع المنكر والتحذير منه لم يكفت ذراعيه ولم يطبق يديه وانما انطلق محذرا مدينة (نزوى) وكانت إذ ذاك من أهم المدن العمانية داعيا أهلها للرجوع الى الحق والابتعاد عما يخالف شرعة الله بدافع من حبه لوطنه وغيرته عليه ، داعيا اياهم الى اعادة نزوى لمكانها الطبيعي في صدارة المدن العمانية وحث على تمثل أخلاق وفعال رجالها الكرام الذين صانوا حماها ولم يرضوا بذلها وهوانها وخصص خطابه لأولي الأمر فيها لأنهم أعرف بالصلاح من عامة الناس .

تعتبر هذه القصيدة من أهم قصائدة الاجتماعية الوطنية التي تكشف لنا بجلاء عن حالة المجتمع العماني في مدينة من أهم المدن في تلك الحقبة الزمنية حيث كانت تقرع الطبول وتضرب المعازف وتقام الملاهي ، وتبدل حال تلك المدينة المحافظة لتلبس رداء يكشف عن هنات تلبست جسدها ، وهذه القصيدة اشعلتها عاطفته الوطنية وغيرته المسلمة العربية فكانت سهلة بسيطة غير محشوة بغريب القول ، وغير معقدة التركيب ولم تكن المحسنات اللغوية فيها مصطنعة ، بل وانسابت ابياتها كانسياب فلج (دارس) دونما شوائب ، فجاءت صريحة نقية بعيدة عن كل خلط والتباس على غير نمط قصائده الأخرى وهذا لا يعني أنها الوحيدة في هذا السياق إلا أنها من زمرة القلائل في ديوان اكتظ بغريب الكلمات استخداما ، ومدلولا ، واشتقاقا ولغة في نحوها وصرفها وعروضها : ـ

ألا هل مبلغ مني رجالا نصيحات وبورك من وعاها
لئن لم ترجعوا يا أهل نزوى عن الحال الذي فيكم أراها
لتغدوا كلكم أيدي سباء رهائن بالنفوس لمن سباها

فانـى صـالح لكـم نـذيـر وهـذى ناقـة الله ومـاهـا
على القدر المتاح جرت لساني وعنكمـو واولكـم بنـاهـا
أطيعـوني وأوبـوا عن طـريـق تـؤول بكم بشـر منتهاهـا
وعهـدنا قبل ذا نـزوى حصـانا عفيـف الذيل تنبـل من رناها
وكـم فيهـا عهدنا من رجال تخـف الشـم وزنـا عن حجـاها
فلا يرضـون فيهـا بالهـواهي وهـم يرمـون غفلة من رماها
حمـوها من ولاة النكـر حتى بهـا عاشـوا وهم ماتـوا حماها
أراكم يا ولاة الأمـر فيهـا تطيعـون الأراذل من مـلاهـا
أرى نـزوى بكم كشـفت هناها وراقـت من محياها حيـاها
تقلقهـا المعـازف والمـلاهـي وكـل تهيمـة سـحبت رداهـا
فمـا بـرج مـن الأبـراج إلا وفيـه الخمـر جامعـة خنـاها
ومـا من شـعبة إلا وفيهـا زجيـل الـدف يصهل في رباهـا
فلـم يسـمع بناديكم أذاان ولا الآيـات يسـمع من تـلاهـا
رأيـت عفيفكم فيهـا اذا مـا رأى في الله معصـية تقـاهـا
ضـعيف الحيـل مظلـوم مهـان وذو الأمـوال يظلـم ما عـداهـا
وعالمكـم وزاهـدكـم مـدار وسـيدكم يـداهـن أو يناهـا
فأيـن الصـالحـون أمـا قليـل قلـى الدنيـا وواصـل من قـلاهـا
ألا توبوا الى الرحمـن تـوبـا نصـوحا واسلكوا النهج النقاها
وداووا بالمتاب سـقام ذنـب فما غـير المتـاب لكم دواهـا
مـروا بالعـرف وأتشمروا وانهـوا عن النكـر الذي سـيم الجباها
أراكـم دينكـم فلدتمـوه كمرجئـة تقلـد بأوليـاهـا
وذمتـم واعتقـدتـم أن هـذى تقيـات ويسـلم من نـواهـا
أرى علمـاكـم الدنيـا صـبتها فـراحـت أذؤبـا وغـدت شـياها
ومـن يدعوكمـو للـه يلقـى المذلـة والعـداوة والسـفاها

وإن كانت هذه الأبيات تحمل صورة عن نزوى في ذلك العهد إلا أننا نميل الى أن الصورة ربما لم تكن في قتامتها كما صورتها الأبيات ولكن بدافع غيرته الدينية الخالصة على

بلده وحبه لوطنه لم يكد أن يرى أو يسمع عن أقل هذه الأحوال في نزوى وهي رمز المنعة العرفية فكيف إذا كانت موجودة بالفعل .

وتعددت مساهماته في دفع الأذى عن وطنه بتوجيه النصح الى الأفراد والحكام على السواء حتى وان كان الحاكم إماما ، ولذا فإنه عندما رأى ما لا يرضيه من الامام بركات بن محمد لم يتوان عن معاتبته وتوجيه النصح إليه حتى يكون المسار واضحا جليا .

مراثيـــه

حملت الينا مراثية ظاهرة جديرة باهتمام الدارسين للمجتمع العماني في تلك الحقبة ومدى تأثره وارتباطه بالمجتمعات المحيطة في الخليج والمجتمعات العربية الأخرى .

تمثلت هذه الظاهرة في ظهور كثير من الألقاب التي عنونت بها المراثي والتعازي والتأبينات ، وانتظمت في السلطان الأعظم ، والأمير الأعظم ، والشيخ الأمجد والشيخ الفقيه ، والفقيه ، والزاهد ، والعالم وما شابه ذلك .

وتعتبر ظاهرة الألقاب في المجتمعات إشارة الى تنوع المقامات والمكانة الاجتماعية التي يتمتع بها أفراد المجتمع .

ويسوقنا الاعتقاد بأن ظاهرة الألقاب التي سادت المجتمع العماني آنذاك جاءت ضمن نفس ظاهرة الألقاب في مختلف المجتمعات العربية آنذاك وبعضها عرف محلي ناشىء من صميم الكيان العربي والبعض الآخر مكتسب بتأثير القوى الاقليمية التي كانت تسيطر على المحيط العربي ، كالتيموريين ، والتركمان والعثمانيين والصفويين ، وكذلك دولة هرمز التي بسطت نفوذها على أجزاء مختلفة من الخليج .

أرى أن في إنتاج الشاعر العماني اللواح كثيرا من المضامين الفكرية ، منها ما يتعلق باللغوي والبياني ، ومنها ما يتعلق بالدين ، وأخرى تتعلق بالجانب الاجتماعي والسياسي .

وإنه حتى نستجلي كثيرا من هذه المضامين فإنه يتوجب علينا بذل مزيد من الجهد والوقت للتعرف على هذا الشاعر وعصره الذي سوف يساعدنا على استدراك ما فات من تاريخنا العماني الذي لم تستكمل كتابته عن هذه الحقبة الهامة التي عاش فيها الشاعر وشهدت صراعات كثيرة داخلية واقليمية ودولية ، يمكننا من خلالها النظر إلى موقعنا في مسيرة التاريخ العالمي .



جانب من فعاليات ومناشط المنتدى الأدبي

اطلالة على الرحلة في الشعر العماني[1]

إعداد/ محمود بن مبارك بن حبيب السليمي

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله العزيز الوهاب ، الحمد لله الذي لا إله إلا هو ذي الفضل والامداد . أحاط بكل شيء علمه وهو العلي العظيم . أنزل كتابه الكريم المعجز ببلاغته وفصاحته فعجز فصحاء العرب عن مجاراته ، والصلاة والسلام على من تعالت به العلياء وخير من أقلت الغبراء وأظلت الخضراء الذي أعجز بأسلوبه الحكيم جميع الفصحاء والبلغاء سيدنا محمد ﷺ وعلى آله جواهر البلاغة والآداب وأصحابه أولي الحكمة وفصل الخطاب . وبعد . .

كان هذا الموضوع ذا شقين ـ الشعر والنثر ـ فقد اخترت أن أسلط الضوء على جانب الرحلة في الشعر العماني مع الاقرار بعدم الاحاطة به وذلك لقلة الزاد مع توفر الأسباب ولكن العلم ما حوته الصدور لا ما حوته السطور وسوف أتناول بعض النماذج التي تظهر لنا ذلك .

فالأدب العماني والحمد لله مليء بمختلف الأغراض الأدبية مستوعب لمضامينها ولكنه يحتاج إلى من يظهر هذا الأدب ويبرزه للقارىء ونحن نعلم جميعا أن الأدباء والشعراء العمانيين بلغوا شأوا عظيما فيه ويكفي أن نقول : إن معظم مؤلفي أمهات كتب الأدب وروائع الشعر عمانيون مولدا وتربية ونشأة ولا عيب أن ينسبوا أيضا إلى الأماكن التي نزحوا إليها مع ضرورة الاحتفاظ بهويتهم الأولى كالمبرد وابن دريد والخليل بن أحمد الفراهيدي وغيرهم كثير فهؤلاء غيض من فيض وعسى أن يوجد بين الأدباء والكتاب من يبين لنا عن ذلك .

---

(١) القيت في الامسية التي اقامها المنتدى بتاريخ ٢٨/٥/١٩٩٠م .

تعريف الرحلة :

الـرحلة بالكسر والضم لغة اسم من الارتحال وقال أبو زيد : الرحلة بالكسر اسم من الارتحال وبالضم الشيء الذي يرتحل إليه يقال : قربت رحلتنا بالكسر ولعلنا ونحن نتحدث عن الرحلة وأدبها لا ننسى تلك الرحلة التاريخية التي غيرت مجرى التاريخ قديما وحديثا ألا وهي رحلة البطل الكبير والمغوار الشهير مالك بن فهم الأزدي ، هذه الرحلة التي قام بها من بلاد اليمن إلى عمان وقد دونها لنا في قصيدته التي وصل إلينا جزء منها حيث يقول :

تحن إلى أوطانها بزل مالك ... ومن دونها عرض الفلا والدكاوك
وفي كل أرض للفتى متقلب ... ولست بدار الذل طوعا برامك
ستفنيك عن أرض الحجاز مشارب ... رحاب النواحي واضحات المسالك

ثم يقول واصفا حنين إبله إلى موطنها السابق متعاطفا معها :

تحن إلى أوطانها بزل مالك ... ومن دون ماتهوى فرات المقارف
وسيح أبي فيه منع لضائم ... وفتيان أنجاد كرام غطارف
فحني رويدا واستريحي وبلغي ... فهيهات منك اليوم تلك المآلف

كما أننا عند الحديث عن الرحلة وأدبها في التاريخ العماني نذكر بكل اعتزاز وحمد للمولى جلت قدرته تلك الرحلة التي قام بها الصحابي الجليل مازن بن غضوبة السعدي الطائي السمائلي الذي قدم على رسول الله ﷺ من سمائل في عمان إلى المدينة المنورة بعد أن حدث له ما حدث مع صنمه وقربانه فها هو يترنم بقصيدته في تلك الرحلة المباركة التي خرج فيها طالبا الهدى راجيا المغفرة والتي يقول في مطلعها :

إليك رسول الله خبت مطيتي ... تجوب الفيافي من عمان إلى العرج
لتشفع لي ياخير من وطيء الثرى ... فيغفر لي ربي فأرجع بالفلج
إلى معشر جانبت في الله دينهم ... فلا دينهم ديني ولاشرجهم شرجي

فهو يعلن البراءة من قومه الذين لازالوا على الشرك وقد مَنَّ الله على كثير من أهل عمان بالاسلام على يدي مازن بن غضوبة رضي الله عنه فكانت تلك الرحلة الموفقة ، والجدير بالذكر أنه لازالت هناك بعض الآثار لهذا الصحابي الجليل منها مسجد مازن الذي جدد بناؤه مؤخرا .

وتختلف الرحلة غرضا ومضمونا في الأدب العماني فهي متنوعة بتنوع الأهداف والأغراض في كل رحلة فمن أديب تكـون رحلته الهدف منها الكشف عن الحقيقة واتباع الهداية كرحلة مازن بن غضوبة الصحابي الجليل أو الانتقال والسكنى والبحث عن مأوى ومقر كرحلة مالك بن فهم الأزدي أو رحلة في الجهاد والفتوحات كما في الرحلة التي سجلها لنا شاديا بها ضمن قصيدته الحائية الرائعة الشاعر محمد بن مسعود الصارمي صاحب عين السواد من « إمطي » قرية من أعمال ولاية « إزكي » حاليا ، نشأ في عهد دولة الامام سلطان بن سيف اليعربي وقد قال قصيدته هذه أثناء مسيره إلى بتة في الهند مفتتحا قصيدته كعادة العرب الأوائل من الاستهلال بالغزل فيقول :

كشفن عن تلك الوجوه الصباح ... إذ زمت العيس ليوم المراح
وجئـن يختلـن يعـاتبنني ... يبسمن عن در كلون الاقاح
خامرهن الشك في عزمتي ... فقلن جد منك أم ذا مزاح ؟!

إلى أن يقول ذاكرا تأثره بهذا الخروج واصفا بعض الأماكن التي لازالت في خلده يذكرها فيقول :

فصرت مسلوب الحشى ذا أسى ... من أجل هجر كل خود رداح
يزيد ما بي واشتياقي إذا ... ما قد بدا برق بسيما ولاح
أو شـمته لدى العين أو ... فوق الافانين اذ الورق صاح
أو إن تذكرت ديارا زهت ... من سمد الشأن وتلك البطاح

فنراه يذكر سيما والعين وسمد وتلك الأماكن التي لازال يذكرها ثم يذكر وقت وصولهم إلى بتة فيقول :

حتى أتينا بتة بالضحى ... ثم نزلناها بأرض براح

ويصف أصحابه عند اقتحام السور فيقول :

فافتحموا السور كأسد الفلا ... واشتدت الحرب وضرب الصفاح

ثم يذكر نتيجة هذه المعركة مشيرا إليها بقوله :

فإنهزم الافرنج من بتة ... بالـذل والخـزى والافتضـاح
بعدا لهم وبعدا وسحقا فهم ... من قوم سوء ووجوه قباح

وهـذا هو فضيلة الشيخ الفقيه الشـاعـر الـرحالة سعيد بن حمد الحارثي صاحب الرحلات الكثيرة والتي صارت سمة له يصف رحلاته ضمن قصائده فقد رحل إلى الهند وماليزيا وأمريكا وبلاد الشام وأفريقيا وفرنسا وشمال أوروبا وها هي ذي قصيدته التي سماها « الرحلة المظفرة في تحقيق أن الأرض كرة » والتي يقول فيها :

حمدا لمن قد مهد السبيلا ... وجعل النجم له دليلا
ومدد الظل ولو شاء استقر ... فدلت الشمس عليه فانحسر

إلى أن يقول :

وإنمـا هـوايتي ثـلاث ... تجود أو تمنعها الأحداث
وبغيـت ثالثـة انتهـز ... فرصـتها ان سـنحت فأبـرز
إلى اكتشـاف ملكوت الله ... وملكه الواسـع في اتجـاهي
والقصد أن أطـوف بالمعمورة ... حيث انتهت بي طاقتي المحصورة

ولعلنـا ونحن نستعرض هذا النوع من الأدب لا ننسى تلك الأديبة الصالحة ابنة الشيخ عيسى بن صالح بن علي الحارثي والتي تعد من بيت علم وفضل وقد اكتنفتها بيئة علمية وأدبية من كل جانب بين أب وأخ وخـال فأجـادت نظم الشعـر وبرعت فيه ومن قصائدها هذه القصيدة التي تصف فيها رحلتها إلى الحج والأماكن المقدسة فتقول :

بدأت بحمد الله قولي مكللا ... بخير صلاة للذي جاء هاديا
لك الحمد إذ يسرت أمري وبغيتي ... فمنك لي التوفيق بي الهيا
فجزنا طريق الجو نخترق الفضا ... وفي البر أحيانا نؤم المعاليا
وصلنا ضحى أمّ القرى منبع الهدى ... فقرت بها عيني وسر فؤاديا

وتقول واصفة شعورها وهي تؤدي مناسك الحج والعمرة من طواف وسعي :

فطفنا به والعين جادت بدمعها وكان ملحا بالدعاء لسانيا
ولم تجد الأقدام في السعي كلفة فكم كان تضراعي به وابتهاليا
فذا عن يميني يسأل الله رحمة وأسمع ذا مستغفرا عن شماليا

ثم تقول مشيرة إلى الفترة الزمنية التي قضوها في مكة شاكرة الله تعالى بعد أن بلغها مقصدها في أداء الحج والعمرة داعية الله أن يرزقها العودة لزيارة الحرم مرة أخرى فتقول :

مكثنا بها خمسا وخمسين ليلة وكن كساعات مضت بل ثوانيا
فيارب لا تجعله آخر عهدنا بها واغفرنْ ذنبي مجيب دعائيا

ثم تعرج في ذكرها على زيارة المدينة المنورة والسلام على رسول الله ﷺ حيث تقول :

لذاك حللنا بالمدينة طيبة فكم حلها جبريل بالذكر آتيا
نزور رسول الله والكل سائل شفاعته يوم القيامة راجيا
وكان لنا طيبا مقام بطيبة وقمنا بتلك الأرض عشر لياليا

وهـذا هو الأديب المؤرخ أبـو بشـير محمـد بن الشيخ العـلامـة الامام نور الدين عبـدالله بن حميد السـالمي والـذي اشتهـر بلقب الشيبة والمتربي على مهد الثقافة والأدب الناشىء في أحضان بحر العلم والمعرفة الملازم لوالده النور رحمة الله عليه . يقول في قصيدته المسماة بـ « رحلة بدية إلى الديار الهندية » وهي قصيدة مخمسة :

يا مولعا بكثرة الأسفار صل على محمد المختار
واركب جوادا لا يجارى فاري واقطع به مفاوز القفار
وخل أوطانك للجواري

لا خير في خزّ بجنب الغانية يقعد يشكوها الهموم العانية
ويصلي قلبها الهموم الضانية ويحزنها في السر والعلانية
يصيح قرطيها وللسوار

ثم يقول ذاكرا الحالة المتعبة التي كان العمانيون يعانون منها من فقر وقلة ما في اليد مشيرا إلى من يرجع لحلي زوجته وما عندها طالبا منها مساعدته كي يبيعها ويطعم أهله بها

ويخاطب زوجته قائلا :

يقول قد ضاقت عليَّ الحالة وإنما يقصد كل ماله
فهات قرطيك إلى الحوالة وهذه منك لنا جماله
وهات للسوار والمرار
أما ترين تعب الأوقات وقلة الأثمار والغلات
وقيمة التمور والأقوات وثمن الثوب عن العادات
وعدم الدرهم والدينار

مصورا تلك الحالة في صور حركية حوارية ثم يعرج بهذا الرجل العين الذي يئن ويشتكي حال الزمان بأسلوب تهكمي :

يئن حولها كأنه السليم يشكو اليها حزنه وهو مقيم
لا يرتقى إلى المعالي والنعيم يا ليته كان رفاتا وهشيم
ولم يكن كلا عليها جاري
يضجر من تحمل الشدائد يقول ما في الدهر من فوائد ؟!
وضاعت الدنيا عن العوائد والنوم خير لي على الوسائد
من نكد وتعب الأسفار

ثم نراه يتحدث عن السفر وفوائده والأثر الوارد فيه عن الرسول ﷺ في أسلوب أدبي رفيع ، يقول :

والعيش لا ينال الا بالسبب ولا ينال المجد إلا بالطلب
ولا ينال الخير الا بالتعب ولا ينال الربح الا من ركب
للبحر في البابور والجواري
قال النبي . سافروا لتغنموا ولا تكونوا عالة فتندموا
واجتهدوا أو كرروا ولا تسأموا فالجرح بعد شقه يلتئم
والعسر قد أعقب باليسار
فإن ظفرت بنجاح المطلب من اللجين ونضار الذهب
حمدت ربي وشكرت مذهبي وقد قرأت قول أهل الأدب

سافر ففي الأسفار رزق جاري

وفيه تفريج من الهموم وفيه أبحاث عن العلوم
وفيه آداب سراة القوم من عرب وعجم وروم
يعرف ذاك من يكون قاري

ثم بعد ذلك يصف وقت خروجه من البلاد ووصوله الهند . قي بومباي ويذكر لنا مقامه بها والتقاءه بعدد من الشخصيات المقيمة هناك للنزهة والزيارة والعلاج والتجارة يعود بعدها إلى الوطن فيقول مؤرخا تاريخ وصوله بالحروف :

ومسقط بها نزلنا ظهرا فصار تاريخي بحي يقرا
ثاني الاشقاء به قد مرا في دسشع ما كان مكفهرا
وأقبل الخير على السفار

ولعلنا ونحن نطالع هذا النوع من الأدب يبرز لنا الشاعر الأديب أبو الفضل محمد بن عيسى بن صالح بن علي الحارثي الذي ترك لنا قصائد كثيرة في الرحلات والأسفار دون لنا فيها خلاصة تجربته وملاحظاته ، فمن هذه القصائد قصيدته عندما أراد السفر إلى زنجبار فاعترضه مانع فكبا عزمه عن السفر ورجع من الهند ، يقول :

أرقت وحرمت عيني الرقادا وآلفت الوساوس والسهادا
أبيت أسامر التذكار طورا لمن أهوى وملكني القيادا

ثم يذكر لنا الوطن وأسباب حبه له فيقول :

ديار نزهت عن كل رجس وخبث لا ترى فيها السوادا
ديار قد حوت من كل حسن جواهره وآراما تهادى
رعى الرحمن أحبابا حبوني بحبهم وأضنوني الوِدادا
سويداء القلوب لهم محل ومن عينيّ قد حلوا السوادا

إلى أن يقول :

وقائلة أراك أخا هموم قدحْنَ بقلبك الواري زنادا
فقلت لها : وهل أنا غير حر ودنيا الحر تلتزم العِدادا

وان كبيت العزائم في اغترابي فلي وطن يبلغني اطرادا

وله أيضا الرحلة العدلية إلى الديار الغربية أيام الامام محمد بن عبدالله الخليلي رحمة الله عليه مرافقا لوالده الشيخ عيسى بن صالح الحارثي ، يقول :

الحمد لله على ارشاده لنا بنشر العدل في بلاده
أهلنا لأفضل المراشد ودلنا لأكمل المقاصد

ثم يذكر لنا بعد ذلك الأماكن والمناطق والقرى التي مروا بها فقد انتقلوا من القابل ثم المضيرب وسمد الشأن ثم الأخضر فالجرداء آتيا بما يحمله لنا من ذكريات أثناء مروره بهذه الأماكن ثم الى العق فالدسر وبعدها يقول :

بتاسع سمائل الفيحا ضحى جئنا وبدر السعد فيها اتضحا
أطلقت التحية المدافع لما بدا الحصن وبان الجامع
والصمع كادت باللسان العربي تنطق بالتسليم والترحب
قد كادت الدار سرورا تنتقل بأهلها والكل منهم في جذل

فهو يصف لنا مدى سرور الناس بمقدمهم ولا غرو في ذلك فهم المستحقون للاكرام .

وله قصيدة « المنبئة » عن رحلة البحرين والتي يقول في آخرها :

خرجنا والديار غدت كشمطا لرحلتنا مشوهة القذال
وعدنا وهي في زهو وعجب تتيه لدى الملاحة والجمال
فللرحمن شكرا ثم شكرا على هذا الاياب وكل حال

كما أن فضيلة الشيخ الفقيه القاضي سعيد بن خلف الخروصي دون لنا بعض ملاحظاته أثناء رحلاته وها هي رحلته إلى بومباي في الهند عام ١٩٣٢ هـ ، وكما يظهر من القصيدة فإن الشاعر سافر في رحلته عن طريق البحر حيث توحي بذلك أبيات القصيدة ، كما وصف لنا الطقس في الليلة التي غادر فيها حيث يقول :

باسم الذي أجرى السفين منا ورحمة للعالمين منا
ماخرة تشق ماء البحر كأنما البحر وشيكا يجري

قد غادرت مسقط يوم العاشر من مارس والماء شبه الثائر
يثير فينا ايما ازعاج وخشية من شدة الأمواج
حتى إذا ما انتصف الليل هدر رعد وضاء الافق من برق ظهر

ثم ذكر لنا مرور السفينة بجواذر على سواحل بحر العرب ومغادرتها في جو مكفهر مغيم فيقول واصفا ذلك :

ليل وسيل وبرق ومطر واليم والرعد جميعا قد هدر

ثم تمر بهم السفينة في وقت الضحى ويصف لنا كراتشي في باكستان ملك الدولة الاسلامية فيحس بهذه الأريحية فيقول :

أكرم بباكستان من شجعان أهل العلا والمجد والسنان
كم فيهم من ليث حرب ناصر لدينه مدافع مثابر

ثم ينزلون هذه المدينة ويصفها لنا الشاعر من حيث سعتها وجمالها وأشجارها وشوارعها المنظمة الجميلة حيث مروا بها في سيارة متجهين إلى منزل أحد الأطباء ويسمى رافع فيقول :

إذا بها من أفخر الامصار واسعة جميلة الديار
فيها من الفواكه النفية من كل ذات لذة شهية
أقلنا السيار ثم سارا ليمنة وتارة يسارا
في تلكم الشوارع الجميلة حتى أتينا بلدا جليلة
يحلها الطبيب رافع على أعلى محل فاق حسنا وحلا

ثم يتجه المركب ذاهبا إلى الهند التي هي مقصد الشاعر فيقول :

ومع صلاة العصر سار المركب مشرقا للهند صار يذهب
في رابع والعشر أي من مارس جاء الى بومباي ذي النفائس

كما أن لهذا الشيخ عدة رحلات أخرى منها الرحلة الهندية التي ذهب فيها للعلاج برفقة أحد أبنائه والتي يقول في مقدمتها :

بسم الهي وله الحمد على مواهب من بها تفضلا
من يستطيع شكره مكملا يعجز طوقي عن أداء الشكر

ثم يقول :

وبعد ذا فقد عنا لنا سفر للهند لما هاج ما بي من ضرر
والطب في الهند قديما اشتهر وما الشفا الا بفضل البرو

ولهذا الشيخ رحلة داخلية إلى المنطقة الشرقية بعنوان « الرحلة النقية إلى بدية الشرقية » وهي رحلة قام بها لزيارة أحد أعلامها شيبة الحمد الشيخ محمد بن الشيخ نور الدين السالمي رحمه الله تعالى ، وقد استهل زيارته هذه من بلده نخل مبديا لهما التحية جيئة وذهابا فيقول :

قل لركب من نخل شاذان اسرى عربة السير زائرا إخوانا
حي شاذون ان خرجت ومهما جئتها داعيا لها الأوطانا

ثم بعد ذلك دلنا على الأماكن التي مر بها واصفا ولاياتها ومدنها ذاكرا بعض القبائل التي تشتهر بها كل ولاية أو قرية فيمر عبر خروجه من نخل بولاية بركاء فالسيب فيقول :

هي بركا وهل بلاد كبركا في شريط حلى جمالا عمانا
واجيلوا نواظرا نيرات في ربى السيب قصرها المزدانا
وانظروا في جنانها ما بنته قدرة الله والرياض الحسانا

ثم يذكر في قصيدته الرسيل وفنجا ويعرج الى الدسر في العق واصفا تلك السلسلة الحديدية التي كانت موجودة بها ثم ينحدر الى الجرداء وينتهي به المطاف في بدية يرتع فيها فهي بيت القصيد واصفا ربابها بالرفعة والسؤدد مشيرا إلى أفاضلها ورجالها الأشاوس وأدبائها الكرام مضمنا قصيدته بعض من رحلوا وكان لهم شأن فيها فيقول :

وإذا ما بدت بدية فارفع علم المجد ذي أعز مكانا
طنب الفضل والهدى في عراص برباها مناطحا كيوانا

ثم يقول :

وبها اليوم شيبة الحمد نجل ... النور في الجود طار صيتا وشانا
بارك الله فيك يا شيبة الحمد ... وفي الولد فاشكر الرحمانا
طبت أصلا فطبت فرعا وهذى ... نعم الله واجب أن تصانا
صونها الشكر للذي وهب الفضل ... وفي الختم هاك قولا مزانا
وصلاة من الاله وتسليم ... على من أحيا الورى وحبانا
خاتم الرسل والصحابة من هم ... رضي الله عنهمو رضوانا
ما حدا العيس سائق الركب أو ما ... سائق العربة امتطى السكانا

هذا وللشيخ سعيد الخروصي عدد من القصائد الأخرى وما ذكرناه نماذج لهذا الأدب الذي برع فيه الشيخ .

مع الشاعر الأديب والفقيه النحرير
شاعر العرب الشيخ ناصر بن سالم بن عديم الرواحي

ولعلنا ونحن نتحدث عن أدب الرحلة في الشعر العماني لا ننسى تلك الرحلة الخيالية التي تركها شاعر العرب وضمنها قصيدته التي سارت بها الركبان وانتشرت انتشارا واسعا ألا وهي القصيدة النونية التي تخيل فيها الشاعر على الرغم من بعده جسميا الربوع العمانية ذلك لأن روحه وخياله مايزالان يطوفان به وسط ربوع عمان متذكرا أماكنها معددا قبائلها ، ومن خلال قصيدته هذه يحس القارىء وكأنه قد بدأ رحلة يطوف خلالها الربوع العمانية مدينة بعد أخرى بل حتى تلك القرى فمن المنطقة الشرقية من بدية إلى نزوى ومنها إلى سمائل وازكي والظاهرة حتى وصل الى قبائل بني ياس في أبوظبي وها هو يقول :

يا ناقل العيس من عليا بدية ... حيث اليحمد الحائزون المجد قطان
خلف وراءك عزا والمضيرب ... والدريز والقابل الراسي بها الشان
وخل ابراء أعلاها وأسفلها ... حيث القطين ملوك الناس قحطان
وخذ بأوجهها عن ساحتي سمد ... مياسر الفتح حيث الحي كهلان
ودع وراءك ان غربت اخشبة ... تجري المجرة فيها وهي سدرن

ويا من الدوح والخضراء منتحيا أفناء خلفين حيث السوح جرنان
واعمد إلى الجوف واستظهر أسافلها أرض لعامر أهل الفضل أوطان

ولعله في خطابه هذا للامام نور الدين السالمي رحمه الله تعالى في رحلته التي بدأها في بدية مرورا بعز والمضيرب والدريز والقابل وابراء وسمد والاخشبة والسديرة والخضراءوأرض الجوف وهو عندما يعدد هذه الأماكن يذكرنا بسكانها الذين كان لهم شأن كبير فيها فبدية أكثر سكانها من اليحمد ، أما ابراء والمضيرب والقابل ففيها الحرث واما أرض الجوف فاشهر سكانها بل أغلبهم بنو عامر بن صعصعة الابطال ولما خرج من أرض الجوف ظهرت له قرية فرق هذه القرية الصغيرة في المساحة الكبيرة في الشأن والتاريخ ولو لم يكن من أبنائها الاّ جابر بن زيد المكنى بأبي الشعثاء لكفى هذه القرية الواقعة على مدخل مدينة نزوى التاريخية تلك المدينة العظيمة التي كانت العاصمة لعمان بعد انتقالها في صحار والتي احتضنت الائمة الذين نشروا العدل ووطدوا الأمن والاستقرار في ربوع البلاد ولذلك سماها الرواحي كما سميت قبله « بيضة الاسلام » يقول :

وافرق بها البيد حتى تستبين بها فرق على بيضة الاسلام عنوان
فإن تيامنت الحوراء شاخصة لها مع السحب أكناف وأحضان
فحط رحلك عنها انها بلغت نزوى وطافت بها للمجد أركان

ويقول واصفا هذه المدينة التاريخية :

انزل على عزبات النور حيث حوت أئمة الدين قيعان وظهران
أرض مقدسة قد بوركت وزكت تنصب فيها من الأنوار معنان
ما طار طائرها لله محتسبا له جناحان إيقان وعرفان
الا وقام يمين الله ساعده والفتح والنصر والتأييد أعوان

إلى أن يقول في وصفها :

ولم تزل عرصة للعدل عاصمة للاستقامة فيها الدهر سلطان

وتارة نحس فيه لوعة التذكر لربعه وأهله وعشيرته بعد أن شط به النوى ، وبعدت به الشقة مشيرا إلى مكانة وطنه عمان في نفسه حيث يقول :

تلك المعاهد ما عهدي بها انتقلت وهن وسط ضميري الآن سكان
نأيت عنها ولكن لا أفارقها بلى كم اقترفت روح وجثمان
وكيف أنسى عهودي في مسارحها وهن بين جنان الخلد بطنان
أم كيف يمكن سلواني فضائلها نعم لدي لذا السلوان سلوان

ثم يقول :

لها على القلب ميثاق يبوء به ان باء بالحب في الأوطان ايمان
نزحت عنها بحكم لا أغاليه لا يغلب القدر المحتوم انسان

وتارة يصف اقامته بعيدا عن وطنه الأم عمان ، بأنها اقامة على غير رضى منه فيقول بعيدا عن وطنه الأم عمان ، بأنها إقامة على غير رضى منه فيقول مشبها غربته وحياته فيها بالسليم :

نشأت فيها وروضاني ومرتبعي روح الفضيلة لارند وريحان
ارتاح فيها الى خل فيبهرني صدق وقصد ومعروف واحسان
فحال حكم النوى بيني وبينهم هنا تيقنت أن الدهر خوان

والحقيقة أن من يرغب في استقصاء ما ورد في قصيدة الشيخ يحتاج إلى وقت كبير وإلى جهد ، ولكني أكتفي بهذا القدر تاركا المجال إلى من هم أقدر مني على الابانة عن شاعرها ، وان شعر شيخنا أبي مسلم جدير بأن ينقب عنه ويبحث فهو مليء أدبا وتاريخا وسلوكا وفقها وتوحيدا وحماسة وما كان لمثلي أن يتطرق إليه إلا تبركا . وعسى الله أن يفيض له من هو أهل للابانة عن مضامينة وفوائده وما ذلك على الله بعزيز .

الخاتمـــة

وبعد أن استعرضنا عددا من النماذج لشعر الرحلة عند العمانيين شأنهم في ذلك شأن الأدباء والشعراء العرب الذين سلكوا هذا المسلك فالعربي رحالة بطبعه ، وهؤلاء هم العمانيون الذين جابوا البحار والقفاز ، وطوفوا في أنحاء المعمورة واضعين نصب أعينهم أهدافا سامية فبجانب بحارتهم ومصالحهم كانوا يقومون بنشر الدين الاسلامي بالدعوة اليه عبر الأماكن التي زاروها ، ولقد اتسعت رحلاتهم وأسفارهم فذهبوا إلى أماكن شتى اذ

وصلوا إلى الصين مرورا بالهند وباكستان وماليزيا وأندونيسيا كما استقروا في أفريقيا وخصوصا في زنجبار وكينيا والصومال وغيرها . فضلا عن المقاصد الأخرى وراء رحلاتهم وأسفارهم ، فقد كانوا يرحلون إلى بي الله الحرام بمكة لأداء فريضة الحج كما كانوا يرحلون لطلب المعلم والبحث عن الحقيقة ، ورحلوا إلى الجهاد في سبيل الله ونشر الدعوة الاسلامية ومنهم من كان يرحل لاكتشاف ملكوت الله والنزهة والتفكر وما إلى ذلك من المضامين الأخرى .

ولا غرو أن يقوم الشاعر أو الأديب بعد ذلك بتسجيل الحقائق وما يمليه عليه خياله وفكره ليصوره لنا في قصيدته مبرزا لنا أهم الأحداث والوقائع التي صادفته في تلك الرحلة ، واصفا بعض الأماكن ، ذاكرا صفات القوم الذين يمر بهم في طريقه مشيرا إلى مشاعره وأحاسيسه إلى جمال الطبع والطبيعة في أسلوب أدبي شعرا كان أو نثرا .

وهـذه النماذج التي أوردها تشير إلى بعض الأغراض والمضامين التي تضمنها أدب الرحلة في الشعر العماني ، مع اعترافي أن هذا المقال غير مكتمل ينقصه التنظيم والتسلسل التـاريخي ولـذلـك أسباب منها انشغالي في هذا الوقت وضيقه وعدم تمكني من الاحاطة بالموضوع في هذه الفترة الوجيزة ، اذ ربما لو كان هناك متسع من الوقت لدي لتمكنت من تكوين تصور عام حول الموضوع .



الباب الثالث

(دراســـات أدبيـــة)



احدى جلسات السمر الأدبية التي يحييها المنتدى الأدبي في اطار فعالياته ومناشطه

حـركـة الترجمـة
وأثرها في الأدب والنقد ومناهج البحث

بقلم : علي بن محسن آل حفيظ [1]
مدير دائرة البحوث التربوية

مقـدمة :

الموضـوع الـذي أتحـدث فيه الليلة موضوع فسيح شاسع ، تمتد آفاقه ، وتتسع جوانبه ، ليشمل الدنيا مكانا ، والمعارف الانسانية مجالا ، ومن ثم فالمتحدث فيه يجد نفسه في محيط واسع ، لا يجد شاطئا يلجأ اليه . ومهما سبح الانسان وسط هذا المحيط الخضم الواسع ، فلن يصل إلى أعماقه وقراره . وحسب السابح أن يحصل من هذا الخضم على قطرات تروي الظمأ ، وتنقع الغلة .

ولا عجب أن يكون موضوع الليلة على هذه الصفة من السعة والعمق ، فالترجمة من أهم وسـائـل الاتصـال بين الثقافات المختلفة ، والمعارف المتنوعة ، لأنها تصلنا بالتراث الحضاري الانساني في شتى نواحيه ، ومختلف جوانبه عبر الزمن . ومن ثم استميح الجمع الكريم أن اكتفى في حديثي الليلة بلمحات دالة ، وومضات سريعة ، تلقي الضوء حول الموضوع ، وحسبنا من اللمح وميضه ، ومن الضوء شعاعه ، وقد يكون من الأفضل أن اقدم لحديثي بالقاء الضوء على مفهومين شاع استخدامهما في عصرنا الحاضر ، وهما : مفهوم الترجمة ، ومفهوم التعريب .

---

(١) نوقشت الدراسة في جلسة السمر الأدبية التي اقيمت بمجلس المنتدى الأدبي ليلة ١١/٦/١٩٩٠م وكانت تحت عنوان (النهضة الأوروبية الحديثة ومدى تأثيرها في النهضة العربية الحديثة ، وشارك في الجلسة ثلة مختارة من مفكري وأدباء سلطنة عمان .

مفهوم الترجمة ، ومفهوم التعريب :

تحدثنا معاجم اللغة فتقول : ترجم الكلام : بينه ووضحه ، وترجم كلام غيره : نقله من لغة إلى أخرى ولعل هذا ما نعنيه الليلة بمفهوم الترجمة .

وتحدثنا المعاجم عن معنى « عرّب » فتقول : عرّب عنه لسانه : أبان وأفصح ، ومثله : أعرب . وعرّب الكلام ، وأعربه : أوضحه ، وعرّب فلانا : علّمه العربية . وعرّب الاسم وأعربه : نطق به على منهاج العربية . ولعل هذا هو المقصود بمفهوم التعريب . [1] ولهذا عرفه بعض المعاصرين [2] بقولهم : التعريب : اجراء اللفظ الأجنبي في صيغة عربية قدر الامكان نحو « أنذاذه » بالفارسية فإنها أصبحت « هندسة » و « كليما » فانها أصبحت « اقليم » وكان الغالب على العرب ان يلحقوا ما يعربونه من الاعجمي بابنية وبقي قليل من المعرب على حاله لم يلحق بأبنيتهم مثل : خراسان ، ابراهيم ، ابريسم ، وآجر ، وشطرنج ، إذ ليس في أوزان اللغة العربية ما يلائم هذه الكلمات .

وفي عصور العربية الأولى عرّب المسلمون من الألفاظ الفارسية ما يتعلق باصطلاحات الحكومة كالجند والأسلحة وغيرها ، كما عرّبوا ألفاظ الادارة اليونانية على قلة مثل : الأسطول ، والمنجنيق ، والدرهم ، والبطاقة ، والكردوس . ومن المعرّبات اللاتينية : البلاط ، والدينار ، والدمستق .

وفي العصر العباسي زادت حركة التعريب ، نظرا لازدياد الاحتلاط بالأجانب من فرس وروم وام أخرى .

وازاء التطور والتقدم في العصر الحاضر يجد العرب أنفسهم مضطرين الى التوسع في عملية التعريب ، حتى يستطيعوا التعبير عن المخترعات والمبتكرات التى يمتليء بها عصرهم . وان وقف العلماء اللغويون منه مواقف متباينة ، بين متحمس له ، ومتحمس ضده ، ومحايد في موقفه ، يؤثر الوسطية ، على المغالاة في أي من الموقفين السابقين . [3]

---

(١) المعجم الوسيط . مجمع اللغة العربية القاهرة .

(٢) تاريخ الأدب العربي . حنا الفاخوري . بيروت . لبنان . طبعة ثالثة .

(٣) كتاب اللغة العربي . الكليات المتوسطة لاعداد المعلمين . سلطنة عمان . وزارة التربية والتعليم والشباب . الطبعة الأولى . ١٩٨٤م ص ٣٤ ، ٣٥ .

غير ان الذي يبدو لأي باحث هو أن حركة التعريب أسبق من حركة الترجمة ، وان كان كلاهما رافدا من الروافد الأجنبية لثقافتنا العربية ، التي فتحت صدرها للثقافات الأخرى .

بهذه الالمامة القصيرة قدمت ببيان مفهومي الترجمة والتعريب ، وفيما يلي حديث عن حركة الترجمة التي هي موضوع الليلة .

حدود الحديث :

يتحدد الحديث طولا بالفترة الزمنية التي بدأت فيها الترجمة من الثقافات الأجنبية الى العربية الي يومنا هذا وتتحدد عرضا باتجاهين :

(أ) الاتجاه الأول : الترجمة من الثقافات الأجنبية الى اللغة العربية .
(ب) الاتجاه الثاني : الترجمة من الثقافة العربية إلى الثقافة الأجنبية الأخرى .

وفيما يلي عرض لهذين الاتجاهين . وما يتفرع عنهما من مجالات نقتضيها طبيعة كل اتجاه منهما .

أولا : الترجمة من الثقافات الأجنبية إلى العربية قديما :

سبقت الاشارة إلى أن الترجمة من أقوى عوامل الاتصال بين الثقافات والحضارات على اختلاف أنواعها وبالتالي فهي من أقوى عوامل الاتصال بين الثقافة العربية الاسلامية ، والثقافات الاخرى . ولو حاولنا تتبع النشأة الأولى لحركة الترجمة الى اللغة العربية ، فربما كان ذلك أمرا صعبا . غير ان هناك ما يشير إلى أن تأثير الحضارة العربية في الحضارة الأوربية سابق فالمؤرخون والمنقبون يجمعون على أن حروف الكتابة العربية ، والكتابة الافرنجية ترجع الى مصدر واحد . وأن الأوربيين اعتمدوا على الكنعانيين ، والاراميين في اقتباس حروفهم الأولى ، وهي مشابهة في لفظها ورسمها لبعض الحروف السامية (العربية) ، ولاسيما الألف والباء والجيم والدال . ويرجح معظم الباحثين في هذا الموضوع أن الحروف الكنعانية أو الارامية واليمنية القديمة تدرجت من حروف مصرية

مأخوذة عن الصور الهيروغليفية القديمة ، وقد كان الاراميون يعيشون في شبه جزيرة سيناء منذ ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة ، أو يزيد . (١)

ومع الاعتراف بصعوبة تحديد النشأة الأولى لحركة الترجمة الى العربية ، فإن المؤرخين قد حدثونا عن هذه النشأة لأول مرة حين قالوا : ان الترجمة عرفت لدى العرب لأول مرة في منتصف القرن الأول الهجري ، في عهد بني أمية الذين احتكوا بالثقافات اليونانية والآرامية في بلاد الشام ، حيث ان خالد بن يزيد الملقب بعالم بني أمية ـ قد اتصل بالروم ، وعلماء النصارى ، وعني بترجمة كتب الفلك والطب والكيمياء ، وقد زاد تعلقه بالكيمياء ، فأنفق حياته باحثا عنها ، وعن تحويل المعادن إلى ذهب ، وقد ترجمت له بعض كتبها .

ويحدثنا المؤرخون أيضا لأول مرة أن عمر بن عبدالعزيز أراد أن تنقل بعض الكتب الجيدة الى العربية ، وانه قد ترجم له كتاب في الطب ، فوضعه في المصلى ، وبقي أربعين يوما يستخير الله تعالى ، حتى أخرجه للناس .

ولو رجعنا قليلا الى ما قبل عصر بني أمية . عصر النبي عليه الصلاة والسلام ، لوجدنا كتب السيرة النبوية تحدثنا أن زيد بن ثابت (رضي الله عنه) كان يعرف سبع عشرة لهجة ، وانه كان يكتب الكتب والرسائل التي يبعث بها النبي (محمد) إلى الملوك والرؤساء ، لدعوتهم إلى الاسلام ومن المفهوم بداهة ، ومنطقا أن بعض الملوك والرؤساء قد رد على دعوة الرسول له الى الاسلام بالرفض ، أو الاعتذار ، ومثل هذا الرد لابد أن يترجم الى العربية ، ولو شفويا لمعرفة مضمونه . ومثل هذا التصور يشير الى وجود الترجمة قبل النصف الثاني من القرن الأول الذي وجد فيه بنو أمية .

وفي العصر العباسي بلغت الترجمة عصرها الذهبي على يد المنصور والرشيد والمأمون ، فقد شجع المنصور تيار النقل والترجمة ، ومن أشهر الذين شاركوا فيهما عبدالله بن المقفع ، ومحمد بن ابراهيم الفزاري ، وجور جيس بن بختيشوع ، كما شجعها الرشيد ، ومن بعده ابنه المأمون الذي اقترن اسمه بالنهضة الفكرية في عصره ، حتى قيل انه أعلم الخلفاء بالفقه وعلم الكلام ، وأنه فيلسوف الخلفاء ، وحكيم بني العباس . لقد

---

(١) أثر العرب في الحضارة الأوربية . عباس العقاد . سلسلة المكتبة الثقافية . وزارة الثقافة . القاهرة .

اهتم المأمون بجمع تراث الأمم القديمة ، وبخاصة التراث اليوناني ، وأرسل البعثات من العلماء الى القسطنطينية ، وجزيرة قبرص للبحث عن نفائس الكتب اليونانية ، ونقلها إلى بيت الحكمة في بغداد . وكان هذا البيت بمثابة معهد علمي يضم مكتبة لنسخ الكتب ، ودارا للترجمة الى العربية أسماها « بيت الحكمة » وقد بلغ من شغف المأمون بالثقافة الاغريقية أن ظهر له أرسطو في المنام مؤكدا له انه لا يوجد تعارض بين العقل والدين . (١) ومما يذكر أن الترجمة دبت فيها حياة جديدة في عهد المأمون ، حيث اتصل بملوك الروم ، وطلب منهم أن يبعثوا اليه بما لديهم من كتب الفلاسفة ، فأجابوه الى طلبه وأرسلوا اليه كتب أفلاطون وأرسطو وأبقراط وجالينوس واقليدس ، فأمر جماعة المترجمين بنقلها الى العربية وقد جعل المأمون حنين بن اسحاق رئيسا لبيت الحكمة للاشراف على المترجمين ، كما انه كان يعطي من يترجم كتابا وزنه ذهبا ، تشجيعا له على الترجمة .

وقد أخذت الترجمة في العصر العباسي وضعا رسميا ، دخلت به في سياسة الدولة ، واعتمدت على رصيد سخي من الخزانة العامة .

وقد استوعبت الترجمة عهد الرشيد والمأمون ذخائر التراث الفكري لليونان والفرس والهند والروم ومصر ، ثم ما لبثت العقلية العربية الاسلامية أن هضمت ذلك التراث ، وتمثلته ، فأعطته روحا جديدة على نحو ما فعلت مدرسة الاسكندرية بالفكر اليوناني حين هاجر اليها . (٢)

مراكز الترجمة الى العربية :

اقتضت العناية بالترجمة أن أنشئت لها مراكز خاصة بنقل الثقافات الأجنبية - وبخاصة اليونانية - الى العرب أذكر منها ما يلي :

١ - مدرسة الاسكندرية : موطن الثقافة اليونانية التي انتقلت الى العرب على يد كثيرين وجدهم الفاتحون في تلك المدنية .

---

(١) في التاريخ العباسي والأندلسي . د. أحمد مختار العبادي . دار النهضة العربية للطباعة والنشر . بيروت . ١٩٧٢م .

(٢) كتاب اللغة العربية . الكلية المتوسطة لاعداد المعلمين . سلطنة عمان . وزارة التربية والتعليم والشباب . طبعة أولى ١٩٨٤م ص ٢٤١ نقلا عن د. بنت الشاطيء .

٢ ـ مدرسة نصيبين : على شاطىء الفرات حيث ازدهرت فلسفة الافلوطينية الحديثة .
٣ ـ مدرسة الرها : موئل السريان ، حيث امتزج العقل اليوناني بالعقل الكلداني .
٤ ـ مدرسة جند يسابور في الأهواز ، التي أسسها كسرى أنو شروان ، وجعلها معهدا للدراسات الفلسفية والطبيعية . ومعظم أساتذتها من النساطرة ، وقد كانت هذه المدرسة مركزا لثلاث ثقافات : اليونانية ، والهندية ، والفارسية ، وقد اشتهرت بالطب .
٥ ـ بغداد : متمثلة في دار الحكمة التي أنشأها الخليفة المأمون والذي سبقت الاشارة اليه .
٦ ـ غزة وأنطاكية : وهاتان المدرستان كانتا مدرستين للأدب اليوناني . وكان الذين يذهبون اليهما من اليونانيين ، والآراميين ، والمصريين ، والفرس .
٧ ـ دار الحكمة : التي أنشأها عبدالرحمن الداخل بقرطبة ، لتكون مركزا للترجمة بالأندلس ، واسماها بهذا الاسم محاكاة للمأمون . وقد نمت على يد الخلفاء الذين جاءوا بعده ، وأسهمت في حركة الترجمة الى العربية ومنها .

لقد أدت هذه المراكز وغيرها دورا في حركة الترجمة ، ونقل الثقافات الى العربية وغير العربية ، وتنافست في ذلك ، لكي يكثر الاقبال عليها ، ويزداد طلابها ، وقاصدوها .

من الذي يترجم ؟

نشطت الترجمة نشاطا ملحوظا وبخاصة على عهد العباسيين في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) غير انه في بدء العهد بالترجمة قبل العباسيين كانت الترجمة حرفية ، لا تعدو نقل الجملة من لغة الى أخرى كلمة كلمة ، وكانت حصيلة ذلك عددا من الكتب المترجمة ترجمة رديئة ، وغير مفهومة . فلما انتهى الأمر الى شيخ المترجمين حنين بن اسحاق في عهد العباسيين قضي على هذه الطريقة ، وأعطى الترجمة اهتماما زائد تمثل في اتباع طريقة صحيحة ، ومنهج قويم ، يقوم على أساس نقل المعنى نقلا صحيحا دقيقا مضبوطا .

وضمانا لأن تسير الترجمة على عهد العباسيين في القرن الثالث الهجري بنشاط ، وأن يظل المنهج الذي أعده حنين بن اسحاق مرعيا ومتبعا ، وضعت شروط دقيقة للمترجم ، تتلخص فيما يلي :

١ - أن يكون المترجم على مستوى رفيع من حيث اجادة اللغة التي يترجم منها ، والتي يترجم اليها .
٢ - أن يكون المترجم ملما بالموضوع الذي عالجه المؤلف .
٣ - ألّا يكون أسلوب المترجم في الكتابة أحط من أسلوب المؤلف .
٤ - أن يكـون المترجم قادرا على استخدام الألفاظ والتراكيب العربية للأصل المترجم عنه ، مع المحافظة على سلامتها ، وصحة قواعدها ، وجودة أسلوبها في اللغة المترجم اليها .
٥ - أن يكون المترجم أمينا في النقل والترجمة .
٦ - أن يبذل المترجم جهدا ، وأن يتحرى الصواب في ترجمته .
٧ - ألا يتأثر المترجم في ترجمته بمذهب خاص ، يخضع ترجمته له .
٨ - أن يكون المترجم ذا ثقافة عامة في موضوعات مختلفة .
٩ - أن يكون المترجم مخلصا في عمله ، حسن النية في توجهه ، وأعماله .

ونتيجة لغياب هذه الشروط والمعايير اللازمة لمن يتصدى للترجمة ، رأينا بعض الكتب يترجمها اثنان في بلد واحد أو بلدين مختلفين ، مع وجود اختلاف كبير بين الترجمتين فكرة واسلوبا . مما ترتب عليه اعادة بعض الكتب المترجمة مرة أخرى على نحو أكثر دقة مما هو متداول بين أيدي الناس ، وعلى يد هيئات ، أو أشخاص يوثق بهم . [1]

مشاهير المترجمين على عهد الدولة العباسية :

لم يتصل العرب مباشرة بمؤلفات اليونان والفرس والهنود بل على يد جماعة أكثرهم من الأعاجم المتعربين ، ومن النصارى . فلقد كان السريان يعاقبة ونساطرة ، على جانب كبير

---

(١) مصادر الأدب . د. الطاهر مكي . دار المعارف . القاهرة . الطبعة السادسة ١٩٨٦ ص ٥٦ ، وكتاب « اللغة العربية » للكلية المتوسطة ص ٢٤٨ (مرجع سبق ذكره) .

من الثقافة ، وعلى المام تام باللغة اليونانية ، بفضل معاهدهم وأديارهم ، ومن أشهر هؤلاء المترجمين من السريان وغيرهم ما يلي :

١ ـ آل بختيشوع : وهم أسرة سريانية ، اشتهر أعضاؤها بالطب والفلسفة ، ونالوا حظوة كبيرة عند الخلفاء . وقد عني هؤلاء بترجمة الطب .

٢ ـ آل حنين : أسرة سريانية من الحيرة ، أشهر أفرادها حنين بن اسحاق (١٩٤ هـ ـ ٨١٠ م) ولد في الحيرة ، وكان والده يعمل في الصيدلة ، ذهب الى بغداد ، وتتلمذ في الطب على يحيى بن ماسويه ، ثم توجه الى بلاد الروم ، فأتقن اليونانية . وقد ألف العديد من الكتب ، ومن الكتب التي ترجمها : الفصول الابقراطية ، وقصة سلامان ، وابسال ، ومؤلفات أخرى لأفلاطون ، وسقراط وجالينوس ، وأبقراط وغيرهم .

ويرى بعض المؤرخين أن كثيرا من الترجمات التي نسبت اليه هي لابنه اسحاق ، ولابن اخته حبيش .

٣ ـ ثابت بن قرّه : وهو صابئي من حران (٢٨٨ هـ ـ ٩٠٢ م) اطلع على العلوم الفلسفية والرياضية ، وجعله المعتضد بين منجمي بلاطه . اشتغل بترجمة كتب الرياضيين اليونان .

٤ ـ قسطا بن لوقا (٣١٠ هـ ـ ٩٢٢ م) كان رومي الأصل . ولد في بعلبك ، وأتقن اليونانية والسريانية ، والعربية ، وألم بالطب والفلسفة والرياضيات والموسيقى . توفي في أرمينية . ترجم كثيرا من الكتب اليونانية . سافر الى بلاد الروم وجاء بعدد من المصنفات ، نسج على منوالها أو نقلها الى العربية . من آثاره كتاب الفلاحة الرومية ، والفصل بين النفس والروح والمرايا المحرقة ، وغيرها .

٥ ـ سنان بن ثابت : (٣٣١ هـ ـ ٩٤٣ م) كان رأس الأطباء في زمان المقتدر العباسي ترجم (نواميس هيرمس) .

٦ ـ آل ماسرجويه ، وابن المقفع ، وآل نوبخت ، والحسن بن سهل . وهؤلاء جميعا ترجموا عن الفارسية . ومنهكة وابن دهن . وهذان نقلا عن الهندية . وابن وحشية وهذا نقل عن النبطية [1]

---

(١) تاريخ الأدب العربي . حنا فاخوري . بيروت . المطبعة البوليسية . طبعة ثامنة ١٩٨٥م . ص ٧٦٠ .

روافد الترجمة إلى العربية على عهد العباسيين :

كانت حركة النقل والترجمة القناة الكبرى التي جرت جميع العلوم القديمة الى الدولة العباسية عن طريقها . وقد ساعد الخلفاء وأولو الأمر تلك الحركة المباركة ، فآتت أطيب الثمار ، وأسهمت في نقل العديد من الكتب اليونانية وغيرها ، كما أسهمت دار الحكمة التي أنشأها المأمون في بلوغ الترجمة عصرها الذهبي .

ومما يؤخذ على هذه الحركة أنها لم تستغل الأدب اليوناني ، كما استغلت العلم والفلسفة اليونانيتين . فمع كثرة ما نقل عصر الدولة العباسية عن اليونان من علوم - لم تتعرض لشيء من كتبهم التاريخية والأدبية ، مع أنهم اهتموا بهما عند الفرس والهنود ، فنقلوا الكثير من تاريخ الفرس ، وأخبار ملوكهم ، ولكنهم لم ينقلوا تاريخ هيرودوس ، ولا جغرافية استرابون ، ولا الياذة هوميروس ، وأوديسته ، كما أنهم لم ينقلوا روايات اليونان التمثيلية ، ولا سائر فنونهم الأدبية . ولعل ذلك يرجع إلى أن العرب لم يتذوقوا الآداب اليونانية ، لبعدهم عن الذوق العربي ، ولأنها مملوءة بذكر الآلهة التي تنفر منها عقائدهم ، ولأن العباسيين كانوا حريصين على نقل الفلسفة والطب والمنطق والنجوم لحاجتهم اليها أكثر ، أو غير ذلك . (١)

وأما حرصهم على ترجمة علوم الهند وثقافتهم وآدابهم ، فلأن العقل الهندي ميال الى التأمل . والفكر الهندي فكر تأملي شعري أكثر منه علمي . انه فكر تصويري خيالي تمثيلي ، شديد الاتصال بالعاطفة ، كما أن عاطفة الزهد والتصوف عند الهنود قوية ، ولهذا مال العرب إلى الأخذ عن الهند ، مما كان له أثره في ظهور الحكمة والزهد والتصوف عند العرب .

واما حرصهم على الترجمة عن الفرس ، ونقل ثقافتهم فلأن العقل الفارسي قد حوى العلم القديم كله وتأثر باليونان والهنود وإن كان الأثر الهندي في الثقافة الفراسية أكثر من الأثر اليوناني وقد كان للنقل عن هؤلاء جميعا أثره في العرب .

---

(١) من تاريخ الأدب العربي . المجلد الثاني . العصر العباسي الأول (القرن الثاني) د. طه حسين . بيروت . دار العلم للملايين ١٩٨٢م .

العلوم المترجمة في عهد الدولة العباسية :

تنوعت العلوم التي ترجمها العرب من الثقافات الأجنبية تبعا لتنوع الدول التي تم النقل عنها وفيما يلي بيان ذلك :

- نقل العرب الفلسفة ، والطب والهندسة والنجوم والموسيقى عن اليونان .
- ونقلوا النجوم والسير والآداب والتاريخ عن الفرس .
- ونقلوا الطب والعقاقير والحساب والنجوم والأقاصيص والموسيقى عن الهند .
- ونقلوا الفلاحة والزراعة والتنجيم والسحر والطلاسم من الأنباط والكلدان .
- ونقلوا الكيمياء والتشريح من المصريين .
- وقد نقل حنين بن اسحاق كتاب السياسة ، وكتاب النواميس لأفلاطون قاطيغورياس .
- ونقل ابن البطريق كتاب طيماوس لأفلاطون ، ونقل حنين كتاب (المقولات) لأرسطو وغير ذلك .
- وترجم حنين بن اسحاق كتاب الخطابة لأرسطو في النصف الثاني من القرن الثالث .
- وترجم متى بن يونس كتاب الشعر لأرسطو في القرن الرابع الهجري .
- وترجم ابن المقفع كتاب كليلة ودمنة عن الفارسية في القرن الثاني الهجري .
- ونقلوا كتاب ألف ليلة وليلة الى العربية في الثالث الهجري ، ولهذا الكتاب أصل هندي فارسي هو كتاب « هزار أفسانة » أي الف خرافة وقد ترجم عن الفارسية ، ثم زيد عليه أكثر من نصفه ، حتى استقر على وضعه الأخير في القرن العاشر الهجري ، ويبلغ عدد حكاياته ٢٦٤ حكاية وقد أريد بذكر الألف التكثير لا التحديد .

ولم تقف الترجمة والنقل عند هذا الحد ، بل تناولت علوما أخرى ، منها أنهم :

- نقلوا في الطب عن أبقراط عشرات الكتب مثل كتاب « الأمراض الحادة » وكتاب « طبيعة الانسان » .
- ونقلوا عددا وافرا من كتب جالينوس مثل : كتاب « الصناعة » وكتاب « النبض وشفاء الأمراض » و « الحميات » و« التشريح الكبير » وغير ذلك .
- ونقلوا في الرياضيات والنجوم وغيرها من العلوم من اقليدس كتاب « أصول الفلسفة » وكتاب « الظاهرات » و « الموسيقى » .

ـ ونقلوا من أرشميدس نحو عشرة كتب ، منها : كتاب « الكرة والأسطوانة » وكتاب « تربيع الدائرة وتسبيعها » .

أثر الترجمة في الأدب ، والنقد ، واللغة ، ومناهج البحث قديما :

(أ) يتجلى أثر الترجمة قديما في اللغة والأدب والنقد وغيرها في الأمور التالية :

١ ـ الميل إلى الزخرف في التعبير ، والاطناب في الكلام ، نتيجة التأثر بالترف والاختلاط بالفرس . وقد بلغ بهم الأمر أن ينتقدوا الايجاز في الكتابة .

٢ ـ الميل إلى التصوير الخيالي ، وعمق المعاني ، ورقيها نتيجة لسعة الخيال ، والتقدم الفكري .

٣ ـ التأثر بالقصص التي نقلت إلى العربية عن الفارسية والهندية ، مثل « كليلة ودمنة » و « ألف ليلة وليلة » وقصة « السندباد » وقد أصبحت تلك القصص أصلا بنت عليه الأجيال المتعاقبة ما بين أيدينا من قصص عربية .

٤ ـ انتشار « التوقيعات » التي ذاعت واشتهرت في العصر العباسي ، حيث نقل إلى أدبنا العربي كثير من توقيعات ملوك الفرس .

٥ ـ نقل الكثير من حكم اليونان والفرس وأمثالهم ، مما نجده في كتاب « البيان والتبيين » للجاحظ ، وكتاب « عيون الأخيار » لابن قتيبة .

٦ ـ تأثر الأدباء العرب بما ترجم عن الثقافات الأخرى ، وقيامهم بوضع كتب على غرارها ، مثلما وضع ابن المقفع كتابه « قصص البخلاء » على غرار كليلة ودمنة ، ومثلما وضع محمد بن عبدوس الجهشياري كتابا اختار فيه ألف سمر من أسمار العرب والعجم والروم وغيرهم ، على غرار كتاب ألف ليلة وليلة .

٧ ـ دخول ألفاظ جديدة إلى العربية : فارسية ، ويونانية ، وهندية ، ورومية ، لتعبر عن ملامح الحضارة العباسية .

٨ ـ استفادة اللغة عن طريق الترجمة الكثير من المعاني المستحدثة والألفاظ المعرّبة ، كألفاظ الحضارة ، والمأكل ، والملبس ، واللهو ، وأدوات المنزل ، والصناعة .

٩ ـ ظهور العديد من الكلمات المولدّة في اللغة في العصر العباسي ، إلى جانب

الكلمات الفصيحة وقد أسمى الجاحظ هذه اللغة « لغة المولّدين والبلديّين » .

١٠ ـ دخول الموسيقى إلى لغة النثر ، بسبب الاكثار من المحسنات البديعية ، والازدواج ، والترادف القولي ، والحرص على مراعاة التناسق بين طول الجمل ، بما يتلاءم مع الموسيقى .

١١ ـ اعتبار اللغة فنا تفرغ له بعض الأدباء العرب ، كابن المقفع والجاحظ وابن العميد ، ومن حاكاهم من الأدباء ، في عصرهم .

(ب) ويتجلى أثر الترجمة في مناهج البحث قديما فيما يلي :

١ ـ تنظيم الشعراء في طبقات بحسب كفايتهم وقدراتهم الشعرية ، كما فعل ابن سلام الجمحي في العصر العباسي في كتابه « طبقات فحول الشعراء » .

٢ ـ النظر عند التأليف في اللغة الى فروعها كوحدة متكاملة ، وهو ما يدعو اليه علماء التربية اليوم ، كما فعل أبو العباس المبرد الأزدي في كتابه « الأمالي » فحينما كان الواحد منهما يعالج نصا شعريا ، كان يعالجه من زوايا فروع اللغة جميعها (أدبا ، وبلاغة ، ونقدا ، ونحوا ، وصرفا ، وعروضا ، ولغة) .

٣ ـ تقسيم المدارس الأدبية النثرية في العصر العباسي الى اربع مدارس ، تأثرا بالفكر اليوناني ، والفلسفة اليونانية ، وهي :

(أ) مدرسة ابن المقفع ، ومن نهج نهجه ، واتبع طريقته في الكتابة .

(ب) مدرسة الجاحظ ، ومن سلك سبيله ، واتبع نهجه في الكتابة .

(ج) مدرسة ابن العميد ، ومن حاكى طريقته ، وقلد مذهبه في الكتابة .

(د) مدرسة القاضي الفاضل ، ومن قلد طريقته ، والتزم بنهجه في الكتابة .

٤ ـ تأثر قدامة بن جعفر في كتابه « نقد الشعر » بالفلسفة اليونانية والمنطق اليوناني في تقسيماته لأوجه الكلام من حيث اللفظ والمعنى ، والخروج بعدد من البدائل والتفريعات .

٥ ـ تأثر السكاكي أحد علماء البلاغة العربية في كتابه « مفتاح العلوم » بكثرة

التعـريفات ، والتقسيمات ، والتفريعات بالفلسفة والمنطق اليونانيين ، ثم احتذاه من جاء بعده من البلغاء في منهجه .

٦ ـ تأثـر علماء البصرة والكـوفـة في النحـو العـربي بالفلسفـة اليونانية في كثرة التعريفات والتقسيمات والتفريعات ، وفي الخوض في « نظرية العامل » في النحو .

٧ ـ تأثر المعاجم اللغوية في نهجها وطريقتها بالفلسفة اليونانية ، وظهور معاجم للألفاظ وأخرى للمعاني ، مع اختلاف النوع الواحد منها في منهجه . وان نظرة واحدة الى كتاب « العين » للخليل بن أحمد وكتاب « المخصص » لابن سيده ، وكتاب « الجمهرة » لابن دريد ، وكتاب « الأساس » للزمخشري ، وكتاب لسان العرب ، وتاج العروس ، والقاموس المحيط ـ يرينا اختلافا في مناهج البحث والتأليف .

٨ ـ تأثر علماء الكلام في مناهج بحثهم بالفلسفة اليونانية ، وقد تجلى ذلك بوضوح في منهج « المعتزلة » في جدلهم ، واستدلالهم .

الترجمة على عهد العرب في الأندلس :

تمتعت الدولة الأموية في الأندلس منذ عهد عبدالرحمن الداخل بجميع مميزات الدولة القوية المنظمة وكان طابعها أمويا شاميا . وقد بلغت هذه الدولة أوجها من الرقي والحضارة في عهد عبدالرحمن الثالث الذي أعلن نفسه خليفة ، ولقب بأمير المؤمنين . ففي عهده ازدهـر الأدب والفن ، ونهضت العلوم نهضة ، نافست فيها قرطبة (عاصمة الأمويين في الأنـدلس) بغـداد عاصمة العباسيين في الشرق ، ونتيجة لذلك اشتدت العناية بالعلوم والآداب محاكاة للمشارقة . ومما يذكر أن عبدالرحمن الداخل أنشأ مكتبة قرطبة التي أسماها بيت الحكم أو دار الحكمة ، والتي أخذت تتسع في عهد خلفائه من بعده .

ومما يروى أن الامبراطور البيزنطي أراد أن يهدي الى خليفة قرطبة شيئا يدخل البهجة على نفسه ، فأهدى اليه كتابا جديدا مكتوبا باللغة اليونانية ، فطلب منه الخليفة « الناصر » أن يوافيه بمن يقوم بترجمته الى العربية ، فأرسل اليه الامبراطور الراهب « نيكولاس » ليقوم بترجمة الكتاب له .

وكانت مراكز الاشعاع الفكري العربي في بلاد الأندلس متمثلة في قرطبة ، واشبيلية وغرناطة ، وطليطللة ، وقد انشىء بهذه الأخيرة مكتب للترجمة (١١٣٠م) قام بنقل الكتب العربية المختلفة الى اللاتينية ، وقد استحدث المتأخرون من الأندلسيين العرب فن « الموشحات » ويرى بعض مؤرخي الأدب أنه ليس من المستبعد أن يكون العرب ـ قد تأثروا في « الموشحات » التي ابتدعوها بأناشيد « الجنكلر » و« التروبادور » التي اشتهر بها مغنون من العصر الوسط في « غالية » و« اسبانية » وكانوا يطوفون بها من قصر الى قصر ، يتغنون بأناشيد الغرام ، وقصص الفروسية في مقاطع ، غير محكمة الوزن ، وغير ملزمة القوافي . [1] علما بأن بعض الدارسين المحدثين والمعاصرين من اليمنيين ينسبون أصل هذا الفن إلى اليمن .

وسوف نرى ـ بعد قليل ـ ان بلاد الأندلس قد لعبت دورا كبيرا في نقل الحضارة العربية الزاهرة الى بلاد أوربا .

ثانيا : ترجمة الغرب لمعالم الحضارة العربية :

ليس بعجيب أن يترجم الغرب معالم الحضارة العربية التي تغلغلت في مختلف ميادين الحياة علمية وفنية وعمرانية واقتصادية في وقت كان الجهل يسيطر فيه على أوربا ، وكانت تجتاز عصورا مظلمة ، على حد تعبير بعض المؤرخين . وكانت معالم هذه الحضارة في الجزيرة العربية ، وبغداد ، والقاهرة ، ودمشق ، والقيروان ، وقرطبة . ثم أخذت تتجه إلى أوربا حاملة معها مشاعل النور والفكر ، وسلكت عدة طرق أوجزها فيما يلي :

أولا : طريق صقلية ، ثم جنوب ايطاليا ، فبقية أواسط أوربا . وقد ازدهرت النهضة العلمية في الجزيرة ، ووضعت عشرات الكتب العربية في مختلف العلوم . وحسبي في هذا المقام أن أشير الى ما قام به الامبراطور فردريك الثاني (١٢١٥ ـ ١٢٥٠م) من ترجمة أكبر عدد ممكن من المؤلفات العربية الى اللاتينية ، كما كلف الملك شارل الأول عام (١٢٨٥م) مترجما ، يدعى فرح بن سالم بنقل كتب أبي بكر الرازي الطبيب والكيميائي العربي الى اللغة اللاتينية . وقد ازدهرت الثقافة العربية على يد هذين الملكين .

---

(١) تاريخ الأدب العربي . حنا فاخوري (مرجع سابق) .

ثانيا : طريق الشام ، وفلسطين ـ برا وبحرا ـ إلى أوربا على يد الصليبيين ابان الحروب الصليبية ، حيث استوقفت نظرهم كل مظاهر الحضارة العربية ، فاقتبسوها ، ونقلوا منها من المعارف والفنون والصناعة ، وبعض العادات التي بهرتهم .

ثالثا : طريق التجارة بين الشرق والغرب . وكانت هذه التجارة تنتقل بحرا عبر البحر المتوسط ، الى المدن الأوربية . وقد نقل هؤلاء التجار الى بلادهم ما أعجبهم من معالم الحضارة العربية .

رابعا : طريق الأندلس العربية ، وجنوب فرنسا ، ثم بقية أوربا . وكان طريق الأندلس هو الطريق الرئيسي لنقل هذه الحضارة ، لأن العرب قد فتحوا الجامعات والمعاهد العلمية ، والمختبرات والمكتبات العامة ، وزودوها بما لديهم من كتب وعلماء ، فقدم عليها كثيرون من علماء أوربا ينهلون من نبعها في قرطبة ، وغرناطة ، واشبيلية ، وطليطلة . وقد أمر العرب بإنشاء مكتب للترجمة في طليطلة ، ليتولى ترجمة أهم الكتب العربية ، في مختلف العلوم الى اللغة اللاتينية . (١)

ما ترجمه الغرب الى ثقافته من معالم الحضارة العربية :

كانت ترجمة الكنوز العربية العلمية إلى اللغة اللاتينية هي أقرب الطرق التي توصلت بها أوربا الى علوم العرب وتراثهم . وقبل أن أعرض لهذه العلوم ، ولمختلف الجوانب التي تأثرت بها أوربا ونقلتها عن العرب ، يحسن البدء بالقاء نظرة سريعة على حركة الترجمة من التراث العربي الى اللاتينية ، وآثارها البعيدة المدى في القارة الأوربية ، وفيما يلي بيان ذلك :

تمكنت أوربا عن طريق ترجمة التراث العربي الى اللاتينية ، من الاستيلاء على حصيلة العلم العربي ، قبل انتهاء القرن الثالث عشر الميلادي ، فلم يكد ينتصف هذا القرن ، حتى كانت مجموعات من المصنفات المترجمة الى اللاتينية عن العربية ـ قد ظهرت في أوربا ، تضم ألوانا من المعرفة البشرية ، والعلوم ، والفنون ، والطب ، والصيدلة ، والتشريح ، والفلك ، والجغرافيا ، والعلوم ، والرياضيات .

---

(١) أثر العرب في الحضارة الأوربية . محمد الصيحي . القاهرة . مكتبة الوعي العربي ١٩٦٨م .

وكانت الطريقة الشائعة في الترجمة أن تحمل نسخة من الكتاب العربي المراد ترجمته إلى طليطلة ، حيث كان هناك مكتب للترجمة ، وكان أحد المتخصصين يتولى قراءة الكتاب باللغة الاسبانية ، ثم يقوم آخر بترجمته الى اللغة اللاتينية ، وكتابتها .

وقد بلغ اقبال الأوربيين على الترجمة حدا جعل بعضهم يقف حياته كلها عليها ، فتمكن جيرارد أوف (المتوفى سنة ١١٨٧م) وحده من ترجمة أكثر من سبعين كتابا الى اللاتينية ، كما قاربه في وفرة الترجمة أفلاطون أوف . وقد ذكر الدكتور لوكير في كتابه « تاريخ الطب العربي » أسماء أكثر من ثلاثمائة كتاب عربي مترجم الى اللاتينية ، تبحث جميعها في الطب فقط .

والى جانب الكتب العربية الأصلية التي نقلها الأوربيون الى اللاتينية تمكنوا أيضا من نقل كتب الاغريق القديمة التي كان العرب قد ترجموها الى لغتهم ، وبذلك عرف الأوربيون لأول مرة كتب جالينوس ، وأبو قراط ، وأفلاطون ، وأرسطو ، واقليدس ، وأرشميدس ، وبطليموس ، وغيرهم . ويقول جوستاف لوبون المستشرق الفرنسي معقبا على ذلك في كتابه « حضارة العرب » « انه اذا كانت هناك أمة نقر نحن ـ الأوربيين ـ أننا مدينون لها بمعرفتنا لهذا العالم القديم ، فهي الأمة العربية ، وليس رهبان القرون الوسطى ، الذين كانوا يجهلون حتى اسم اليونان . فعلى العالم أن يعترف بجميل صنعهم في انقاذ تلك الكنوز الثمينة اعترافا أبديا » ويقول في ذلك أيضا مسيو ليبري : « لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ ، لتأخرت نهضة أوربا في العلوم والآداب عدة قرون » .

نماذج من الكتب المترجمة من التراث العربي الى الغرب :

لقد نشأ عن حركة اتصال الأوربيين بالعرب ، لنقل تراثهم الحضاري ـ أن احتفظ الأوربيون بعدد من الكلمات العربية ، التي تعذر عليهم ترجمتها الى اللاتينية ، أو أي لغة أوربية أخرى .

من هذه الكلمات (أرز ، ونارنج «برتقال») وسكر ، وليمون ، وقهوة ، وزعفران ، ومسك ، وعطر ، وقطن ، وموسيقى ، وكيمياء ، وكحول ، وغيرها في مجالات مختلفة .

ـ وحين وفد الطلاب الأوربيون على جامعات الاندلس ، لينهلوا من علومها ـ وفي مقدمتها الطب ـ اخذوا يترجمون أمهات الكتب من العربية الى اللاتينية فترجموا للأطباء العرب

البارزين من أمثال الرازي ، وابن سينا ، وأبي القاسم الزهراوي . وكان في مقدمة الكتب التي ترجمت كتاب « الحاوي في علم التداوي » لأبي بكر الرازي ، ويقع في ثلاثين مجلدا ، كما ترجم كتابه المشهور « المنصوري » الذي قسمه عشرة أقسام ، كل واحد منها في قطاع معين من قطاعات الطب . وظلت كتب الرازي تترجم الى الانجليزية عن طريق الجامعات الأوربية ، حتى أوائل القرن السادس عشر .

- وقد ترجمت كتب ابن سينا الى لغات عديدة ، منها الانجليزية ، والفرنسية ، والايطالية ، وصارت تدرس في جامعات هذه الدول . وتجدر الاشارة الى أن المعهد الذي أنشىء في عهد الفونس ملك قشتالة في أسبانيا ، في مدينة طليطلة (١٠٨٥م) على يد كبير أساقفتها « ريموند » قد ترجم عددا ضخما من الكتب العربية الى اللاتينية .

- ولم تكن أسبانيا الطريق الوحيد الذي دخل منه الطب العربي الى بقية أجزاء أوربا بل ان صقلية أسهمت بدور ايجابي في هذا الصدد ، فقد حرص النورمان بعد أن استولوا عليها في القرن الحادي عشر الميلادي على العناية بمدرسة الطب ، التي أنشأها العرب في « ساليرم » كما ترجموا الكتب العربية في الطب والصيدلة إلى اللاتينية ، ومنها تسربت الى بقية أنحاء أوربا .

وقد أسس الامبراطور « فردريك الثاني » جامعة في « نابلي » وكان هذا الملك معروفا بحبه للعلم والثقافة العربية ، مقبلا عليهما . وقد استطاع نشرهما بين جامعات فرنسا ، وايطاليا ، وانجلترا ، كما كان له دور فعال في تحطيم قيود الكنيسة ، وجمودها .

- وفي الكيمياء نقل الأوربيون كتب جابر بن حيان ، وأبي بكر الرازي ، وعرفوا لأول مرة ماء الذهب ، وماء الفضة ، والبوتاس ، وملح النشادر ، وزيت الزاج وغيرها ، بل ان اسم علم الكيمياء نفسه قد نقلوه . وقد ساروا على النهج التجريبي العربي الذي توصل اليه جابر بن حيان نفسه .

وأول كتاب نشروه عن الكيمياء العربية كتاب بعنوان « تركيب الكيمياء » لروبرت أوف تشستر ، وذلك بعد أن ترجمه إلى اللاتينية .

ثم انتشرت كتب الكيمياء العربية بعد ذلك في أوربا ، حتى شاعت بين الجامعات والعلماء . ولاتزال مكتبات باريس ، وبرلين ، وليدن ، والمتحف البريطاني

تضم حتى الآن أكثر من ثلاثمائة كتاب عربي في الكيمياء ، منها خمسون كتابا لجابر بن حيان وحده ، كما انه لاتزال كتب العالم الكيميائي ابن سينا محفوظة في مكتبات الجامعات الأوربية .

ـ وفي الطبيعيات نقلوا وترجموا للعلماء العرب ، وعلى رأسهم أبو الريحان البيروني صاحب نظرية الثقل النوعي ، والذي فند آراء الاغريق حول « الجاذبية » وقد ترجمت هذه الآراء ، كما ترجمت كتبه عن القانون المسعودي في الهيئة والنجوم ، ودوران الأرض حول محورها الى اللاتينية . وكذلك ترجمت كتب الحسن بن الهيثم الذي وصفه « سيرشال » بأنه حجة الفيزياء ، وأنه كان مصدرا للغرب في معارفهم عن « البصريات » .

ـ وفي الجغرافيا والفلك ترجم كتاب أبي عبدالله محمد الادريسي (١٠٩٩/١٩٦٦م) حجة الجغرافيين .

وقد أعجب ملك صقلية النورماندي روجر الثاني (١١٣٠ ـ ١١٥٤م) بالشريف الادريسي اعجابا شديدا ، فدعاه الى قصره ، ليتوافر على الدرس والبحث . وقد لبى الادريسي دعوته ، وقدم له معلومات دقيقة عن المنطقة والبلاد القريبة من صقلية ، كما أهدى اليه كتابا سماه « كتاب روجر » تضمن معلومات ، ظلت تدرس في جامعات ومعاهد أوربا ، حتى وقت قريب .

أما ابن بطوطة الرحالة ، فقد ترجمت كتاباته الى الانجليزية ، والفرنسية ، والايطالية ، وكانت جامعة كمبردج تطلق عليه ابو الرحالين العرب .

ويقول في ذلك جوستاف لويون : « لقد نشر العرب معلومات عن مناطق من العالم كان الأوربيون يشكون أصلا في وجودها ، فضلا عن عدم وصولهم اليها ، مما ترتب عليه تقدم مهم لعلم الجغرافيا ، بعد أن فاق العرب أساتذتهم اليونان » .

ـ وفي مجال الفلسفة تأثر الأوربيون بالفلاسفة العرب ، فقد تأثر « جوهان الهارت » الألماني أول الفلاسفة المتصوفين في الغرب بآراء محيى الدين بن عربي ، كما تأثر « دانتي » الايطالي في كوميدية الالهية برسالة الغفران لأبي العلاء المعري . وبهذه المناسبة تجدر الاشارة الى أن الفردوسي الشاعر الفارسي صاحب « الشاهنامه » يعترف صراحة بأنه لم يجد أمامه ما يقلده من نماذج الأشعار حينما كتب « شاهنامته » الا الاشعار العربية التي

أخذ يحاكيها في أسلوبها وشكلها ، كما أن شعراء الفرس قد أنشأوا قصائدهم على غرار القصائد العربية ، وصبوا احساساتهم وعواطفهم في قوالب العروض العربي ، وأوزانه . (١)

ـ وقد تأثر الغرب بالعرب في مجالات أخرى ، كالعمارة ، والزخرفة ، والموسيقى ، فقد أقبل الأوربيون على تعلم الموسيقى العربية بمدرسة عربية أنشأها « زرياب » لتدريس أصول الموسيقى ، لمن يرغب في دراستها .

ومن المعروف أن النغمة المسماه « الربع المقام » عربية خالصة وأصيلة . وقد نقلها « هانس بارت » الى موسيقى الغرب ، وكذلك فعل « روبنشتين » و« فيلكان دافيد » وغيرهما بالموسيقى العربية .

ـ وقد أخذ الأوربيون عن العرب تقاليدهم وعاداتهم في الزراعة والصناعة ، وعرفوا ألوانا من النبات لم تكن معروفة لديهم . وأنواعا من الصناعات لم يكن لهم علم بها ، كصناعة الورق وغيرها . (١)

الترجمة في العصر الحديث :

إذا كانت الترجمة من الثقافات الأجنبية ـ قد بلغت أوجها في العصر العباسي ، وان خفتت قليلا في العصور التالية ، وتحولت في العصور الوسطى الى ترجمة من الثقافة العربية الى اللاتينية ، اذا كان هذا حالها ، فإنها عاودت نشاطها مرة أخرى في العصر الحديث مع مطلع القرن التاسع عشر ، بعد أن جاءت حملة نابليون الى مصر وعرف العرب حضارة الغرب متمثلة في أمور حضارية عديدة كشفت عنها تلك الحملة .

وقد بدأت حركة الترجمة في العصر الحديث أو ما يسمونه بعصر النهضة الحديثة في صورة جهود فردية ، ثم أخذت خطواتها الجادة ترتبط بحركة التعليم في مصر التي بدأت بحكم محمد علي لها (١٨٠٥م) حيث أراد ذلك الحاكم أن ينهض بمصر عن طريقين :

١ ـ النهوض بالجيش .
٢ ـ النهوض بالتعليم .

---

(١) « حدائق السحر في دقائق الشعر » ترجمة د. ابراهيم الشواربي .

وبدأ يعنى بهذين الأمرين ، وينشىء المدارس ، ويستقدم اليها مدرسين من أوربا ، ليعلموا طلبتها العلوم الحديثة . وكان لابد أن يقوم بين هؤلاء المدرسين وطلابهم وسطاء من المترجمين ، يترجمون عنهم الى العربية ما يلقونه باللغات الأجنبية . وقد عهد بالترجمة وقتذاك الى بعض السوريين ، والمغاربة ، والأرمن الذين كانوا يعرفون هذه اللغات .

وكانت هذه الحركة النواة الأولى للترجمة في العصر الحديث بعالمنا العربي ، ولتطويع اللغة العربية لألفاظ العلوم ومصطلحاتها . وكان رجال الأزهر يشرفون على تصحيح هذه الترجمات ، ضمانا لسلامتها .

ولكي يتغلب محمد علي حاكم مصر على صعوبة الترجمة من ناحية ، وينقل علوم الغرب الى الثقافة العربية من ناحية أخرى ، أرسل البعثات العلمية الى فرنسا وايطاليا ، والنمسا ، وانجلترا . وكان على رأس المبعوثين الى فرنسا أحد علماء الأزهر النابهين ، وهو « رفاعة الطهطاوي » .

ولما عاد هؤلاء المبعوثون من الخارج الى مصر مضت حركة الترجمة الاتساع والدقة على ايدي هؤلاء العائدين ، حيث أنشأ محمد علي أول قلم للترجمة في القلعة المسماة باسمه ، وأسند رياسته الى « رفاعة الطهطاوي » الذي يعد من الرواد الأوائل لحركة الترجمة في العالم العربي . وكان محمد علي يتعهد هؤلاء المبعوثين العائدين الى مصر بالانفاق والاعاشة ، ولا يخصص لأحد منهم أية وظيفة ، بل يأخذهم الى قلم الترجمة بمجرد عودتهم ، ويلزم كل واحد منهم بترجمة كتاب في مجال تخصصه ، ثم يعين له عملا في خدمة الدولة بعد ذلك . وقد ترتب على ذلك ترجمة العديد من الكتب في الطب والهندسة والفنون والصنائع وغيرها .

وقد كان لرفاعة الطهطاوي رئيس قلم الترجمة جهود مشكورة فيها ، من هذه الجهود :

١ ـ أنه ترجم كتبا متعددة علمية ، وأدبية ، وتاريخية ، وجغرافية ، وسياسية .

٢ ـ أنه حاول أن يضع للمعاني المستحدثة ما يقابلها في اللغة العربية ، كما يصنع المعاجم اللغوية حاليا .

٣ ـ أنه كان صاحب فكرة انشاء « مدرسة الألسن » في عهد محمد علي ، التي قام

بادارتها ، والاشراف عليها ، والتي كان لها انتاج خصب في الترجمة تجاوز ألفي كتاب .

وتجدر الاشارة في هذا المقام الى ان صلة العرب بالحياة الغربية الأوربية قبل النهضة الحديثة كانت محدودة ، ولا تجد طريقها الا من خلال نوافذ ضيقة ، تتمثل فيما يقرأونه ، أو يسمعونه عن الغرب ، أو يشاهدونه خلال أسفارهم القليلة . ولكن حملة نابليون ـ كما أشرت ـ هي التي فتحت عيونهم على حضارة الغرب . ومن ثم فكر محمد علي في ادخال التعليم المدني في بلاده ، وايفاد البعوث الى أوربا من الطلاب النابهين ، ليتخصصوا في فروع العلم المختلفة . وقد صحب سلسلة البعوث من مصر الى أوربا رحلات من بعض الأقطار العربية الأخرى ، كما هاجر عدد غير قليل من اللبنانيين إلى أمريكا ، وأقاموا بها ، وظلوا على صلة قوية بوطنهم الأول .

ومما يسجل من آثار حركة البعوث ، والرحلات ، والهجرة الى أقطار الغرب أن الذين شاركوا فيها ـ كانوا عمد الترجمة من اللغات الأجنبية الى اللغة العربية ، وماتزال البعوث والرحلات الى العالم الغربي مستمرة في تزايد الى يومنا هذا ، مما زاد في حركة الترجمة نشاطا ، اضافة الى عوامل أخرى كثيرة .

ازدهار حركة الترجمة في العصر الحديث :

بدأت حركة الترجمة الى العربية من الثقافات الأجنبية الأخرى تزدهر وتتعدد روافدها ، منذ أواسط القرن التاسع عشر ، فقد هاجر الى مصر عدد كبير من السوريين من ادباء وصحفيين وممثلين ، وكانوا على صلة قوية باللغات الأجنبية ، كما ظهر جيل جديد من طلاب الجامعة الذين تخصصوا في اللغات الأجنبية ، علاوة على طلاب البعثات الذين تزايد عددهم وتنوع تخصصهم ، ورجعوا الى بلادهم . كل ذلك قد نهض بالترجمة نهضة ملموسة ، فانطلقت في الميدان الأدبي ، بعد أن كانت معنية بالميدان العلمي ، وازداد عدد الكتب الأدبية ، والانسانية المترجمة ، ومنها « ملاهي موليير » و « مآسي راسين » التي ترجمها محمد عثمان جلال ، والمسرحيات المتعددة التي ترجمها سليم نقاش ، وأديب اسحاق ، كما زاد عدد القصص المترجمة زيادة كبيرة ، ونقلت آثار عديدة ، تمثل المذاهب الأدبية الغربية كالكلاسيكية ، والرومانسية ، والواقعية الغربية ، والرمزية ، والواقعية الاشتراكية ، وغيرها .

وتـطورت لغة الترجمة العلمية والأدبية تطورا واضحا فبعد أن كانت في أول أمرها عامية ، أو قريبـة من العـامية ، أخـذت لغتها ترقى ، وفكرتها تدق ، وأصبح لها جمالها الفني ، وقدرتها على الأداء الممتع . وفي هذه الفترة تحللت الترجمة ، أو كادت من الارتباط بالجهد الحكومى ، وانطلقت في جهود حرة واسعة ومتنوعة على الصعيد العربي ، تحدوها بواعث متعددة ، من المنافسة ، والرغبة في الكسب المادي ، والتفوق الأدبي ، ومن الأسماء التي لمعت على مستوى العالم العربي في الترجمة : سليم البستاني ، ولطفي السيد ، وعادل زعيتر ، وأديب اسحاق ، ومحمد حسين هيكل ، وطه حسين ، والعقاد ، والمازني ، ودريني خشبة ، وغيرهم .

مراكز الترجمة في العالم العربي حديثا :

اتسـع نطاق الترجمة ، وزاد اهتمام الهيئات والمؤسسات والأفراد في الأقطار العربية بها ، وتنوعت مصادرها وروافدها ، التي أصبحت تمثل مراكز للترجمة ، وقد يضيق الحصر والتقدير عن ذكر هذه المراكز ، ولكن حسبي ذكر بعضها فيما يلي :

١ ـ قلم الترجمة الذي أنشأه محمد علي حاكم مصر بالقلعة ، والذي كان يرأسه رفاعة الطهطاوي .

٢ ـ مدرسة الألسن التي أنشأها محمد علي بمصر والتي عين رفاعة الطهطاوي أول مدير لها . وهذه المدرسة كانت مركزا للترجمة ، بالاضافة الى تعليمها المواد القانونية ، وغيرها .

٣ ـ ديوان الترجمة الذي أنشأه الخديو اسماعيل حاكم مصر ، والذي عهد برياسته إلى أديب اسحاق ، قبل قيام الثورة العرابية .

٤ ـ وزارات الثقافة والاعلام بصفة خاصة ، وبعض الوزارات الأخرى التي انشأت بها ادارات للترجمة كوزارات الخارجية ، والتربية والتعليم ، وغيرها .

٥ ـ الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية . والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ومكتب التربية العربي لدول الخليج . وهذه تهتم بالجوانب التربوية التعليمية .

٦ ـ الجـامعـات العـربية ، فبعضهـا يتبعـه مراكـز للترجمـة ، ولاسيما أنها تستخـدم « الكمبيوتر » في كثير من شؤونها .

٧ ـ المجلس الاعلى للعلوم والفنون والآداب بمصر ، ونظيره في الكويت .

٨ ـ بعض المؤسسات الصحفية ، ودور النشر ، مثل : مؤسسة الأهرام المصرية ، ومعهد الدراسات الاستراتيجية التابع لها ، ومركز الأهرام للترجمة والنشر الذي ترجم الموسوعة المصورة للشباب وغيرها .

٩ ـ بعض المؤسسات الأجنبية للنشر أو الثقافة مثل مؤسسة فرانكلين ، ومؤسسة اليونسكو التي ترجمت العديد من المراجع العلمية ، والثقافية في مختلف الجوانب .

١٠ ـ مركز اللغة العربية الأردني . الذي ترجم ضمن مشروع تعريب التعليم الجامعي الكيمياء الحيوية للخلية وعلم وظائفها ، بوساطة الياس بيضون .

١١ ـ المؤسسة العلمية بالكويت ، التي تصدر شهريا مجلة بعنوان « العلوم والتكنولوجيا » .

١٢ ـ عالم المعرفة بالكويت . الذي يصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . يهتم بإصدار بعض الكتب المترجمة .

١٣ ـ بعض مؤسسات النشر بلبنان ـ كانت تصدر في الستينيات مجموعات من السلاسل المترجمة .

١٤ ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر التي أنشأها أحمد أمين بمصر ، وكانت تصدر بعض الكتب المترجمة .

١٥ ـ مؤسسة « كامل كيلاني » بمصر التي ترجمت المئات من كتب الأطفال .

١٦ ـ مجلة الرواية الشهرية التي أنشأها أحمد حسن الزيات ، صاحب مجلة الرسالة المصرية ـ كانت تصدر شهريا ، وتقتصر موضوعاتها ومادتها علي روايات مترجمة عن الغرب ـ .

١٧ ـ الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية . ترجمت كتبا عديدة ، منها : « الآلات في حياتنا » و « كيف نتعلم » ؟

وغير ذلك كثير على مستوى العالم العربي مما يصعب حصره وذكره .

١٨ ـ في سوريا والعراق جهود شتى في مجالات الترجمة إلى العربية خاصة .

نماذج من المواد المترجمة الى العربية في العصر الحديث :

شملت الترجمة من الثقافات الأجنبية الى العربية الآداب والفنون والعلوم المختلفة

ـ قديما وحديثا ـ لدول عديدة ، تعددت لغاتها ، وثقافاتها . وتكفي مجرد الاشارة الى بعض هذه الكتب في المجالات الآتية :

في مجال الأدب المسرحي :

ـ ترجمت مسرحيات شكسبير من الانجليزية الى العربية ، على يد خليل مطران . ومن هذه المسرحيات : (هاملت ، ماكبث ، روميو وجوليت ، تاجر البندقية وغيرها) .

ـ عشر روايات خالدة . ترجمها السيد جاد ، وسعيد عبدالمحسن ضمن سلسلة « دراسة في الآداب الأجنبية » لدار المعارف بمصر . ومنها رواية : الحرب والسلام . ليوتولستوي وغيرها .

ـ المسرحيات الاغريقية . ترجمها دريني خشبة .

ـ البؤساء . لفكتور هيجو . ترجمها منير البعلبكي . دار العلم للملايين . ومن قبل ترجمها الشاعر حافظ ابراهيم .

ـ روايات ماجدولين ، والشاعر ، والفضيلة . ترجمها مصطفى لطفي المنفلوطي .

ـ رحلة طاغور في عالم القرن الخامس عشر . ترجمها حسن حسني . دار المعارف بمصر .

ـ المقامر . لدوستويفسكي . ترجمة د. سامي الدروبي .

ـ الأعمال الكاملة لدوستويفسكي ترجمها د. سامي الدروبي .

ـ رحلات السندباد . تأليف تيم سفرن . ترجمها د. سامي عزيز . دار التراث القومي بسلطنة عمان .

في مجال القصة :

وفي مجال القصة اذكر المترجمات الآتية :

ـ الفرسان الثلاثة . ترجمة نجيب حداد .

ـ ترجم أحمد حسن الزيات « آلام فرتر » لجوته الالماني من الفرنسية .

ـ ترجم طه حسين « الملك أوديب » وغيره من الفرنسية .

ـ ترجم نقولا رزق الله . سقوط نابليون الثالث من الفرنسية .

ـ ترجمت قصة مدينتين . لشارلز ديكنز . وغير ذلك كثير .

وفي مجال النقد والأدب :

- ترجم د. محمد مندور نحو ثماني كتب ، منها :
  - دفاع عن الأدب . لديها ميل .
  - تاريخ اعلان حقوق الانسان .
  - مدام بوفاري .
  - المدينة الاغريقية .
  - ليالي موسيه .
  - منهج البحث في اللغة والأدب .
- ترجم د. احسان عباس ، و د. محمد يوسف نجم « النقد الأدبي ومدارسه » لنانلي هايمن .
- ترجم د. عبدالحليم النجار . تاريخ الأدب العربي . لبروكلمان .
- ترجم د. محمد غنيمي هلال . ما الأدب ؟ لسارتر .
- ترجم جميل نصيف التكريتي . شعرية دوستويفسكي .
- ترجم د. يحيى الجبوري . أصول الشعر العربي . لمرجليوث .
- ترجم هنري غريب . السريالية . لايفون دوبليسيس .
- ترجم الشاعر أحمد رامي . رباعيات عمر الخيام .
- ترجم د. محمد عوض محمد . فاوست لجوته .
- ترجم عاطف جودة نصر . الرمز الشعري عند الصوفية . دار الكتاب العربي .
- ترجم أمين سلامة . أوديسة هوميروس . دار الفكر العربي مصر ١٩٧٧م .
- ترجم محمد عبدالهادي . أدب الأندلس وتاريخها . ليفي بروفنسال .

وفي مجال مناهج البحث :

- ترجم د. محمد مندور . مناهج البحث في اللغة والأدب . للامانس ، ومايبه .
- ترجم د. محمد نبيل نوفل وآخرون . مناهج البحث في التربية وعلم النفس تأليف ديوبولد ب فان دالين .

وفي مجال التربية وعلم النفس :

- ترجم د. محمد نبيل نوفل وآخرون « مناهج البحث في التربية وعلم النفس » (سبق ذكره قريبا) .
- ترجم د. أحمد أبو العباس و د. سعد دياب « المعلم والمنهج » تأليف هارولد سبيرز .
- ترجم د. أحمد خيري كاظم « الأهداف التعليمية » تأليف نورمان جرونلند .
- ترجم د. عبدالعزيز القوصي وآخرون « علم النفس التربوي » .

وفي مجال الثقافة والعلوم :

- ترجمت وزارة الثقافة المصرية عددا من الكتب الثقافية في مختلف المواد ، بعنوان مشروع الألف كتاب .
- ترجم خليل صابات « تاريخ الكتاب » تأليف أريك دي جروليه . مكتبة نهضة مصر . القاهرة .
- ترجمت مؤسسة فرانكلين كتبا في الحشرات ، والكيمياء ، والفيزياء ، وأساسيات الفيزياء .
- ترجمت مؤسسة اليونسكو كتبا في البيولوجيا ترجمة د . الدمرداش سرحان ، و د . محمد صابر سليم .
- ترجم عبدالكريم محفوظ . أربع مقالات في الحرية . تأليف أشعيا برلين . منشورات وزارة الثقافة بدمشق .
- ترجم د. محمد يوسف موسى وآخر « العقيدة والشريعة في الاسلام » لجولدزيهر .

وفي مجال الفن :

- ترجم د. حسين نصار « مصادر الموسيقى العربية » لهنري فارمر (١٩٥٧م) .
- ترجم سامي علي الجمال « طفلك وفنه » .

ترجمة الآثار الأدبية والعلمية الى الغرب في العصر الحديث :

تبادل الثقافات ظاهرة انسانية محمودة ، لأن أي ثقافة تحمل في طيها قيمتها ومكانتها ، وإذا كان الأخذ والعطاء محمودا في الشئون المادية ، فهو في الشئون العقلية

والفكرية ـ أكثر حمدا ، وأعظم شأنا . وإذا كنا قد أخذنا من الثقافات الأجنبية قديما وحديثا ، فقد أعطينا لها قديما وحديثا كما أخذنا ، وقد عرفنا فيما سبق ما قدمناه لأوربا في عصورها الوسيطة واليوم نشير الى بعض ما نقدمه حديثا .

١ ـ ترجمت في العصر الحديث بعض الآثار الأدبية لأدبائنا ، فترجمت مؤلفات طه حسين ، والعقاد ، وتوفيق الحكيم ، ونجيب محفوظ ، وخليل تقي الدين ، ود. سهيل ادريس ، وغيرهم .

٢ ـ وترجمت كذلك دائرة المعارف لفريد وجدي ، ومؤلفات مالك بن يني ، وغيرهما .

٣ ـ وترجمت معاني القرآن الكريم على يد ابي الاعلى المودودي وغيره الى لغات عديدة .

٤ ـ تقوم بعض المجلات الدينية الاسلامية بترجمة مقالاتها الى الانجليزية ، كمجلة الأزهر وغيرها .

٥ ـ تعنى المؤتمرات والندوات العربية بترجمة ما يدور داخلها آنيا ترجمة فورية ، ليكون المشاركون فيها على علم بما يدور داخلها ، وما تتناوله من موضوعات .

٦ ـ تقوم مراكز الترجمة التي سبقت الاشارة اليها في عالمنا العربي المعاصر بترجمة ما تخرجه المطابع حديثا من تراث فكري ، وأدبي الى لغات عديدة .

كل هذا وغيره يدل على أن ترجمة نتاج الثقافة العربية ، الى لغات العالم المعاصر نشطة ودائمة .

دور المستشرقين في ازدهار حركة الترجمة إلى العربية حديثا :

المستشرقون جماعة من الغرب تخصصوا في علوم الشرق ، وآدابه ، وحضارته ونقلوها الى لغاتهم ، وأفادوها بمناهجهم في البحث والدراسة .

وقد استهوتهم ثقافة العرب وحضارتهم فأقبلوا على العربية يتعلمونها ، وعلى الثقافة العربية والاسلامية ينهلون من منابعها ، ولم يكتفوا بذلك ، بل نقلوا بعضها ، وحققوا بعضها ، وقدموا الشروح ، والبحوث ، والتعليقات المفيدة لها ولقرائها . هذا علاوة على قيام أبناء العربية بنقل بعضها الى لغتهم ، مما ساعد على ازدهار الترجمة في العصر الحديث الى اللغة العربية . ومن هؤلاء المستشرقين الذين قاموا باثراء تراثنا العربي ببحوثهم ، وانهاض الترجمة إلى لغتنا العربية :

(أ) من المستشرقين الانجليز الذين كان لهم دور في حركة الترجمة العربية :

١ - المستشرق وليم ميور (١٨١١ - ١٩٠٥م)

من آثاره : سيرة النبي ، والتاريخ الاسلامي ، ودولة المماليك في مصر . وقد ترجم كتابه الأخير الى العربية . محمود عابدين ، وسليم حسين .

٢ - وبلفريد بلنت (١٨٤٠ - ١٩٤٠م)

من آثاره : مستقبل الاسلام ، والتاريخ السري لاحتلال مصر . وقد ترجم الأخير إلى العربية . عبدالقادر حمزة .

٣ - مرجليوث (١٨٥٨ - ١٩٤٠م)

من آثاره : مختارات شعرية لأرسطو مترجمة بالعربية ، وله ترجمة للجزء الرابع من كتاب « التمدن الاسلامي » لجورجي زيدان .

٤ - السير هاملتون جيب (ولد ١٨٩٥م)

وقد ترجم رحلة ابن بطوطة ، وما هو الاسلام ؟ و « العرب » و « الآثار الاسلامية » .

(ب) ومن المستشرقين الفرنسيين :

١ - البارون كاراي فو (١٨٦٧ - ١٩٥٠م)

من آثاره : الرياضيات ، وعلم الفلسفة ، ومحاضرات في العبرية ، ومفكرو الاسلام في خمسة أجزاء . وقد ترجم « مختصر العجائب » للمسعودي ، وفصولا من كتاب « التذكرة » للطوسي ، وفصولا من « الحكمة » لابن سينا ، وقصيدة ابن سينا « هبطت اليك من المحل الأرفع » وغيرها .

٢ - بلاشير (ولد عام ١٩٠٠م)

من كتبه قواعد العربية الفصحى ، ومجمل شاعرية العرب ، وتاريخ الأدب العربي ، ومختارات من العربية الفصحى . وقد نشر مع سوفاجيه المستشرق الفرنسي : قواعد نثر وترجمة النصوص العربية ، وقام بترجمة جيدة للقرآن الكريم .

٣ - دي ساسي :

ترجم كتبا كثيرة ، منها كتاب « كليلة ودمنة » و « مقامات الحريري » و « ألفية ابن مالك » هذا بالاضافة الى آثاره الكثيرة في اللغة العربية .

(ج) ومن المستشرقين الايطاليين :

فرانشيسكو جابر بيلي (ولد عام ١٩٠٤م)

من آثاره : التفسير الشرقي الجديد لرسالة الغفران ، والشيعة في عهد المأمون ، والشعر العربي وتأثره بنظرية أرسطو ، وشرح ابن سينا ، وابن رشد ، والعصبية لدى ابن خلدون ، وأثر ألف ليلة وليلة في الثقافة الأوربية . وقد ترجم هذا المستشرق « ظلمات وأشعة » لميّ زيادة ، وقصة علاء الدين والفانوس السحري ، ورحلات ابن بطوطة . وغيره من الايطاليين كثيرون .

(د) ومن المستشرقين الألمان :

١ - فلهاوزن (١٨٤٤ - ١٩١٨م)

من آثاره : تاريخ اليهود ، والسيادة العربية ترجمه إلى العربية د. حسن ابراهيم حسن ، ومحمد زكي ابراهيم . وتاريخ الدولة الأموية وحروبها مع الروم ، والخوارج والشيعة . وقد نقله الى العربية د. عبدالرحمن بدوي . والدولة العربية وسقوطها من ظهور الاسلام حتى نهاية الدولة الأموية .

٢ - كارل بروكلمان (١٨٦٨ - ١٩٥٦م)

من آثاره : العلاقة بين كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير ، وكتاب أخبار الرسل والملوك للطبري ، وديوان لبيد مترجما ، وتاريخ الأدب العربي الذي ترجمه الى العربية د. عبدالحليم النجار ، ومقالات أخرى كثيرة .

وغير هذين من مستشرقي الألمان كثيرون . [1]

---

(١) أثر العرب في الحضارة الأوربية . محمد الصيحي (مرجع سابق) .

آثار أخرى استفادها العرب من المستشرقين :

لا تقتصر الآثار النافعة التي أداها المستشرقون للعرب في مجال ثقافتهم ولغتهم على ما سبق ، بل هناك آثار استفادتها الثقافة العربية بعامة من هؤلاء المستشرقين ، من بينها :

١ ـ تطوير الدراسات الأدبية واللغوية .

٢ ـ اخراج دائرة المعارف الاسلامية .

٣ ـ تأليف المعاجم العربية ـ الأجنبية . ومنها المعجم الذي ألفه المستشرق ادوار لين (١٨٠١ ـ ١٨٨٦م) وهو معجم يقع في مجلدات ضخمة ، وقد ترجم إلى الانجليزية كما ان له فضلا على الدراسة العربية ، لأنه كما قال عنه أحد الأدباء العرب : « أصبح قاعدة لبناء معظم المعاجم العربية الأحدث عهدا باللغات الأوربية » .

٤ ـ احياء التراث العربي .

٥ ـ المنهجية العلمية في التأليف والتحقيق .

٦ ـ الريادة في الكشف الأثرى ، والكتابات التاريخية .

٧ ـ الريادة في الاهتمام بتاريخ العلوم عند العرب . [١]

أثر الترجمة في الأدب، والنقد، واللغة، ومناهج البحث في العصر الحديث :

(أ) يتجلى أثر الترجمة في الأدب ، والنقد ، واللغة فيما يلي :

١ ـ تحرر الأسلوب من الصنعة اللفظية ، والزخارف البديعية .

٢ ـ الميل إلى سهولة التعبير ودقته ، والاهتمام بالمعنى .

٣ ـ نشأة بوادر المصطلحات العلمية ، وبذل الجهود لوضع القواميس التي تساعد على الترجمة . ومن ذلك ظهور قاموس « الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية » لمحمد عمر التونسي .

٤ ـ نقل روائع الأدب الغربي الى الشرق العربي . وقد سبق بيان ذلك في النماذج المترجمة الى العربية في العصر الحديث .

---

(١) في الأدب الحديث . عمر الدسوقي . القاهرة . مطبعة الرسالة .

٥ ـ تنوع أغراض الأدب وفنونه بين قصة ، ومسرحية ، ومقال ، وخاطرة ، ومحاضرة ، وحديث اذاعي .

٦ ـ تنوع مذاهب الأدب الجديدة ، وظهورها في الأدب العربي ، مثل الكلاسيكية ، والرومانسية ، والواقعية الغربية ، والرمزية ، والواقعية الاشتراكية ، وغيرها .

٧ ـ ظهور نزعات أدبية في الأدب ، مثل الفن للفن ، والأدب للحياة ، أو الأدب الملتزم ، والأدب الهامس .

٨ ـ تعدد مذاهب النقد الأدبي العربي كالنقد التأثري ، والنقد الاعتقادي ، والنقد التحليلي ، والنقد التطبيقي ، وغير ذلك .

٩ ـ ايثار منهج التفكير التحليلي ، والموضوعي في الكتابات العربية .

١٠ ـ سلامة الأسلوب ، وتخلصه من المقدمات الطويلة .

(ب) ويتجلى أثر الترجمة في مناهج البحث في العصر الحديث في ترجمة عدد من الكتب التي ترسم للمتخصص وغيره مدخل البحث في العلم الذي يريده ومن ذلك ظهور :

١ ـ منهج البحث في اللغة والأدب للامانس ومايبه . ترجمة د. محمد مندور .

٢ ـ مناهج البحث في التربية وعلم النفس . تأليف ديوبولد دفان دالين . ترجمة د. محمد نبيل نوفل وآخرين .

٣ ـ مناهج العرب في النقل والتعريب . في حصاد الفكر العربي الحديث في اللغة العربية . بيروت .

٤ ـ تأليف المعاجم العربية الأجنبية . المستشرق ادوار لين ، وقد ترجم الى الانجليزية ، ثم الى العربية .

٥ ـ قواعد ونشر وترجمة النصوص الأدبية . المستشرق بلاشير ، وقد ترجم الى العربية .

٦ ـ عرف العرب المعاصرون عن طريق الترجمة مناهج البحث التالية :

(أ) المنهج التاريخي .

(ب) المنهج الوصفي .

(ج) المنهج التجريبي .

٧ ـ وعـرف العرب المعاصرون عن طريق المستشرقين المنهج العلمي في تأليف الكتب وتبويبها ، وتفصيلها ، وفهرسة موضوعاتها ، وأعلامها ، والأماكن الواردة بها ، وتوثيق المعلومة ، ورصد المراجع ، وكتابتها بطريقة علمية .

٨ ـ تأثر العلماء والباحثون العرب بمناهج البحث المختلفة التي عرفوها من الغرب فألفـوا كتبـا على غرارهـا باللغـة العـربية وعبروا عنها تارة بكلمة « منهج » أو « مناهج » أو مدخل « من ذلك » :

ـ مناهج التفسير والمفسرين . للشيخ مصطفى الطير .
ـ مناهج التفسير . لعبد الوهاب حمودة .
ـ منـاهـج البحث في الـتربية وعلم النفس د. أحمـد خيري كاظم ، ود . جابر عبدالحميد .
ـ المدخل الى النقد الأدبي د. محمد غنيمي هلال .
ـ المدخل الى دراسة النحو العربي د. محمد مصطفى هدارة .
ـ البحث التربوي د. محمد منير مرسي .

وغير ذلك كثيرا جدا .

ختـــــام :

مما سبق يتضح لنا أن العرب منذ القدم أمة ذات حضارة ، لها في العلم سبق ، وفي الحضارة مجد . ولا عجب ، فهي أمة شعار عقيدتها .

« اقرأ باسم ربك الذي خلق . . . . »
« اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم »
« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات »

لهذا أقبلت على العلم تنهل من بحاره ، وتغرف من حياضه ، مهما كلفها ذلك مشقة السفر ، وعناء الارتحال . أوليس من علمائها من كان يرحل آلاف الأميال ، ويجتاز الفيافي والقفار ، ليجمع حديثا نبويا شريفا أو يوثقه ؟! أوليس من رجالها من ذرع الدنيا ذهابا وجيئة في رحلاته ، وخاض البحار في جولاته ؟! أوليس من أبنائها من كتبوا على العظام ، والأحجار ، وسعف النخل ، وأوراق البردى ، يوم لم تكن هناك كتابة ؟!

لكل هذا لا ندهش ولا نعجب ، اذا رأينا أبناء العربية قديما وحديثا ـ يقبلون على ثقافات الأمم الأخرى المتحضرة ينقلونها ، ويعربونها ، ويترجمونها ، ويتمثلونها ، ثم يخرجونها للعالم غذاء شهيا . يدفعهم الى ذلك ايمان قوي بأن لغتهم التي وسعت كتاب الله لفظا وآيا ـ لن تعجز أو تضعف في لحظة ما عن الاتساع لهذه الثقافات واجادة التعبير عنها ، وعن ألفاظ الحضارة بها ، وبذلك تلقم من ادعى عجزها وقصورها حجرا ، وتورثه عارا وخزيا . ها هي ذي المكتبات وخزائن الكتب العالمية تعج بالمؤلفات والمترجمات العربية ، وها هم أولا علماء الغرب ، والمستشرقون المنصفون منهم ـ يشهدون للثقافة والحضارة العربية بالأصالة والعراقة ، والسبق والتقدم .

لقد أدت لغتنا دورها الايجابي في تاريخ الحضارة الانسانية قديما وحديثا ، ومازالت ، فلنقر عينا ، ولنهنأ نفسا ، ولنردد في اعتزاز وفخار ما قاله شاعر النيل حافظ ابراهيم :

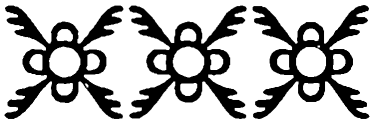
وسعت كتاب الله لفظا وغاية ... وما ضقت عن أي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق أسماء لمخترعات ؟
أنا البحر في أحشائه الدر كامن ... فهل سألوا الغواص عن صدفاتي ؟

نعم يا ابنة مضر . سألنا الغواص عن صدفاتك ، فوجدناك بحرا يموج بالدر ، وسع كتاب الله لفظا وآيا ، ووسع ثقافات العالم شرقا وغربا ، قديما وحديثا ، فكنت بحرا بحق كما قال فيه شاعر النيل :

المراجـــع :

١ ـ أثر العرب في الحضارة الأوربية . عباس العقاد . القاهرة . وزارة الثقافة . سلسلة المكتبة الثقافية .
٢ ـ أثر العرب في الحضارة الأوربية . محمد الصيحي . القاهرة . مكتبة الوعي العربي ١٩٦٨م .
٣ ـ اللغة العربية للكليات المتوسطة . سلطنة عمان . وزارة التربية والتعليم والشباب ـ دائرة اعداد المعلمين ـ طبعة أولى ١٩٨٥م .
٤ ـ المعجم الوسيط . مجمع اللغة العربية . القاهرة .

٥ ـ تاريخ الأدب العربي . حنا الفاخوري . بيروت ـ لبنان . المطبعة البولسية . طبعة ثامنة ١٩٨٥م .
٦ ـ في التـاريخ العباسي والأندلسي . د. أحمد مختار العبادي . القاهرة . دار النهضة المصرية للطباعة والنشر . طبعة أولى ١٩٨٤م .
٧ ـ في الأدب الحديث جـ ١ . عمر الدسوقي . القاهرة . مطبعة الرسالة .
٨ ـ مصادر الأدب د. الطاهر مكي . القاهرة . دار المعارف . طبعة سادسة ١٩٨٦م .
٩ ـ من تاريخ الأدب العـربي . المجلد الثاني . العصر العباسي الأول (القرن الثاني) د . طه حسين . بيروت ـ دار العلم للملايين ١٩٨٢م .



التطـــور الاجتمـــاعي والأدبـــي في النقـد العـربي في الاطـار العالمي

بقلم الدكتور : عبدالحكيم عبدالسلام [1]

القسم الأول : التغير الفكري والسياسي في الاطار العالمي :

أثر حـركـة الاستنارة في ظهـور المذاهـب في بأوروبا :

أدت حركـة الاستنـارة التي قادهـا في دول أوروبـا « لسنج » ، « ماندلسون » ، « ريماروس » ، « لوك » ، « نيوتـن » ، « كونـديلاك » ، « ديدرون » و« فلتـير » ، وغـيرهم [2] إلى تغير مفهوم « وظيفة الدولة La Function de l'Etat » كاثر لظهور المذهب الفـردي L'Individualism » ونقيضه « المذهب الاشتراكي Le Socialisme » وأيلولتهما إلى قدر من الوسطية والاعتدال في « المذهب الاجتماعي Le Doctorine Sociale » « الذي أبقى على الأسرة والدين والملكية الفردية وحرية التعاقد كما يخول الحكومات . . . حق التدخل ومباشرة أوجه نشاط متعددة » ، وهو المذهب الذي حقق قدرا من العدالة الاجتماعية وعزز الروح القومية والمشاركة الوجدانية وأنقذ النظام الديمقراطي من الانهيار . [3]

---

(١) نوقشت الدراسة في جلسة السمر الأدبية التي أقامها المنتدى ليلة ١١/٦/١٩٩٠م .

(٢) The Ensyclopaedia Brittanica, London, 14th edi, Vol.8. ، وينظر الملحق ١ .

(٣) بالرجوع إلى كتاب « دراسات في النظم الاجتماعية والسياسية » تأليف د. أحمد عبدالقادر الجمال ط ١ ١٩٥٦ ص ١٥٤ - ١٦٠ .

القسم الثاني : التغيرات الاجتماعية في مصر :

١ ـ موافقة ايجابيات المذاهب الغربية للتراث :

وعلى الرغم مما اقترن بهذه المذاهب في أوروبا من صراع حولها جعل ضحاياها أمم الشرق وهي التي تطلعت لتحقيق جوانب من هذه المذاهب رغم وقوع هذه الأمم تحت وطأة الاستعمار نفسه ، فإن بعض أصول هذه المذاهب قد وجدت صداها لموافقتها تراث الأمة التي وجد أبناؤها أنهم أولى بها من أدعيائها والمحدثين عليها ، وهي لهذا ان كانت تقترن بالطمع الاستعماري في كثير من الأحيان إلا أن بعثها لتراث الأمة قد دفع بأبناء هذه الأمة إلى مقاومة المستعمر بأسلحته نفسها ومنها الفكر الفلسفي والأدبي والتكنولوجي .

٢ ـ تجميع الثروات الوطنية في مواجهة الاحتكارات الأجنبية :

وقد مكن تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ رغم عيوبه « للرأسمالية المصرية أن تتنفس سياسيا وأن تقوم ببعض الأعمال التي أدت إلى سيطرتها على السلطتين التشريعية والتنفيذية والمشاركة في الحكم وتجميع ثرواتنا في مواجهة الاحتكارات الأجنبية ، فتطورت الرأسمالية المصرية بين الحربين ، وان كانت قد اختلفت قربا أو بعدا عن تيار الثورة الوطنية بعد ذلك » .

٣ ـ المظهر الديمقراطي للقوة الاقتصادية المصرية :

وتعتبر الانتخابات النيابية الأولى سنة ١٩٢٣ علامة على تطور ملموس في اتجاه وطني مستنير كأثر لهذه العوامل العالمية والاقتصادية ، وكذلك لعوامل الثورة والنبوغ الفردي الذي رسم الفترة التي عاشتها مصر إبتداء من مطلع القرن العشرين إلى نهاية الربع الأول منه تقريبا . (١)

---

(١) محاضرة د. محمد السروجي بكتاب « محاضرات التوعية السياسية » ط مديرية أمن الاسكندرية سنة ١٩٦٧ ص ٣٨ .

٤ . نمو الطبقة المتوسطة وأثرها في الاقتصاد والدفاع :

وقد كانت التكنولوجيا الغربية وأعمال البنوك والاقتصاد تسلس قيادها للمصريين ، [١] وزاد عدد المتعلمين ونشأت في المدن والقرى طبقة من أبناء الفلاحين والحضريين ترشح نفسها لولاية الأعمال العامة والمشروعات القومية التي كانت حكرا على الأيدي الأجنبية . [٢] ومن التحق من أبناء هذه الطبقة بالكليات العسكرية ، ولاسيما بعد معاهدة ١٩٣٦ .

وتعتبر معاهدة ١٩٣٦ ، والغاؤها ١٩٥١ وقيام ثورة ١٩٥٢ مطردا سياسيا واجتماعيا يواكب الوعي الاقتصادي الذي يعتبر طلعت حرب رمزا له ، كما يواكب نمو حركة الضباط الأحرار في صفوف أبناء الطبقة المتوسطة ممن احتيج اليهم في الجيش ولتزحزح القوات الانجليزية إلى قاعدة السويس بفعل الثورة الوطنية ولمقتضيات تسكين الشعوب في الحرب العالمية الثانية .

القسم الثالث : تطور الأدب والنقد في النصف الأول من القرن العشرين :

١ . خلاصة لتطور النقد والتفكير الأدبي في الربع الأول من القرن العشرين :

فمن الأوضاع التي ساءت بانتكاسة العرابيين وتوغل الجيوش والامتيازات ومظاهر الانحلال الأوروبية تكابرت إرهاصات النهضة على أيدي تلاميذ الأفغاني والأزهريين ورواد النهضة اللغوية والاقتصادية في مصر وسوريا .

وقد برز من الشعراء شوقي ومطران كمجددين محافظين ، ومن الكتاب المنفلوطي والمويلحي واليازجي ، وهؤلاء وأولئك قد نجحوا في صد دعاوي التجديد المسرفة وردوها إلى الجادة عند أمين الريحاني وجبران ، ليستقيم النقد الحقيقي على أيدي علمائه الأوائل من أمثال رومي الخالدي وقسطاكي الحمصي ومحمد سعيد .

---

(١) تطور النقد والتفكير الأدبي في مصر في الربع الأول من القرن العشرين ط ١ ١٩٦٦ ولاسيما القسم الأول .

(٢) الجهود البلاغية لأحمد حسن الزيات لعبد الحكيم العبد ـ ماجستير بآداب الاسكندرية سنة ١٩٧٦ ـ ص ٦٦

وابتداء من نشأة الجامعة ١٩٠٨ دخل النقد في طور منتج جديد أسهمت فيه إلى جانب الجامعة بطبيعتها الوطنية الأهلية ومناهجها العلمية النزعة العلمية الفلسفية المعاصرة والمنتديات الأدبية فبرز أعلام استقر على أيديهم النقد في صور مذاهب ذات خصائص موضوعية واضحة ، فالرافعي يمثل المنهج البياني والعقاد يمثل المنهج العلمي الفلسفي وطه حسين يمثل المنهج الفني بسماته الخاصة عنده ،[١] وهكذا .

٢ ـ تطور النقد في ظل الجامعة :

تطور النقد في ظل الجامعة كما عبر الاستاذ الدكتور حلمي علي مرزوق فأصبح ينظر إليه باعتباره علما يقوم على غيره من العلوم الانسانية التي رصدت نفسها للنظر في مواهب الانسان ونفسه وخلقه . ولقد نشأت عن ذلك دراسات نقدية منها ما هو نفساني -psychol ogy وتاريخي واجتماعي وفلسفي ، وعن كل ذلك صدرت الدراسات الأكاديمية التي اضطلعت بها الجامعة منذ إنشائها .

وهذه الدراسات الأكاديمية ، هي التي تنظر إلى النقد باعتبار أن له قواعد given rules يوثق بها إلى حد كبير ، وقد سارت في اتجاهات منها :

(أ) الاتجاه التاريخي :

وهو الاتجاه الذي جاء اثرا لكتابات « تين » في منتصف القرن التاسع عشر حول الحتمية التاريخية التي تظهر في الأدب سمات البيئة والنفس (أو الجنس) والظروف الاجتماعية [٢] وتمثل لهذا الاتجاه في النقد العربي الحديث بدراسة المرحوم الدكتور طه حسين « تجديد ذكرى أبي العلاء » ودراسته الأخرى في الأدب الجاهلي .

(ب) الاتجاه النفسي :

ويمثله الاستاذ محمد خلف الله أحمد في كتابه من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده . . وكذا الأستاذ العقاد في دراساته عن أبي نواس الحسن بن هانىء وبشار بن برد

---

(١) تطور النقد والفكر الأدبي . . ص ١٤ ـ ١٦ .
(٢) الجهود البلاغية . . ص ٢٢ ـ ٦٨ .

وابن الرومي وغيرهم . ويمثل هذا الاتجاه أيضا الأستاذ أمين الخولي في بحثه في الفلسفة وعلم النفس ، وفي بعض جوانب من نظريته في فن القول . ومن ذلك أيضا دراسات لرمزي مفتاح ، ومحمد النويهي وعبد الرحمن شكري والمازني ومصطفى سويف وغيرهم .

(جـ) الاتجاه الفلسفي :

وهو اتجاه يحفل بتحليل الموهبة ، وبيان أسباب التأثير وعوامله ، وعلاقة الفن بالنظم والأخلاق والقيم ، ويمثل هذا الاتجاه سليمان مظهر والدكتور زكي نجيب محمود وغيرهم بدرجات متفاوتة .

أما أهم عطاءات هذا النقد السياقي الاكاديمي كله فعدد من المقالات التي اعتبرت مقدمات لتأسيس علم تاريخ النقد عندنا . أما الوجه الآخر للنقد في الربع الثاني من القرن العشرين فهو الوجه (الانطباعي) .

(د) الوجه غير الأكاديمي :

الذي اتجه به نقادنا إلى جمهور الادباء والمثقفين في مصر وغيرها يبصرونهم ببعض هذه القضايا على نحو غير إكاديمي فأخرجوا لنا حصادا نقديا نجده في كثير من الأعمال من قبيل مع أبي علاء ، طه حسين ، حيث مثلت رحلته مع أبي العلاء هذه المرة رؤية vision خاصة له ، وفي مثل هذه الدراسة يصبح النقد أدبا أو قريبا من الأدب في ذاته ، ويدخل في هذا اللون الكتابات الانطباعية لأحمد حسن الزيات أيضا .

ويسمى هذا الاتجاه الاتجاه الجمالي أيضا ، وفيه ألف طه حسين أيضا « مع المتنبي » والدكتور زكي مبارك كتابه « عبقرية الشريف الرضي » ومن هذه الدراسات ما تفرق في مقالات ثم جمع في كتب تؤدي نفس الغرض ومنها :

- حديث الأربعاء بأجزائه الثلاثة لطه حسين .
- ساعات بين الكتب للعقاد .
- في أوقات الفراغ لهيكل .
- حصاد الهشيم

- خيوط العنكبوت للمازني
- قبض الريح .
- صندوق الدنيا .
- وحي القلم للرافعي .
- فيض الخاطر لأحمد أمين .

(هـ) الاتجاه الاجتماعي :

يدل عليه عنوان كتاب العقاد « شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي » ، ومن هذا الاتجاه كتاب البهاء زهير لأحمد الشايب ، كما يمثله فيما ينقل عن الآداب الغربية كل من سلامة موسى في كتابه « التجديد في الأدب الانجليزي الحديث» والدكتور لويس عوض في « الاشتراكية والأدب » . وهو اتجاه إن كان قد اتخذ الطابع الفلسفي العلمي عند العقاد والشايب والصاوي الجويني وغيرهم ؛ فقد بدا جدليا ماديا عند ابراهيم أدهم ، ومتعلمنا عند سلامة موسى ، أو محمولا على أيديولوجية وحدة الوجود عند لويس عوض ويوسف إدريس ، أو على عقدية إسلامية عند أحمد حسين قطب ، وخالد محمد خالد .

(و) الاتجاه الجمالي :

وثمة وجه رابع للنقد أعقب الحركة الرومانتيكية في الأدب ، وهو اتجاه من قبيلها في النقد قام بطرح السؤال عن ماهية الأدب ، وأسفرت الاجتهادات المتباينة حوله عن آراء تنظر للأدب باعتباره تعبيرا عن « الفطرة الداخلية للفنان » أو باعتباره مجرد رؤية جمالية أو خلق
Creation أو باعتباره في إطار نظرية « الفن للفن » رؤية جمالية (إجتماعية إنسانية) ، مما ظهر أثره في الهجوم على شوقي وحافظ وممثلي المذهب البياني على النحو الذي نشهده في مقدمات الدواوين فضلا عن كتاب « الديوان » في جزئيه المعروفين .

(ز) إتجاه إعادة النظر :

وحيث لم يكن نقادنا المتأثرون بالرومنتيكيين هؤلاء يمثلون الرومنتيكية بمعناها الدقيق ، أو أنهم لم يكونوا Tipical Romantics ، فقد تحور السؤال في ماهية الأدب إلى

السؤال في وظيفة الأدب ، باعتبار أن ماهية الأدب غير قابلة للمعرفة Un Knowable وقد دعمت من هذا الاتجاه آراء سارتر في الالتزام ، كما أصبح ينظر في الأدب باعتباره صناعة من جزئيات وفق مخطط Tactic خاص ، وباعتبار أن له وظيفة اجتماعية ، فداخلت النظر النقد من جديد النزعة الأخلاقية Aethitism والنزعة العلمية Scienticism والتكاملية ؛ مما أدى إلى تعزيز الثقة من جديد بالاتجاه البعثي الـ New Classic ، وأمكن تقييم شوقي ومدرسته تقييما جديدا ينتصف له بابراز كثير من مزاياه التي خفيت على نقاده الأول أو صدمتهم عنها حماسهم الرومنسي الأول ، ولاشك أن ذلك يعني إعادة النظر في كل ما خيض فيه من قضايا الأدب والنقد والبلاغة ويجدر الثقة في النقد البياني ولاسيما عند أعلام النهضة مثل حسين المرصفي وقسطاكي الحمصي ، ومحمد سعيد ، وغيرهم ، كما يتمشى مع أحدث ما وصل إليه النقد في الغرب وعرفه العرب من منهج النقد الذوقي اللغوي . Sentax أو نظرية النظم بحسب تعبير النقاد والبلاغيين العرب .

ومن الطريف أن يشمل اتجاه إعادة النظر المؤصل هذا تيارا لصقل ورعاية الآداب الشعبية والفلكلورية ، وقد تمت فيه دراسات ذات وزن كدراسة الزيات لألف ليلة وليلة ، وأسس له كرسي بجامعة القاهرة .

ومن أعلام هذا التيار كما هو معروف الدكتور عبد الحميد يونس ، والدكتورة سهير القلماوي والأستاذ أحمد رشدي صالح .





جانب من فعاليات ومناشط المنتدى الأدبي

معوقات الحركة المسرحية في الخليج

وامكانات النهوض

بقلم : عبد العزيز السريع[1]

عندما وجهت لي الدعوة الكريمة للمشاركة في هذه الندوة . . تأملت في المطلوب وقدرت سريعا انه في المتناول . . اعتمادا على الخبرة السابقة والتجارب الكثيرة التي مررت بها . . وكان هذا تبسيطا سبب لي الكثير من الارتباك . . وقد تبين لي ذلك عندما جلست لكتابة ورقة في الموضوع تكون معينا لي عند المثول أمامكم والتشرف بالتحدث اليكم . . فقد أسقط في يدي وانتابني اليأس . . فالموضوع طويل ومتشعب . . ولا يجوز الاعتماد فيه على الذاكرة الخوانة . . بل لابد من العودة للمصادر والمراجع .

ولا أطيل عليكم وأسرق من وقتكم ، فقد ترددت كثيرا ، قبل أن أجزم وأعزم ثم أتوكل على الله . . تقديرا للطلب الغالي . . واحساسا مني بالمسئولية تجاهكم .

أيها الاعـزة :

لعلني لا آتي بجديد إذا قلت بأن المسرح هو . . الحياة . . بحلوها ومرها ببساطتها وعمقها . . بلذتها وقسوتها . . بأفراحها واتراحها . . وقد اتيح لي ولأكثركم أن ندرك بدايات المسرح في منطقتنا ونعيش آخر ما قدم فيه . . لأنه ليس موغلا في القدم ، بدايته لا تتعدى أواخر الاربعينات والخمسينات من هذا القرن . والعروض المسرحية المنتظمة لم تبدأ حقيقة قبل الستينات في الكويت والبحرين أولا ثم انتقلت لسائر أقطار الخليج . . وإذا تركنا البدايات الأولى المتشابهة في كل أقطارنا والتي تتشابه بدورها مع مثيلاتها في سائر أقطار

أمتنا العربية . . فإن الفرق المهم والواضح . . هو في المقارنة بين البداية على قربها وما انتهينا اليه الآن ذلك هو موضع التفرد والخصوصية . . ففي أوائل الستينات كانت أفضل المسرحيات في الكويت لا تستمر أكثر من عشرة أيام والكوميديات الشعبية قد تستمر لعشرين يوما . . أما الآن فان بعض الأعمال الكوميدية تقدم ما يصل الى ١٢٠ حفلة في الكويت وما يقترب من ذلك في قطر .

نعم . . لقد تسارع التقدم . . وتطور المسرح كثيرا في هذا الاتجاه الرقمي فبينما كان المسرح في الكويت في أواخر الخمسينات وأوائل الستينات يقدم عملا مسرحيا واحدا في العام أو اثنين على أكثر تقدير . . فقد قدم هذا المسرح في عام ١٩٨٨ تسعا وعشرين عملا مسرحيا . . استمر بعضها مائة يوم . . وأنا هنا لا أتحدث عن النوعية ولا الموضوعات ولا مستوى ما قدم فنيا . . هي فقط أرقام لها دلالاتها .

ولنعقد مقارنة أخرى واعذروني ان أخذت نماذجي من الكويت . . لأنني أعتقد بأن ما يصدق عليها يصدق على غيرها في دول الخليج . . ولأنها للأسف هي النموذج الذي يحتذى وفيه الكثير من السلبيات التي يجب أن نفصح عنها .

في عام ١٩٦٣ قدمنا مسرحية ناجحة في مسرح الخليج العربي . . وكانت أعلى المكافآت أخذتها احدى الممثلات (٤٠ أربعين دينارا) . . وفي عام ١٩٧٢ أي بعد عشر سنوات كان أعلى أجر وصل اليه ممثل لم يزد عن (١٠٠٠ ألف دينار كويتي) ولكنه الآن يصل إلى (٣٠٠٠٠) ثلاثين ألفا كما نقل لي رغم أنها حالات نادرة . . لكنها حصلت فعلا . . اما ان يتقاضى ممثل عشرة آلاف دينار كأجر أو ثمانية فإن ذلك صار من الأمور المألوفة . . ومقارنة اضافية أخرى . . كانت أسعار التذاكر نصف دينار وربع دينار . . وبقيت حتى اوائل السبعينات حين زيدت الى دينار ثم دينار ونصف ثم قفزت في عام ١٩٧٤ الى ثلاثة دنانير . . واما في الوضع الراهن فإن بعض المسرحيات الكويتية قد حددت أسعارها بخمسة عشر دينارا وعشرة دنانير وخمسة . . والمسرحيات الوافدة بلغت أسعارها (٤٠ دينارا للتذكرة الواحدة) وهنا تدخلت الدولة ممثلة بوزارة الاعلام وحددت اللجنة العليا للمسرح أسعار التذاكر على مسارحها بما لا يزيد عن سبعة دنانير لمسرحيات الكبار وثلاثة لمسرحيات الأطفال .

وبعد أيها الأعزة . . ماذا تعني هذه المقدمة . . قد يتصور بعضكم أن الوضع طيب . . وان الامور تسير على مايرام . . فالأرقام دلالة . . وهي دلالة منهجية وعلمية . . لأنها محددة وواضحة وملموسة . . ولكن . . اسمحوا لي . . فسوف أخالف هذا البعض في رأيه لأن الأرقام قد تخدعنا وتضللنا إذا اعتمدنا عليها وحدها دون تحص للمحتوى والقيمة والنتيجة . . فما هو المحتوى ؟ وما هي القيمة ؟ وأخيرا ما هي النتيجة ؟

ولنبدأ الآن بالمحتوى . . وخطه البياني للأسف في تراجع وانحدار . . وعدا استثناءات نادرة ومعروفة ومميزة . . فإن مادة العرض المسرحي بشكل عام قد تراجعت فقد كثر الارتجال وأصبح السمة الغالبة للعروض في الوضع الراهن . . ولم يعد هناك اهتمام بالفن أو بالتدريب . . وحتى لا أتداخل مع زميلي الذي سوف يخصص جل حديثه عن العروض من جانبها الفني والموضوعي . . فإنني انتقل للحديث حول القيمة . . فهل لهذه العروض قيمة . . اعتقد أن قيمتها الفنية متواضعة ، بل تصل في بعض الأعمال إلى حد بالغ التدني . . فلا قيمة للغالبية العظمى من هذه الأعمال . . وما هي النتيجة . . النتيجة ، هو هذا الوضع المتردي للمسرح كقيمة اجتماعية وفنية وثقافية . . والنتيجة هو انصراف الجمهور المتذوق عن المسرح . . ومجيء جمهور جديد من الفئات الأحدث عمرا . . أي فئات الشباب الذي تصور أن المسرح هو مايراه أمامه من نماذج ممسوخة قليلة الفائدة . . فاتجه اليها وترك المسرحيات ذات القيمة الفنية العالية بلا رواد . . وقديما قيل . . العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة من السوق . . وهو ما حصل فعلا . . اذن أين العلة ؟ . . وهل هناك أمل . . أقول نعم . . لقد شخصنا العلة . . أما الأمل فإنه من المستحيل أن نعيش أو نفكر أو نحلم بدون أمل . . بل هناك آمال كبيرة معقودة على الحركة المسرحية في منطقتنا . . اذن لابد من تجاوز المعوقات والتعرف على امكانيات النهوض . . ولأن زوال المعوقات يمثل امكانيات فإن التداخل بينهما وارد . . فلنتعرف معا على معوقات هذه الحركة . . ولنكن صرحاء جدا حتى القسوة .

أولا : معوقات اجتماعية :

ويتمثل ذلك في نظرة المجتمع للفنان . . فلازالت النظرة للأسف متخلفة . . بل انها في تراجع مستمر عما كانت عليه . . فهم يحبون الممثلين والممثلات . . ويعاملونهم برقة وبكثير من الود . . لكنهم لا يحبذون لأولادهم أو أصدقائهم أو أقاربهم من أي درجة أن

يتجهوا للتمثيل أو للعمل في الفن . . وخاصة العنصر النسائي . . فإن فرقة واحدة مثل فرقة المسرح الكويتي كانت تضم في عضويتها في منتصف الستينات حوالي (٣٠ ثلاثين ممثلة) بينما تبحث الآن عن أي عنصر نسائي يرضى بالعمل في مسرحياتها فلا تجد . . أو هن ندرة نادرة . . وهكذا بقية الفرق .

وفي معهد الدراسات المسرحية عند افتتاحه في الستينات وحتى أوائل السبعينات كانت الفتيات الى جوار الفتيان على مقاعد الدراسة . . ولكننا الآن نفتقد هذه الحالة للأسف . . ففي الدفعة الحالية لا يوجد الا فتاة واحدة في قسم التمثيل .

وبمعزل عن أية عاطفة خاصة ، فإنه بالرغم من بروز بعض العاهات داخل وسط الفنانين لتعرضهم للاغراء أكثر من سواهم ، الا انهم كشريحة اجتماعية يمثلون جزءا من هذا المجتمع فإنهم يمثلون شرائحه الاخرى في سلبياتهم وايجابياتهم . . ولولا الشهرة والاضواء المسلطة عليهم التي تظهرهم تحت عدسة مكبرة ، بل عدسة عين السمكة التي تشوه صورة الانسان السوي ، فإن وضعهم كان سيعادل تماما شرائح المجتمع الأخرى .

وفي الجانب الاجتماعي أيضا . . يصاحب الفنان الجاد الحذر في كثير من مواجهاته مع المجتمع . فالكاتب أو المخرج أو رجل المسرح في وظيفته الاجتماعية يواجه صعوبة في التعامل ولا يجد الحرية الكافية في الطرق على الحديد . . بل نجده مقيدا بقيود تحد من انطلاقته . . وبالتالي فهو مقصر عن أداء هذه الوظيفة لرفض المجتمع للصراحة والوضوح في طرح مختلف القضايا الاجتماعية ، بل ان عددا من القضايا تعتبر وكأنها قدس الاقداس لا يجوز الاقتراب منها . . وقد واجهني موقف يكشف عن مثل ذلك . . فقد حضر أحد كبار الموظفين عرض مسرحية الثمن لارثر ميلر وكنت قد توليت اعدادها للهجة الكويتية بتصرف محدود وأخرجها زميلي الاستاذ فؤاد الشطي . . وكانت ردة الفعل لديه بعد نهاية العرض غريبة . . فقد قال لي مستهجنا هل يوجد لدينا آباء بهذا الشكل ؟! هذا غير صحيح لا يوجد لدينا في الكويت مثل هذه النماذج !! وقس على ذلك في كثير من القضايا . . ولا اريد الدخول في تفاصيل أكثر .

ثانيا : معوقات مادية :

ان المسرح كظاهـرة ثقـافية يحتـاج الى الدعم . . ولا يمكن الركون الى مقولة ان المسرحيات النـاجحة تغطي تكاليفها وتربح . . تلك مقولة خطرة ولا تنسجم مع حقيقة الوضع . . فالمسرح الذي يربح هو ذلك المسرح الخفيف بل هو الاخف من الخفيف الذي لا يقدم متعة فنية ولا يحتوي خطابا مفيدا . . بل يضحك الانسان وقتيا (وهو أمر مطلوب ولا بأس به) ويرعب أيضا (مسرحيات الرعب) . . أما المسرحيات الجادة التي تقدم الفن والفكر وتسمو بالانسان وتمنعه وتحلق به في آفاق انسانية رائعة فإنها لا تربح وتلك حقيقة أدركتهـا كل الشعوب . . فسعت الى احتضان المسرح والمحافظة على وجوده . فالشعب الايرلندي هو الذي اكتتب وكافح من أجل بناء المسرح القومي الايرلندي في دبلن . . وحين اكتمل البناء ، وبدأت العروض اصروا على أن لا يقدم مسرحهم الوطني الا الأعمال الكبيرة المميزة . . أما الدول الاشتراكية فإنها تنفق على المسرح الكثير الكثير جدا .

وفي أمـريكا أم الرأسمالية والاقتصاد الحر تتولى الحكومة الفيدرالية تقديم معونات سخية للمسرح الأمريكي بخلاف المعونات التي تحصل عليها من الولايات وحكوماتها .

أمـا فرنسـا . . وانجلترا فحدث ولا حرج . . ففي فرنسا مثلا . . تقدم الحكومة الفرنسية ٤٧,٥ سبعة واربعين مليون دينار ونصف المليون سنويا معونات للمسرح ربعها للمسارح القومية وهي خمسة مسارح ، وتوزع الباقي على بقية المسارح في باريس وسواها من المدن الفـرنسية . . وتلك ليست المعـونـات الـوحيدة بل انهم يخصصـون مبالغ أخرى للموهوبين والمبدعين الجدد . . ويتلقى المسرح معونات أخرى من جهات متعددة . . مثل الكنـائس المحلية ودور البلدية وأصحـاب رؤوس الأمـوال والشركـات الكبرى . . فهم يتمتعون بمسرحهم ويحافظون عليه وعلى رجاله ويتمتعون أيضا بالانفاق عليه ليستمر جزءا مهما من حياتهم .

وأما ما يقدم للمسرح والمسرحيين في بلادنا فإنه أقل من خط الفقر ان جاز التعبير . . فلا منشآت . . ولا تطور في المعونات . . وكل ذلك لأن الجهات المسئولة لازالت غير مؤمنة بدور المسرح في النهوض بالمجتمع . . تلك حقيقة يجب مواجهتها بصراحة وما لم يتخذ قرار عاجل ومن أعلى السلطات فإن هذا الواقع لن يتغير أبدا . . ففي عام ١٩٧٤ اقر مجلس

الـوزراء الموقر في الكويت بناء أربعة دور عرض مسرحية متوسطة ودار أوبرا (دار وطنية للتمثيل) ولازالت قضية دور العرض في محلها . . لم تدخل حيز التنفيذ بعد . . وقد تحتاج الى سنوات طويلة أخرى رغم اقرارها في كل مرة والتصريح بقرب انشائها أكثر من عشرين مرة . . والعيب هنا لا يتصل بالجهة المسئولة مباشرة عن المسرح . . بل في الجهات الحكومية الاخـرى . . فإن وزارة الاعلام الكويتية مثلا . . قد بذلت جهودا كبيرة في هذا الاتجاه آخـرهـا كان في العـام المـاضي عندما صدر قرار جديد من مجلس الوزارء بإنشاء مسارح المحافظات . . لكن الأمر لا يتوقف على جهود هذه الجهة الحكومية المتفهمة بل ان جهودها هذه تصطدم بجهات أخرى لا تضع المسرح في مكانه اللائق به في سلم الأولويات بل تضع ترتيبه بعد الكثير من المشاريع الأخرى .

وبدون منشآت لن يكون هناك تقدم كبير نحرزه .

وأما المعونات النقدية . . فقد توقفت عن النمو منذ سنوات طويلة . . ففي حين زاد سعر البصل وتضاعف لمرات عديدة فإن المعونات التي تقدم للمسرح قد توقفت عن النمو منـذ عام ١٩٦٦ في الكويت . . وهي كذلك في البحرين كما أعلم وفي الامارات وربما قطر . . ورغم جهود الادارة الحكومية المختصة ، وسعيها المستمر منذ سنوات لاقرار زيادة للمسارح الأهلية الا أن ذلك لم يتم حتى الآن ويصطدم دائما بعقبات من جهات أخرى .

بل اننا في الكويت قد أسسنا أربع فرق مسرحية أهلية هي التي حملت عبء البداية والتـأسيس وتكـوين الـطاقـات والكـوادر البشرية المهمة بموجب القانون رقم ٢٤ لسنة ١٩٦٢م . . وأول فرقة اشهرت بموجب هذا القانون هي فرقة مسرح الخليج العربي عام ١٩٦٣م ، وتلتها بعد عام الفرق المسرحية الثلاث الأخرى . . وتتالت بعد ذلك التراخيص لعـدد كبـير من الجمعيات من كل نوع . . وكلهـا حصلت على أراض وأنشأت مقراتها الا الفرق المسرحية . . لازالت كما البدو الرحل ، كل يوم تطرد من مكان لتذهب الى مكان آخر .

هل هذا متعمد ؟! لا اعتقد . . لكنه عدم اهتمام . . ولا مبالاة . . نابعة من عدم وجود قناعة بأهمية دور المسرح في المجتمع .

ثالثا : معوقات اعلامية :

ويتمثل ذلك في النظرة السائدة للمسرح لدى المسئولين عن أجهزة الاعلام . . فهم في الاغلب الاعم ينظرون للمسرح كمادة ترفيهية ، وان الممثلين والممثلات أدوات لهذه المادة . . وان المهم هو كسب هؤلاء عن طريق استخدامهم في هذه الأجهزة لأداء أدوار مختلفة بغض النظر عن انعكاس ذلك على قطاع المسرح المورد الرئيسي لهؤلاء ان جاز التعبير . . كنا في السابق نتعامل مع الاذاعة والتلفزيون في أوقات الفراغ . . وبما لا يتعارض مع أوقات المسرح وتدريباته ، وكان المخرجون التليفزيونيون والاذاعيون يراعون ذلك فيخصصون أوقاتا لا تتعارض مع أوقات المسرح وهم الذين يحرصون على ذلك . . حتى ان اذاعة الكويت بقيت على هذا التدبير حتى الآن . . فحجوزات استديوهات الدراما تبدأ بعد الظهر وتنتهي قبل الثامنة مساء مواعيد تدريبات وعروض المسارح .

لكن التلفزيون تمرد على هذا الوضع بعد زيادة الأجور . . وصار الممثلون ينصرفون للعمل التلفزيوني لعائده المادي الأكبر ويضربون عرض الحائط بالمسرح وأوقاته ، وصار المطلوب عكس ما كان . . فالمسرح هو المطالب بالتنسيق وترتيب أوقاته وفق الفراغات المتاحة من الأعمال التلفزيونية ، وقد سبب ذلك عنتا شديدا وضيقا . . لأن الممثل يأتي من التلفزيون منهكا وليس لديه أدنى رغبة في العمل . . فيضطر المسرح لتملقه وتخفيف الأعباء عليه والسماح له بما لا يمكن السماح به سابقا . . فطغى الارتجال والاستهانة على عروض المسرح . . وانعكس ذلك بعد حين على التلفزيون لأنه دمر بيده مصدر الجودة والاتقان . . والطامة الأكبر . . هو تركيز التلفزيون على النماذج الرديئة من الاعمال المسرحية . . تلك المليئة بالسذاجة والسخف باسم الاضحاك والترفيه أو ما يطلقون عليه اسم الكوميديا والكوميديا منه براء . . ان ذلك أدى بعد سنوات طويلة إلى خلق أجيال من الجمهور الغرير الذي تصور بعد غسيل المخ هذا أن المسرح يتمثل في هذه النماذج وماعداها شيء آخر لا يفهمه ولا يتعامل معه . . وكانت الخسارة الكبيرة بانصراف الجماهير عن المسرح الحقيقي واحتفائها بالبديل المشوه .

وأما الاذاعة فإن الحاجة الملحة لديها لتعبئة ساعات البث بأية طريقة ، أدى إلى استقطابها اعدادا أكبر من الممثلين ، وهو مورد رزق طيب لهم . . وهو يشكر أيضا [illegible]

لأنها فتحت أمـام المسرحيين فرصا جيدة للعمـل والكسب . . لكن الاذاعـة ولعلكم تلاحـظون مثلي . . أي اذاعة . . تبحث عن السهل المريح . . فما أن يتمكن ممثل من العمل الاذاعي ويتمرس فيه حتى تستقر الاذاعة عنده . . فأنت تسمع ذات الاصوات لسنـوات عديدة . . ليس فقط في التمثيليات والمسلسلات الدرامية بل حتى في البرامج المنوعة والدينية والثقافية وربما الرياضية . وبرامج البث المباشر وسوى ذلك . . ان توزيع العمل على شريحة أكبر مفيد لكل الأطراف . . فتتعدد الأصوات وتتجدد . . وتعم الفائدة الجميع ، ولا تصبح الاذاعة تحت رحمة مجموعة محددة من الفنانين . وينعكس ذلك بالخير على قطاع المسرح . . لأن الممثل الجاد ان وجد موردا ثابتا أو شبه ثابت من عمل لا يصرفه عن المسرح الذي يهوى ويريد ، سيرضى به دون شك وسيجد فيه معينا على الثبات على موقفه المبدئي ولا يضطره للتنازل تحت اغراء الكسب السريع في الأعمال الهابطة .

أما الصحافة . . فإن دورها قد تخلف كثيرا عما كان عليه في السابق . . فقد كانت الصحـافـة في الكويت راعية للحركة الفنية ومعينة لها على أداء رسالتها الاجتماعية وكان الصحفيون المتابعون للمسرح جزءا من الحركة المسرحية يشعرون بمسئولية كبيرة تجاهها ، ويتواجدون بشكل مستمر مع الكتاب والممثلين والمخرجين وفي دور العرض المسرحي ، يسهمـون في رفـع المستـوى الثقـافي للوسط المسرحي ويتـابعون عن كثب بروز المواهب ويتعلمـون الكثير من أسرار العمل المسرحي وما يدور خلف كواليسه . . كانوا يشعرون بالغيرة على هذا القطاع ويحاولون تسديد خطواته بشتى السبل ، وكانت كتاباتهم في الغالب الأعم . . مليئـة بالفـائدة والمتعة والصدق . . وكانوا يحرصون على ابراز أجمل ما في هذا القطاع ويحاولون ما وسعهم ذلك التهوين من شأن الهفوات والأخطاء وخاصة ما كان منها ذو طابع شخصي .

أما اليوم فإن الصورة في عمومها ـ وهناك استثناءات قليلة ـ قاتمة ومؤلمة فقد تصدى للعمل الصحفي مجموعة غير قليلة من عديمي المواهب محدودي الثقافة . . لا يرون في العمـل الصحفي إلا جانبـه المثير ، وأصبح الناقد الفني كما يسمي نفسه عبارة عن مخبر خصوصي يتتبع الهفوات فقط ويحاول تضخيمها والنفخ فيها ، وذلك ما يسعد بعض مسئولي الصحف للأسف . . وقـد انعكس ذلـك على قطاع المسرح بشكـل سلبي . . وصـار الاستخفـاف سمـة واضحة في هذا الوسط في تعامله مع الصحافة . . وقد تتبع الناس

صحيفة يومية كبرى وهي تنشر صورة ملونة على صدر صفحتها الأولى لممثلة اتهمت بقضية جنائية وكأنها تتشفى . . وواصلت نشر أخبار القضية يوميا وبإثارة بالغة . . حتى صدور الحكم بالبراءة فأغفلت الموضوع تماما وكأن القصد كان هو الاساءة فقط دون مراعاة لشعور القطاع المسرحي أو المجتمع ذاته . . وقس على ذلك .

شوه بعض الصحفيين صورة الفنان وساعد بعض الفنانين على ذلك . وليس من المصلحة أن يستمر هذا . . لأن الفنان حصيلة مجتمعه . . فهو وليد هذا المجتمع وربيبه .

معوقات عامة :

ان التأثر بالواقع السياسي والاقتصادي هو في طليعة أسباب الازدهار أو الاخفاق في أي قطاع من القطاعات فما بالك بقطاع المسرح الحساس تجاه مثل هذه الأمور .

والوضع السياسي والاقتصادي العربي أمر بالغ السوء في وقتنا الحالي . . فهناك جملة من الهزائم العسكرية والسياسية بدأت في ٥ يونيو ١٩٦٧ وتتالت بعدها انهيارات سياسية واقتصادية بلغت ذروتها في منتصف الثمانينات . . تدني أسعار البترول . . أزمة المناخ في الكويت وأزمة الريان في مصر وأزمة الصرافين في الأردن ناهيك عن الحرب اللبنانية ثم الحرب العراقية الايرانية وتدهور أسعار العملات وصولا الى الأحداث المؤلمة والمأساوية لأهلنا بالضفة والقطاع فيما يلقونه من عنت وقسوة من المحتلين الصهاينة تجاه بسالتهم في الدفاع عن وجودهم وحقهم في دولة مستقلة داخل وطنهم الخاص أسوة بكل البشر .

ان هذا الواقع ينعكس بشدة على المسرح فيزدهر الرديء ، كما هو الحال في تجار الحرب ومستغلي الأزمات . . ويتهدد وجود المتميز والجاد مما يتطلب تكاليف جهود المخلصين في الدفاع عن هذا المتميز والجاد حتى تعود الأوضاع إلى طبيعتها . . وقد وافق هذه الأوضاع ، بل هو في تقديري نتيجة لها ، ضمور في قطاع الثقافة وقلة في المبدعين والمتميزين . اي انه لا اضافات مهمة للثمانينات . . فقد أغلقت المجلات الأدبية المؤثرة في مصر ، وتعثر النشر وتقلص دور المؤسسات العامة في مجالات الثقافة والفنون والآداب . . وأدى ذلك إلى انحسار في اعداد القراء وتدهور في مبيعات الكتب الجيدة ، وعزوف عن مشاهدة السينما والمسرح عدا استثناءات أشرنا اليها في موضع آخر ولأسباب معروفة .

وان من المعوقات العامة أيضا ندرة الفنيين المتخصصين في مجال المسرح . . فلا اقبال من أبنـاء البلاد ولا استقدام للمزيد من الكفاءات العربية . . ولا بعثات . . ولا تعليم منتظم في هذه الاختصاصات النادرة .

وماذا بعد . . انها صورة قاتمة ومؤلمة . . وهل توجد امكانية للنهوض . . نعم هناك امكانية كبرى . . فدوام الحال من المحال . . وكما يقال . . اشتدى أزمة تنفرجي . . وأقول لكم الحق . . نحن نحتاج دوما الى الصراحة والصدق واظهار ما بأنفسنا دون وجل . . وعلينا بعد ذلك أن نمد اليد . . لا ان نكون كما قال قوم موسى في كتاب الله الكريم : ﴿ **اذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون** ﴾ نعم انني لازلت مؤمنا بإمكانية التطور والنهوض وذلك أمر وارد إذا أخلصنا النوايا ودعمنا الجهود المبذولة عند المسئولين المخلصين وهم موجودون ومعروفون للجميع ويحتلون مكانة طيبة في نفوسنا . . ان أملنا معقود على اخلاصهم وجهدهم وواجب علينا أن نمد لهم ايادينا صافية متعاونين من أجل خير هذا القطاع الحيوي . . وبالتالي من أجل تقدم مجتمعنا في الخليج ونموه في كل الاتجاهات .

ان الاهتمام بالانسان هو السمة الغالبة على سياسات دولنا ، وهو توجه حضاري مميز ، وعلينا أن نقنعهم بأن المسرح هو في خدمة قضية الانسان وتطوره وتقدمه وازدهاره وبذلك نكون قد أدينا الأمانة وأوصلنا الرسالة . . والأمل بالله من قبل ومن بعد كبير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .



المسرح والتراث[1]

بقلم / ابو الوفا القاضي

تدور ندوتنا الليلة حول التراث ، وعلاقات الأنشطة الأدبية المعاصرة والفنون الانسانية به ، وفي البداية أرى أن كل الأنشطة الفنية المعاصرة ، أو معظمها عالة على التراث .

والمسرح كفنٍ من الفنون الانسانية ، وكجنس من الأجناس الأدبية لم ولن يشذ عن هذه القاعدة ، فالمسرح المعاصر ابن شرعي للتراث المسرحي ، منه استمد شكله وحرفيته ، ومن بحره اغترف ماهيته ، وعلى قواعده وقوانينه أقام وجوده وفاعليته .

فالمسرح كعمل فني متآلف متكامل ، والمسرح كعمل أدبي متفرد ، المسرح بمعماره ، بحوائطه الثلاث ، بديكوراته ، باضاءته وموسيقاه ، المسرح بكل شيء فيه إنما هو امتداد طبيعي للتراث المسرحي في كل فنٍ من فنونه ، وكل جانب من جوانبه .

والمسرح بادىء ذي بدء تركيبة متناسقة متآلفة من عدة فنون ، وتوليفة متداخلة متناغمة من عدة حرف ، وكلها ، كلها تنصهر في بوتقة واحدة ، لتعرض في النهاية على الجماهير في عمل فني متوحد ، يسعى إلى غرضٍ وغايةٍ واحدةٍ ، وكلها ، كلها تطور عن صور قبلية سابقة ، فالمسرح في كل شغله امتداد متطور لاشغال وأشكال فنية .

والمسرح التراثي الذي أخذ عنه المسرحيون المعاصرون هو أيضا مأخوذ من التراث .

وهذه هي البداية الحقيقية للمسرح ، والركيزة الأولى للحديث عن المسرح وعلاقته بالتراث ، إذن فلنبدأ حديثنا منها ، ولنبدأ بطرح سؤال تنير أجابته الطريق أمامنا ، وتوضح مسار حديثنا .

---

(١) القى هذا البحث في جلسة السمر الأدبية ـ الفنون الأدبية في سلطنة عمان وصلتها بالتراث بتاريخ ١/١٠/١٩٩٠م

والسؤال : متى بدأ المسرح ؟ وأين ؟ لقد ظهر المسرح أو فكرة المسرح قبل ميلاد السيد المسيح بقرون عديدة على الأرض اليونانية التي كانت تعرف ببلاد الاغريق .

بدأت فكرة المسرح ببلاد الاغريق قبل الميلاد في شكل بدائي بسيط عرف باسم : احتفاليات باخوس . وباخوس هذا هو إله الخصب والنماء عند قدماء الاغريق ، وقد كان الاغريقيون وثنيين ، وقد جعلوا أو اتخذوا إلهاً لكل مظهر من مظاهر الطبيعة ، إلهاً يقدمون له القرابين ، وكان باخوس إله الخصب والنماء الذي يرعى زروعهم وكرومهم ، ويمد أرضهم بالخصب ، وزروعهم بالنماء ، كما يمد حياتهم بالشباب والتجدد .

لذلك كان الاغريقيون يحتفلون به عندما يطل عليهم الربيع بوجهه الباسم .

كان الاغريقيون يحتفلون بباخوس في معابده وحول تماثيله المنتشرة ، وفي (أثينا) يقف أكبر الشعراء أمام تمثال الاله (حسب اعتقادهم والعياذ بالله) ، ويلقي قصيدة ربيعية في مدحه ، ويرد عليه جماعة الكورس أو المنتشرون يرددون مقاطع من القصيدة التي يلقيها الشاعر ويصحب ذلك رقصات جماعية تعبر عن معاني الشعر المنشد بالحركة والايماءة والتشكيلات الايقاعية .

هذه هي الصورة الأولى للمسرح الاغريقي ، ولفكرة المسرح بوجه عام ، وهي كما نرى ترتبط بعقيدة وثنية .

ولنمض قليلا مع المسرح الاغريقي لأنه البذرة الأولى للمسرح ففي القرنين الثالث عشر والثاني عشر خاضت بلاد الاغريق حربا ضروسا مع الفرس ، وانتهت بانتصارهم في معركة (سلاميس) وسجل الشعراء هذا الانتصار في قصائدهم ، وتغنوا ببطولة أبطالهم ، وأقاموا لأبطالهم احتفالات كاحتفالات (الاله) باخوس ، ومن هنا دخل العنصر الانساني مجال المسرح . ولكن أروع وأعظم ما كتب عن الحروب الاغريقية كان ما كتبه شاعر الاغريق الكبير (هوميروس) . . الذي كتب أروع ملحمتين في تاريخ الأدب الانساني ، وهما (الالياذة والأوديسة) ، والالياذة والأوديسة تصوران حربا اغريقية أخرى ، حربا داخلية هي حرب طروادة .

كتب هوميروس وأنشد في تجواله ملحمتيه الرائعتين الالياذة والأوديسة ، وكان ذلك في القرن التاسع قبل الميلاد ، وقد حفلت الملحمتان بنماذج بشرية مختلفة من الأبطال

الشجعان والجبناء ، الشرفاء والانذال ، الخير والشر ، الفضيلة والرذيلة ، لقد حفلتا بكل ما في الوجود من مظاهر الحياة ، فكانتا كبحيرتين واسعتين ينصب فيهما ما تجرفه السيول الهادرة المتدفقة من أعالي الجبال المحيطة بهما ، فالملحمة عالم يتشابك ناسه وتتحارب آلهته ، وانسانية متكاملة ، انسانية بأسرها تمتلىء بالنماذج البشرية التي نلمح في سلوكها وفي عواطفها صورا من نفوسنا .

كانت الالياذة والأوديسة نغما شعريا عذبا في آذان شعراء الاغريق الذين عاشوا بعد هوميروس ، ولكن معظم هؤلاء الشعراء لم ينتبهوا لما فيهما من ثراء وايحاء حتى كان القرن الخامس قبل الميلاد ، وكان عصر استقرار وازدهار في حياة الأمة الاغريقية .

في ذلك القرن ظهر في بلاد الاغريق أعظم شعراء المسرح ، ظهر أسخيلوس ، وسوفوكليس ، ويوريبدز ، وتفتحت عيونهم وآذانهم وعقولهم على ما في الالياذة والأوديسة فنهلوا من نبعهما ، وأخذوا منهما موضوعات مسرحياتهم الخالدة ، تلك المسرحيات التي انتقلت بالمسرح من صورة الاحتفالات إلى صورة المسرح التي نعرفها اليوم .

لقد استلهم الشعراء الثلاثة مسرحياتهم من الملحمتين الشهيرتين أي من التراث الشعري الاغريقي .

ومن مسرحيات اسخيلوس وسوفوكليس ويوربيدز استنبط فيلسوف اليونان الكبير (أرسطو) الصورة المثلى لفن كتابة المسرحية ، وانتهى الى وضع عدة قوانين للكتاب والشعراء ليسيروا عليها إذا ما فكروا في الكتابة للمسرح ، وضع ذلك ووضحه في كتابه .

وضع أرسطو القواعد والمنهج لفن كتابة المسرحية في كتابه المعنون باسم (الشعر) ، ومازالت تلك ، ومازال ذلك المنهج الركيزة والأساس العلمي لكتابة المسرحية .

هذه هي بدايات المسرح الأدبي ، المسرح الجاد ، وهذه هي بدايات القواعد والنظريات العلمية لفن كتابة المسرحية ، ومن هنا ندرك أن المسرح منذ بداياته الأولى قام ونهض على التراث .

المسـرح العـربي :

ولنعبر أزمانا طويلة في تاريخ المسرح لنصل إلى مسرحنا العربي ونبدأ بالقاء السؤالين السابقين ونضيف اليهما ثالثا : متى وأين قام المسرح العربي ؟ وهل قام على التراث ؟ أجل قام المسرح العربي على التراث ، ليس على التراث العربي فحسب بل على التراث المسرحي الانساني كله ، على تراث المسرح الانجليزي ، وعلى تراث المسرح الفرنسي ، وعلى تراث المسرح الاغريقي ، ولكنه لم يقم على تراث المسرح العربي لأن العرب لم يكن لهم تراث مسرحي .[1]

ولماذا لم يكن للعرب تراث مسرحي ، ذلك لأن المسرح الانساني كله قام على تراث المسرح الاغريقي ، والمسرح الاغريقي مسرح وثني دارت كل مسرحياته على وحول العقائد الوثنية ، فما كتبه اسخليوس مثل ثلاثية الأورستية وأجاممنون وحاملات القرابين و (الايرنيات) أو آلهة الندم ، وكذلك ما كتبه سوفوكليس مثل : (أوديب ملكا وأوديب في كولون ، وأنتيجون) كل هذه المسرحيات تدور حول تحكم القضاء والقدر في مصائر البشر ، وفي كل منها كان الصراع يدور فيها بين البشر بعضهم والبعض الآخر ، وكانت الآلهة طرفا في ذلك الصراع ، والمثيولوجيا اليونانية والأدب اليوناني القديم كله كان حافلا بهذا اللون من التداخل بين الآلهة والبشر ، فالآلهة تعادي بعض الناس ، وتنحاز إلى البعض الآخر ، والآلهة تعشق وتحب كما يعشق البشر ويحبون ، ويبغضون ويكرهون كما يفعل البشر .

ولهذا لم يترجم المسرح الاغريقي للغة العربية ، حتى في ابان عصور الازدهار العلمي والمعرفي أيام عظمة الدولة العباسية ، ولم يجهل العرب في ذلك الوقت الفكر اليوناني ، بل ترجموا لأفلاطون وأرسطو وسقراط وغيرهم من الفلاسفة اليونان ، وترجموا كتاب الشعر لأرسطو ذلك الكتاب الذي حدد قواعد بناء المسرحية ومع ذلك ، ورغم كل ذلك لم تترجم مسرحية اغريقية واحدة إلى اللغة العربية .

ولما دخل العرب اسبانيا وجدوا نصوصا مسرحية كنسية فلم يترجموها ولم يلتفتوا اليها .

ووقف العرب أمام المسرح موقف الاهمال واللامبالاة ، ذلك لأن كل النصوص المسرحية التراثية تخالف ديننا وعقائدنا .

إذن كيف طرق الأدباء العرب باب المسرح ، ومن أي تراث أخذوا ؟

هذا ما سيجيب عليه ، ونعود إلى سؤالينا المطروحين متى ؟ وأين ؟

لقد أعطى العرب ظهورهم للمسرح حتى كان منتصف القرن الماضي ، ففي منتصف القرن الماضي فتح العرب عيونهم وعقولهم على الحضارة الأوربية المزدهرة والنامية ، فأطلت عيون البلاد العربية الواقعة على شواطىء البحر الأبيض على ما يقابلها من البلاد الأوربية وخاصة على ايطاليا وفرنسا ، وذهب من بلادنا مبعوثون ، ذهبوا يبحثون عن الثقافة والفكر والفن ، ووفد من بلادهم مغامرون ، ومستشرقون ومبشرون يبحثون عن كنوزنا وتراثنا والطريقة التي يستعمروننا بها .

وعندما وطئت أقدام نابليون أرض مصر حالما بامتلاكها أنشأ أول مسرح في تاريخ الشرق العربي ، أنشأه في حديقة الازبكية بالقاهرة فرأى المصريون المسرح ، ورآه كل المتشوقين للعلم والثقافة والتحضر ممن كانوا يقيمون بالقاهرة ، وطرد الشعب المصري نابليون ، ولكن رؤى المسرح ظلت عالقة ببعض العقول ، ماثلة أمام كثير من العيون .

ومع الالتحام العربي والأوربي قامت المحاولات الأولى لاستنبات المسرح في الأرض العربية . وقد جرت المحاولة الأولى في بيروت سنة ١٨٤٧ على يد (مارون النقاش) الذي تنقل بين البلاد الأوربية وخاصة ايطاليا وفرنسا ، وكان ناطقا وكاتبا بلغتهما ، ولما عاد إلى بيروت من تجواله استقرت في ذهنه فكرة المسرح ، واستقر عزمه على تقديم هذا الفن الغريب على العرب ، فكون فرقة كانت باكورة مسرحياتها مسرحية اسمها (البخيل) وقبل عرض المسرحية تحدث مارون النقاش الى الجمهور فقال : (على انني عند مروري بالأقطار الأوروباوية ، وسلوكي بالامصار الافرنجية ، قد عاينت عندهم فيما بين الوسايط والمنافع ، التي من شأنها تهذيب الطبايع مواسم يلعبون بها ألعابا غريبة ، ويقصون فيها قصصا عجيبة ، ظاهرها مجاز ومزاح وباطنها حقيقة وصلاح) .

هذا ما قاله مارون نقاش ، وما أدركه ثم قصده من فكرة المسرح ، وقد استقى مارون معظم مسرحياته من المسرح الأوروبي بوجه عام والمسرح الفرنسي بوجه خاص ، وقد قدم ثلاث مسرحيات هي (البخيل ، والحسود السليط ، وأبو الحسن المغفل وكلها من تراث المسرح الأوربي) .

وفي القاهرة ، في سنة ١٨٦٩ قام مسرح عربي آخر على يد مسرحي مبدع هو يعقوب صنوع الذي كان يخوض تجربة العمل الصحفي ، والذي كان معروفا بين المصريين باسم (أبو نضارة) قام يعقوب بتأسيس مسرحه بحديقة الأزبكية ، وقام بتكوين فرقة مسرحية باسم (المسرح الكوميدي) ، وعملت الفرقة بتشجيع الخديوي اسماعيل ، وقدمت الفرقة ثلاثين مسرحية كوميدية هادفة تناولت المجتمع المصري وخاصة الطبقة الحاكمة بالنقد اللاذع ، الأمر الذي جعل الخديوي اسماعيل يأمر بايقاف الفرقة عن العمل .

وقد اعترف يعقوب صنوع بأنه سار على نهج المسرح الأوربي ، وانه تعلم المسرح من أوروبا وذلك عندما قال : (قبل أن أشرع في انشاء مسرحي المتواضع درست دراسة جدية أدباء المسرح الأوربيين لاسيما (جولدوفي وموليير وشريدان) وزاد يعقوب على ذلك فأطلق على نفسه اسم موليير مصر) .

وفي سنة ١٨٥٤ ظهر رائد عربي ثالث في دنيا المسرح ، ذلك الرائد هو ابو خليل القباني ، وهو سوري الأصل ، لكنه أقام مسرحه في القاهرة ولم يأخذ أبو خليل موضوعات مسرحياته من تراث المسرح الأوربي ، بل أخذها من التاريخ العربي ، واستمد قصصها من كتب التراث العربي مثل مسرحيات (عنترة) و (هارون الرشيد) و (الأمير محمد نجل شاه العجم) والشيخ وضاح ومصباح و (المروءة والوفاء) و (اللقاء المأنوس في حرب البسوس) و (وفاء العرب) ، و (مهلهل سيد ربيعة) وكان الحوار في مسرحيات أبي خليل القباني باللغة العربية الفصحى .

ثم جاء بعد هؤلاء مسرحي عظيم هو محمد عثمان جلال فعمل على تعريب روائع المسرح الفرنسي وخاصة مسرحيات موليير ، فعرب أربع مسرحيات هي (تارتوف) أو الشيخ متلوف ، والنساء العالمات ، ومدرسة الأزواج ، ومدرسة النساء .

وتعتبر مسرحيات موليير النبع الفياض الذي استقى منه رواد المسرح العربي ، وذلك لأن مسرح موليير كان مسرحا نقديا ساخرا يعتمد على الكوميديا البناءة الهادفة ، وكان المجتمع المصري في ذلك الوقت وهو في مرحلة البناء يحتاج الى النقد والتوجيه .

هذه كانت البدايات الأولى للمسرح العربي ، حتى إذا وصلنا إلى أوائل هذا القرن عندما كان العالم العربي يفور بالحركات الوطنية والقومية ، التقينا برائدي المسرح المعاصر ، التقينا بأمير الشعراء أحمد شوقي رائد المسرح الشعري العربي ، وبتوفيق الحكيم رائد المسرح النثري العربي .

ولقد وضع شوقي المسرحية الشعرية العربية في موضعها اللائق بها كعمل أدبي يرقى الى ما ارتقت اليه المسرحية الشعرية في البلاد الأوربية ولم يبتعد شوقي عن التراث العربي والمصري ، فمن التراث العربي أبدع (مجنون ليلى وعنترة) ومن التراث المصري ألف (قمبيز ومصرع كليوباترا وعلي بك الكبير) وفي كل هذه المسرحيات كانت عين شوقي على الشكل التراثي للمسرح الأوربي ، وكان يغوص في التراث العربي .

أما توفيق الحكيم فقد أرسى أصول المسرحية العربية النثرية ، وقد استلهم التراث الاسلامي والقومي فيما كتب ، فكتب أهل الكهف مستلهما موضوعها من القرآن الكريم ، والسلطان الحائر ، وسليمان الحكيم وشهرزاد وايزيس وبراكا ، وعشرات المسرحيات الأخرى مجربا كل الألوان والأشكال المسرحية من المسرح الذهني الى الواقعي الى اللامعقول وحتى (المسرواية) .

وبجانب هذين العملاقين ظهر كتاب عديدون أضافوا للمسرح العربي الكثير ، ومعظمهم قام مسرحه معتمدا على التراث العربي ، ففي المسرح الشعري ظهر عزيز أباظة وأبدع مطلع النور ، والعباسة ، وقيس ولبنى ، وشجرة الدر ، وعبدالرحمن الناصر وشهريار .

وفي المسرح النثري ظهر محمود تيمور وأحمد علي باكثير ، فقدما ابن جلا ، وسر الحاكم بأمر الله ، ومسمار جحا ، والمنقذ .

ومع هذه النهضة المسرحية العربية المستندة على التراث الأوربي والعربي ، ظهرت الترجمات الأدبية الكاملة والدقيقة (لروائع المسرح العربي فترجم شاعر القطرين خليل

مطران بعض وأهم مسرحيات شكسبير فترجم هملت وعطيل ومكبث وترجم آخرون روائع المسرح الفرنسي لكور في وراسين وموليير ، ثم التفت المفكرون والمثقفون العرب للينع الأصيل فترجمت العديد من المسرحيات الاغريقية ، ترجمت المسرحيات الخالدة لاسخيلوس وسوفوكليس ويوريبدز وارستوفانيس ، وغيرهم من كتاب وشعراء المسرح الاغريقي) .

وهكذا وبعد هذا الاستعراض السريع نرى ونعلم أن المسرح منذ ولد اعتمد على التراث ، فالمسرح الاغريقي قام معتمدا على التراث الشعري المتمثل في ملحمتي الالياذة والأوديسة ، والمسرح العربي قام معتمدا على التراث المسرحي الفرنسي والأوربي ، ولما اشتد عوده استلهم من التراث العربي موضوعاته وأحداث مسرحياته .

وحتى هذه اللحظة التي نتحدث فيها ينهل كتاب المسرح العربي من التراث العربي ونجد ذلك عند كثير من كتاب وشعراء المسرح أمثال عبدالرحمن الشرقاوي وصلاح عبدالصبور وألفريد فرج وسعدالله ونوس .

لقد اتخذ هؤلاء الكتاب والشعراء من التراث العربي والاسلامي خلفية فكرية يستندون عليها ليجسدوا رؤاهم في حياتنا المعاصرة كل حسب رؤيته وفكره ، وهذه هي رسالة المسرح الجاد الذي يقوم على فكرة التطهير والتوجيه والنقد .

وسيظل تراثنا الخالد وثيق الصلة بمسرحنا ، ومن لا ماضي له لا حاضر له ، ولعلي لم أطل ، والله من وراء القصد والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



الباب الرابع

في

(القصـــة القصـــيرة)



جانب من الفعاليات والمناشط الثقافية التي يقيمها المنتدى الأدبي

* قصـة قصيرة *

هجعة الليل .. هجعة الراقدين

بقلم : محمد بن علي البلوشي

سواك والليل وهجعة الراقدين

تستيقظ الآن . . على رأسك عشائر الليل . . وفي الجوف رغبات السطو وخلب الألباب . .

تخرج من ردهات التاريخ المعتمة باحثا عن سراب طالما وطئت حوافره أعماقك .

ـ تعرفها تلك الوجوه الراقدة ؟

تعرفني . . . أوقظها متى شئت . . أطمرها متى شئت . . ألحس عقلها .

ـ ثم تقتل . . .

هكذا ستكون نهايتك .

سواك والليل وهجعة الراقدين

تتوفر بنظراتك لاختزال الأزمنة . . تمتطي اردتك . . ارادتك .

وتمضي غير حافل بشخير الغافين وآهاتهم . .

ـ وحدك الآن تتعجرف . . (تسمع)

ـ وحدك الآن كقطيع من الضلوع يروضها الجحيم تنظر أسفل هامتك : مدن مصابة بلوثة الأزمنة . . أجساد منخورة . . جدب يستشري في الأوصال . . أنات مطفأة على شفاه مشققة . . ورؤوس مطمورة بخيبة ماضيها واندثار أحلامها .

تدلف قرب الجثث . . تقهقه . . ثم ترنو بعيدا هناك حيث :

المدينة أعين فقأتها جحافل الظلام . . (منظر خارجي) .

رؤوس تهتك سطوح الوسائد . . (منظر داخلي) .

(تسمع) :

ـ وحدك الآن . .

ـ وفي العين لهاث الغيوم المنهكة . . وفي القلب سديم أتخمه حمل الحقد على مدن النوم .

ـ وحدك الآن . .

ـ وفي الرأس اهتراس الأفكار . . ولسان يلهج بترتيل التأفف .

ـ . . . . . .

ـ . . . . . .

ترشق الخلاء بعينين تضرمان الشرور في المسافات تنسلخ من أسمالك النتنة . . ثم يأسرك التطواف . .

ـ أرصفة ثكلى . . ماذا تفيدك ؟

ـ آه . . في القلب انشاد وانشاد . . وفي الأغوار يومض غضب الأزمنة .

ـ من أنت ؟ بحق السماء السابعة من أنت ؟

ـ ستعرفني هذا اليوم . . ستخشع لي . .

ـ وأناشيدك . . والغضب . . ماذا عنهما ؟

ـ سافرغهما هذا اليوم . .

ـ في الأضرحة

ـ في كل مكان . . في اللغة . . في الحناجر . . في كل حمأ مسنون . .

ـ وماذا بعد ؟

ـ العثور على الأوكار النائمة .

تجتاز الأرصفة . . تكر الأصقاع . . تنصت لنداء الرعود البعيدة . . تصرخ في وجهك خفافيش الظلام . . لا شيء سوى صفقات أجنحتها الخرافية . . ثم تأتي . . يهد رجليك الطواف . . فتنكفىء على لغتك . . تستجديها . . (ما أمر اللغة الآن وما أضيق باب الابجدية) .

يلكزك . .

فترتعش منك الأوصال . .

ـ هل أتاك حديثنا عن الليل والضوء والندى . . ؟

تنهار بين يديه . . تنصاع له .

ـ ألست القادم من مدارات المدن ؟

ـ بـــــلى . .

ـ لرائحتك طعم الفناء . . لسحنتك فتنة البحر . .

ويشير بسبابته نحو الجثث . . فتزداد خفقات نابضك . .

ـ قم . . هيا فالأجساد تخاف التحلل . .

تلبي خاضعا . . تلجم رعشاتك . . تقترب من الجثث . . ويشير بسبابته نحو خنجر . .

. . تستل الخنجر . .

ويشير بسبابته نحو بطون تعلو وتنخفض . .

في صمت رهيب تشق البطون . . تنزع الأحشاء . .

يلكزك . .

فتنتفض نظراتك اليه . .

ويشير بسبابته نحو آنية . . متوجسا تمد يديك . . تجذبها نحوك . . تفرغ محتوياتها مكان الاحشاء . . تخيط الشقوق . . وعلى مقربة منها تقرفص . .

ثم يتطاير صاحبك شررا . .

وتهـــدأ . .

سواك والليل وهجعة الراقدين

* * *

تستفيق في رأسك مدارات أخرى . . تحاول أن تتناسى ما حدث . .

لليل بقايا النهار ورائحة الغبش . .

تجتاحك كآبة ما . . تتداعى لها أطلال أفكارك . .

وفجأة . . يومض في جوفك جلاد الغضب . . تصرخ . . يمتد صراخك . . يعتلي القامات الشاهقة . . يعبر الجباه المنخورة . . يفتح مغاليق عيونها .

. . علك تجد ما تبحث عنه . .

ثم تهدأ . . ويأسرك التطواف مرة أخرى . .

ـ هجع . . هجع . . (تسمع) . .

يردعك عواء الأبواب الموصدة . . فيحتقن وجهك غيظا . . وتجر خطاك . . تجتاز أوحال من بقايا النهار .

* * *

سواك والليل وهجعة الراقدين

ـ بالأمس كنت تحسب جيئتك إلى هنا . . تعد غوايتك . .

ـ وأنسج حكايا خلب الألباب .

ـ لكنها الألباب فاجأتك برقدتها . . أجدى لك أن تنكص من حيث أتيت . . أن تختبيء في هوامش التاريخ . . أو أن تبحث عن مدن تعاقر الغواية . . ؟

(يحادثك الرصيف) . . ويتمادى في اقفاصك عنه . .

لمدينتنا قدرة الاغاظة (من أقوال إحدى الجثث) . .

تنهش ثائرة الغضب رأسك . . تركل الجثة القائلة . .

تفقأ بطنها . . (تتعجب) :

ـ لا يسيل دم منها ! !

ثم رويدا تخرج الجثة عبر الثقب غبار أيامها السالفة . .

يتصاعد الغبار . . يتخلل مشامك . . بالسبابة والابهام تغلق المنافذ . . ثم تهرب بلعابك والقيء بعيدا تلفظها . .

وتصرخ . .

ـ . . . . . .

يلتهم العراب صوتك . . تتفسخ منك الذاكرة .

سواك والليل وهجعة الراقدين

* * *

تقــول :

« أعض على شفتي . . أسرط عواء لذتي . . علني أحظى بما أتيت لأجله » .

وتمضي باحثا عن مدد . .
تفتش الزوايا . . فترفسك :

ـ مقفرة . . مقفرة . . (تردك الزوايا) .
ترفع عينيك نحو السماء . . تستعطفها .
ـ النجوم انكدرت . . النجوم انكدرت . .
يثبطك منظر الليل . .

ولا ملتجأ . .

ـ لا شيء سوى البحر . .
ولأيمم وجهتي شطره . .
تتعرى للبحر . . تخربش أمواجه . . تزيل تراكماتك والأرق . .

ولا جدوى

ـ أكره البحر . .

تطالعه باحتكار . . ترفض زرقته . . تريده أصفر . . فيسيل أصفر . . ترغب أفقه بوابة مفكوكة المصراعين . . فيكون الأفق كذلك . . لكن لا مدد .

تتنـاسـل الأمواج . . هديرها يفترس مسامعك . . فينفلت اتزانك . . تحاول أن تلملم أعضاءك المشعثة . . فلا تقوى . .

تنهر البحر . . تأمره أن يبتعد . .
فيبتعد المسكين حاملا بوابته والهدير .

ويضمحل . .

* * *

سواك والليل ولى وهجعة الراقدين لما تزل

مع الغبش . .

يتراءى من البعيد أطفـال على أكتـافهم الفؤوس . . وبعـد أن ينتهـوا من فلق الأرض . . يداهمون الرؤوس النخرة . . يحطمونها . . ويتوارون .

ـ عند الظهيرة سوف تصحو الرؤوس . . لتمسح عنها ضربات الفؤوس .

ـ آه . . وسوف تخمد مرة أخرى . . سوف تخمد مرة أخرى . .

هذا غبش تأمل فيه تحقيق مبتغاك . . فتعلو في نفسك بيارق الانتظار .

خطوات . . خطوات . . خطوات بعيدة يسمعها الغبش فينتفض . . وينفش عن الرؤوس وعثاء النوم . . خطوات . . خطوات .

عيون تبحلق . . صوت الخـطوات . . يقـترب . . يداهم المسـامـع . . يقـرقع العظام . . يضيء قناديل الدهشة والاستغراب . .

خطوات . . خطوات . .

ينبثق المقبورون تاركين خلفهم لحودا فارغة . . أما أنت فتبحث عن مخبأ . . لتنجو من الخـطوات ومـا يعقبها . . تسترق السمع بحذر . . تخرس الخطوات . . فتنتشي . . وبخبث تقهقه في الوجوه . . وتبدأ بذر الغواية في النفوس .

وتخطب :

ـ أنا ذلك القادم من غياهب الغيب . .

فيرتعدون

ـ أنا المنتظر . .

فتتلاصق مناكبهم

تشخص العيون . . تعاويذ بالية تلوكها الأفواه . .

(وظنوا أنها القيامة)

تواصل زحفك في نفوسهم . . تلفحهم بسياطك . .

تمارس رذائلك . . تهتك بالبكارات . . تخصي الرجال . . تنتعل الوجوه . . تأمر

بازالة المعابد . . تقصي العيون عن مدارات النظر . .

(حتى يوشك الناس من أن يطأوا المحظور)

تهشهم أمامك . . تسبقهم ترجياتهم . . ولا اعتراض . . إلا من صوت قادم كالشهب من قنة الجبل .

تتوقف وقطيعك . . ينادي الصوت . . يصرخ في كل الوجوه . . ويلعنك . . يقترب منك . . تنهره . . لا ينصاع .

ـ يخالف المنتظر ؟! (رأس من القطيع) . .

ـ ذلك العابد العاصي !! (آخر) . .

وعلى الفور يسقطون جبهته بلا ترحمات . .

(هكذا مارست غوايتك)

يبزغ الأذان من أغشية الغبش . . معقوبا بخطوات تذهلك و« القطيع » فتغوص في صمت رهيب . .

وبعد قليل يهتز من الخلف منكباك .

ـ ماذا تبقى يا ذلك الكائد ؟

بجزع تتلفت إلى القائل . . تباغتك عينان مقدستان ووجه يشعل الغبش ضوءا .

(والناس بصمتهم متزنرون) . .

ترتعد فرائصك . . تزلزل عظامك . . تنحني له . . تحاول تقبيل يديه . . فتحرقك أنواره . . وتنكص قليلا . . تستجير ما حولك . . تستجديه :

ـ أيها المقدس رائحتك تتبارك بها مشامي . . لعينيك سعة السماء . . لنورك أصداء وأصداء في نفسي .

والناس في وجل ينظرون مشهدا من مشاهد البعث .

(هكذا يظنون)

* * *

ـ ماذا تبقى يا سيد جوفي ؟ (تسأل قلبك) . .

وروائح الغبش تتخلل النفوس . . وسهام الشمس تتسابق أيها يلد بشائر الفجر .

ـ ماذا تبقى يا سيد جوفي ؟ ماذا تبقى ؟!

تلمح ابتسامات ساخرة تستبطنها الوجوه . . فيزداد عبوسك . .

ـ ماذا تبقى يا سيد جوفي ؟

تنظر إلى العينين النورانيتين . . ينفطر قلبك . . تلهث منك الأنفاس . . يضيق الجلد .

تتصاعد ضحكات المستيقظين عليك . . تتحطم في عينيك مرايا الأحداث .

تغرغر روحك . .

وقبل أن تركع أسفل رجليه . .

تحترق . .



(.. والأشجار وفاطمة والسماء)[1]

بقلم / عبد الحكيم بن محمد البلوشي

« بهذا الانسياب المترع بعصير الأقحوان توالفت الصور . . في الحكايا ، وفي تلك الأجواء الوضيئة تحركت المشاهد في توافق منغم . . وكان ثمة فاطمة » .

الصـــرح . .

الشرفة عالية ، وفاطمة تأنس بالليل .

نافذتها ترنو لحقل ياسمين طفولي نضر ، يستفيق فجرا وينفض عن صفحاته رشاش الندى . فاطمة تشع من نافذتها في السحر ، وقت هدأة الدجى . رحيق النجوم يغسل بشرة فاطمة ونثيث مطر خبأ لآلىء قطراته في جدائلها ، سنا القطرات يسفر حين تسنح له خصلات عفوية من شعر فاطمة . وفاطمة تحاور نسيم الليل . وهي أثيرة ، يعيرها القمر بسخاء من صفائه . أيضا الابتسام والدفء زنبقتان في غرفة فاطمة . لحظة حضورها يخفت همس حفيف الشجر ، في بستانها المدهام . من علياء الشرفة تبث الطهارة فاطمة . يحبها البستان لأنها فاطمة ولأن الزهور منداة .

حاشـــية . .

الرجل العليل لملم مقتنياته القليلة وأودعها صندوقا فسيحا . تعبا كان . إشرأبت صفحتـه إلى السماء ومسح جبهته بأصابعه . (تضرع مستمطرا لاشراقة جبينه) . كان حذاؤه من الجلد السميك قديما . وهو كان ظمئا بشدة .

وهكذا صديقي ، لم يكن عطفك مكثفا قط أيها الأب الطيب . متدثرا بوشاحك القـاتم تتـألم الآن . مات أبـوك في قارب ما في خليج ما . في كل أنحـائك تخثر الحزن

---

(١) القصـة الفائزة بالجائزة الأولى في مسابقة المنتدى الأدبي الثالثة لعام ١٩٩٠ في مجالات الشعر الفصيح والشعر الشعبي والبحث والقصة .

والوجع ، وترقب انبجاسهما مهشما للضلوع . صوتك واهن ، لا يكاد يسمع . تقول : (هو صغير) . نعم أعلم ، كان ابنك صغيرا . قتلوه هذا الصباح . صوتك مخضب بالعبرات تقول : (كان جميلا أحبه كثيرا) . أعرفه أنا أيضا ، مبتسما أبدا كان . يحب الأرانب وسقي الزهور . الآن قتل . والفتاة هناك ، وحدها والبستان ، ناشدة مجيئك والصغير يمتطي كتفيك . أليلت ممزقة السيرة الآن . والزهور وفاطمة والمطر ، أنت والطفل وأرانبه ، والجنود المتسخة ، أسماهم . . حدائدهم ، عواؤهم .

الطفـــل . .

ولك حبي أيها الطفل الجميل . كنت تشارك أختك في رص أصص الزهور في سفح الحائط العلي . بعثرتما ألوانا شتى في البستان . تستمتعان كنتما بألوان الزهور . نعم صغيري ، كل ذلك كان في وقت ما . كانت هناك زهور بيضاء وكانت هناك فاطمة ، وكان هناك إناء لبن بقر . في بواكير الصباحات الشتوية يشملكما شعور بالصفو والانشراح وأنت ترتع البستان بصحبة أختك . ولحظة وطء أقدامكما لبرودة طين الحقل تشعران بنشوة تغمركما بالفرح والحبور .

أين كنت تعتني بأرانبك ؟ هه ، أخبرني حبيبي ، في ذلك الركن هناك . . نعم ، كان كوخا سعفيا صغيرا في البستان ، تدخله حاملا في يديك حزمة الجزر لأرانبك . ألوانها جميلة ، تكسوها فراء ناعمة وكنت تحرص على نظافتها . لم تسمح لأحد باطعامها سواك وفاطمة . ها أيها الصغير أخبرني ، ماذا عن رسوماتك التي . . .

الزهور البيضاء والحمراء ذبلت الآن . وهو ذات الطفل المعطر براءة ، طلب ماء ثم أغمض عينيه واستكان بلا حراك . وكم بدا مرعبا ذلك الجندي الوسخ . . كان يتقدم بخطوات حمئية ، وحين التفت بكليته بدا وكأنه خرتيت مخبول بخوذته العسكرية المستديرة .

مساء وحكاية . .

وكان المساء العطري . تهبط فاطمة حاملة مقطف جمع الثمار في يدها ، تلتحم كينونتها بعناصر البستان . تسرح فاطمة ممرات مشجرة ترذرذ أنفاسا نرجسية للبراعم الصغيرة لتنتعش نضارة ولهوا . تهمس لقطوف الشجر فيينع الجناء ويحلو الثمر . يكون

المساء ؟ تكون فاطمة . تحب كثيرا التقاط التوت الساقط على الحشائش . وباطلالة تروعك لحظة الالتقاط : أنامل سنية مشربة بملامح الورد تلتقط وتسقط في المقطف السعفي . تحركت فاطمة ، الأغصان تمايلت . فاطمة تجد التوت الساقط . غصن من شجرة ـ في سهوتها ـ يشتبك بوشاحها . . تجثو فاطمة للتوت ، الوشاح ينزع خطفا . . يرتد الغصن اهتزازا . يعلق الوشاح الرقراق . جدائل فاطمة توالت منحطة صببا ـ بصمت ـ على كتفها . تنتبه للغصن . . ترشه ابتساما . وجهها ذو بياض ناصع وقد طرّاه منذ برهة مطر ربيعي ناعم وناغم .

كل أرانب البستان شاهدت المشهد فتقافزت تلفها أطر الغبطة ، هي تحب فاطمة أيضا . وفي العودة سلكت فاطمة الدرب المبلط بحصى أحمر فشهقت فوانيس المعبر سفرا .

الأشجار . .

ثقوب . . ثقوب كثيرة ، غائرة ومحشوة بالظلمة والدخان ، هرّأت جسد هذا الأب الحاني . الرصاصات المعدنية الصلبة اخترقت معطفه الجلدي إلى لحمه وهشمت عظامه . لو اكتفوا برصاصة واحدة . لكنهم زاحموه رصاصا كثيرا . مات . تسرب منه دم كثير جدا . القربة كانت في يده اليمنى ، الآن ليس فيها ماء ، وقد لوثها رذاذ الدم في بعض الجوانب . كلهم أطلقوا عليه رصاصاتهم . الآن شعره معفر بالتراب والدم ، لم يكن وجهه هكذا قبل وهلة . كان نظيفا وحاجباه وذقنه لمّا تزل رطبة بوضوئه . لم يهُمل . رمي بسرعة وقسوة . لم يسقط من أول مرة ، إبتداء ثقلت خطاه واضطربت ساقاه . (لم يكن يضطرب والطفل يصعد كتفيه ضاحكا) . أحس بأعضائه لم تعد ملكا له . شعر بخفة متناهية وسديم الطلق يكتنف مقلتيه . نكهة احتراق الرصاص يطعمها في قعر الحنجرة . التفت قليلا ثم تهاوى وتعالى مستشهدا .

السماء . .

وفي الرؤية كانت خطوات المسير رخية على جسر الزهور ، وكان المعبر منثورا بورق الورد . . الهواء الضاحك يتصفحه بتؤدة . وظلال الرؤية المرفرفة تهدل في فؤاد الطفل الصغير .

وأرانبه البيضاء ترتع معه . . تقفز هنا وهناك ولكن لا تبتعد عنه كثيرا .



جانب من الامسيات الشعرية التي يحييها المنتدى الأدبي

* قصة قصيرة *

البرعم

بقلم : يونس بن الأخزمي

مدخل أول :

تقتعد التلة مبحلقا في المحيط بتشتت ، عيناك منتصبتان بقلق وعقلك مبعثر فوق الأرصفة . تقعد منعزلا ، في أعماقك غبار كثيف وملء عينيك ملح وذعر . تبكي ، تعرك بأسمالك الرثة دموعك المتهدلة ، وتوغل في صمت رهيب كالموت . وهي تقعد على مصطبة بعيدة ، تبصرها في دهاليز ذاكرتك المضيئة صبية كانت بظفائر مسترسلة كالحنطة ، تغدو مع الطيور في كل فجر ، تنشر عبيرها في السفوح والمروج ، مغسولة بالكبرياء ، من وجنتيها تشع شموس أورجوانية ، وجهها الملائكي يمنحك زهوا ويوقظ الكوامن فيك . مع الغسق تعود تدندن ؛ صوتها الجميل للطيور الناعسة في أعشاشها ، ثم تنتشر في الأحلام . وحين تلثم ثغرها الوردي ، تذوب أمامك حنانا دافئا فتحتضنها بقسوة ، تلهو معك في الغدير ، ترشق وجهك بمائها المعطر ، ويأسرك سحر ابتسامتها .

كنت تعشقها ولا تزال . .

وهي تقعد الآن على تلة منحدر لواد سحيق بلون الغربان . تبكي ، يبلل وجهها المخشوشب حزنا ، دموع مرة ، تنظر بصمت في البعيد ، ترقب بقلق طوفان يبتلعها فتموت .

كنت تعشقها ولا تزال . .

كراهب وقور تسمرت تلتك الحجرية ، تحاول فقء سماء ملؤها العتمة ، لكنك لا تستطيع . وساعة يأسرك اليأس تزعق بصوت صاخب كالرعد ، تسمعه الأشجار والأضرحة ، وتنطمس لقوته الأحراش .

وحين اقترب منك ، تتبرم في وجهي وتصرخ بحدة .

لن أدعهم يأسرونه ؛ انه الهلاك .

لكنني لا أفهمك . وساعة ألمح الخيبة تغزو عينيك ، أحضنك بحنو بالغ ، أدخلك منـزلي ، لكنـك تمكث صامتـا تحلق في فضاء الغرفة بوجوم ثقيل ، وحين يموت نصف الليل ، تتملص من بين يدي ، وتهرب الى السماء ، تزف معك خوفا وفزعا . مع الفجر ألمحك متسمرا تلتك ، ترمق الفضاء بتوثب وحين تقبل الطائرة تنتصب بعنف ، وساعة تختفي خلف المدى ، تضرب بقبضة يدك على الصخر وتصرخ في الوجود .

ـ لن أدعهم يأسرونها . . انه الهلاك .

مدخل ثان :

الفجر يسوق أمامه ببطء عربات العتمة . استيقظت وجماجم القرية مذعورين على ازيز قادم من السماء ، وحين استقمت خارجا ، لمحت الجموع تصطفق برهبة وأنظارهم معلقة في الفضاء الفاصل بين الأرض والفضاء ، وكنت معهم ، وفي الأجواء كانت ثمة طائرة تحلق مختفية وراء الجبل . وحين تراجع القوم ، مكثت مكانك كمن أصابته الصاعقة فتيبس . نظراتك شاخصة في الأفق . اقتربت منك ، ناشدتك النكوص فتمنعت . وما ان شددت على منكبيك بقسوة ، حتى صرخت في وجهي ومضيت . منذ يومها وصوتك يقض المضاجع ويغزو دهاليز الفضاء . وساعة تلمح جمعا ، تصهل بصوت لافح كدوي امرأة تغتصب . .

ـ لن ادعهم يأسرونها . . انه الهلاك .

ولحظة يأسرك اليأس ، تنهض ، تمسح الكلس المكتوم حول عينيك وتمضي ، تزود ترنيمتك المعتادة . تظل هكذا ، حتى تخمد آخر ذبالة فانوس فتسكن .

(١)

بعد فرض العشاء ، يجتمع القوم في فناء المسجد ، يتقاذفون حكاياتك بسخر .

ـ حمدان جن . . لا حول ولا قوة إلا بالله .

ـ يا جماعة ، حمدان شرب من ماء البئر التي تسكنه الجنية .

ـ يا خسارة ، كان شابا طيبا .

وحين تتجه أنظارهم نحوي ، أحمل نعلي وأهرول بعيدا حيث انتحب لأجلك بشدة .

أسبوع مضى لم تذق فيه طعما للراحة قط ، اسبوع ، ما ان تظهر هذه الطائرة النفاثة في الأجواء مع أول بشائر الفجر وتختفي خلف الجبال حتى يداهمك زلزال مروع ، يصدع كيانك ويهلكك في الصراخ والبكاء . وما أن تبلغ الشمس مقصدها في كبد السماء وتعود الطائرة أدراجها حتى تهرول ، جبينك يهطل عرقا ، وصوتك يئز في إيقاع يرعب القلب . وقبيل تجلي فجر جديد ، داهمني صوتك الحاد .

ـ ما حكاية هذه الطائرة ؟!

لكنني لم أجبك ، مكثت مشدوها بمدعاة المفاجأة .

نفضتني بعنف ريثما أفيق ، وزعقت في وجهي بحدة .

ـ ما حكاية هذه الطائرة ؟!

وما ان داهمك الأزيز ، حتى شددت ساعدي وهرولنا خارجا ، وما ان التهم المدى الطائرة حتى رفعت سبابتك اليها مبحلقا في وجهي برجاء ضعيف .

ـ ما حكاية هذه الطائرة ؟!

وحين لا أحرى جوابا . . تنفض رأسك وتركض في المساحات صارخا بعنف :

ـ لن أدعهم يأسرونها . . انه الهلاك .

(٢)

تقتعد التلة ، رأسك تلتهمه المدارات ، تمضي ليلك عائما في فضاء برائحة الهلاك ، عيناك واجمتان ، وشعر رأسك الأغبر منتصب بازدراء .

وهي تقعـد واجمة أمام ناظريك ، يأسرها وجهها الشاحب ضباب من الشيخوخة والاندثار ، حزينة حد النخاع .

تحاول قشع جدار فاصل ، لكنك لا تستطيع ، وحين تحاول ضمها الى صدرك تبتعد عنك الف الف ميل ، ظهرها تقوس بحدة ، وشعر رأسها غدا أبيض كالكفن ، عيناها الملائكتيان غزاهما سواد مدقع ، نهداها ضامران بحرقة .

كنت تعشقها ولا تزال .

لكنك الآن تقف عاجزا ، تأسرك خيبة شديدة فتبكيها بنحيب يقطر دما . حملت طعاما رخيصا ودلفت اليك ، وحين دنوت هالني ما سمعت ، كنت ترسل مواويلك الى السماء ، عيناك معلقتان في الأفق ويدك تعبث ببندقية وسدتها جانبك .

ـ مباركة مدينة الأوبئة ، مدينة المعتوهين ، هذا الاخضرار المترامي سيغدو سوادا مميتا حتى لتنتحبين في معاقرك الأزلية .

ـ مباركة مدينة الخراب والنيام . . الى الجحيم . . الى الجحيم .

اعتراني هاجس رهبة زلزل كياني . أحسست برغبات عنيفة تتدافع في صدرك لأن تقـول شيئـا . رأسك تتناقله أمواج ساخنة ، وعيناك الى السماء مخطوفتان بفعل ساحر ، شفتاك لا تكفان وجسدك في ارتعاش سريع . وحين اقتربت منك اهديتني ظهرك ، اردت أن أبكي على صدرك لكنك تركتني وشددت سارية الرحيل ، تدندن بقوة ترنيمتك المعتادة :

ـ لن أدعهم يأسرونها . . انه الهلاك .

(٣)

في فناء المسجد يجتمعون ، يرتشفون القهوة والأحاديث ، كنت تعلم بأنهم يقذفونك بالجنون . . كنت صامتا . . وكنت لا أفهمك .

ـ ماذا نفعل بهذا المعتوه ؟

ـ صوته يهلك منامنا . . صار مزعجا لا يطاق .

ـ دعوه يا جماعة . . ربكم الهادي .
ـ وجب أن نأخذ بندقيته خوفا على أطفالنا .

وما أن يلتفتوا إليَّ ، حتى أحمل صمتي وأوغل في الحلكة قاذفا بسخطي في المدى ، وحين يحرقني كلامهم عنك ، انحشر في بكاء عصيب . وقبيل أن اولج في السبات ، لمحتك متطرحا في حوش المنزل ، يسدل النوم أجفانك اللزجة ، ويداك تحضنان بندقيتك العتيقة . حملتك داري واقعدتك قدامي . انتظرتك الحديث ، لكنك تلفعت الصمت .

ـ يتهمونك بالجنون . .
ظللت واجما غير عابىء بشيء .
ـ يخشون بندقيتك .

لكنك لم تهمس بشيء ، وحين انتصف الليل ، نهضت ومضيت تبتلعك لجة من ظلمة وبكاء .

وحين أويت إلى الفراش ، باغتني صوتك الحاد ، تهتف ترنيمتك المعتادة :

ـ لن أدعهم يأسرونها . . انه الهلاك .

(٤)

تقنعد تلتك واجما باكيا . . تحدق فيها بإشفاق ، لكنك لا تدرك أطرافها وهي تموت أمامك رويدا رويدا . في عينيها حقل تلمح بنفسج يغزوه الجراد ، في صدرها الضامر مدينة فضائل يأسرها الطوفان .

كنت تعشقها ولا تزال .

وحين تمد لها يديك ، تهرب من أمامك بعيدا لتموت هكذا وحيدة دونما خليل . أنت وهي ، والامتداد الفاصل شاسع شاسع ، ولكي تدركها وجب عليك اختزال زمن بمليون سنة ، وابتلاع نصف هذا الوجود ، ان تفقأ العيون المتربصة بها وان تروض ذئاب الافئدة ، وتحرق الأحراش كلها .

لكنك هنا تيأس وتهزم .

وتنهـزم . ورغم ذلـك فأنت تعشقهـا . والجمـع أمامك في صفوف تأهبا للصلاة عليها . . بياض بياض . . والملائكة ترفرف من فوقك في انتظار ان يحملوها الى الفردوس . وجمع آخرون يقرأون الأمجاد وآخرون ينقبون الاتربة . . وآخرون في أقصى الغرب يهزأون بشدة . والمنظر يسحق أعماقك بقسوة . ولكنك هنا لا تحتمل منظرا آخر ، المكان حزين ففررت منه تجز قدميك بتلكؤ ، وكوكبة من الناس أمامك تتطاير من الأوبئة نحو السماء . لكنك هنا أيضا تقف مكبلا بعشقها الأزلي ، فتبكي بحرقة .

مع الفجر ، رآك الرعاة وأنت تزرع الأضرحة والمسافة كطائر فقد مخيلته . وما ان لمحت الطائرة حتى شرعت البندقية عليها واطلقت ثلاثة عيارات في الهواء وأنت تصرخ بقوة :

ـ لن أدعهم يأسرونها . . انه الهلاك .

حينها ، ذعر القوم جميعهم ، فانحشروا في بيوتهم وأوصدوا الأبواب على أطفالهم ونسائهم .

(٥)

جفلت والقوم على جلبة عنيفة وأصوات محركات تشحر بشدة .

كانت العساكر تطاردك من وحل إلى وحل ، يبغون قطع لسانك المثقل وبتر ساعدك الهش ، وكنت تزعق في المدى : ـ

ـ انه الهلاك . . انه الهلاك .

وحين أمسكوا بك هتف قائدهم : ـ

ـ القوا ببندقيته بعيدا .

ففعلوا ، وبكيت أنت طويلا . ولمحتهم يجرونك بعنف بالغ ، وسبابتك تشير إلى البندقية وعيناك مرتكزتان في عيني ، وحين أدخلوك سيارتهم المسيخة ، كنت تهتف في الجمع : ـ

ـ انه الهلاك . . انه الهلاك .

والقوم جميعهم محوقلون .

ـ أراحونا من صراخه .

ـ سننام ملء جفوننا .

وحين اختفوا ، مكثت مكاني طويلا ، في عيني دموع مرة وأمامي منظر سبابتك وعينيك ، وفي اذني ترنيمتك الحارقة .

وحين رفرفت الطائرة في الأجواء ، ركضت الى بندقيتك ، رفعتها للسماء ، واطلقت العيار تلو الآخر وأنا اهتف بشدة :

انه الهلاك . . انه الهلاك .

وانتحب بحدّة .

[تمت]





جانب من احدى جلسات السمر الأدبية التي يحييها المنتدى الأدبي في اطار فعالياته

الباب الخامس

في

(الشـــعـر)



احدى فعاليات المنتدى الادبي عام ١٩٩٠م

رايـة الآداب [1]

شعر : الشيخ عبدالله بن علي الخليلي

محاسن الذات بين الشعر والأدب ... أطمعت كل فؤاد فيك فاحتجبي
ويا ملاحمها في الشعر سالكة ... خطا ابن ثابت بين الصدع والرأب
ويا مقامتها بين المقامة في ... مواكب الضاد قد جليت فاقتربي
ويا تسابق فرسان الرواية في ... مضمارها قف لتروي السلب للسلب
ويا تفننها في القصة اغد بها ... لمضرب السحر بين السحر واللبب
ويا مطالع أقمار البيان على ... هذا الاديم قفي نجلوك للأدب
ويا سويداء قلبي حين اذكرهم ... ترفقي بفؤادي واحفظي أربي

* * *

يا رافعا راية الآداب شامخة ... خفاقة في سماء « المنتدى الأدبي »
رفعتها بيد العلياء فارتفعت ... تدعو الى منتداها أمة العرب
واقبلت بالأماني وهي رافعة ... هام العماني بين الفخر والقبب
تقيمها ندوات في مضاربه ... وأمسيات عليها الطابع العربي

* * *

---

(١) القيت القصيدة في الحفل التكريمي الذي أقامه المنتدى الأدبي تحت رعاية معالي يحيى بن محفوظ المنذري وزير التربية والتعليم والشباب يومي ١٩ و ٢٠ فبراير في روضة الخليل بن أحمد الفراهيدي وتم فيه تقليد سعادة الشيخ عبدالله بن على الخليلي درع المنتدى الأدبي الذهبية تقديرا لجهوده في خدمة الأدب والشعر بالسلطنةوقد القى القصيدة نيابة عن سعادته ابنه الشيخ محمد بن عبدالله الخليلي .

ينشق عن فجرها تكريم ذي مقة قد شاخ عن لذة التكريم والرغب
وعاقه عن لحاق الركب طاغية في نزوة الدا أشابته ولم تشب
وكيف تكريم من لا يستطيع إذاً حضور ذلك لو حبوا على الركب
لكن لي املا في الله أنشده معلقا من رحائه على سبب
فإن نثرت بشعري حمده فلكم طويت بالقلب من حبه الذهبي

* * *

يا أنجم الحفل يا أقماره لكم مني تحيات مشتاق على نصب
يحس منه بتقصير تجاهكم إذ عاقه عنكم ذو مرة غلب
لكنه طامع في عفوكم أبدا والعفو ممن تود خير مرتقب
وفي الختام سلام نشره عبق يفتض بالمسك ختم المندل الرطب

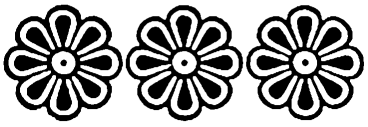
* * *

تحية إلى عمان

شعر سعادة الشيخ/ مبارك بن سيف آل ثاني

ينبيك عن لمح الجمان جمار
والليل تعرف بعده الأنوار
والشمس ما كنا لنعرف نورها
لو لم تضأ في ليلنا الأقمار
هذي عمان تسابقت أصداؤها
وأتت بآلاء لها الأخبار
يهفو إلينا نورها رضياؤها
ونسائم سعدت بها الأسحار
والفلك فوق الماء رمز أعزة
فهمو الكرام الشمُّ والأبرار
أنظر الى الأطيار في وديانيها
وهضابها حفت بها الأشجار
من كل مخضر زهت أركانها
غسلت زهور جبالها الأمطار
من كل لون ساحر أطيافه
سعدت به الأزهار والأطيار
انظر الى التاريخ في صفحاته
تنبيك عن ماض لها الأسوار
يا مسقط الخير الملألأ نورها
والشاطئان ونزوة وصحار
طافت شموس المجد في أركانها

نهضت بعز مطرح وظفار
أنعم بهم قوما دماؤهم دمي
أنعم بها أرضا وجل جوار



فليفخر الحصن الرفيع

شعر : سليمان بن خلف الخروصي[1]

أللهُ أكبر فاق عن أقرانه ... وسما بمفخرة على كيوانه
بهر العقول بحسنه بشموخه ... بقلاعه بالفن في اتقانه
حصن بـ « نخل » لا يرام محله ... ايوان كسرى غار من ايوانه
والله ما الأهرام تشبهه ولا ... غمدان بل قد فاق عن غمدانه
وكأنه قصر الخورنق بارزا ... يروي حديث المجد عن نعمانه
وكأنه قصر الغساسنة الأُلى ... في جلقّ زاه لدى حسّانه
وكأنه قصر الرشيد ، ودجلة ... بضفافه يحكي حديث بيانه
وكأنه الحمراء في غرناطة ... فيما حكى التاريخ من أزمانه
وكأنه جبرين في التصميم بل ... يزهو على الشهباء في بنيانه
وترى البروج كأنها فوق السما ... شهب ترد الكيد عن عدوانه
وبه من الغرف الجميلة كثرة ... يلهو بها المشتاق عن أوطانه
وكأنما أبوابه في صنعها ... كالبأس منه بحده وسنانه

* * *

أللهُ أكبر ان هذا الحصن في ... عليائه يزهو على أقرانه
يا حصن نخل أنت من شاذونه ... عقد وحسبك من علا شاذانه
وكأنما هذى النخيل بسوحه ... أجناد جيش الله يوم طعانه
وكأنما تلك الجنان بجنبه ... كالورد بل كالروض في ابانه
وكأنما اسطبله غيل الشرى ... يحوي جياد الخيل في ميدانه

---

(١) القيت القصيدة بمناسبة الانتهاء من ترميم حصن نخل التاريخي المعروف تحت رعاية صاحب السمو السيد فيصل بن علي وزير التراث القومي والثقافة .

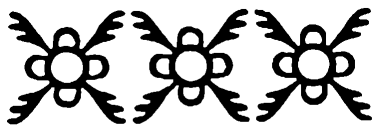
وكأنه بين الجبال يمينه وشماله ملك لدى أعوانه
وكأنما تأريخـــه بســـجله يروي الكفاح معززا من شأنه
يحكي عن الصلت الامام وجيفر وسليل مرشد كان من تيجانه
وفتى سعيد أحمد السامي الذرى من رد كيد الخصم عن أوطانه

* * *

وكأنما نخل به من زهوها لما بدا كالعمر في ريعانه
بلد له تاريخه كم عالم منه وقوم كالرضا سلطانه
بلد الندى غيث الصريخ معاذه وكفيل نجدته وحصن أمانه
بلد صحبت به الشباب وعشت في أكنافه وكرعت من غدرانه
وقطفت من ازهاره وجنيت من أثماره ونهلت من وديانه
وورثت منه مكارما ومحامدا ورويت من ادابه وبيانه
وقبست من علمائه وشيوخه وعرفت معنى الحسن من غزلانه
فمحضته ودي وكنت لسانه في يوم مفخره ورفعة شأنه

* * *

فليفخر الحصن الرفيع بهامها بكريم ما أوتيه من سلطانه
قابوس يا بحر المكارم أنت من كالبحر جاد بدره وجمانه
أحيا التراث مآثرا فعمانه تدعو له التوفيق من رحمانه
فلكم من الحصن الرفيع تحية مسك الختام يفوح من أردانه



أنت الأمير وكلنا أبناء

شعر : حميد بن عبدالله الجامعي (ابو سرور) [1]

أبـغـير شعـرك تفـخـر الأدبـاء
فهـم الـسـمـاء وشـعـرك الأضـواء
قد جئـت للأدب الـرفـيع مشـيدا
فعـلت بوجـه جمالـه الـنـعـماء
رضـيتـك قحـطان لترأس ضادهـا
ونـزار جاء بها الـيك ولاء
ما بالـغـريب على الـبـيان قيادة
قد نلتـهـا ما فاتـك الـعـداء
أو لسـت شبـل أئـمـة قادوا الهـدى
خرت لهم من برجـهـا الجـوزاء
ورثـوا الـنـبـي وآلـه في هديه
ماتـوا وهـم ما بيننـا أحـياء
فبـمـثـلهـم ترقـى المـفـاخـر منـبرا
وبـنـورهـم تتـقـشـع الـظلماء
لولا الـنـبـوة فاز فيهـا أهـلهـا
هم أنـبـياء ومـا بذا غلواء
عمـروا الـسـما والأرض من مسـنـاتهـم
حيتـهـم يوم الجـزا الحـوراء

---

(١) القيت القصيدة مساء يوم ٢٠/٢/١٩٩٠م في الحفل التكريمي الذي أقامه المنتدى الأدبي تحت رعاية معالي يحيى بن محفوظ المنذري يومي ١٩ و ٢٠ فبراير سنة ١٩٩٠م ، احتفاء بسعادة الشيخ عبدالله بن علي الخليلي شاعر عمان وتقليد سعادته درع المنتدى الأدبي الذهبي .

فبحسب منتسب اليهم مفخرا
إن يفخر الكرماء والكبراء

* * *

هذى عمان أتتك في أفلاذها
مزهوة تسعى بها العلياء
حضرت وأحضرت السرور مسامرا
لتتوج الشرف العلى الشرفاء
وأتتك من شرق الديار وغربها
أقطابها تعلوهم السراء
وكأنني بالبحر وهو بجنبنا
مرحا بذا تسمو به الخيلاء
تتداعب الأمواج في أجراسها
منه كما تتداعب العذراء
والماء فيما بيننا متفاعل
والفل والريحان والنعماء
كل يهنىء بالسرور حبيبه
نظرا وضما والشذى نماء

* * *

فكأننا في حضرة قدسية
من جنة الفردوس يا أدباء
وكأن يوم الانس لم يولد سوى
في ذا المسا يا حبذا الامساء
أولوك تيجان البيان موقرا
عبد الاله لتهنك الزعماء
فاشدد يديك بذي القيادة ماجدا
أنت الأمير وكلنا أبناء

* * *

قل لي فديتك أين شوقي يرتقي
هذا اللقا ليطيب منه لقاء
أو أين حافظ في ندا أبطاله
والبحتري ونخبة بلغاء
أين المبرد والخليل وأحمد
يا عبس أين إمامك المعطاء
أين ابن تبع البليغ وتاجه
أين الذي شرفت به الحكماء
يا ليتهم حضروا اللقاء ليسعدوا
لكن ليتي ما لها أصداء
ساروا ويرعى المتقين إلهنا
كل له بين الورى قراء

* * *

بلد الخليل ومازن وربيعنا
أعلامنا لم يحصهم إحصاء
أبناؤك الشعرا أرباب العلى
بك يفخرون مضوا هم أو جاءوا
فهم دروع المكرمات ولا مرا
وهَم رجال المجد حيث يشاء
إن البيان له مكان شامخ
شمس الضحى لم تخفها البصراء

* * *

كم بيت شعر هد عرش قبيلة
وله بأخرى قد خوت أعلاء
ولكم به قد أطفئت حرب القنا
ولكم به قد أضرمت هيجاء

ولكم مدارس قد بناها وحيه
فتخرجت بنجاحها البلغاء
عهد علينا أن نشيد لك العلى
ونضيف ما قد شيد الأباء
من لم يضف مجدا على أمجاده
ما بالمجيد ولو علاه بكاء
لا فاز من ناواك يوما بالأذى
وطني ولا نال المنى لؤماء
يا منتدى مازلت فينا منتدى
فيه ينمى الشعر والشعراء
جمعتنا لنرى العلى مزهوة
بأميرها فلتسعد الأمراء
فبمثل ذا تبني الثقافة عرشها
وبمثل ذا تتسابق الفصحاء
دم بانيا أمل البيان موفقا
لا خان من يهوى العلى الاسراء
دام البيان ودام رواد الابا
والبر فينا القائد البناء

البطـــولـة [1]

شعر : سالم بن علي الكلباني

أقبلت في جلالها المتعالي ... ترسم الزهو في جبين الكمال
شاقها عالم السمو الذي لم ... يتحرش به طموح الخيال
فانبرت توسع الوجود انطلاقا ... واستباقا إلى معالي المعالي
تستشف الغيوب عما لديها ... من محال مغيب في محال
كلما جاوزت مدى أعجلتها ... عادة الارتقاء نحو التالي
عادة شبت الحياة عليها ... وتربت مطامح الأجيال
واستمدت مصانع الفخر منها ... جوهر الحسن وائتلاق الجمال
حاول الدهر أن يمد اليها ... كفه بالخراب والاهمال
فاستشاطت حمية وإباءً ... واعتزاءً بصبرها والنضال
واستثارت كوامنا من نبوغ ... ذخرتها لهذه الأحوال
واستجاشت روافدا جارفات ... جاليات تراكم الأوحال
من تراها لكي تقر بنقص ... وهي عين الوفاء والافضال ؟!
من تراها لكي تقصر عما ... شيدته من شامخ الآمال ؟!
من تراها إذا انطوت صفحات ... مشرقات بضوئها الشعال ؟!
حاش لله أن يشار إليها ... حيث كانت الا بحسن الفعال
إنها أمة التحدي فهيا ... للتحدي يا نائبات الليالي
إمتطي صهوة العناد لتدري ... أينا الشهم في مجال الصيال
إمتطيها كعهدنا بك فيما ... مر من كالح السنين الخوالي
واشهدي إن عجزت أنا رجال ... قد سبقنا بالفخر كل الرجال

---

(١) القصيدة الفائزة بالجائزة الأولى في مسابقة المنتدى الأدبي الثالثة لعام ١٩٩٠م في مجالات الشعر الفصيح والشعر الشعبي والبحث والقصة .

خسىء الطامعون أن يتمنوا ... نقص غاياتنا العراض الطوال
وطنتنا على الجهاد عزوم ... كالمواضي وأنفس كالجبال
ذل من يرتمي إلينا بسوء ... فهو رام بروحه في النكال
ستغور الجبال لو مد يوما ... نحونا طائش يدا للقتال
ما شرعنا شريعة الغاب لكن ... نتوقى جهالة الجهال
يعلم الله أننا نحن أولى ... خلقه باليمين قبل الشمال
نستمد السلام من عنفوان ... يتحلى بزاكيات الخصال
ولأجل السلام والحب خضنا ... بثبات مجاهل الأهوال
واستعدنا الشباب غضا نديا ... لعجوز مشينة بالهزال
فافخري يا عمان أنك أم ... لم تخيب آمالها في العيال
وأهنئي يا عمان انك أحلى ... نغمة في حناجر الآزال
وازدهي يا عمان انك ازهى ... لوحة في روائع الأعمال
والبسي يا عمان ثوب الصبايا ... بالغت في فتونها والدلال
لو سئلنا عن الحياة لقلنا ... انها منك نفحة الأصال
أوسئلنا عن الجنان لصحنا ... هي والله بين هذى الرمال
لو سئلنا عن أي شيء جميل ... فاليك الرجوع في أي حال
قد تملكت عقلنا وهدانا ... وأمانينا ومسرى الخيال
ما قدرناك حق قدرك إن لم ... نفن في حبك الحبيب الغالي[1]
فأقبلينا صبابة وحنينا ... وتباريح لوعة واعتلال
واحضنينا روحا كريما يناجي ... فيك معشوقة بأسمى ابتهال
قد أتيناك بالوفاء شريفا ... شرف النصر في حدود العوالي
وصنعنا تيجان فخرك مما ... عز من جوهر السجايا النبال[2]
فتمني إذا أردت مزيدا ... نحن طوع المنى وطوع السؤال
ما نسينا الجميل إذ ليس ينسى ... فضل أماتهم سوى الأنذال

---

(١) كان متاحا أن أقول « العزيز » بدل الحبيب الغالي ولكن راق لي أن أضاعف هذا الحب الحبيب .

(٢) ربما يكون في نفوس بعض المطلعين أن الجمع هنا نبيلات ولا يجوز الجمع على نبال ولكن توجد في الشعر قرائن لهذا وبالامكان الرجوع الى لسان العرب مادة « نبل » .

ما نسينا ثرى نبتنا عليه وارتوينا بنبعه السلسال
وانطلقنا منه انطلاقة صقر أضجر الخافقين بالتجوال
يا عمان الصمود هل من صمود تستزيدنه وهل من جلال
حسب تأريخك المشرف فخرا انه حل هيبة الاحتلال
مارستك الطغاة حينا فباءت عنك بعد المراس بالانخذال
ذاق منك الأعجام كاسات موت كنت وزعتها على البرتغال
مادت الأرض تحتهم وتلظى أفق الجو ما رجا من نصال
يا لها من مصيبة لو دروها لاستراحوا في دورهم والظلال
كان عدلا جزاؤهم ليذوقوا شر ما أقبلوا به من وبال
هكذا يا عمان يندك بغي حين تسمو إرادة الأبطال
هكذا تستزيد في الطول كف مدها المصطفى لمحو الضلال
هكذا يستجد مازن مجدا قد بناه بذلك الترحال
يوم أثنى عليه خير البرايا وعلى قومه أسود النزال
دمت يا قلعة الخلود ودامت لعلاك الأيام في إقبال
وتوالى غيث السماء وغيث الأرض من نابع ومن هطال
وتوالى الشعر الجميل مشيدا بك في كل محفل ومجال
وتوالى عليك صوتي بأسمى لغة في الغدو والآصال
عفو عينيك يا عمان إذا لم أوفك الحق من شريف المقال
فكبير عليَّ أن أتعاطى غاية لا ينالها أمثالي
أنت أسمى مدى وأعمق غورا من حدود الأناة والارتجال
حار فكري ما بين ماض تليد طلت فيه وحاضر محلال[1]
فلك الأمس مورد من جلال ولك اليوم مصدر من جمال
مد قابوسك الجواد عليه كف فضل سخية بالنوال
كان يمنا ظهوره وصلاحا وخروجا من وحشة الانعزال

---

(١) محلال هي الروضة المحلال أي كثيرة الحالين بها لخصبها الوافر قال :

اشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا بقصر غمدان أرضا منك محلالا

وانطلاقا بالشعب في عهد نور صانه من غوائل المغتال
فجزاه بفضله الله خيرا عن شعوب تراه رمز النضال
وله النصر صادقا والتفاني مخلصا والوداد وسمح الخلال



« عمان المجد »

شعر : معالي ضيف الله الحمود [1]

« عمان » والمجد في التاريخ صنوان ... صحائف المجد أشكال وألوان
هذى تشير إلى ماض يزينها ... وتلك حاضرها علم وعمران
« عمان » دامت على الأيام سامقة ... نحو المعالي لها في الكون حسبان
البحر ميدانها والبر قلعتها ... والشعب أنعم به فالعزم والشان
قد جئتها وبقلبي من مودتها ... ما لو يزان فاحمال واطنان
حملتها موطني عمان يقرؤكم ... تحيه عطرها مسك وريحان
تفوح في منتدى الآداب عصبته ... تكرم الشيخ والتكريم عرفان
عرفانها بجميل الشيخ ذو قيم ... شهامة ومروءات ووجدان
وجدانهم لا يتناسى شاعرا علما ... وكيف ينسى وافضال واتقان
قد أحسن الشعر في شتى قصائده ... تلك القصائد منهاج وايمان
تزدان بالدعوة المثلى الى مثل ... عليا لها الأخلاق عنوان
والشعر يسمو اذا كانت مبادئه ... نبل المقاصد لا زيف وبهتان
والشعر يخلد ان كانت مقاصده ... صقل النفوس وصدق النهج برهان
دليل شاعرنا أنعم بقدرته ... على النظام فديوان وديوان
اليه نسعى بهذا اليوم نكرمه ... والمكرمون زرافات ووحدان
« عمان » تنهض نحو المجد تنشده ... حيث اتجهت فاعمار وبنيان
أبهى المظاهر تكريم لشاعرها ... « تطوان » تطرى وبغداد وعمان

---

(١) القيت القصيدة في الحفل التكريمي الذي أقامه المنتدى الأدبي تحت رعاية معالي يحيى بن محفوظ المنذري وزير التربية والتعليم والشباب يومي ١٩ و ٢٠ فبراير ١٩٩٠م وتم خلالها تقليد سعادة الشيخ عبدالله بن علي الخليلي درع المنتدى الذهبي .

وغيرها من بلاد العرب شاعرنا ... تطوى مواهبه والكل اخوان
هم يفخرون بمن فالنجح لازمه ... في شعره لقضايا الشعب تبيان
الله يأمر بالاحسان منبعه ... قلب طهور وايمان واحسان
خلاصة الشعر ديوان لشاعرنا ... من يتق الله فالرحمن مهوان
من يتق الله فالأخلاص طابعه ... من يتق الله لا تعس وخسران
أنعم بشاعرنا تبدو ملامحه ... فيما ذكرت بتاج الشعر يزدان
وتاجه صيغ من فكر وموهبة ... ما مثله في بهاء الوصف تيجان
اليك يا شيخنا « عمان » تبعثها ... تحية رمزها في القصد عرفان



« من ليالي الصيف الغابرة »[1]

بشعر : علي بن شنين الكحالي

يا ماضيا يرنو لحاضر ... إني لصفوك جد ذاكر
ذكر الصبا في أدمعي ... مَثَلٌ من الآهات سائر
لو أنني أستطيع لثمك ... عن غصونك لم أغادر
أسقيتني كأس الشذى ... عن ثغر جدولك المثابر
في حفلة القمر المنير ... وصيفة فرحان سامر
وتطوف رايات الحكايا ... والفؤاد لهن طائر

* * *

في ليلة السَّمَر المُرفَّ ... على السرائر والضمائر
هي ليلة رقصت بها ... آمالنا رقص الأزاهر
والليل دري الجوى ... والود عذري المشاعر
وسناه سحري الرؤى ... فيه الدخول بلا تذاكر
متلألىء الوجنات أبلجها ومسكي الضفائر
والأنجم الزهراء والبدر المتيّم وهو ساهر
سرب من الغيد الفواتن ... وهو فارسها المغامر
أو انها طلاب علم ... وهو استاذ محاضر
والليل كحل الغانيات ... أخذنه من ظرف ساحر
وبساطه نثر العبير ... وقد تطاير في المجامر
نسيمه قبلات شوق ... بينهن الوجد ساعر
ثملت به الأجفان من ... خطراته ورضاه باهر

---

(١) القصيدة الفائزة بالجائزة الثانية في مسابقة المنتدى الأدبي الثالثة لعام ١٩٩٠م في مجالات الشعر الفصيح والشعر الشعبي والبحث والقصة .

ولهـــان يعجـــل بالخطـــى ... والليـــل مضطـــرم الخـــواطر
أيخـــاله كبـــد الهـــوى ... أم أنـــه روح المســـافر

* * *

أنـــا والهـــوى وأحبتـــي ... جمـــع خواطـــره حـــرائـــر
ويضـــمنا صـــدر الحديـــث ... وما أرق حديـــث ناجـــر
كـــم مـــن غـرير أرعـــن ... متفكـــه اللفتـــات شـــاطر
ويـــدق أوتـــار التبســـم ... وهـــو يســـتلف النـــوادر
ويكـــاد يحســـدنا الـــزمـــان ... وجمعنـــا المشـــبوب طاهـــر
وإذا حـــزمنـــا لهـــونـــا ... فـــبروق ملهـــانا بشـــائر
لا الظلـــم يفتـــح بابـــه ... أو عاصـــف الشـــحناء هـــادر

* * *

يا واحـــة الحـــب النقـــي ... نمـــا جنـــاها في البصـــائر
عـــودي إلى أرجائنـــا ... والحســـن منطيـــق وشـــاعر
للوصـــل للوعـــد الصـــدوق ... نشـــد رابطـــة الأواصـــر
للطهـــر للعـــب المنمنـــم ... للحديـــث بغـــير ســـاتر
كانت أحـــب من الحيـــاة ... نـــديـــة حبـــلى المصـــادر
وأجـــل من فخـــر التحـــكم ... في البســـيطة والمصـــائر
كـــان الصـــفاء خطيبهـــا ... وقلوبنـــا الوهـــى منابـــر
واليـــوم حـــوصـــر خصـــبنا ... في قفـــر أفعـــال الكـــواســـر
نستنشـــق الهـــم المـــريـــر ... وتلـــك عـــادات الـــدوائـــر

* * *

وتأججـــت في الصـــدر ثورتـــه ... وفجـــــرت المحـــاجـــر
وتحطـــم الكـــأس النـــدي ... فلـــم يطـــق إدمـــان غـــادر
ما أضـــيع البـــدر الضـــحوك ... بصـــيفه من دون نـــاظـــر
مـــن كـــان يألـــف عشـــه ... جـــافـــاه محـــدود المناظـــر
وحـــــلاوة الأســـــمار ذابت ... في ملوحـــة كـــل ماكـــر
ولربمـــا شـــاد الأوائـــل ... مـــا يضـــيعه الأواخـــر

هــذي الضــريبــة للحضــارة ... إنهــا تقــديــر خاســر
أعطــت ولكــن أذهبــت ... عنــا الــبراءة في المســامر
فــإذا ســمعت بحــائــر ... فاعــذر فــإن الفكــر حائــر
وقــل الســلام على الســوالف ... والقريــض رســول غابــر
ان الحيــاة تبــدلــت ... بالنــاس والدنيــا مظاهــر

* * *



جانب من الأنشطة الثقافة والأدبية التي يمارسها المنتدى ضمن أنشطته وفعالياته

هـــزار الهنـــا [1]

شعر : ناصر بن سالم المعولي

هزار الهنا في الأيك وهنا ترنما ... فهيـــج بالألحـــان صـــبا متيما
تغنى فأضنى ذا هوى ذائب الحشا ... له كبد حرى وقلب تقســـما
هوى[2] قلبه في هوة الحب هائما ... بحسن الدمى ذات المباسم واللمى
اوانـــس يسلبن الحليم فؤاده ... فيغدو بهن الدهر ولهان مغرما
يبيت سمير النجم سهران ليله ... تسح مآقيـــه الذوارف عَنْدما
هو الحب كم أضنى شجاعا بقهره ... كعنترة العبسي فيمن تقـــدما
ومن هام[3] بالأطلال واستوقف الأُلى ... لديه واجرى الدمع في موطن الدمى
هم الأسد في الهيجا ولكنهم غدوا ... أسارى بقد العشق بين الورى اعلما
خليليّ ان ما الصب تيمه الهوى ... فلا غرو اذ من قبل شرواه تيمـــا
كثير اذا عدوا وما كان مفترى ... حديثهم في الناس من حيث قدما
خـــذ الحـــق وانبـــذ ما ســـواه وشـــنف المســـامع من ذكـــرى حبيب تصـــرما
ومل حيث ارنو تستبن منهج الرضا ... فتسلكه لا تخش جوعا ولا ظما
أحلّك في ربع من الفضل مخصب ... يســـح عليه الخير صوبا مسجما
عمان المنى ذو المجد والعز والسنا ... ومهد العلى والمكرمات وما سما
علت بالهدى والرشد مذ اسلمت ولم ... تخالف ولا صبت على أرضها الدما
تلقت رسول الطهر بالرحب والرضا ... وآوتـــه حبا واحتراما تكـــرما

---

(١) القصيدة الفائزة بالجائزة الثالثة في مسابقة المنتدى الأدبي الثالثة لعام ١٩٩٠م في مجالات الشعر الفصيح والشعر الشعبي والبحث والقصة .

(٢) أي سقط .

(٣) يعني امرؤ القيس .

ثوى بين اهليها عزيزا مكـــرما وغـــادرهم راض[٤] شكورا مسلما
وســـاروا لديه طائعين أعـــزة يحثون نوق العزم للرشد هيما

لقـوا ثم صـديق الهـداية صـاحـب الـرسـول عليـه الله صـلى وسـلما
فأثـنـى عليهـم ذو الـرشـاد خليفـة الـنـبـي وأولاهـم نـوالا وأنـعـمـا
ومـن قبـل لما سـار مـازن يبـتغـي الـرشـاد من الهـادي الـذي مـزق العمـى
دعا المصطفى بالخير واليسـر دائمـا علـى أهـل هـذا القطـر ما انهلـت السـماء[١]
فـأثـر ذيـاك الـدعـاء بقـطـرنـا الحبيـب وحـلاه الـفـخـار المتـممـا
ولـمـا يـزل ينهـل جـودا سـحـابـه[٢] المطـير إلى أن تكشـط الأرض والسـماء
فلله جـل الحمـد والشـكـر مـا بـدا المنـير ومـا لبـى الحجيـج واحـرامـا

رعى الله ارضي ما تخفى بأفقهـا منير والاّ ضـاء آخـر في الحمى
تتابعت الأمـلاك فيها وشـرفت مكانتهـا بين المدائـن منتمى
وهـذا مليك العصر قابوس اشرقت بطلعته الدنيا وطابت تنعمـا
افاض اياديه على الناس رحمة وجودا فأضحى الكل جذلان منعما
وسربلهم امنا يسير ضعيفهم بلا حذر فردا الى حيث صـمما
وخولهم ما يشـتهون تكـرما عليهم فعاشوا في نعيم وفي فما
فواضـله تنمـو فلا يحصـرنها يراع وهل يحصى الملث إذا همى
ومـا عمـران الأرض عند عمـارة القلـوب بشـيء ان عـدا الخلـف منسـما
تألف رب التاج من كان نازحا هواه وناء عن عمان وما حمى
والـف ما بين القبائل فانثنوا اخـلاء كالأنصـار فانظر لتعلما
جزى الله قابوس الثواب مضاعفا ولقاه في الأخرى المقام المعظما
هنيئا له بالعيد عيد استوائه على العرش ما القمري وهنا ترنما
امولاي ما للشـكر عندي غاية لنعماك فاعذر من بنعماك الجما
مننت فأحييت النفـوس كرامـة وامنت فارتاح الضـعيف وهوما

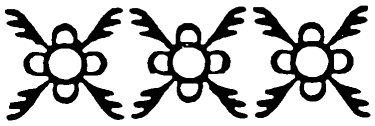
---

(٤) أجاز اللغو دون خاصة في الشعر .

(١) السماء هنا السحاب .
(٢) الضمير يعود إلى الدعاء .

عليك سلام الله ما فاه ناطق بشكري أو بلت اياديك ذا الظما
وهاك من الاطراء غيداء كاعبا عليها الثنا قد صار عقدا منظما
تدوم مدى الأيام ما انبلج الضيا وما بارق الاحسان منكم تبسما

[تمت]





ضيوف المنتدى من اليمين إلى اليسار كل من

١ ـ الاستاذ حمد القاضي رئيس تحرير المجلة العربية ٢ ـ سعادة الشيخ مبارك بن سيف آل ثان (في الوسط)

٣ ـ الاستاذ محمد الشدى رئيس الجمعية الثقافية بالمملكة العربية السعوية

عـمـان الابـــاء

شعر الشيخ : ناصر بن سالم بن سليمان الرواحي [1]

هو العلم يسمو بالفتى كل شاهق ... بما فيه من فضل فكن خير سابق
وهل ساد من ساد الا بفضله ... ونال العلى دركا لكل الحقائق
وللعلم في شتى الميادين سيرة ... إذا كان هذا العلم في نفس حاذق
فما العلم الا ما ترفع أهله ... عن السوء يوما من جميع الطرائق
رعى الله من كانوا لنا خير قدوة ... لتحصيله في غربها والمشارق
عمان لقد ربيت بالعلم فتية ... سموا للعلا تاليهم مثل سابق
لشتى مجالات العلوم تطلعوا ... إلى افق الجوزاء بين الخلائق
كفقه وآداب ونحو وسيرة ... وتأريخ مجد طائر الصيت سامق
فكم من أديب دون الشعر كاتب ... وكم مصقع في منبر الحق ناطق
نمتهم عمان المجد فوق ترابها ... فكانوا منارا كالنجوم الطوارق
تشع لنا آثارهم في ربوعها ... ترى مثل نيران القرى فوق شاهق
عمان الابا لازلت في منبر العلى ... بيانا يروى في سماء الحقائق
فقومي الى نشر المحامد وانهضي ... فقد جد جد الدهر من دون عائق
بنهضة سلطان البلاد ووعيه ... لنشر تراث بالمسرات عابق
تراث الألى كانوا بناة صروحها ... على أسس التقوى لمرضاة خالق
فقام مجدا للنهوض مشمرا ... لاحيائه وصلا لتلك العلائق
تبنى منتدى الآداب ترتاده النهى ... فها هو صرح شامخ ذو حدائق
يضم لفيفا من كهول وفتية ... على مستوى الآداب من دون فارق

---

(١) القصيدة القيت في الحفل التكريمي الذي أقامه المنتدى الأدبي تحت رعاية معالي يحيى بن محفوظ المنذري وزير التربية والتعليم والشباب يومي ١٩ و ٢٠ فبراير ١٩٩٠م احتفاء بأديب عمان وشاعرها سعادة الشيخ عبدالله بن علي الخليلي وتقليده درع المنتدى الأدبي الذهبية .

فصار مقر للبت في كل ندوة ... تقام احتفاء أو لتكريم فائق
وها نحن هذا اليوم نلتف حوله ... لتكريم موهوب واعزاز سابق
لمن بز أقران الفصاحة شعره ... فكان المجلى في مجال التسابق
هو الشيخ عبدالله من طار صيته ... بيانا سما قدرا لدرك الحقائق
نمته الى العليا نفس أبية ... واعلام مجد من سرات عمالق
تروّى معين الضاد طفلا ويافعا ... لذا لم يكن في شوطه من مسابق
هنيئاً فتى العليا لك الفضل منة ... على عالم الأفكار فاربح وسابق
فها نحن في جو من النشو طافح ... تظل علينا وارفات الحدائق
تطارحنا البشرى طيور سواجع ... وموج أبي بين هذى المرافق
وشكرا لسلطان البلاد مليكنا ... جزاء لما أولاه من قلب وامق
وازكى صلاة الله بالمسك ختمها ... على المصطفى المبعوث زين الخلائق
محمد الهادي الى خير شرعة ... وأصحابه ما أضر ومض لبارق

« الخليـــج »

المهندس/ سعيد بن محمد الصقلاوي [1]

أسرجـت حبـك في كياني مشـعـلا
يُضـوي بنـور جلالـه الـوجـدان
أنـا عاكـف منـذ الخـليقـة حافظ
صـلوات حبـك والحـقـوق تصـان
قـد تيمـتـنـي في هـواك مآثـر
عربـيـة والحـسـن والإحـسـان
آيـات مجدك أشـرقـت في مهـجـتي
وجـرت بهـا الأعـراق والـشـريان
وتـبـخـترت بين الـضـلوع مليكـة
فرشـت لهـا الأهـداب والأجـفـان
وتـألـقـت نجـمـا يشـق مجاهـلا
في كـل خيـط مبـحـر تبـيـان
أنـت الـعـصـور جميعـهـا في خاطـري
وأنـا عشـيقـك والهـوى إدمـان
صـغـت المـعـاني من سـنـائـك فرقـدا
للمـبـدعـين مطـامـح وبـيـان
وشـدوت في الأيـام لحنـك مغـرمـا
طـارت بـه الآفـاق والأكـوان
ولـقـد كتـبـتـك ألـف حـرف صـارخ

---

(١) القيت في الامسية الشعرية التي أقامها المنتدى الأدبي مساء يوم الاثنين ١٠ رمضان ١٤١٠ هـ الموافق ٩/٤/١٩٩٠ م

ألحق سيف والسنى برهان
غطى الزمان طموحنا بجناحه
وطماحنا أن تفتح الأزمان
الواهبون تسربلوا هماتهم
صبح الخلود بخطوهم يزدان
مد الأصالة في دماهم مزهر
فرح الخليج ووعدهم إيقان
غرسوه فوق رموشهم وتعانقوا
دستورهم الجد والايمان
لون الخليج .. شراعه .. وصهيله
وشموخ أجيال لهم عنوان
ركب الحضارة بارق في عزمهم
تعلى به الرايات والأركان
خصب تدفق من عيون عطائهم
متهلل فيه الرجا النشوان
يتزاحمون ملاحما ميمونة
يزهو بها التاريخ والأوطان
لا ردة تلوي أعنة حزمهم
فالنهج أحمد والهدى قرآن
سير من الحمد الزكي نشورها
لم ينطفىء من وهجها اللمعان
صوت الحياة مؤذن في نبضنا
فعبادة أن تسمع الآذان
ومن الوفا أن تستفز كوامن
كي يستطيل على المدى بنيان
ومن الوفا أن لا يكفن أمسنا
فغد له في أمسنا ريعان

وغـد لنـا من فجـره الـقـتـان
وغـد لنـا من بحـره الـعـقـيـان

الـواهـبـون المـبـدعـون شـعـارهـم
الله والأوطـان والانـسـان

والمـبـحـرون إلى مرافـىء فخـرهـم
لا الـريـح تثـنـيهـم ولا الـطوفـان

بـذل الـوفـاء إلى الـبـلاد فريضـة
ومـثـالـب أن تهمـل الـبـلـدان

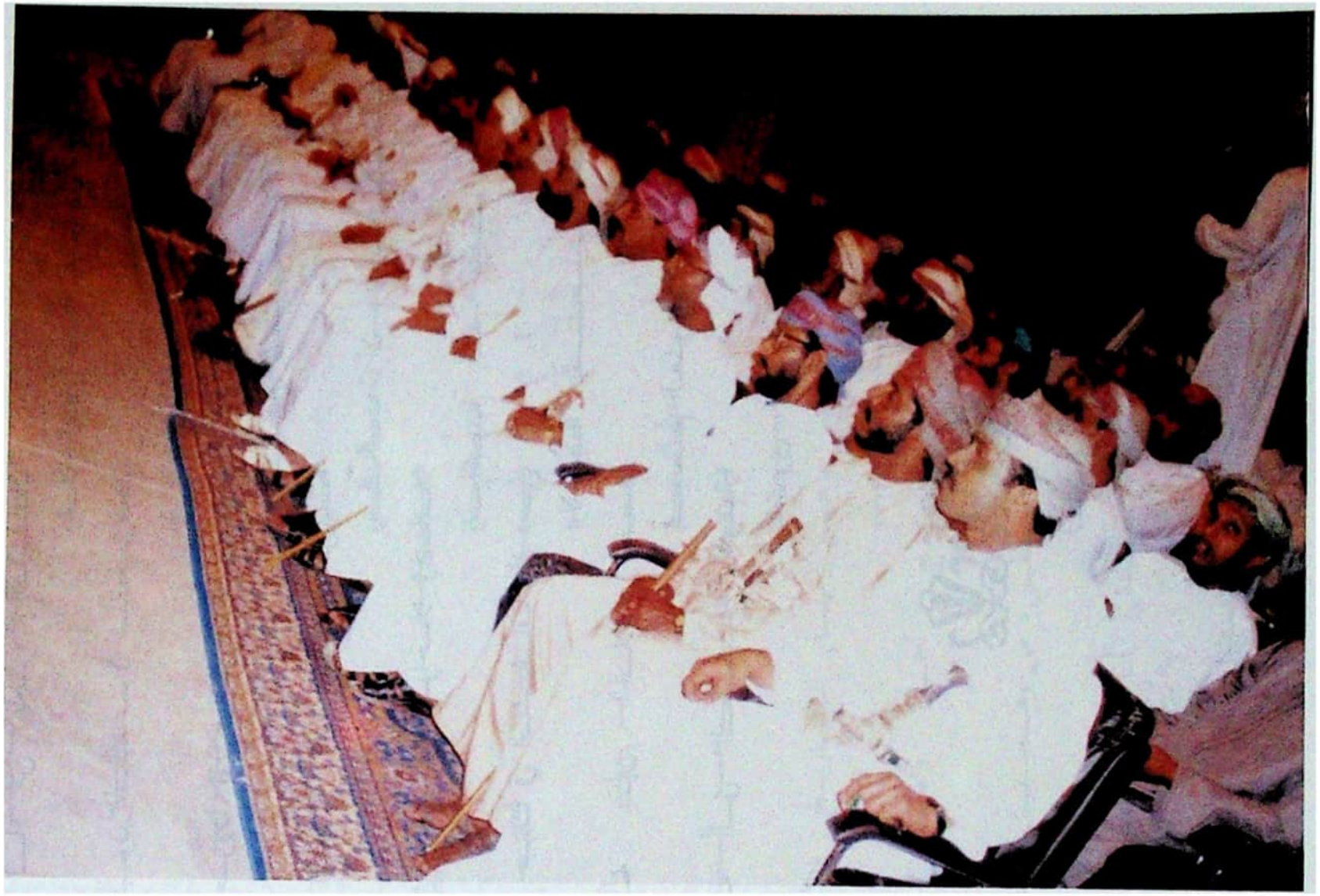
وطـنـي الخـلـيـج سـواحـلا وخمـائـلا
ومـواكـبـا قـد عزهـا الـرحمـن

ذوبـت حبـك في الـشـغـاف وفي دمـي
ازلا بـه يستـعـذب الخـفـقـان

وزرعـتـه بـين الخـلايا نخـلة
شـمـم الـعـروبـة هامـهـا الـفينـان

وحملتـه الـق الـصـبـاح طهـارة
يضـوى بنـور جـلالـه الـوجـدان





جانب من فعاليات المنتدى الأدبي

حب وهزيمة

شعر/ سعيدة بنت خاطر الفارسي [1]

خفق الهوى من حبه ... في خاطري فتبسما
في كل روض عطره ... والعطر في الدنيا همى
من حسنه خجل الجمال ... وفي حماه استسلما
قد قال سبحان الذي ... أهداك سحرا مفعما
بين النجوم مكانة ... في الحسن فاق الأنجما
كقصيدة أبصرته ... في الشعر تبقى معلما
وكفارس لا ينثنى ... وسيفه لن نُرحما
والغيد لحظه إن رنت ... من حبه لن تسلما
والجمع يجري لاهثا ... هيهات أن يتكلما
منى الفؤاد بأن يرى ... ملكا وان يتنعما
في لحن حبي نغمه ... كانت لبؤسي بلسما
ومع الطيور لفرحتي ... رقص الفؤاد ترنما
ما في الوجود مثيله ... من يتقيه اسهما
أحببته وغدوت في ... محرابه متنسكا مترحما
الأمر طوع بنانه ... ينهى ويأمر كيفما
والسحر طاغ والهوى ... زهرا بقلبي قد نما
وسألت قلبي أن يكف ... وقلت يا قلبي لما
لم قد هويت ومن هويت ... عليك يصعب سلما
غضب الفؤاد مقطبا ... وأشاح عني تمتما

---

(١) القيت في الأمسية الشعرية التي أقامها المنتدى الأدبي مساء يوم الأثنين ١٣ من رمضان ١٤١٠ هـ الموافق ٩/٤/١٩٩٠م .

فعرفت أني واله ... وهو أني لا لن أكتما
وسعدت لما أن رأيت ... القلب أمسى مفعما
حبا وشوقا ، لا تقل ... أهواك ، لكن ، انما
فالحب حس مرهف ... عن كل شيء قد سما
في صفحة البدر اسمه ... بضياته البدر احتمى
والسعد في جنباته ... والوشي حط منمنما
كالورد في أكمامه ... لا نرعوى ان نلثما
وإذا أبيت فهل لنا ... بهواكم أن نحلما
والحلم بلسم عاشق ... من حقه ان يحلما
أحببته أمضيت عمري ... في هواه صوما
اني هزمت وليس عارا ... في الهوى أن أهزما



الباب السادس

(كلمـــات ومناســـبات)



احدى فعاليات المنتدى الأدبي

كلمة معالي

يحيى بن محفوظ المنذري

وزير التربية والتعليم والشباب [1]

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله والشكر له على ما أسبغه علينا من نعم ، وصلى الله على سيدنا محمد ، رسوله الأمين ، وخاتم الأنبياء والمرسلين .

أيها الحفل الكريم . .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . وبعد . .

يسرني أن أعرب عن بالغ الشكر والتقدير ، لسمو السيد فيصل بن علي بن فيصل ، وزير التراث القومي والثقافة على اتاحته لي هذه الفرصة ، بشرف رعاية هذا الاحتفال . المقام تكريما لعلم من أعلام الشعر والأدب في عمان ، سعادة الشيخ عبدالله بن علي الخليلي .

أيها الحفل الكريم . .

انه لمما يطمئن النفس أن عمان في انطلاقتها الحضارية الشاملة وضعت في اعتبارها ، الاهتمام بتراثها واعتباره أحد الحوافز لمستقبلها ، وأداة من أدوات الدفع لحاضرها .

---

(١) القيت الكلمة في الحفل التكريمي الذي أقامه المنتدى الأدبي يومي ١٩ و ٢٠ فبراير ١٩٩٠م تحت رعاية معاليه احتفاء بالشيخ الجليل عبدالله بن علي الخليلي ، وتقليده درع المنتدى الذهبية وقد شارك في احياء الحفل نخبة من مفكري وأدباء السلطنة وجمهورية مصر العربية والكويت والأردن .

وانه لمما يدعو إلى الفخر والاعتزاز أن يرتبط كتابنا وادباؤنا ومثقفونا بالأصالة العمانية ، وبالتفتح على الفكر الحديث ، بحيث يبرزون أفكارهم وابداعاتهم الفنية المعاصرة ، على نحو ينسجم مع أصالتنا وتراثنا .

أيها الحفل الكريم . .

لقد كان للنهضة المباركة التي يقودها مولانا حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم ، أكبر الأثر في هذه الانطلاقة الحضارية المشرقة ، التي عمت كل أرجاء البلاد ، وفتحت آفاقا جديدة للانسان العماني في جميع المجالات ، من حيث بناؤه واعداده وتعليمه وتأهيله ، ليتمكن من اللحاق بالركب ، ويأخذ له مكانا لائقا به ، بين الشعوب المتقدمة في العالم .

ومن هذا المنطلق تم بحمد الله وبفضل توجيهات جلالته حفظه الله ، انشاء المدارس والمعاهد والجامعات وانتشار المؤسسات العلمية والثقافية ، لتمكين أبنائنا جيلا بعد جيل ، من القيام بواجباتهم الاجتماعية والوطنية بوعي ومسؤولية . كما تم بفضل مكرمات جلالته السامية اقامة هذا المنتدى الأدبي ، ليكون منتجعا لرواد الفكر والمعرفة ، ونبراسا يضيء لهم سبل الابداع ووساما للأدب والأدباء في عمان .

وإذ نشيد بما لهذا المنتدى من نشاط ، فإننا نتطلع الى أن يبقى مشعلا من مشاعل الثقافة بالسلطنة ، ومؤشرا جديدا من مؤشرات النهوض بأصحاب المواهب ، والاهتمام بفكر الشباب وأدبهم ، فيتيح لهم نيل الخبرة والمعرفة ، بالاحتكاك بالأدباء المتمرسين ، لاكتساب المضامين الجيدة والأهداف النبيلة منهم .

وإننا لنأمل أن يقوم هذا المنتدى بالمزيد من التعاون مع المؤسسات الثقافية داخل السلطنة وخارجها ، وأن تكون فعالياته وجلساته حافلة بالمناقشات الهادفة وتبادل وجهات النظر في جو من الود والمحبة ، وان يتمكن من تحقيق المزيد من عقد الامسيات الأدبية

بطريقة المنبر المفتوح ، لنشر الابداع الفكري ، وتشجيع النقد المفيد البناء ، لرفع شأن الأدب في عمان بما يتمشى مع ما تشهده ربوع السلطنة من رفعة الشأن في مجالات التنمية الشاملة والتطور الكبير .

وإذ نتطلع ، وكلنا ثقة ، إلى أن يحسن ادباؤنا استثمار هذه المكرمة على أفضل وجه ، وأن يولوا هذا الصرح كل اهتمامهم ، فإننا لنذكر لهذا المنتدى بكل اعتزاز ، ما حققه من فعاليات ومناشط ، ساهمت بحق في اثراء الساحة الفكرية والأدبية ، كما نذكر له بكل ثناء تلك اللفتة التي اتجه اليها في خطته لتكريم الأدباء والعلماء العمانيين . فبدأ أولى خطواته في هذا المجال بتكريم فضيلة العلامة والمؤرخ الشيخ سالم بن حمود السيابي في اغسطس من العام الماضي ، وتابع اليوم هذه المسيرة الخيرة بتكريم سعادة الشيخ عبدالله بن علي الخليلي الأديب الشاعر الذي يعتبر في مقدمة من أسهموا في خدمة الأدب بالسلطنة .

فهو ، وقد ولد ونشأ في سمائل فيحاء عمان ، وموئل شعرائها الأفذاذ ، وبحكم اتصاله منذ الصغر ومطلع الشباب بمجالس الفقه والأدب ، بين يدي عمه المرحوم الامام الشيخ محمد الخليلي وكبار السن من الأدباء والفقهاء العمانيين ، وبما حباه الله من موهبة ورؤية صادقة وخيال واسع ، وخلفية ثقافية عميقة الجذور ، فقد تجلت قريحته في الشعر ، وبرع في هذا الفن وابدع ، وانساب قريضه معبرا عما يختلج في صدره من انفعالات وأحاسيس وانطباعات ، وما لامس تجربته الحياتية من عوامل ومؤثرات متباينة ومتغايرة .

وقد تبوأ شاعرنا في هذا المجال مكانة خاصة بما يتجلى به شخصيا من خلق رفيع ، يتمثل باعتزازه بدينه ووطنه وعروبته وأصالته .

أيها الحفل الكريم . .

اننا ونحن نحتفل بتكريم علم كبير من أعلامنا في الأدب ، أرى أن احث جميع أصحاب الأقلام الأدبية والمسؤولية الثقافية ، على اجراء الكثير من الدراسات والبحوث الجادةوالمستفيضة ، لاثراء الساحة العمانية بالابداع الفكري الجديد ، وان اهيب بأجيالنا الصاعدة ان تشمر عن سواعدها لمتابعة هذه المسيرة ، وتحقيق الأهداف المنشودة في هذا المجال .

أيها الحفل الكريم . .

أختتم كلمتي هذه بتوجيه التهنئة الى الشاعر الأديب سعادة الشيخ عبدالله بن علي الخليلي ، سائلا الله العلي التقدير أن يمد في عمره ، وان يمنحه الصحة والسعادة ، ليضيف الى روائعه الأدبية فيضا جديدا من فكره وابداعه .

أشكركم جميعا ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .



كلمة معالي ضيف الله الحمود [1]

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، خاتم الأنبياء والمرسلين ، نزل عليه القرآن المجيد بلغة هذه الأمة العريقة تكريما لها وتعظيما لقدرها ومكانتها في العالمين ، لعل وعسى يعي أبناؤها العرب والمسلمون ، وعلى الدوام ، أمر هذا التقدير والتكريم فيتدبروا أمورهم ، ويرعوا شؤونهم بالرجوع الى كتاب الله المبين وأحكامه القويمة ، هذا الكتاب ـ الدستور الالهي بلغتنا العربية الفصحى ، نذكر بني قومنا دائما وابدا بأن من يهمه شأنها ويخلص لها بقوله وفعله ، بأدبه وشعره هو ذلك الانسان الغيور والوفي الذي ينبغي أن يكرم تكريمكم هنا في هذا البلد الناهض ، وفي هذا المنتدى العربي الاسلامي الزاهر لهذه الشخصية العربية الاسلامية الماجدة . . شخصية شيخنا الجليل عبدالله بن علي الخليلي ، أحد كبار الشعراء العرب البارزين في هذا العصر يبرز في (عمان) إحدى معالم الأصالة العربية والتراث الاسلامي الخالد . . (عمان) الأصيلة بأهلها الطيبين وبتراثها المتصل قديمه بحديثه ، وطارفه بتليده ، يرمز الى العمانيين الاجلاء افتخارا بهم ، واعتزازا بماضيهم الزاهر ، وحاضرهم المزدهر على مسيرة اليمن والخير والبركات ، وما انجزوا بسرعة فائقة وينجزون بهمة ونشاط وبعد طول انتظار بقيادة حكيمة جريئة مقدامة واعية سدد الله العلي القدير خطاها الى ما كان يعلق عليها من آمال كبار ، فكان النجاح ، وكان التوفيق بإذن الله تعالى حليفها .

. . ثم نؤكدها ونكررها تحيات تعطرها مشاعر المودة والاخاء المتبادل بيننا ، نحن الشعب العربي في (عمان) وفي الاردن ، واليكم أيها السادة اسمى التمنيات تتجمع في جوانحي لاعبر عن موجزها بأنني طالما قد حدا بي الشوق ومنذ سنين طويلة الى زيارة بلدكم العامر ـ بلدي ـ عمان ، الشامخة بالمروءات . . والسؤدد حتى جاءت المناسبة الثمينة

---

(١) شارك معاليه بهذه الكلمة في الحفل التكريمي الذي أقامه المنتدى الأدبي تحت رعاية معالي يحيى بن محفوظ المنذري وزير التربية والتعليم والشباب يومي ١٩ و ٢٠ فبراير ١٩٩٠م وذلك احتفاء بسعادة الشيخ عبدالله بن علي الخليلي وتقليده درع المنتدى الذهبي ، والاستاذ ضيف الله الحمود وزير اردني سابق تقلد عدة حقائب وزارية في المملكة الاردنية الهاشمية وعدة مناصب رفيعة ويترأس حاليا العديد من الجمعيات الخيرية .

الميمونة ، ودعيت من قبل هذا المنتدى الوقور ، للمشاركة في تكريم شيخنا الجليل فكان لي وبحمد الله ، تحقيق هذه الامنية الغالية ثم والشكر والتقدير كذلك الى الذين هيأوا لهذا الحفل التكريمي من منطلقات الوفاء وعرفان الجميل .

وهأنذا ـ أيها الاخوة ـ في رحابكم النبيلة ، أقف تحت أنظاركم ، وبجواركم مغتبطا بأنني التقي بالأهل الأعزاء ، بني العمومة والخؤولة فرحا بهذا اللقاء المبارك ، ثم على المبادي السليمة ومن أجل استمرارية الأهداف النبيلة التي يتبادلها العمانيون الفضلاء . . يتبادلون مشاعر عرفان الجميل ، والثقة والمحبة والاخاء في المجتمع الواحد ، والوطن الواحد ، والامة الواحدة ، التي وصفت بأنها خير أمة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر . والأمر بالمعروف في رأيي واعتقادي من مظاهره العرفان بالجميل والوفاء للعاملين الذين عملوا كثيرا لامهم وشعوبهم وهو مظهر الخلق القويم ، والشيم الرفيعة لاسيما وهذه الشيم الجميلة الأصيلة يتصف بها شعبنا العربي المسلم في عمان الناهضة بشائر خير ، وطلائع آمال مشرقة ينادي بها البارون المنتمون الغيورون في أنحاء وطننا الكبير . . في مجتمعات هناك فيها العديد من الجاحدين ، وممن ينكرون للجميل ، ويغمطون حقوق الآخرين وبالتالي أقولها بجرأة وصراحة بأن العديد من أبناء ديارنا العربية القريبة منا والبعيدة معا يعيشون معيبة تناسي جهود الذين ضحوا وبذلوا بسخاء وفعلوا كثيرا لصالح قضايا مجتمعاتهم وسيادة امتهم ورفعة شأنها ، وبخاصة أولئك العاقون الذين يجحدون انجازات المبدعين في ميادين التاريخ والادب والشعر ويتطاولون على الشعراء الذين مازالوا يقرضون الشعر كما اريد له منذ عرف العرب الشعر ، الذي هو في اعتقادي ، من أبرز علامات حضارة هذه الامة ما انبثقت وانطلقت من هذه الديار التي يسعدني الحظ في هذه الساعة ، أن أكون متكلما من على منبر من منابرها الأدبية معتزا بتأكيد القول بأن من هذه الربوع انطلقت الحضارة العالمية بعمرانها ، وفنون زراعتها ، وسدودها وأوديتها .

أجل . . إنني لاشعر بفيض من السعادة تغمرني إذ أدعى الى المشاركة في تكريم شخصية اسلامية عربية فذة من شخصيات هذا البلد الطيب بدعوة من المنتدى الأدبي رأى أن من واجباته تكريمها في هذا الاحتفال المهيب ، وفي ظلال اجوائه المعطرة بمشاعر الأخوة الخالصة ، ويحظى بشرف المشاركة بالتكريم أخوة عرب ومسلمون اتيت معهم مكررا الحمد لله الذي قد قدر لي تحقيق أمنية طالما داعبت خيالي .

وأبناء (عمان) منذ أبعد العصور جابوا البحار ومعهم بشائر الأصالة العربية ثم هم العمانيون الاسلاف رفعوا رايات العروبة منذ أزمنة بعيدة في آفاق العالم المترامية الأطراف ، تجارا ومكتشفين ، حتى إذا قامت بيمن الله القدير الدعوة الاسلامية المحمدية المظفرة كان العمانيون من حملة مشاعل النور والهدى ، أضاءت معالم الطريق أمام الأوائل ، وتضيء أضعاف أضعاف تلك المشاعل أمام جيل الحاضر ، وأجيال المستقبل والاواخر الذين كانوا قد تطوعـوا ، وهم الآن ومستقبلا يتطوعون في نشر رسالة الايمان والتوحيد ، والانسانية بمفاهيمها السمحة إلى العالم قاطبة ، والتبليغ بما أمر الله أو نهى عنه وبخاصة أولئك الأوائل الذين سافروا ، وغامروا الى الاقطار الشرقية القاصية ، والى أقطار افريقيا جزاهم الله عن أمتهم أحسن الجزاء ، وسجلات تاريخ التطورات العمانية تحتوي صفحاتها المزيد المزيد من أسماء الشهداء الابرار ، وحملة رسالة الدعوة الابرار .

والحديث عن عمان ومختلف تطوراتها الحضارية والاسلامية وما صارت اليه نهضتها العمرانية الزاهية ونشاطاتها الاقتصادية الناجحة ، يطول ويطول ، وليس في هذا الحفل مجالـه ، فمجـاله كتب ومؤلفات ، والمطلوب هنا شاعرية اديبنا الكبير المحتفى به وما قد تضمنت أشعـاره من قيم رفيعة ، ومثل عليا سامية يصح القول بأنها أصول تربية وطنية عربية اسلامية تجمع العرب والمسلمين على الايمان ، والطهر ، ومكارم الأخلاق ، والعرب في ظروفهم الحالية الكالحة ، بالتفرقة والفردية يعانون من أزمة أخلاقية حادة تشتد حبالها حول الـرقـاب هي أسباب نكباتهم التي حلت بهم وتحل بهم وهي من وراء الهزائم التي لحقت ، وتلحق مادامت اثرة ذاتيه تطغى وسطحية جهولة تسود ولا ابالية تحكم ، وتلهو ، والأمـور شتى ، والقلوب مريضـة متنافرة ، والصفوف معوجة مبعثرة ، وكثيرون من بني قومنا ، وكما أسلفت وفي العديد من المشارق ، والعديد من المغارب مرضى أزمات العقوق والجحود ، ونكران الجميل ، وكذلك مرضى تنكر بغيض لقيم الماضي واصالة التراث ، وليس ذلك مطلقا ، وشاملا ، (فعمان) أحياها الله واقطار عربية أخرى مازالت على عهد العروبة ، وميثاق الاسلام تفخر بمفاخر تراثية عديدة ، وفي طليعتها الاعتزاز بالعربية لغة تسمو على اللغات ، وكيف لا وهي لغة كتاب الله العلي العليم ، وهي (عمان) الأصالة والأمجاد تعنى بالأدب والأدباء ، وبالشعر الرصين والشعراء المبدعين ، وكيف لا وهي بعون الله لم ولن تنجرف الى مهاوي انزلاقات الأفكار المسمومة والآراء الدخيلة المستوردة ، التي

أساءت الى لغتنا لغة القرآن الكريم ، لتتفشى الرطانة الأجنبية ، وتشيع الكلمات الدخيلة ويزدرى بالشعر الهادف الى التوعية بتاريخ العرب ، وبعث الحماس في نفوس أبناء الأمة كي يعملوا جاهدين على ما فيه بلوغ الأماني الكبار ، أماني الوحدة العربية الشاملة ، والحياة الفضلى المزدهرة بالمروءات وسمو الاخلاق العظيمة .

ويسرنا ما يهدف اليه هذا اللقاء في هذا المنتدى الأدبي الشامخ ، فيه التفاؤل ، وفيه الأمل البسام ، وأهلنا هنا ، ونحن منهم ، ومعهم ، نكرم الأدب ، والشعر في هذه الشخصية المحببة الى نفوسنا ، نكرمه شاعرا في شعره ، واديبا في نثره ، تعبيرا عما يجول في أذهان المفكرين العرب ، من أجل صالح هذه الأمة وصلاح أمرها .

ودواوين شعر سعادة الشيخ الخليلي ، وما احتوت ، بلاغة وفصاحة ، وحكما ، وامثالا وقصصا ، وتاريخا ، انما هي المراد من أي شاعر عربي ومسلم ، يدعي انه شاعر يستحق الثناء والتقدير وبالتالي فهذه الصفات ، والميزات التي توفرت في الشيخ الجليل هي التي كانت من وراء هذا الاحتفال الكبير ، جزى الله من فكر به ، ودعا اليه ، وحقق فكرته ، عنا أحسن الجزاء ، يذكرنا بمنتديات الأدب في عهودها الزاهرة ، وبأسواقه التاريخية في الحجاز . . والعراق ، حينما كانت مناسباتها السنوية فرصا للتنافس في الخطابة والشعر ، وله أهميته وتقديره واعجاب المعجبين بالمبرزين من الشعراء والخطباء والأدب بنثره البليغ ، وشعره الفصيح ، ومعانيه المعبرة عن واقع الأمة ، وآمالها الكبار ، وقصته الهادفة ، ومسرحيته الناجحة وخطابته ومناظراته هو السبيل الى تقويم الاعوجاج في النفوس والضمائر وهو السبيل الى ترويض الطباع على المفاهيم السليمة وهو يصقل الطباع بالشمائل الحلوة ، والشهامة وهو الأدب شعره ونثره على السنة المؤمنين ، وبأقلام المخلصين ومن قرائح المبدعين يبعث في الأمم وشعوبها الحماس الى التضحية في سبيل الأوطان ، ومن أجل خير المجتمعات ، فبوركت يا (عمان) والمجد لك شعبا ماجدا وقائدا حكيما ، مقداما ، مصلحا يعيش لخير شعبه ، وامته المجيدة ، ومن حوله حكومة رشيدة تنفذ توجيهاته ، وخططه الهادفة الى المزيد من أسباب التقدم والأزدهار .

وبعد . .

فلعل أحدا يريدني ، في موقعي هذا ، ناقدا ، وفق مفهوم النقد الأدبي المصطلح عليه ، ما قد وقعت عيناي عليه من شعر الخليلي ، فأجابته انني قد قلت رأيي فيما تقدم

مستحسنا ، معجبا ، بالغ الاعجاب ومقدرا لاسيما وشعره كله ، أو بعضه يعيدنا نحن المتفائلين الى خواطر وذكريات ، وأشعار من قد كان لشعرهم ما كان له في صقل الطباع بالقيم السامية ، والمثل العليا الرفيعة ، ثم كذلك بعث الهمم الى التضحيات ، والبذل ، والعطاء ، في سبيل بناء المجتمعات الفاضلة ، وقيام الكيانات المنيعة ، واستمرارية بقاء الأمم قوية مجيدة بالاخلاق القويمة كما وصفها (شوقي) :

وانما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وانني وقد تذكرت شوقي هنا لاذكر الشعراء الفحول أمثاله من الذين قضوا كحافظ ابراهيم القائل :

بنات الشعر بالنفحات جودي فهذا يوم شاعرك المجيد

يذكرني بأن يومنا هذا اليوم من أيام شهر فبراير ١٩٩٠م ، هو يوم الأديب ، الشيخ عبدالله بن علي الخليلي ، أحد امراء الشعر في عالم العروبة يلتقي مع زملائه ، واقرانه ، وبالتحديد مع الامير السابق أحمد شوقي في التركيز على الأخلاق عنوان (المدن الفاضلة) والمجتمعات السوية وما أحرى أي عربي ، وأي مسلم أن يقرأ ، أو يسمع لشيخنا الجليل المحتفى به في موسوعة (وحي النهى) لتصفو نفسه ، ويطمئن باله ، وتسمو مشاعره ، وهو ينتقل من بيت شعر إلى آخر ، ومن مقطوعة الى أخرى وحين يتلو :

ذوي المعالي لا يرومها سوي
فحل شديد العزم مفتول القوى
. . حين يتلو ويتلو . .

دم الشهيد شرف وعزة اكرم به وهو دفين الثرى
دمع الفتى مخافة من ربه مثل الشهيد في يوم الجزا

وما أكثر ما تشتاق اليه نفسه ، وقد بدا مؤملا أن يستزيد ويستزيد ، وحين ينتهي به حظه من التلاوة ، لابد وانه يسترسل فيه (من أقوال الآخرين مثل قول عبد المحسن الكاظمي)

تا الله لا أرضى الحياة أرى لديها الخسف وردا
من لم يعز بموطن حر يكن للذل عبدا

ومثل قول الزهاوي :

ما أعـظـم الأخـلاق في نفـس امـرىء
ان خاشـنـتـه الـنـاس لم يخشـوشـن

وأقـوال كثـيرة لا يتسـع الوقت للاسترسال بقصائدها ، ومناسباتها وان كانت هذه المناسبة لا تجد غضاضة في ان تعزز آراء وافكار ومبادىء وحكم ونصائح الشيخ الخليلي ، بآراء مماثلة صاغها سلفه أمير الشعراء السابق أحمد شوقي :

المـلك أن تعـملوا ما اسـطعـتـمـوا عمـلا
وان يبـين على الأعـمال اتـقـان
المـلك أن تتـلاقـوا في هوى وطـن
تفـرقـت فيه أجـنـاس ، واديان
المـلك فوق لسـان تحتـه أدب
وحـول عقـل على جنـبـيه عرفـان
نعم أيها الاماجد !

انها كيانـات الأمم القـوية ، وأمجاد الشعوب بالوفاق ، والوئام ، وتبادل المحبة ، والثقة ، والتعاون على البر ، وفي سبيل الصالح العام وما أحوجنا نحن العرب ، ونحن المسلمين في ظروفنا الصعبة ، وواقعنا المرير الى الشعر الرصين ، والأدب الهادف الى اعادة بنـاء كيان هذه الأمة على مثل الدعائم القوية التي كان قد قام عليها في عهود الأمجاد ، والسؤدد ، ولا أراني مبالغا اذا ما أنا قد أشرت إلى أن شيخنا الهمام قد جادت قريحته في كل مناسبة قال فيها الشعر بما هو في نطاق هذا الاطار دعوة كريمة خيرة الى تراص الصفوف ، وتوحيد الرأي ، والكلمة ، وكلمة الله هي العليا ، وهو الله تعالى نصب أعيننا ، لا سبيل لنجاح بغير عودة العرب ، والمسلمين اليه خاشعين ، تائبين ، يعملون ما يرضيه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، نتوسل اليه أن يسدد خطانا جميعا الى ما فيه خدمة أمتنا على النحو الأكمل ، ولن نستطيع القيام بمهامنا على النحو الذي يرضي الله ، وترضى عنه ضمائرنا إلا إذا نحن تحلينا بالأخلاق الفاضلة ، والمزايا الحميدة .

ما أجمل أن يكون كل شعر الخليلي معبرا عنها بأسلوبه الرصين ، وفكه الثاقب ، وسمـو أفكـاره الهادفة الى بناء المجتمع السوي على دعائم قوية ، متينة صورتها قصائده المستوحاة من العقيدة السمحة ، ونكررها إليه تحيات التقدير مثلما نهتف في النهاية ومن قبل في البـداية ، لعمان الزاهرة ، قائدا هماما ، وشعبا مقداما ، وحكومة جليلة ، وشعراء ، وأدباء ، نحييهم كافة في هذه المناسبة المعطرة بأجواء الاخاء والوفاء .

كلمة سعادة جمعة بن حمد النصري[1]

وكيل وزارة الخدمة المدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلي العظيم الهادي إلى الصراط المستقيم ، وسبحانك اللهم القائل في محكم كتابك الكريم : ﴿ **يـأيُهـا الناسُ إنا خلقناكم من ذكرٍ وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائلَ لتعارفوا ان أكرمكم عند اللهِ أتقاكم** ﴾ ، صدق الله العظيم . واصلي واسلم على سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن اتبعهم بهدي إلى يوم الدين .

وبعـــد . .

فإن سلطنة عمان منذ انتظمتها الصحوة الفكرية مع بزوغ فجر النهضة المباركة لحضرة صاحب الجـلالـة السلطان قابوس بن سعيد المعظم ـ حفظه الله ـ لتوقظها من سباتها ، ولتبث فيها من جديد حياتها الأدبية والفنية التي مكنتها من أن تقبض على صولجان نهضة شاملة ممزوجة بأريج العزة والكرامة والسيادة ، وهي لا تدخر جهدا في ابراز معالمنا الحضارية والتاريخية على كافة الأصعدة والمستويات ، وانه لمن يمن الطالع أن تأتي هذه الامسية الأدبية التي يقيمها المنتدى الأدبي في رحابه لاحياء ذكرى واحدٍ من أبناء عمان الكرام البررة ـ في أيام مشرقة من عمر عمان وفي ظل نهضة وارفة الظلال ، راسخة الجذور يضيء أركانها قبس من توجيهـات مولاي حضرة صاحب الجـلالـة السلطان المعظم ، بما يعكس اهتمام جلالته ـ حفظه الله ـ بتراثنا الوضاء الخالد والحفاظ على ملامح هذا التراث نقية خالصة من كل شائبة .

أصحاب السعادة

أصحاب الفضيلة

---

(١) القيت الكلمـة في الأمسية الأدبية التي أحياها المنتدى الأدبي مساء يوم الاثنين ١٩٩٠/٣/٢٦ احتفاء بمرور (٥٠٠) عام على وفاة الشاعر العماني الكبير أبي حمزة سالم بن غسان بن راشد المعروف باللواح الخروصي وبمناسبة ظهور ديوانه في جزأين صدرا عن وزارة التراث القومي والثقافة في اطار حرصها على طبع الذخائر والنفائس التراثية العمانية ونشرها بعد تنقيحها وتحقيقها ، وقد قام بمهمة تحقيق الديوان الأستاذ محمد علي الصليبي ـ مساعد مشرف المنتدى الأدبي .

أيها الحفل الكريم

ان احتفالنا اليوم بذكرى اللواح الخروصي انما يعكس مدى تمسكنا بتراثنا ، وحرصنا على تكريم أولئك الذين ساهموا في صنع هذا التراث ، ووفائنا لهم ، واقتدائنا بهم ، وسيرنا على نفس الدرب الذي أوصلهم إلى تسنم هضاب المجد وتملك نواصي العظمة وان اللواح الخروصي واحد من أبناء عمان الأوفياء الذين تركوا لهذا البلد رصيدا فكريا وعلميا وتاريخيا وأدبيا يعتبر ثروة قيمة لا تقدر بثمن وهي في الواقع ثروة تفخر بها الشعوب والأمم منذ بدء الخليقة واننا اذ نتحدث عن هذه الثروة الفكرية نجد لزاما علينا ان نتطرق الى الثروة الأدبية خاصة في مجال الشعر حيث تتمتع عمان بمكانة مرموقة في هذا الميدان فهو لغة العواطف وترنيمة الحياة ، به عبر اللواح واضرابه من شعراء عمان عما يجول في أنفسهم من تجارب ، وعبر أمواجه أبحرت أحاسيسهم وانفعالاتهم مع معرفة تامة ان خير الشعر ما تمشى مع الطبع وابتعد عن الصنعة ، لتأتي قوافيه سراعا تجتاز القفار ، هذا هو الشعر الذي اهتمت به أمتنا ، وحفل به تاريخها وتناقلته القوافل والركبان وتصدر فيه الشعراء مجالس الملوك والامراء

أصحاب السعادة

أصحاب الفضيلة

أيها الحفل الكريم

انه لجميل أن يتبنى المنتدى الأدبي هذه الفكرة الجيدة في احياء ذكرى شعرائنا وأدبائنا خاصة أولئك الذين لم تتح لهم فرصة التواجد على الساحة لا لأنهم غير أدباء بل لأن الفرصة لم تتح لأدبهم وأشعارهم أن تصل الى السواد الأعظم من الأمة ، فجاء المنتدى الأدبي بهذه البادرة الحميدة ليسلط الضوء وبعد مئات السنين على أولئك الرجال الذين تواروا وهم في الظل بعيدين عن بريق الأضواء بالرغم من عظمتهم ومكانتهم وعطائهم الوفير لامتهم ، فكان مثلهم مثل اللآلىء التي تقبع في قيعان المحيطات ، ولا يستمتع ببريقها ولمعانها أحد .

وهنا نرى لزاما علينا أن نذكر بدور الاعلام بكل وسائله في هذا المجال فللاعلام دوره خاصة ونحن في عصر أضحى الاعلام فيه من أهم المرتكزات الأساسية للتعريف بماضي

الأمة وحاضرها ولاشك أن التلاحم بين المؤسسات الاعلامية والثقافية شيء يدعو الى الفخر والاعتزاز ذلك التلاحم الذي يعكس العمل المخلص الجاد في كافة المجالات من أجل عمان في ملحمة رائعة تجسد مدى التفاف الشعب حول قائده ، ومدى وفاء الأمة لماضيها التليد وحاضرها السعيد .

أصحاب السعادة

أصحاب الفضيلة

أيها الحفل الكريم

. ان احتفالنا بذكرى أبي حمزة سالم بن غسان اللواح الخروصي الأديب العارف الشاعر انما هو بمثابة احتفال بذكرى كل المخلصين لهذه الأرض الطيبة ، الذين جبلوا ترابها بعرقهم ودمائهم ، ولم يبخلوا عليها بالنفس والنفيس ، فكانت ذكراهم بمثابة الكوة تطل على ذاكرة الدهر معتزة مباهية بهذا النفر من الرعيل الأول الذين آن الأوان أن نرد لهم جزءا من الجميل على سبيل الوفاء والعرفان .

وفي ختام كلمتي لا يسعنى إلا أن أتوجه بالشكر لكم ولادارة المنتدى الأدبي التي شرفتني برعاية هذا الحفل الكريم ، وأتاحت لي شرف اللقاء بكم والتحدث اليكم ودعاء من الأعماق إلى الله العلي القدير بأن يحفظ لنا باعث حضارة عمان العريقة وباني نهضتها المباركة ومجدد أمجادها مولاي حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم « حفظه الله » ويؤيده بنصر من عنده ، انه سميع الدعاء .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .





جانب من الاحتفالات التي يقيمها المنتدى
تكريما للفائزين من الأدباء والشعراء في مسابقاته الأدبية السنوية

كلمة سعادة
الشيخ عبدالله بن صقر العامري

المستشار بوزارة التراث القومي والثقافة [1]

فإنه لجميل أن تكرم الأمة علماءها وأدباءها وعباقرتها ، وانه لمدعاة للفخر والاعتزاز أن يأتي هذا التكريم من القمة ، ليؤكد على اهتمام مولانا حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم بالثقافة ودور المثقفين في المجتمع تقديرا لعطائهم في مختلف الميادين وتشجيعا لكل ابداع واذا كنا نعتز بتقليدنا أوسمة ، فإن اعتزازنا ـ لاشك ـ أكبر ، وفرحتنا أعظم بتقدير صاحب الجلالة ـ حفظه الله ـ لتلكم الخدمات الجليلة التي قدمها رعيل أدبائنا وفي مقدمتهم سعادة الشيخ عبدالله بن علي الخليلي الذي يسعد المنتدى أن يقيم هذا المهرجان الثقافي الكبير ـ الذي تشرفونه بحضوركم ـ تكريما لجهوده ، وثناء على الدور الذي اضطلع به في خدمة الأدب بعمان على مساحة أكثر من خمسين عاما .

أصحاب السمو . . أصحاب المعالي . . أصحاب السعادة . . أيها الحفل الكريم

لقد كان تراثنا المشكاة التي قبسنا منها فكرنا وهويتنا ونزعتنا وتقاليدنا ، وان هذا التراث لثروة ثمينة ، وعنصر هام من عناصر الأدب ، وهو همزة الوصل بين الماضي والحاضر . ربط قلوب الخلف بالسلف وشكل دائرة يستريح في ظلها كل قلب يتذوق الكلمة الأصيلة ، والخليلي لم يغب عن باله هذا المفهوم في أية لحظة فليس كل القديم من وجهة نظره رديئا لأنه قديم ، كما ان الجديد كله ليس جيدا لمجرد كونه جديدا ، ففي القديم قديم جيد ، وفي الجديد جديد لا نفع فيه ولا خير منه يرجى ، ثم ان القديم كان جديدا في حينه ، والجديد سيؤول الى قديم ، وهذه شرعة الله في خلقه .

---

(١) جريدة عمان في لقاء أجراه معه محمد علي الصليبي .

لقـد كان الخليلي ضمن كوكبـة من الشعـراء العـرب الكبار الذين يمثلون الجسر الـواصل بين القديم والجديد في عملية توازن وتناسق محكمين ، فقد كان منذ ولادته في سمائل عام ١٣٤٢ هـ والى يومه هذا ـ أطال الله عمره ـ غديرا يترقرق عبره الماء عذبا زلالا ، يروي الظمأى ، ويضفي شعره على الطبيعة جوا مفعما بكل ما يبعث في النفس البهجة في قلوب المعذبين والحيارى . تحدث عنه النقاد واصفين غزله بأنه ممزوج بنزعة صوفية تنبعث عن قلب شاعر مؤمن يتضرع دوما إلى الله أن يغفر زلاته ، وهو هنا يذكرنا بتوسلات عشاق الصـوفية ورجـاءاتهم كما قيل في وصف القصيدة الغزلية الخليلية بأنها تتمتع بوحدة فنية تتحقق من التنـوع في أفكـارها وترقبها في شبه معراج الى ما أسماه الناقد مقامات الغزل والتصوف الخليلي الشعري .

كما وصفه ناقد آخر بأنه ظاهرة تستوجب تضافر الجهود لاستكشاف أبعادها وأعماقها بواسطة تقنيات نقدية خاصة ، وقالوا وما أكثر ما قالوا عن ذلك الطود الشعري الشامخ الذي كانت عنايته بالشعر عناية الصائغ بدره وماسه ، نفخ به لسانه كالعطر ونثره من حوله كالزهر في ألفاظ عذبة ، وعبارات رشيقة كأنه العسل المذاب ، تبدو في باطنه الحكمة ، ويظهر في أطرافه الرشاد ، ويثور في أعطافه الوجدان ويتدفق من بين شفتيه الحب .

فنحن اليوم ـ دون ريب ـ أمام أديب كبير كان مفهوم الشعر لديه ـ كما وصفه العقاد (نفثة من نفثات الروح ، تفتح للشاعر مغاليق النفس الانسانية ليحولها الى أناشيد فياضة الأحـاسيس والمشـاعـرْ) ، فدانت لأديبنـا التشبيهات المثلية ، والاستعارات الشكلية ، والاشـارات السحرية ، والعبارات الجهرية ، ملك زمام الحكمة في الشعر وانطبق عليه ما انـطبق من الـوصف على ابن المعتـز فكـان (صدر المشرق ، وتـاريخ المجـد ، وعزة الزمان) ، ومع اننا سنضرب صفحا على الاتيان بالأمثلة التي تؤيد رأينا في الخليلي لتقديرنا أن ذلك من اختصاص الأساتذة الباحثين ، فإن رأيا لنا في أديبنا سنسوقه هنا من خلال هذه الكلمـة المـوجـزة مع انه من غير النصفة بمكان أن نقوّم اديبا كالخليلي في كلمة أو مقال أو بحث أو دراسة فالرجل كما تعلمون يحتاج منا الى المزيد من الدراسات الجادة والبحوث المستفيضـة لنسـير أغـواره ، ونتمكن من التعـرف على كنهه ولكن كما يقول المثل العماني (ما لا يدرك جله لا يترك كله) .

أصحاب السمو . . أصحاب المعالي . . أصحاب السعادة . . أيها الحفل الكريم

لقد ولج الخليلي عالم الأدب بكل حواسه ، منقضا كالفارس الغيور على حماه من ضيم الأعداء ، وثابا الى المعالي ، مترسما خطى كبار الشعراء من أمثال أبي الطيب المتنبي وأبي مسلم الرواحي وأحمد شوقي في طموحه وفي تحديقه الى عظائم الأمور ، فشغله هذا التوثب عن الشكليات في الشعر ، انسجاما مع همته الكبيرة ، ففاحت بين ثنايا أبياته نغمة الحماس التي تكاد لا تفارق قصائده في مجالات الوطنيات والقوميات والحماسيات ، ونراه في أكثر من قصيدة يعطف الى ذكر البيادي وصهوات الجياد ، وصليل السيوف ، وقعقعة الأسنة ، ونخوة الشم البهاليل ثم يعرج الى الغرض الذي انشئت القصيدة من أجله ، مما يذكرنا بروائع الشريف الرضي وغيره ممن كتبوا في الحماسيات .

ثم اننا لا نلمح في كل ذلك اقحاما مملا ، وانما استطاع بخفة ورشاقة أن يخرج كل ذلك في صورة فذة هي في الواقع جزء لا يتجزأ من صورة نفسه ، تمثل الخط البياني لاحساس الخليلي ، في مشاعر ممزوجة بمسحة صوفية حزينة ، أو فرحة غامرة ، تشوبها رنة حزن أو أنة قلب مهموم ، ويتبلور كل هذا التصاعد الفني في قصيدته لوصف البطولة في شخص الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، والصحابة الكرام رضوان الله عليهم والسلف الصالح من هذه الأمة .

وفي الكثير من قصائده نراه بشكل أو بآخر يعبر عن روح الفتوة العربية الاسلامية ويسجل أخلاقها مقارنا بين بداوتها وخشونتها واعتزازها بانتمائها ، وما بين المدنية ورغدها ورفاهها وما جرته بين اذيالها ـ في مفهوم البعض الخاطيء لها ـ ، وهنا يلجأ الخليلي الى استحضار قصص العرب المسلمين ووقائعهم والأحداث التاريخية وأيام العرب مصورا الحس الجماعي للأمة في مواطن كثيرة من شعره .

وعمان في شعره السويداء في القلب ، والانسان في العين ، وقصائده في هذا المجال شواهد غراء على حسن انتمائه لأرضه ، وذوب مشاعره ، يخوض الغمرات سعيا في الحفاظ على ترابها طاهرا ، أما القائد الباني صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم ، فهو فارس الساحة ، ومحقق الطموحات ، ومجدد الأمجاد ، وباني النهضة الحديثة ومحط الآمال والعمانيون ، فإن اسهامهم في إرساء أسس الحضارة والمدنية ، ومشاركتهم في ايقاظ الشعوب ونهضتها ، ونشر الاسلام لا يخفى على عيان .

أما قضايا امته العربية الاسلامية ، فقد الهبت حسه ، وأثارت لواعجه ، وأشعلت فيه جذوة الحماسة ، فهب ليتحفنا بأناشيد وقصائد بطولية متكاملة تطفح حبا واخلاصا . ويتجلى احساسه العربي الاسلامي الجماعي ليتشكل في عدة وجوه ومظاهر في أشعاره . من ذلك نقده المظاهر السلبية في المجتمع أو اتخاذه أحيانا الصحراء وما فيها وما تذكره به من أمجاد وبطولات وأخلاق ، ولعل هذا سبيله للهروب من الواقع الاليم الذي تواجهه امتنا عبر الوطن العربي الاسلامي الكبير ، حيث يطفو هذا الاحساس الجماعي الدافق على السطح ليدفع في الخليلي طابع الاسى والحزن في نفسه في استعراض ملحمي يوازن فيه بين حال الأمة في ماضيها المشرق ، وبين حال التفكك والذل الذي تعيش فيه هذه الأمة .

أما أمجاد عمان في شعره فانها تمتد امتدادا وثيقا الى دوحة الاسلام الظليلة ، فهو يهيم حبا في عمان ، ويتغنى بما حققته من مفاخر محيلا تجاربه الشعورية الى خرائد تثير في النفس الحس القومي ممزوجا بالحس الجماعي لأمتنا العربية الاسلامية ، ويظهر مثل هذا جليا واضحا في ذاته ولغته الشعرية .

والسؤال الذي يطرح نفسه ، ترى هل يتوقف هذا الشلال الدافق عن العطاء مادامت الحياة تدب في أوصاله ، والاجابة بالتأكيد تتلخص في (كلا ثم الف كلا) والشواهد على ذلك كثيرة ، اجابته لواحد من الصحفيين طرح عليه مثل هذا السؤال حين ملأت الساحة أنباء اعتزال شاعرنا ، فقال : (كيف اعتزل ما اعتبره مخاطبة لوجداني ، ومشاركة لاخواني في آمالهم وآلامهم) ، وفي لقاء صحفي بتاريخ ٨٧/٨/٣٠ بعنوان (باقة ورد للأديب الشاعر عبدالله بن علي الخليلي) قال : وهو يرقد على سرير المستشفى (على سرير المستشفى نظمت ـ والكلام للخليلي ـ قصيدتين والثالثة على الطريق) مشيرا بهذا الصدد الى انه (لا مجال للآلة العاطلة في مجتمعنا) .[1]

أصحاب السمو . . أصحاب المعالي . . أصحاب السعادة . . أيها الحفل الكريم

ويبقى الشيخ عبدالله بن علي الخليلي رمزا للأدب العماني ، وظاهرة أدبية تستحق منا كل عناية واهتمام ، وتبقى عمان ملهم العبقريات على سلامة الوجدان ، والتربة الخصبة

(٢) القيت الكلمة نيابة عن رئيس المنتدى الأدبي وذلك في الحفل التكريمي الذي أقامه المنتدى تحت رعاية معالي يحيى بن محفوظ المنذري وزير التربية والتعليم والشباب يومي ١٩ و ٢٠ فبراير ١٩٩٠م ، وتم فيه تقليد سعادة الشيخ عبدالله بن علي الخليلي درع المنتدى الذهبي .

للأدب والشعر وسائر العلوم والمعارف والنبع الثر الفياض الذي ارتوى منه الكثيرون من القادة والمفكرين والعلماء .

معالي راعي الحفل . . أصحاب السمو والمعالي . .

أشكركم باسم المنتدى لتشجيعكم بالحضور ، كما أتوجه بشكري الى الاخوة الأساتذة الضيوف ، معالي الاستاذ ضيف الله الحمود من الاردن الشقيق ، والاستاذ الدكتور الطاهر أحمد مكي ، والاستاذة الدكتوره نورية الرومي على بحثها الذي بعثت به حيث حالت ظروف عملها دون حضورها هذا المهرجان سائلين الله من أعماق قلوبنا أن يحفظ على عمان أمنها ورخاءها في ظل مولانا حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .





جانب من الفعاليات والمناشط الثقافية والأدبية التى يقيمها المنتدى الأدبي بين الحين والآخر

ترقبوا في الاصدار القادم

- المنتدى يكرم فضيلة المرحوم الشيخ محمد بن راشد بن عزيز الخصيبي .

- ماذا قالوا في ندوة التجربة القصصية في عمان .

- والكثير من الدراسات والبحوث والامسيات الأدبية والشعرية .

محتويات الاصدار

الصفحة

* كلمات مضيئة ٦
* الاهـــــداء ٩
* كلمـة صاحب السمو السيد فيصل بن علي بن فيصل آل سعيد وزير التراث القـومي والثقافة التي القاها بمناسبة مرور عامين على افتتاح المنتدى الأدبي تحـت رعـايـة ســموه ١١
* كلمة سعادة رئيس المنتدى الأدبي ١٥
* نقرأ في هذا العدد ١٩

● **البـاب الأول (دراسـات وبحوث في أدب الشيخ عبد الله بن علي الخليلي)** ٢١

○ مظاهر معاصرة الجيلين في شعر الشيخ عبد الله بن علي الخليلي .. ٢٣
○ قراءات أولية في مقامات الشيخ عبد الله بن علي الخليلي ٥٣
○ القصة الشعرية في ديوان الشيخ عبد الله بن علي الخليلي ٩٧
○ المقامة والقصة في أدب الشيخ عبد الله بن علي الخليلي ١٢٩
○ المضامين العلمية في شعر الشيخ عبد الله بن علي الخليلي ١٤٣

● **البـاب الثـانـي (قـراءات في الأدب والفكر العماني)** ١٥٥

○ مع شعراء الشباب بجامعة السلطان قابوس ١٥٧
○ العمانيون وارتباطهم بالاسلام ١٧٧
○ أضواء على شعر أبي مسلم ١٨٧

صفحة

- قصائد السلوك في شعر ابي مسلم ٢٠١
- اللواح الخروصي كما صورته المصادر التاريخية ٢١٥
- قراءة في ديوان اللواح الخروصي ٢٢١
- الجانب السياسي والثقافي في عصر اللواح الخروصي ٢٣١
- اطلالة على الرحلة في الشعر العماني ٢٤٩

● **الباب الثالث (دراسات أدبية)** ٢٦٣

- حركة الترجمة وأثرها في الأدب والنقد ومناهج البحث ٢٦٥
- التطور الاجتماعي والأدبي في النقد العربي في الاطار العالمي ٢٩٩
- معوقات الحركة المسرحية في الخليج ٣٠٧
- المسرح والتراث ٣١٧

● **الباب الرابع (القصة القصيرة)** ٣٢٥

- هجعة الليل . . هجعة الراقدين ٣٢٧
- والاشجار وفاطمة والسماء ٣٣٥
- البراعم ٣٠٩

● **الباب الخامس (في الشعر)** ٢٠٧

- راية الآداب ٢٠٩
- تحية إلى عمان ٢١
- فليفخر الحصن الرفيع .....

صفحة

- أنت الأمير وكلنا أبناء ٣٥٥
- البطولة ٣٥٩
- عمان المجد ٣٦٣
- من ليالي الصيف الغابرة ٣٦٥
- هزار الهنا ٣٦٩
- عمان الاباء ٣٧٣
- الخليج ٣٧٥
- حب وهزيمة ٣٧٩

● **الباب السادس (كلمات ومناسبات)** ٣٨١

- كلمة معالي وزير التربية والتعليم والشباب ٣٨٣
- كلمة معالي ضيف الله الحمود ٣٨٧
- كلمة سعادة جمعة بن حمد النصري ٣٩٣
- كلمة سعادة الشيخ عبد الله بن صخر العامري ٣٩٧

* ترقبوا في الاصدار القادم

ـ المنتدى يكرم فضيلة المرحوم الشيخ محمد بن راشد بن عزيز الخصيبي ٤٠٣

ـ ماذا قالوا في ندوة التجربة القصصية في عمان ٤٠٣

تم بحمد الله

شركة مطبعة عمان ومكتبتها المحدودة ش م م